The Ninth International Conference on Languages, Linguistics, Translation and Literature



المؤتمر الدولي التاسع حول القضايا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة و الأدب

نهمین کنفرانس بین المللی بررسی مسائل جاری زبان ها، زبان شناسی، ترجمه و ادبیات

WWW.LLLD.IR

1-2 February 2024 , Ahwaz

١-٢ فبراير ٢٠٢٤ ، الأهواز

۱۲–۱۳ بهمن ۱۴۰۲ ، اهواز

مجموعة بحوث المؤتمر- المجلد الثاني


Amiralmoemenin University


The Written Heritage Research Institute











مجموعة بحوث (المجلد الثاني)
المؤتمر الدولي التاسع حول القضايا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة و الأدب

د. سيدحسين فاضلی

سنة النشر: ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م



دار الأهواز للطباعة و نشر البحوث و العلوم
(بموافقة الوزارة رقم ١٦١٧١)

الأهواز / الصندوق البريدي: ٦١٣٣٥-٤٦١٩
WWW.APSB.IR , Email: info@apsb.ir

سرشناسه : کنفرانس بین‌المللی زبان‌ها، زبان شناسی، ترجمه و ادبیات (نهمین : ۱۴۰۲ : اهواز)

International conference on languages, linguistics, translation and literature (٩th : ٢٠٢٤ : Ahwaz)

عنوان و نام پدیدآور :

مجموعة بحوث (المجلد الثاني) - المؤتمر الدولي التاسع حول القضايا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة و الأدب / سیدحسین فاضلی.

مشخصات نشر : اهواز: پژوهش و علوم، ۱۴۴۵ ق.= ۲۰۲۴ م.= ۱۴۰۲ -

مشخصات ظاهری :۳ ج، ۲۳۰ ص.؛ ج.؛ ۲۲×۲۹ سم.

شابک: شابک دوره: ۹۷۸-۶۲۲-۹۰۳۹۰-۸-۳ ج.۱: ۹۷۸-۶۲۲-۹۰۳۹۰-۹-۰

ج.۲ : ۹۷۸-۶۲۲-۹۱۱۵۰-۰-۸ ج.۳: ۹۷۸-۶۲۲-۹۱۱۵۰-۱-۵

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه.

موضوع : زبان شناسی- - کنگره ها

Linguistics -- Congresses

زبان‌شناسی -- ایران -- کنگره‌ها

Linguistics -- Iran -- Congresses

زبان انگلیسی -- ترجمه -- ایران -- کنگره‌ها

English language -- Translating -- Iran -- Congresses

ترجمه -- ایران -- کنگره‌ها

Translating and interpreting -- Iran -- Congresses

شناسه افزوده : فاضلی، سیدحسین، ۱۳۵۷ -، گردآورنده

شناسه افزوده : Fazeli, Seyed Hossein

رده بندی کنگره : P۲۳

رده بندی دیویی : ۴۱۰

شماره کتابشناسی ملی : ۸۶۷۸۵۸۰

اطلاعات رکورد کتابشناسی: فیپا

مجموعة بحوث (المجلد الثاني) - المؤتمر الدولي التاسع حول القضايا الراهنة للغات، علم اللغة، الترجمة و الأدب

د. سیدحسین فاضلی

ISBN:978-622-91150-0-8

WWW.LLLD.IR

نوبت چاپ: اول ۱۴۰۲ ، تیراژ: ۱۰۰۰ نسخه ، قیمت: ۱۰۰۰۰۰ ریال

سنة النشر: ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م



دار الأهواز للطباعة و نشر البحوث و العلوم

(بموافقة الوزارة رقم ١٦١٧١)

الأهواز / الصندوق البريدي: ٦١٣٣٥-٤٦١٩

WWW.APSB.IR , Email: info@apsb.ir

قائمة المحتويات

أسلوب القصر في الحديث النّبوي (صحيح البخاري أنموذجًا): دراسة حجاجيّة

تهاني فندي الشمري و د. زاهر بن مرهون بن خصيف الداودي،
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

الملخص

تهدف هذا الورقة البحثيّة إلى دراسة البعد الحجاجي لأسلوب القصر في الحديث النّبوي، وبيان آلية اشتغاله في السّياق القضائي، من خلال التّطبيق على المدونة اللغويّة (صحيح البخاري أنموذجًا)، ذلك أن أسلوب القصر يعد أحد أهم الآليات البلاغيّة المستثمرة في الحديث النّبوي القضائي، مع التأكيد على خصوصيّة هذا النّوع من الخطابات الغائيّة الموجّهة نحو تحقيق العدالة والإنصاف، وحث النّاس على ذلك. وسوف تستعرض الدّراسة مفهوم الحجاج في المقاربة اللسانيّة التّداوليّة، وبيان مفهوم أسلوب القصر، وبحث أبرز أدواته في المدونة اللغويّة، وتحليلها وفق معطيات مفهوم السّلالم الحجاجيّة. ونتطلع من خلال النّظر في نماذج المدونة اللغويّة إلى معرفة دور أسلوب القصر في التّعرف على خصائص تراكيب الكلام المؤدية للمعنى المقصود في الحكم القضائي، و كيف تبلور البعد الإقناعي في القيمة الحجاجيّة المتضمنة، وأثر ذلك في فض النّزاع بين المتخاطبين، لاسيما أنّ الاتجاه الحجاجي يصور القيمة من خلال دورها في إرجاع النّظام الخاص بالخطاب إلى نظام الملفوظات.

الكلمات المفتاحيّة: أسلوب القصر، الحجاج، الحديث النّبوي، تحليل الخطاب.

توطئة

يتصل الحجاج بمختلف مقامات التّواصل الإنسانيّة التي تسعى من خلال الملفوظات نحو إقناع المخاطب فردًا أو جمهورًا بتبني سلوكيّات محددة، أو تقبّل آراء معينة ومشاركتها، أو حشد أصواتٍ مؤيدة لجهة ما وغيرها، وكلّما كان توظيف الحجاج موفقًا استجاب المخاطبون فوريًا لدلالات الخطاب بشكل فعّال، حتّى باتت المجتمعات الإنسانيّة توصف بالديمقراطيّة بمقدار قدرتها على توظيف الحجاج في ممارساتها وأنشطتها، وقد نُرجع تفسير ذلك إلى استرسالات الخطاب الحجاجي ومضمراته الدلاليّة التي تجعله أحد آليات الإقناع المهمة، بحيث يراعي الخطاب مكونات السّياق، ويبرز في تضاعيفه الفهم العميق للخلفية المعرفيّة المشتركة بين المرسل والمتلقي ، بعيدًا عن الممارسات العنيفة التي تؤدي إلى مزيدٍ من التّصادم والتّنازع بينهما، لاسيما أنّ التوّاصل في مختلف الأغراض داخل الموقف الحجاجي "**ينبغي من خلاله -بكل دقة- إقناع المتلقي في إطار مهني أو مجتمعي أو سياسي وفي سياق عائلي أو إخواني أيضًا**"(١).

و قد أشار تمام حسّان في حديثه عن غايات الأداء اللغوي عند توظيف اللغة إلى غاية التّعامل التي تُستخدم اللغة "**بقصد التّأثير في البيئة الطبيعيّة أو الاجتماعيّة المحيطة بالفرد فيدخل في ذلك البيع والشّراء والمخاصمة والتّعليم والبحث العلمي والمناقشات الموصلة إلى قرارات والتّأليف والخطابة والمقالة السياسيّة** ..."(٢)، ويفهم من ذلك أنّ تحقق غاية الخطاب مرهونٌ بمدى انسجام اللغة ومكوناتها مع دور الفرد في السّياق، وهذا مصداق قول البلغاء "**لكل مقام مقال**"، كما أنّه من خلال النّظر في التّفاعل بين دور الفرد في الأداء وغاية الأداء -التي تشمل تحليل دور الفرد داخل المجتمع -يمكننا أن نفهم خصائص المقام الذي يقال فيه الخطاب أو المقال.

و يعد من أهم الأدوار التي يقوم بها الفرد في المجتمع الإنساني موظفًا الحجاج هو الدّور القضائي، الذي يستلزم فهمًا عمليًا لمقتضى أحوال المخاطبين، بحيث يكون الخطاب بآلياته وأساليبه مطابقًا لمقتضى الحال، وهذا مدعاة للتّأثير والإقناع

سواء أكان ذلك على مستوى القاضي أم على مستوى الخصوم، فقد يجتهد القاضي في التّأثير على الخصوم أثناء عملية الاستجواب لفهم ملابسات الواقعة، ودوافع الضرر، وآثاره، كما أنه يجتهد في التّأثير على الخصوم بعد إصدار الحكم القضائي لتعليل الحكم القضائي أو ما يعرف (بالتّسبيب القضائي)؛ حماية للعقيدة القضائية أثناء التّحاكم التي تؤمن بضرورة بيان العلاقة السّببيّة بين الجرم والنّتيجة القانونيّة المترتبة عليه بعد الإفصاح عن رأيها في الدّعوى، بحيث يتسق الحكم القضائي مع منطوقه موضحًا الأسباب المسوغة المتفق عليها بحسب المنطق القانوني ومرجعيته، لاسيما أن التسبيب يتضمّن خلاصة الفهم لواقع القضية مقرونًا بالتّكييف القانوني السّليم الذي أنزل على الدّعوى، وما انطبق على وقائع الدعوى وحقيقتها من مواد قانونيّة(٣). والهدف من ذلك هو الوصول إلى تحقيق غاية القضاء وهي (الإنصاف والردع).

بينما قد يستخدم الخصوم مختلف الحجج والبراهين والآليات للتّأثير على القاضي للمصلحة الذاتيّة التي تتفرع إلى شكلين: إقناع القاضي بجدوى قبول الدعوى والتّحاكم فيها، و إقناع القاضي ببراءتهم ووقوع المظلمة عليهم، وبالتّالي كسب غاية القضاء في الموقف التّواصلي (الإنصاف والردع).

وسوف نسعى من خلال هذا الورقة إلى دراسة البعد الحجاجي لأسلوب القصر (إنّما) في الحديث النبوي القضائي؛ خشية الإطالة، بحيث نسلط الضوء على البعد الإقناعي في القيمة الحجاجيّة المتضمنة، وأثر ذلك في فض النّزاع بين المتخاطبين.

١. مفهوم أسلوب القصر

يشير لفظ القصر لغةً إلى معنى يدل على خلاف الطول والحبس والغاية، فيقال:" **قصر الشيء: جعله قصيرًا، والقصير من الشّعر: خلاف الطويل، وقصر الشّعر: كف منه وغض حتّى قصر...، والقصر :خلاف المد..، يقال: قصرك أن تفعل كذا أي حسبك وكفايتك وغايتك، وكذلك قصارك وقصاراك، وهو من معنى القصر الحبس لأنّك إذا بلغت الغاية حبستك**"(٤)، و"**هذا قصرك أي أجلك وموتك وغايتك. واقتصر على كذا أي قنع به... والقصر :كفك نفسك عن شيء، وقصرت نفسي على كذا أقصرها قصرا...، والمقصورة :المحبوسة في بيتها وخدرها لا تخرج**"(٥).

ويعرف اصطلاحًا عند البلاغيين بأنّه "**تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوص ويقال أيضًا إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه. وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف وكل منهما إما حقيقي وإما مجازي**"(٦)، وقد أشار القزويني إلى أنّه "**تخصيص شيء "صفة أو موصوف" بشيء "موصوف أو صفة" بطريق مخصوص**"(٧)، وغاية ذلك الأمر "**تمكين الكلام وتقريره في الذهن**"(٨).

ويمكن التّمثيل لدلالة قصر الموصوف على الصفة قولنا (ما عمر إلّا طالب)؛ أي أنّه لا صفة له غيرها، وشاهد قصر الصفة على الموصوف قولنا: (لا إله إلّا الله)؛ أي لا يوجد إله مثيل له في إلهيته وأسمائه وصفاته وربوبيته إلا هو سبحانه وتعالى.

ويكون القصر بأساليب أو طرق متعددة بلاغيًا، يمكن رصدها في الآتي(٩):

١. طريق النّفي والاستثناء، حيث يكون المقصور عليه مذكورًا بعد أداة الاستثناء دائمًا، ومثاله قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) [آل عمران: ١٤٤].
٢. طريق إنّما، ويكون مع إنّما ذكر المقصور عليه مؤخرًا بشكل واجب، قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) [الحجرات: ١٠].
٣. طريق العطف، وينقسم إلى قسمين: ١- استخدام بلا ويكون المقصور عليه قبل لا، ومثاله: الحياة مستمرة لا متوقفة. ٢- استخدام بل أو لكن ويكون المقصور عليه ما بعدهما، ويمكن القول تمثيلًا: ما الحياة متوقفة بل مستمرة.

٤. طريق تقديم ما حقه التّأخير بحيث يكون المقصور عليه هو المقدم، قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة: ٥].

وبالنّظر إلى جملة الأمثلة المذكور سابقة، وتحليلها، يظهر لنا أنّ الكلام المشتمل على القصر على حكم واحد يتضمن الإثبات القصدي والنّفي التّبعي؛ أي إثبات المقصور للمقصور عليه، ونفيه عن ما سواه إن عامًا فعام، وإن خاصًا فخاص، في جملة واحدة (١٠).

٢. مفهوم الحجاج

يرد الحجاج لغة بمعنى الغلبة، فيقال" **حاججته أحاجه حجاجًا ومحاجة حتى حججته؛ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة :البرهان؛ وقيل :الحجة ما دوفع به الخصم؛ وقال الأزهري :الحجة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل، والتّحاج :التّخاصم**"(١١)؛ أي أنّ اللفظ مشتق من الحجة وهي البرهان أو الدليل ...، فيقال سقت البراهين على صحة ما أقول حتّى ظفرت، وهو بهذا المفهوم يلحق الحجاج بمعنى الجدل وهو "**شدة الفتل**"(١٢) ، ويأتي الحجاج أيضًا في الاستخدام المعاصر بمعانٍ أخرى كالذّريعة لإخفاء السّبب الرئيسي، والاحتجاج والخصومة، والحجة محل الثّقة، أو عالم ثبت(١٣).

وأما اصطلاحًا فهناك اختلاف في مدلولات مفهوم الحجاج من مجال إلى آخر، فهناك المفهوم المنطقي، والقانوني، والفلسفي، والمفهوم اللساني التداولي، والأخير هو ما يهمنا في مقام بحثنا، وهذه التّعددية ألحقت شيئًا من الغموض على المفهوم إلّا أنّها أكسبته بعدًا شموليًا للمعارف الإنسانيّة.

وقد عرّفت النّظريّة الحجاجيّة المعاصرة الحجاج من زوايا نظر شتى: أهمها السّمات الموضوعية العامة، أو البنى اللغوية المميزة، أو الغرض البلاغي والوظيفة الاتصالية وغيره، وإن مضينا قدمًا إلى أهم التّعريفات في الحجاج نجد أندرسين ودوفر يعرّفان الحجاج على أنه طريقة لاستخدام التّحليل العقلي والدعاوى المنطقيّة بغرض حل المنازعات واتخاذ قرارات محكمة والتّأثير في وجهات النّظر والسّلوك(١٤) .

بينما وصف بيرلمان وتيتيكا موضوع الحجاج على أنه "**دراسة الفنيّات الخطابيّة التي تسمح باستثارة انضمام العقول إلى الأطروحات التي نعرضها على مُوافقتها أو زيادة في ذلك الانضمام**"(١٥)، أي أنّ الحجاج لديه يوصف مرتبطًا بالأثر والغاية منه وهي الإقناع، فلا عبرة للحجاج ما لم يولِ الإقناع اهتمامًا واضحًا ويجعله مركز العمليّة، وقد وسع بيرلمان وتيتيكا -مجال الحجاج " **ليتجاوز الأجناس البلاغيّة التّقليديّة الكبرى وليطابق مفهوم المطارحة بكل أشكالها، بل أكثر من ذلك فالنّشاط الحجاجي في نظرية الحجاج كما في المنطق الطبيعي يتسع لنشاط الكلام** "(١٦).

ويوافقه ب. شارودو في تعريف الحجاج بأنّه" **نشاط يتضمن عدة أساليب، ولكن الذي يميز هذه الأساليب عن خصائص الخطاب الأخرى هو بالضبط اندراجها ضمن هدف مُعقلن وأداؤها دور البرهنة الذي يتميز بمنطق ما وبقاعدة عدم التّناقض**"(١٧)؛ أي أنّ الحجاج يتوجّه مباشرةً نحو ملكة البرهنة فيكون حينها المحاجِج معبرًا عن قناعة تتطلب تفسيرًا عندما يكون بصدد نقله إلى المحادِث بغية إقناعه، والتّأثير على سلوكه.

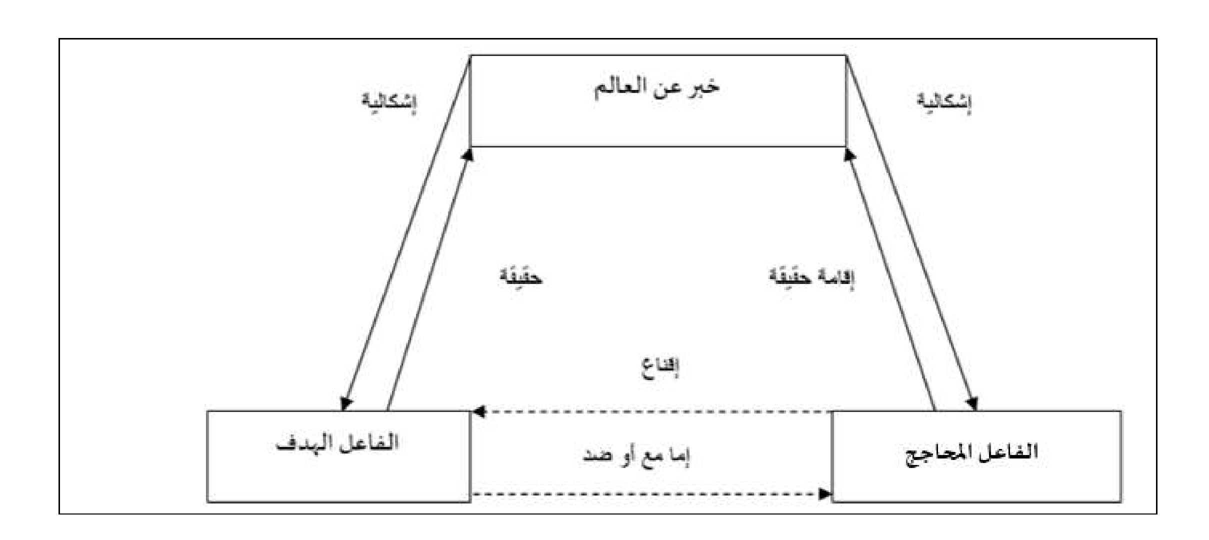
وقد عرّف طه عبد الرحمن حد الحجاج على أنّه كل منطوق به موجّه إلى الغير بقصد إفهامه دعوى مخصوص يحق له الاعتراض عليها، ويراد بالمنطوق هو الخطاب الذي لا يراد به فقط الدّخول مع الغير في علاقة، وإنّما يراد به ذلك الخطاب الذي في حقيقته يقترن بتحصيل النّاطق لقصد الادعاء، و تحصيل المنطوق له لقصد الاعتراض، فيكون الأول قاصدًا التّوجه إلى الثاني وإفهامه المعنى المحدد، وبذلك يقوم الخطاب بتمام المقتضيات التّعامليّة الواجبة للحجاج على مقتضى الادعاء

والاعتراض، وبهذا التّصور تتحدد ماهيّة الخطاب الحجاجي بالعلاقة الاستدلاليّة التي تفترض خطابًا يتضمن حجاجًا، ومخاطِبًا يقوم بوظيفة (المدعي)، ومخاطَبًا يقوم بوظيفة (المعترض)، دون أن يشير إلى البعد التّداولي وهو الإقناع والتّأثير في الخطاب الذي أشار إليه بيرلمان وتيتيكا ، و ب. شارودو سابقًا، والعلاقة الاستدلاليّة بحسب رأي طه عبد الرحمن تتحدد في ذاتها من جانب المخاطِب بالادعاء، فيصبح مستدلًا، ومن جانب المخاطَب بالاعتراض فيكون مستدلًا له، وبناءً عليه يمكن تصنيف الخطاب الحجاجي إلى نوعين(١٨): الحجاج التّوجيهي، والحجاج التّقويمي.

و العلاقة القائمة بين اللغة الطبيعيّة والحجاج من حيث أنّ الأولى هي العلامة المستعملة استلزمت ظهور ما يعرف بالوظيفة الحجاجيّة إلى جانب وظائف اللغة الأخرى: الوصفيّة، والإشاريّة والتّعبيريّة، لأنّ المرسل يستعمل اللغة بغرض الحجاج فينظم الحجج والتّفسيرات اللازمة(١٩)؛ ونظم الحجج المناسبة يتطلب "**حسن التّدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسد المتكلم السّبيل على السّامع فلا يجد منفذًا إلى استضعاف الحجة و الخروج عن دائرة فعلها، وربما نقضها بما يخالفها أو يباينها**"(٢٠).

و لذلك نجد أنّ كافة الخطابات تنزع نحو توظيف الحجاج غير أنّ أشكاله وأدواته ودرجته تتباين من خطاب إلى آخر، و بذلك تكون الوظيفة الحجاجيّة هي الوظيفة الأساس كونها المسؤول الأول عن "**توليد الفعل الخطابي؛ فلا خطاب بدون وظيفة ولا وظيفة بدون حجاج**"(٢١)، من أجل "**تحريك اعتقاد، أو تبرير قرار، أو الدّفع إلى العمل؛ لأنّ الحجاج يتوجه إلى الاعتقاد بالدّرجة الأولى أي كل ما يتعلق بترتيب القيم، بدل ترتيب الحقائق**"(٢٢).

وهكذا يتبين أنّ الحجاج آلية يستعين بها الخطاب الإقناعي للوصول إلى مبتغاه، فتتشكل من خلال ذلك عناصره الأساسيّة، وهي: خبر عن العالم يمثل إشكالًا لشخص ما من حيث مشروعيته، وفاعل مقتنع أو ملتزم بهذه الإشكاليّة يسعى نحو البرهنة لهذا الخبر، وفاعل آخر مهتم بالخبر نفسه ويشكل هدف الحجاج، يتوجه إليه الفاعل المحاجِج لاستدراجه نحو الاقتناع بالحقيقة، ويكون حينها بين خيارين: قبول الحجاج أو رفضه، كما هو موضح في الخطاطة الآتية(٢٣):



وبالنّظر إلى تلك العلائق بين العناصر الثلاثة، وبما ورد عند بيرلمان وتيتيكا فيمكن تمييز الحجاج بخمسة ملامح محددة: ١") **يتوجّه إلى مستمع**، ٢) **يعبّر عنه بلغة طبيعيّة**؛ ٣) **مسلّماته لا تعدو أن تكون احتماليّة**؛ ٤) **لا يفتقر تقدمه (تناميه) إلى ضرورة منطقيّة بمعنى الكلمة** ؛٥) **ليست نتائجه (خلاصاته) ملزمة**"(٢٤)؛ وبما أنّ التّوجيه الخطابي يستهدف مستمعًا بعينه، فهذا يستلزم العلم بخصائص هذا المستمع كي يمكن إقناعه وفق موقفه المحدد، ومسار الحجاج وفقًا لذلك تبادليّ

لا خطيّ يتطور بحسب مقتضيات السّياق وتفاعل المرسل إليه، من حيث ذكر الحجج أو إغفالها، فمثلًا حين نكون بإزاء السّياق القضائي يتعين على ممثلي الادعاء إصدار خطاب يستحضر فيه خصائص المرسل إليه، فيقول في بيانه:

- **قتل عمر جاره أحمد مساء يوم الاثنين.**

نعلم يقينًا أنّ جهة الادعاء من خلال ما تفرضه ثنائيّة ذلك السّياق (الاتهام/الدفاع) يحاولون إقناع الجمهور بما يعتقدونه، لاسيما أنّ خطابهم يتضمن ضمنيًا حجج مقاومة متوقعة تعارض موقفهم تبعًا لفكرة النّزاع المتأصلة في مثل هذه السّياقات؛ لذلك كلما كان المرسل أقدر على تصور المرسل إليه بأي صورة كان (فردًا/جمهورًا) بصفة دقيقة، وكيف يفكر ويحلل، كان أقدر على تخمين الحجج المناسبة للرّد عليه أثناء التّلفظ بخطابه، وبقدر تصوّر ما يناسبهم، يكون استدعاؤه مصنفًا ومتسلسلًا بحسب تلك المعرفة.

ومن أوجه البراعة في التّداول استثمار عدة تساؤلات متوقع أن تدور في خلدهم، فيسردها ويدحضها واحدة تلو الأخرى، حتّى يشعر الآخر أنّه على بيّنة من أمره، إلى جانب أدوات أخرى يمكن الاستعانة بها، منها: توظيف العلامات السيميائيّة بحسب المجال المستثمر فيها، بينما في سياقات أخرى، ومنها السّياق الإعلامي غالبًا ما تؤثر آليات (التّعبئة) في استمالة المرسل إليه والتّأثير عليه أثناء التّواصل.

وعندها يمكننا أن نعتقد بأنّ الأدوات اللغويّة التي يستخدمها المرسل في أثناء حجاجه تتأثر بشكل كبير بالسّياق والمقام المعنيين، وبناءً على محدداتهما يستطيع المرسل أن يعتمد على عمليتي التّرجيح والاختيار المناسبتين، وتقدير تلك المسألة هو ما جعل الشّهري يعتقد بأنّ العلاقة المجازيّة التّناسبيّة أصليّة في الحجاج، على اعتبار أنّ العلاقة التي يقيمها المرسل بين الحجة والدّعوى أو النّتيجة ليست حقيقيّة، وإنّما بحسب وجهة نظره هي المناسبة بتحقيق غرضه ومراده، وفي الوقت نفسه قد تكون الحجة ذاتها هي المثير للاعتراض (٢٥)، ومن خلال هذا الاعتراض تتجلى إحدى صور التّفاعل في الخطاب الحجاجي، ولا يمكن أن يتجلى التّفاعل، ولا أن تتحقق النتيجة إلّا عندما يختار المتكلم الحجة وتركيبها، سواء وردت مفردة أو مركبة (الحجج) وكذلك باستعمالها، فكل حجة قائمة على نقطة خلاف ظاهرة، أو مضمرة(٢٦).

ونتيجة لذلك، فإنّ المنطوق الذي يمكن أن يكون حجاجًا معتدًا به في السّياقات على اختلافها وتنوعها هو ذلك المنطوق الذي يراعي على وجه الخصوص قيامه "**بتمام المقتضيات التفاعلية الواجبة في حق ما يسمى ب "المجاز"، إذ حد المجاز أنّه كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها بحسب القيمة التي تحملها**"(٢٧)، وذلك التّفاعل يحتم أن تشكل معرفة العالم، والإحاطة بكيفيّة تفكير الأطراف المعنيّة مفصلًا مهمًا في قوة الاحتجاج ومساره.

والمرسل في خطابه الحجاجي متّجه نحو الأثر التّداولي (الإقناع) عبر توظيف ثلاثة أنماط أساسيّة من المقصدية: نمط فكري، ونمطان عاطفيان، أهمها الجانب الفكري الذي يتفرّع إلى: غرض تعليمي، وغرض حجاجي، وغرض أخلاقي(٢٨).

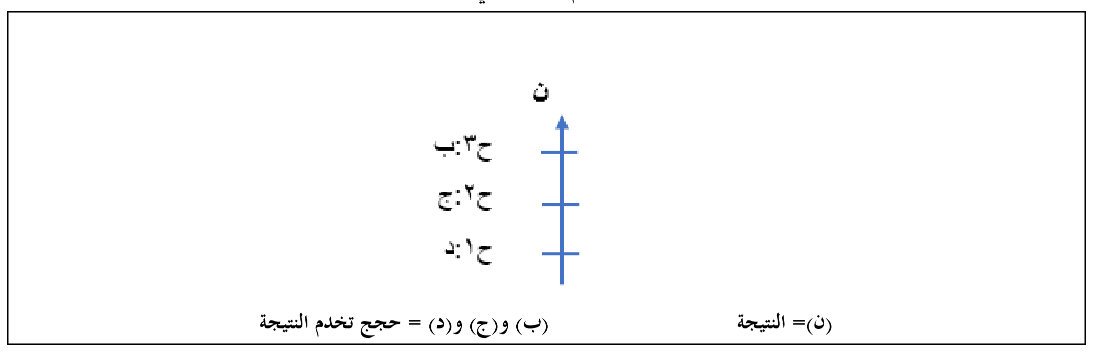
١,٢. السّلم الحجاجي

تنطلق نظرية السّلالم الحجاجيّة من "**إقرار التّلازم في عمل المحاجّة بين القول الحجة (ق) ونتيجته (ن) ومعنى التّلازم هنا هو أنّ الحجة لا تكون حجة بالنّسبة إلى المتكلم إلّا بإضافتها إلى النّتيجة مع الإشارة إلى أنّ النّتيجة قد يصرّح بها وقد تبقى ضمنيّة**"(٢٩) وبذلك يكون هذا اللفظ مشيرًا إلى آليات التّدرج التي يقوم بها المتكلم لإبراز وجهة نظر معيّنة، وهذا التّوجه يتعلق في جميع الأحوال بتطوير جهاز حجاجي ينطلق من معطيات المعنى العام، وبذلك يمكن أن نعرّف

السّلم الحجاجي بوصفه بناء للخطاب يهدف إلى تطوير حكم قيمة انطلاقًا من محورين معياريين يحتمل أن يتغيرا؛ أي أنّ المتكلم لابد أن يكون على معرفة بالسّلالم المعياريّة، ومثال ذلك(٣٠):

- **من الجيد ممارسة الشّكر الجميل حين ترغب بالحصول على القبول الكثير.**

فيلحظ في الملفوظ السّابق اهتمام المتكلم بذكر سلمين معياريين (معيار كمي للقبول، معيار نوعي للشّكر)، للرّبط بين مجالين (ممارسة الشّكر، التّقدير والقبول). ويمكن أن يرمز للسّلم الحجاجي في عمومه بالمخطوطة التّالية:



وهذه التّراتبية وحدها هي التي تخلق علاقة شبه منطقيّة بين الدّعوى والحجة، فيكون المرسل الذي يستهدف الإقناع في خطابه منشغلًا بترتيب الحجج التي يرى أنّها تتمتع بالقوة اللازمة لدعم خطابه(٣١). لذلك تكمن قيمة نظرية السّلالم الحجاجيّة في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيز الخبر إلى حيز القول؛ أي لا يمكننا الحكم على تلك القيمة بالصّدق أو الكذب(٣٢)، وهذا التّعريف يطابق تعريف الاتجاه الحجاجي الذي يرى بأنّ القيمة تُرجع النّظام الخاص بالخطاب إلى نظام الملفوظات، ومثال ذلك كلمة (الذّكي) فمعناها اللغوي لا ينبغي أن يُبحث في قيمته الوصفيّة عبر قدرةٍ تقاس بحاصل ذكاء (الذكاء=٥٠٪)، وإنّما في الاتجاه الذي يفرضه استعمال هذه الكلمة كملفوظ على خطاب لاحق: (عمر ذكي يمكن أن يحل هذه المشكلة) ، ويقابله التّسلسل الذي يكون معه المرء يشعر بالتّنافر : (عمر ذكي لا يستطيع حل هذه المشكلة)(٣٣).

ولا بد أن يستوفي السّلم الحجاجي من حيث كونه مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة تدرجيّة "**بالشّرطين التّاليين:**

أ. **كل قول يقع في مرتبة ما من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.**

ب. **كل قول كان في السلم دلالياً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى عليه**..."(٣٤).

ويحكم السّلم الحجاجي ثلاثة قوانين رئيسة(٣٥):

١. **قانون الخفض**: يقتضي صدق القول في مراتب معينة في السّلم، صدق نقيضه في المراتب التي تقع تحتها، ومثاله: (**الدعوات ليست مكتملة، لم يحضر كثير من النّاس الاحتفال**)، وبهذا فإنّنا نستبعد جميع التأويلات التي تقول بأن الدّعوات كافية (المثال الثاني)، أو أنّ الناس قد حضروا الاحتفال (المثال الثاني)، فيكون التّأويل الأول حينها: (**إذا لم تكن الدعوات مكتملة، فهي ناقصة أو غير صحيحة**). بينما سيكون تأويل القول الثاني: (**لم يحضر إلا القليل منهم إلى الاحتفال**).

٢. **قانون تبديل السّلم**: إن كان القول دليلًا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلول. ومثاله: (**عمر ناضج، لقد اتخذ قرارًا صائبًا-عمر ليس ناضجًا، إنّه لم يتخذ قرارًا صائبًا**).

٣. **قانون القلب**: إن كان أحد القولين أقوى من الآخر في الدلالة على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في الدلالة على نقيض المدلول، ومثاله (**حصل عمر على الماجستير، وحتّى الدكتوراه- لم يحصل عمر على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير**).

والقيمة الحجاجيّة للملفوظ المحددة عبر الاتجاه الحجاجي الصّريح أو المضمر تتأثر بشكل مباشر بما يعرف بالرّوابط الحجاجيّة؛ فإذا كان الخطاب مشتملًا عليها يسمى خطابًا معلمًا، لأنّ تلك الرّوابط تتضمن مجموعة من الإشارات والتّعليمات المتعلقة بالطريقة التي يتم بها توجيه الخطاب، أما في حالة عدم اشتماله على الروابط الحجاجيّة يوصف بأنه خطاب غير معلم؛ لأن التّعليمات المحددة للاتجاه الحجاجي تُستنتج عبر الألفاظ والسّياق التداولي العام(٣٦).

وبذلك يمكن تعريف الروابط الحجاجية وفق المفهوم التّقليدي على أنّها أدوات تستخدم لربط العلاقات بين الملفوظات بحيث تكون المدخلات (بما أن، لأن) أسبابًا تؤدي إلى نتائج وخاتمة (إذن، بالتّالي)، وقد اشتغل ديكرو على توسعة هذا المفهوم ليشمل وحدات أخرى متسلسلة مثل: من جهة أخرى، وفعلًا، أو لكن ...، ويمكن التّمثيل لذلك من خلال قولنا(٣٧):

- **هذا المكان جميل لكنّه بعيد = (هذا المكان جميل=أ) (لكنّه=لا) (بعيد =ب).**

حيث يفهم من هذا التّصور أنّ بتلفظ (أ) يمكننا أن نتوجه إلى نتيجة ما يكون فيها (أ) حجة وسببًا(ن)، مثلًا (**سوف نذهب إليه**)، إلا أننا بمجرد تلفّظ (لكن ب) سوف يتكون توجيه (اعتبروا ب حجة لنتيجة هي لا -ن)، فتصبح النتيجة (**فلنحجم عن الذهاب**). فيصبح للملفوظ المركّب التوّجيه العام (لا ن).

وبالرّغم من اقتصار مفهوم السلّم الحجاجي على العلاقات اللغوية أو شبه المنطقيّة، إلا أنّه بحسب ما أشار إليه الشّهري يمكن توسيع المفهوم بحيث يتم إدراج العديد من أدوات الحجاج وآلياته ضمنه، فيصبح إطارًا عامة لتفاضل الحجج، وتغليب بعضها على البعض الآخر، من خلال تفعيل الكفاءة التّداوليّة التي تعتمد على النّظام اللغوي والتّراتبيات المكتنزة في ذهن الإنسان(٣٨).

٢,٢. ضوابط التّداول الحجاجي

تمثل الضّوابط التّداولية للحجاج مجموعة من الموجهات والإرشادات التّنظيميّة التي تسعى نحو تحقيق غرض الخطاب، لذلك يستوجب على المخاطبين الالتزام بها، ولابد أن تراعي تلك الضّوابط بداهةً شروط التّداول اللغوي أثناء الحوار، وقد صنّفها طه عبد الرحمن وفق أربعة شروط رئيسة، وهي(٣٩): شرط نطقية، وشروط اجتماعيّة، وشروط اعتقاديّة، وشروط إقناعيّة.

لذلك يفترض الشهري أنّ المرسل في خطابه الإقناعي الحجاجي لابد أن يلتزم بعدد من الضّوابط التّداوليّة التي تمكن الخطاب من تحقيق غرض الإقناع، وهي(٤٠):

١. أن يكون الحجاج مرتكزًا على الثوابت الدينية والمعرفيّة.
٢. أن تكون الألفاظ المستخدمة ذات دلالة محددة، والمرجع المحال إليه محددًا.
٣. موافقة العقل، حتّى لا يكون الخطاب مزيفًا، وتكون الحجة واهنةً.
٤. اشتراك اطراف الخطاب في المعارف المشتركة
٥. تناسب الخطاب الحجاجي للسّياق العام؛ بغية تسويغ الحجج المتضمنة في الخطاب.
٦. ضرورة خلو الحجاج من المغالطات والإيهام

٧. استلزام الثّقافة الواسعة والرصيد المعرفي لدى المرسل في المجال الذي يتضمنه الحجاج.

٨. الإفادة من أعمال فان إيميرن وخرو تندورست Frans H. van Eemeren & Rob Grootendorst المستفادة من شروط (سيرل) في إنجاز الأفعال اللغويّة البسيطة،

ولكي يكون المتكلم موفقًا في أداء فعل الحجاج، وموفقًا في بناء الخطاب الحجاجي بشكل متين متماسك يتحصل من خلاله على الإقناع والتأثير، فإنّ ذلك يستدعي أن يستوفي المتكلم شروطًا محددةً في بناء الحجج، التي جاء تقسيمها إلى: شروط الحجة المثبتة، وشروط الحجة المبطلة(٤١).

٣. في مقام الخطابة القضائيّة

يعتني مقام الخطابة في عمومه بثلاثة عناصر رئيسة هي المتكلم وهو الخطيب، والمقول وهو الذي يُعمل فيه القول، والسّامع وهو إما مناظر أو حاكم أو من يُراد إقناعه. وفي مقام الخطابة فإنّ السّامع هو الحاكم وهو في تصنيف أحواله إما أن يكون حاكمًا في أمر مستقبلي، وفيه النّفع والضّر، أو يكون في أمر قد كان؛ ومنها ما يقع باختيار الإنسان، ويكون حينها متصلًا بالفضائل والرذائل، أو ما يكون بغير اختياره من فعل إنسان آخر، وهو حينها يكون متصلًا بالجور والعدل، وفي الحالة الثانية (أمر قد كان) يكون مدار عمل القاضي الذي يعينه الحاكم، والمناظر بقوة الملكة الخطابيّة. وبناءً عليه فقد قسّم أرسطو القول الخطابي إلى ثلاثة أجناس: مشوري، ومشاجري، وتثبيتي.

ولما كان ذلك أضحى انضواء الخطابة القضائيّة تحت القول الخطابي المشاجري انضواءً مباشرًا، إذ يرتبط مقامها بمبدأ (الاتهام والدّفاع)، وفي تحليل طبيعة مصادر القياس وأنواعها جاء التّركيز على فكرة الظلم، بوصفه الضّرر المتعمد في حق إنسانٍ على خلاف مقتضى القانون بنوعيه الخاص والعام. وأفضى التّنظير وتحديد الأقيسة المضمرة اللازمة لهذا النّوع من المقامات إلى حصر ثلاث نقاط رئيسة لابد من أخذها بعين الاعتبار: معرفة دوافع الجريمة أو الظلم، استعداد مرتكبي الظلم وطبيعته، وظروف من يقع عليهم الظّلم وحالاتهم. وتأسيسًا على ذلك يتم تحديد الظّلم وتعيين القانون الرّادع ومسؤوليته(٤٢)، حيث إنّ الظلم تتبعه المسؤولية، ولا تتأتى المسؤولية بغير إرادة يكون الشّخص فيها عاقلًا لما يفعله دون إجبارٍ.

والمعتدي أو من يقصد الضّرر والظّلم تحركه دوافع واضحة تسمى (الرّذيلة/عدم الاعتدال)، حيث إنّ تلك الدّوافع هي الأقدر على عدم الاعتداد بالقانون وممارسة الظّلم. لذلك يعتني مقام الخطاب القضائي ببحث كل ما يجعل الإنسان يتسبب بالضّرر، والكشف عن الاستعدادات والأخلاقيّات المسببة للضّرر، ومدى الضّرر الحاصل. وحين نتفحص أسباب الأفعال الإنسانيّة في عمومها نجدها تتفرع إلى: أسباب خارجيّة ومنشؤها المصادفة و الاتفاق، أو الحاجة (بسبب ضغط، أو من الطبيعة الإنسانيّة)، وأسباب داخليّة منشؤها العادة أو الحاجة (معقولة أو غير معقولة)(٤٣).

وقد اعتنى الرّسول (صلى الله عليه وسلم) بالمقام لفهم دوافع الاعتداء والظّلم، في الخصومة بين الأطراف، أو حتّى في خصومة الإنسان مع نفسه، ومثال الأخيرة ما جاء في حديث أبي هريرة حين قال:

أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **رجل من النّاس وهو في المسجد، فناداه :يا رسول الله، إنّي زنيت، يريد نفسه، فأعرض عنه النّبي** (صلى الله عليه وسلم) **فتنحى لشق وجهه الذي أعرض قبله، فقال :يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه، فجاء لشق وجه النّبي** (صلى الله عليه وسلم) **الذي أعرض عنه، فلما شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه النبي** (صلى الله عليه وسلم) **فقال: (أبك جنون؟). قال :لا يا رسول الله، فقال :(أحصنت؟) قال :نعم يا رسول الله، قال: (اذهبوا به فارجموه)**(٤٤).

ويظهر لنا في بادئ الأمر أنّ السّلوك اللفظي لدى المدعي على نفسه حين استخدم (الإقرار) أقوى الأدلة لإدانة نفسه وتكرير ذلك، مع سلوكه الجسدي المتزامن حين حاول استقبال وجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) مرارًا وتكرارًا، للتّأثير على

الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإقناعه بالنّظر في الدعوى والحكم فيها، رغم محاولته (صلى الله عليه وسلم) أن يدرأ التّهمة بالإعراض، وفي ذلك إيماء بعدم الرغبة؛ لأنّ الإقرار يستوجب في الحدود إنزال العقوبة دون شفاعة، ودون النّظر في إثبات آخر، ولما كان الرجل أهلًا للنّظر في دعوته بحسب خصائصه، انتقل بعدها الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى توجيه الأسئلة المباشرة والمغلقة (أبك جنون– أحصنت) للتّأكد من أهليته للحساب وقيام الحجة عليه؛ لأنّ المشهود غير معلوم، فلما كان رد المدعي بالإيجاب، ونفي كل ما من شأنه أن يعرض إقراره للرفض(٤٥) كأن يكون تحت تأثير ما، مثل: الجنون أو الإكراه، ولما كان حاله السلوكي واللفظي متعاضدين أصبح لزامًا بحسب مقتضى هذا المقام أن يتم قبول الدّليل؛ نظرًا لكفايته في إزالة الجهالة، وتأكيد الضّرر والظّلم على النّفس، وعندئذ جاء إصدار الحكم بالرّجم.

وبما لا يدع مجالًا للشك فإنّ مقام القضاء يستوجب النّظر في الأحوال النّفسيّة والأحداث الاجتماعيّة، وكافة الظروف المتصلة بالمتخاصمين؛ للتّأكد من صلاحيّة الدّعوى للتّداول، خاصة حين يكون المدعى به مجهولًا، ففي مثل هذه الأحوال تتعذر البينة والحكم عليها إلّا في مواضع محددة شرعًا (مثال: المهر والكتابة والوصية و الإقرار والنذر والخلع)، و من أهم الاشتراطات في هذا السّياق " **أن يكون المدعي محتمل الثبوت عقلًا وعادةً وذلك بأن لا يكون مستحيلًا عقلًا وعادةً وهذا الشّرط محل اتفاق بين الفقهاء**"(٤٦)، حتّى يقتنع القاضي بقبول المدعى به، وبالتّالي قبول خطاب طلب المقاضاة والتّرافع .

و يفهم من ذلك أنّ الحجاج في مقام الخطاب القضائي يتوجه لتحقيق أغراض محددة بحسب أطراف العملية التواصليّة (القاضي والخصوم) –كنّا قد أشرنا إليها سابقًا–، فالقاضي يبتغي في خطابه تحقيق الإنصاف ونبذ الجور ، بينما يلتمس الخصم استمالة القاضي للقبول بالتّرافع عن الدعوى والحكم فيها بما يرغب أو بحسب العدل.

وبالرّغم من خصوصية سياق التّقاضي بشكل عام، إلا أنّ مقام القاضي في الحديث النّبوي ينبِئ بخصوصية أعمق على اعتبار أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "**أنبأ المسلمين في عصر الوحي عن المصدرين النقليين اللذين ينظمان حياة الأمة في شؤونها التّشريعيّة كافة**"(٤٧)، حتى باتت مخالفته (صلى الله عليه وسلم) كفرًا، والإعراض عن حكمه (صلى الله عليه وسلم) في مواضع النّزاع نفاقًا.

٤. أسلوب القصر في الحجاج القضائي

يعد الخطاب النّبوي القضائي خطابًا غائيًا موجّهًا نحو تحقيق العدالة والإنصاف وحث النّاس على ذلك؛ لما في ذلك من سلامة للمجتمع الإسلامي، وبطبيعة الحال ينعكس هذا الغرض في مكونات الخطاب ككل، وللوصول إلى ذلك الغرض يوظف المتكلم العديد من الأساليب التي تخالف النّظام الأصلي للغة، ويأبى المحافظة على القواعد بهدف الإقناع والتّأثير، لاسيما في بعض الأحوال القضائيّة التي تتطلب دفع المتنازعين نحو الصّلح والتّسوية القضائيّة، ويتعين على المرسل لتجلّي هذا الغرض أو غيره من الأغراض بناء الحجة بناءً صحيحًا آخذًا بعين الاعتبار الصياغة المناسبة؛ لأنّ المتكلم "**يحقق حينما يتوجّه بخطابه إلى مستمع ما ، وظيفة أساسيّة ألا وهي تحويل حال المتلقي**"(٤٨).

ولكي نحقق هذا التحوّل أثناء توجيه الخطاب المفضي إلى غاية التّأثير "**فالحجة وحدها لا يمكن أن تكون فعالة لمجرد أنّها حجة جيدة، بل ينبغي بالضرورة لكي تكون فعالة حقًا أن تُصاغ الصياغة المناسبة**"(٤٩)، وعليه فلابد للمرسل أن يعتني عناية بالغة بجميع الأمور التي تخص ترتيب الحجاج.

والمتكلم بوصفه قاضيًا حين يوجه خطابه القضائي "**إنّما يسوقه ليدل به على حكم خاص، ويصوغ عبارته صياغة واضحة للدّلالة على مضمون هذا الحكم**"(٥٠)؛ أي أنّه يستند على محددات عديدة تعينه على تحديد ملفوظات خطابه،

وتوجيهها نحو المتلقي، وهو ما يعرف بالتّوجيه الحجاجي الذي سبق أن أشرنا إليه، وبتوظيفه تكون النتيجة واحدة و"**يكون التّوجيه بمثابة الاختزال فهذه العوامل التي غالبًا ما تكون في شكل صرفم هي التي تغيّر قسم الحجج المرتبطة بالجملة المنشدة إلى الملفوظ، إذ تجعل المتقبل ينصرف إلى نتيجة بعينها غير واقع في الاستلزامات اللاحنة حجاجيًا ومن هنا تظهر قيمة العامل في الحد من الغموض وتخصيص المفهوم وتحديده**"(٥١). والعامل الحجاجي عند عز الدين الناجح كونه عنصرًا لسانيًا يوافق تعريف المورفيم الذي "**له وظيفة الحد من غموض الملفوظ ومن تعدد نتائجه وذلك بتقديم النتيجة الملائمة (للمتلقي) وبالقضاء على كل استلزام لا يعضد النتيجة**"(٥٢).

نستنتج من ذلك أنّ هذا المفهوم ينطبق على مفهوم القصر -الذي تقدم بيانه- .وضمن حدود بحثنا سوف نعرض لصورة رئيسة من صور القصر في الخطاب النّبوي الحجاجي شاع استخدامها، وهي: (إنّما) وتتضمن في معناه صورة (النّفي والاستثناء).

٥. نماذج من الخطاب النّبوي القضائي

ومن مواضع استثمار أداة (إنّما) في الحديث النبوي ما جاء في حديثه (صلى الله عليه وسلم) محذرًا من المخاصمة في الباطل: **يروى عن أم سلمة زوج النبي** (صلى الله عليه وسلم): **أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال** (صلى الله عليه وسلم): **(إنّما أنا بشر، وإنّه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنّه صادق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنّما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها)**(٥٣).

سنلحظ أنّ (إنما) دخلت لتوجّه الملفوظ نحو نتيجة معينة هي (أنّ الرسول ليس ملاكًا)، فأفادت (إنّما) قصر الموصوف على الصفة، لتمضي عليه أحوال البشر وأحكامهم من السّهو والنّسيان والخطأ، والجهل ببواطن الغيب إلّا ما أطلعه عليه الله تعالى، وهذه من صور القصر الإضافي باعتبار حال المخاطب من الصدق والكذب، حيث قد يعتقد المدّعى حين يتحاكم إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) (الموصوف) بأنّه يتصف " **بصفة أو أكثر دون العموم مع هذه الصفة المقصور عليها**"(٥٤) وهي صفة البشريّة، كأن يكون عالمًا للغيب ومطلعًا على ما في الصدور.

ودخول (إنّما) على الجمل (أنا بشر) أكسبت الخطاب طابعًا حجاجيًا واضحًا موجهًا، حيث نقل الخطاب من مستوى الإبلاغ والإعلام (الوظيفة الإعلاميّة) إلى مستوى آخر يناسب السّياق القضائي لهذه الدّعوى (الوظيفة الحجاجيّة)، فأصبحت الجملة الواحدة جملتين بحسب السّلم الحجاجي تفيد القلب والخلاف:

- **أنا بشر.**
- **لست أعلم الغيب كما تدعي.**

فإذا ما افترضنا غياب (إنّما) قد تتعدد الاستلزامات والاسترسالات المتعلقة بالخطاب (أنا بشر):

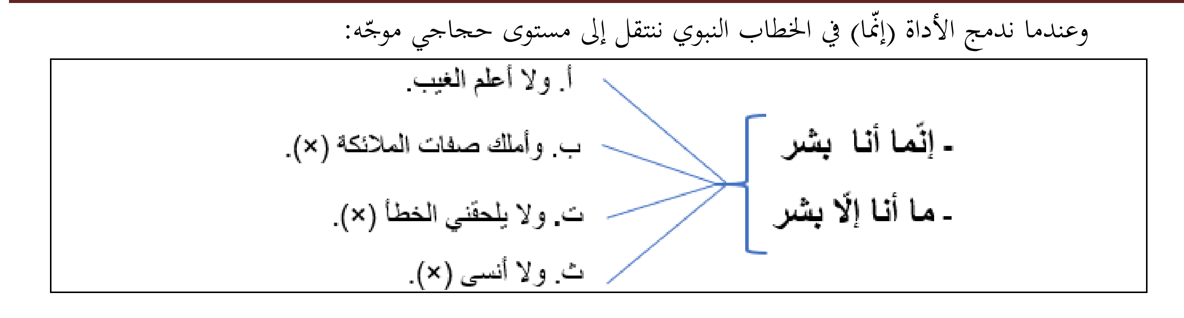
أ. **أنا بشر و أعلم الغيب.**

ب. **أنا بشر و** أملك **صفات الملائكة.**

ت. **أنا بشر ولا يلحقني الخطأ.**

ث. **أنا بشر ولا أنسى.**

وعندما ندمج الأداة (إنّما) في الخطاب النبوي ننتقل إلى مستوى حجاجي موجّه:



وقد استكمل حديثه قائلًا: (**فإنّما هي قطعة من النّار، فليأخذها أو ليدعها**)، حيث احتملت العبارة بفضل اندماج دلالة القصر والتّشبيه البليغ كثافة مجازية تدعو إلى اجتناب هذا الإثم العظيم عبر تصوير مشهد الاعتداء (أكل الأموال بالباطل)، وعاقبة الأمر (النّار) وبئس المصير. وتجسيد هذا الوعيد في هذا السّياق يجعل الحجاج يسلك مسلكًا تربويًا أيضًا يدفع بالمخاطبين لإيقاظ الضّمير؛ لأنّ بعض الدّعاوى القضائيّة الخلافيّة لا يحسن معها استنباط الحكم إلّا باجتهاد القاضي، واجتهاد القاضي قد يلحقه الخطأ، فكان من الأولى أن تُربّي النّفس الإنسانيّة على كراهة الاعتداء، دفعًا لمثل هذه النّزاعات غير البائنة.

وقد جاء استخدام الرّسول (صلى الله عليه وسلم) أيضًا لفظ (إنّما) وفي رواية الحديث متصلة بالفصل في دعاوى الأسرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبي (صلى الله عليه وسلم) **قال: (لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها، لتستفرغ صحفتها، فإنّما لها ما قدر لها)** (٥٥).

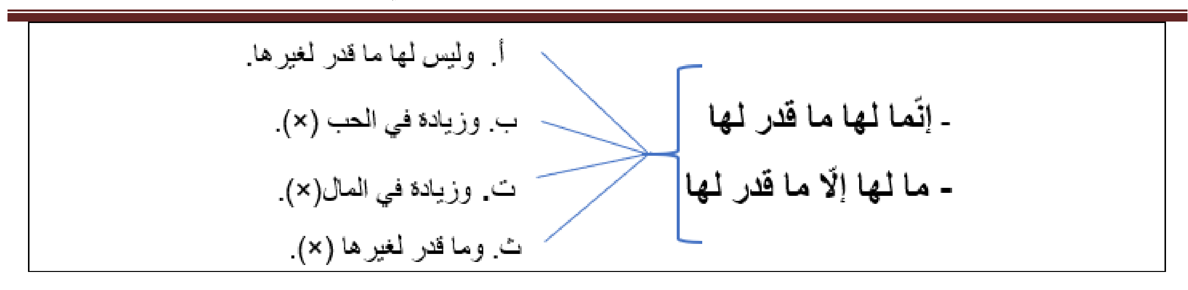
ويعني الحديث عدم جواز طلب طلاق الزوجة السابقة طمعًا في خير الزّوج فما لها من الخير إلّا ما قُدّر لها، وقد أفاد هذا الاستخدام توجيه الفئة المخاطبة المعينة بعد بيان الحكم الشّرعي في المسألة (لا يحل) إلى نتيجة محددة تستدعي عدم التّعدي على حق الآخر، على اعتبار أنّ الرزق مقدر في الكتاب، فلن يزيد الزوجة اللاحقة خلو وجه زوجها في زيادة الخير لها، وهذا فهم أصيل للدّوافع النفسيّة لدى الفئة المخاطبة التي تدفعهم نحو الاعتداء، فيكون المخاطب حينها أدعى إلى قبول عدم الاعتداء لانتفاء الفائدة المرجوة منه، وبذلك يتحصّل الرّدع بالملفوظ (إنّما لها ما قدر لها) الذي كشف عن جذر الحاجة، ونفاها .

ويمكن الاستدلال المنطقي لهذه الحجة بحسب ما قد يفيد السّلم الحجاجي من معنى القلب والخلاف:

- **لها ما قدر لها.**
- **ليس يزيد طلب طلاق أختها في رزقها.**

فإذا افترضنا غياب (إنّما) لكان من أهم الاستلزامات حضورًا في الذهن بمجرد تلفظ (لها ما قدر لها) الزيادة في الخير كله، مثال:

أ. **لها ما قدر لها وليس لها ما قدر لغيرها.**
ب. **لها ما قدر لها وزيادة في الحب.**
ت. **لها ما قدر لها وزيادة في المال.**
ث. **لها ما قدر لها وما قدر لغيرها.**



ومن الأحاديث المتعلقة بدعاوى الأسرة حديث النّبي (صلى الله عليه وسلم) في دعوى بريرة وزوجها:

حدثنا محمد: أخبرنا عبد الوهاب: حدثنا خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس: أنّ زوج بريرة كان عبدًا أسودًا يقال له مغيث، كأنّي أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النّبي (صلى الله عليه وسلم) **لعباس: (يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا). فقال النّبي** (صلى الله عليه وسلم)**: (لو راجعته). قالت يا رسول الله تأمرني؟ قال: (إنّما أنا أشفع). قالت: لا حاجة لي فيه**(٥٦).

وقد كانت مناسبة الحديث واقعة عتق بريرة بعد أن اشترتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث كانت أمة مملوكة ، إلّا أنّ زوجها كان من العبيد، فلما عُتِقت خيّرت بين البقاء مع زوجها أو مفارقته، فاختارت المفارقة، وقد أثار ذلك حزنًا شديدًا لديه؛ لشدة تعلقه بها، فرقّ قلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) لحاله وسعى إلى الصّلح بينهما، إلّا أنّها لم ترغب بذلك. ويفهم من الحديث مشروعيّة الشّفاعة والصلح بين المتخاصمين مع بيان الحق رد الشفاعة.

وقد استخدم الرسول (صلى الله عليه وسلم) القصر لتقرير حق بريرة في رد الشفاعة إن رأت ذلك حين اختلط الأمر عليها، مبينًا بملفوظ التخصيص الموجّه (إنّما أنا أشفع) أن ما جاء به لم يكن على سبيل الحتم لذا فلا وجوب في الأمر(٥٧). حيث أفادت (إنما) بإدخالها على النواة توجيه الملفوظ نحو النتيجة المحددة التي يروم الباث إيصالها للمتلقي الذي يتوهم أن ملفوظ المرسل جاء بمعنى آخر(٥٨).

ويمكن إيجاز الاستدلال المنطقي للحكم القضائي في هذا الحديث النبوي بالآتي:

- **بما أني أشفع في قضية مراجعتك لمغيث وهذا أمر غير ملزم.**
- **فإن جميع من أشفع لهم في مثل هذا القضية التي تخص المراجعة يكون حالهم من حالك.**

وعليه فإن حكم الشفاعة غير ملزم "فله رد سائله، وترك قضاء حاجته، وإن كان الشّفيع سلطانًا أو عالمِا أو شريفًا"(٥٩)، ويسمي الأصوليون هذا الاستدلال بالتّنبيه على أصل القياس، وهو تنبيه على الأصل وعلة الحكم وعلى صواب إلحاق المسؤول عنه بواسطة العلة المومي إليها " ويلزم من كون نظير الواقعة علة للحكم المرتب عليها أن يكون المسؤول عنه أيضا علة لمثل ذلك الحكم ضرورة المماثلة"(٦٠). وما يؤكد ذلك الفهم توظيف الأدوات اللغوية الأخرى التي تحمل دلالة الرجاء (النداء، التعجب، التّمني).

وقد ورد استثمار القصر في تقرير قاعدة العتق في دعاوى التّنازع وهي دعوى متصلة بعتق بريرة حيث حدث نزاع في الولاء بعد الشّراء، كما في الحديث الآتي:

حدثنا حسان بن أبي عباد: حدثنا همام قال: سمعت نافعا يحدث، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أن عائشة رضي الله عنها ساومت بريرة، فخرج إلى الصلاة، فلما جاء قالت: إنّهم أبوا أن يبيعوها إلا أن يشترطوا الولاء، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم)**: (إنّما الولاء لمن أعتق). قلت لنافع: حرًا كان زوجها أو عبدًا؟ فقال: ما يدريني**(٦١)**. وفي رواية (ابتاعيها فأعتقيها، فإنّما الولاء لمن أعتق)**(٦٢).

ومناسبة الحديث هو أن عائشة رضي الله عنها رغبت أن تشتري بريرة إلا أن سيدها أبى إلا أن يشترطوا الولاء عليها لهم، فلما نقلت ذلك إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) **حكم لها بالولاء بعد شرائها وبطلان الشرط الذي اشترطه المالك السابق** لأن الولاء حصرًا يقع على العتيق(٦٣).

فبنية الملفوظ (إنّما الولاء لمن أعتق) قامت في سياق التحاكم إلى تقرير التوجيه لنتيجة واحدة مفادها (الولاء للعتيق) وإلغاء ما سواها من الاستلزامات الخطابيّة المحتملة، فأصبحت الجملة الحجاجيّة (**إنّما الولاء لمن أعتق**) تفيد القلب والخلاف، بحيث منع الولاء للأشخاص الآخرين مهما كأن شأنهم كالمالك السابق، ويمكن تمثيل ذلك بحسب السّلم الحجاجي في الآتي:

- **الولاء لمن أعتق.**
- **لا يعتد بشروط الولاء بعد إتمام الشّراء والعتق.**

وقد تضمّن الحديث النبوي أيضا أدوات لغويّة أخرى تشير إلى تأكيد الحكم القضائي وثبات مرجعيتها، من خلال استثمار استراتيجية التوجيه المباشر عبر أداة الأمر (**ابتاعيها فأعتقيها**)، التي تفيد الاشتراك في الإعانة على تقدير الشرط بعدها(٦٤)، وفي سياق الحديث سوف يعين سلوك إتمام البيع والشّراء على انتفاء أحقية المالك السّابق في الولاء.

ومن الأمثلة الموظفة لأسلوب القصر في الحجاج النبوي في دعاوى الحدود ما جاء في فصل الاعتراض على حكم دية المقتول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فأصاب بطنها وهي حامل، فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النّبي** (صلى الله عليه وسلم) ، **فقضى: أنّ دية ما في بطنها غرة، عبد أو أمة، فقال ولي المرأة التي غرمت: كيف أغرم، يا رسول الله، من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك بطل. فقال النبي** (صلى الله عليه وسلم): **(إنّما هذا من إخوان الكهان)**(٦٥).

ومعنى الحديث أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) قضى بدية للجنين غرة عبد أو أمة، والغرة عند العرب أنفس الشّيء وأطلقت هنا على الإنسان لأنّ الله عزوجل خلقه في أحسن تقويم، فلما سمع زوجها ذلك استنكر الحكم واعترض على اعتبار أنّ الجنين لم يولد، وعليه فإنّ دمه يهدر ولا تكون الدّية، فقال ما قال من الكلام المسجع، فما كان من الرّسول (صلى الله عليه وسلم) إلا أن وجّه المخاطب نحو إيجاد الشبه بين كلامه وكلام الكهان، حيث يوصف كلام الكهان بكثرة توظيف السّجع، كي يقرون باطلًا ويردون حقًّا، والمعترض أو المنكر للحكم بملفوظه الاستفهامي (**كيف أغرم، يا رسول الله، من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك بطل**) يريد إبطال حكم الشّرع، لكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يعاقبه لأنه مأمورٌ بالصّفح عن الجاهلين(٦٦). أي أن الملفوظ يحمل في بعده الشمولي معنى الكناية (التّشبه بهم في ترويج الباطل).

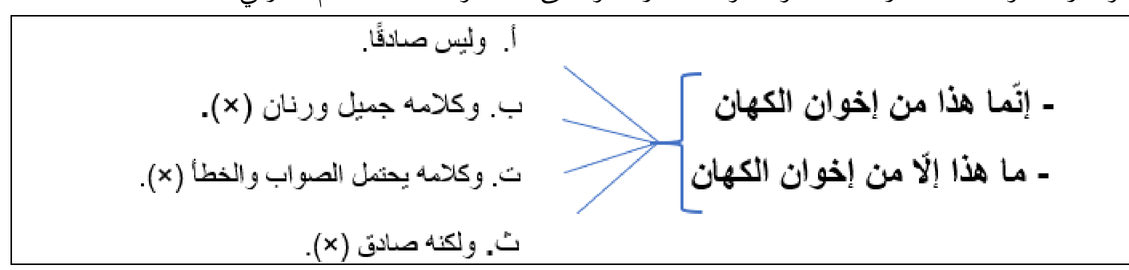
ويفيد توجيه الملفوظ الذي اجتمع فيه القصر والكناية "(**إنّما هذا**) يعنى ولي المرأة (**من إخوان الكهان**) **شبه الإخوان لأنّ الأخوة تقتضي المشابهة وذمه حيث أراد بسجعه رفع ما أوجبه** (صلى الله عليه وسلم)"(٦٧)، على ثبوت حكم الدّية للجنين الذي لم يولد، لأنّ الشّريعة تضمن حق الحياة له، ويعاقب كل شخص اعتدى عليه، ولا يسمح بالتّملص عن المسؤولية والترويج الباطل، فأصبحت الجملة الحجاجيّة (**إنّما هذا من إخوان الكهان**) تفيد سعيك نحو تضليل الحق، وتكون بحسب السّلم الحجاجي:

- **كلامك مثل كلام الكهان.**
- **لا يكون كلامك لإحقاق الحق وإبطال الباطل.**

ولو افترضنا غياب (إنّما) لكانت هناك سلسلة من الاستلزامات التي تحضر في الذهن بمجرد تلفظ (هذا من إخوان الكهان):

أ. **هذا من إخوان الكهان وليس صادقًا.**
ب. **هذا من إخوان الكهان و كلامه جميل ورنان.**
ت. **هذا من إخوان الكهان و كلامه يحتمل الصواب والخطأ.**
ث. **هذا من إخوان الكهان ولكنه صادق.**

وبمجرد دخول أداة القصر بات الملفوظ موجهًا قصريًا نحو معنى محدد يؤكد دلالة الحكم الشّرعي:



ويعطف على تلك النماذج الحجاجيّة أيضًا حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) في تنظيم قواعد التّعامل في دعاوى الاعتداء على أملاك الغير:

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه: أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) **قال: (لا يحلبن أحد ماشية امرئ بغير إذنه، أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته، فتكسر خزانته، فينتقل طعامه؟ فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعماتهم، فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه)**(٦٨).

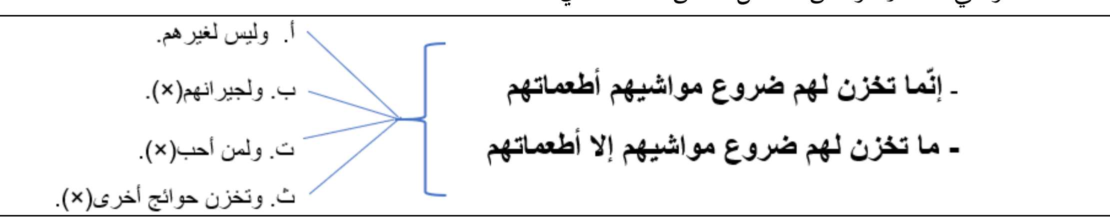
ومعنى الحديث أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) نهى عن حلب ماشية إنسان دون إذن مالكها، ويؤكد الرّسول (صلى الله عليه وسلم) ذلك بالأسلوب الاستفهامي (أيحب...)، الذي يشير إلى كراهية الاعتداء على الممتلكات كالحجرة التي يخزن فيها الطعام (المشربة)، ثم أعقب ذلك توظيف أسلوب القصر (فإنّما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعماتهم) إلى جانب توظيف أداة التّشبيه والتّقديم والتّأخير، فأصل الملفوظ (تخزن ضروع مواشيهم أطعماتهم لهم)؛ ويشتمل هذا الأصل على:

١. تقديم شبه الجملة (لهم) على الفاعل في سياق النّفي ليقرر معنى مهمًا وهو امتلاك أصحاب الشّأن لما سوف يُخزّن وليس لغيرهم.
٢. تشبيه حيث "**شبه عليه الصلاة والسّلام ضروع المواشي في ضبطها الألبان على أربابها بالخزانة التي تحفظ ما أودعت من متاع وغيره**"(٦٩).

وكأننا بذلك أمام مستويين من القصر بناءً على استثمار أداة (إنّما)، وأداة التّقديم والتّأخير، إلّا أنّ إحداهما أشمل وأقوى وهي (إنّما) لأنّها منحت دلالة التّوجيه لمالكي الماشية وتخصيص ألبانها له. ويمكن رصد الاسترسالات الدّلالية المحتملة لذلك الأصل مجردًا من جميع صور القصر، من خلال:

٣. **تخزن ضروع مواشيهم أطعماتهم لهم وليس لغيرهم.**
٤. **تخزن ضروع مواشيهم أطعماتهم لهم ولجيرانهم.**
٥. **تخزن ضروع مواشيهم أطعماتهم لهم ولمن أحب.**
٦. **تخزن ضروع مواشيهم أطعماتهم لهم وتخزن أشياء أخرى.**

و لكن بمجرد مجيئ (إنّما) تم إفادة قصر التّخزين لأصحاب الماشية فقط دون غيرهم؛ وهذا ينسجم مع تأكيد النّهي الذي يشير إليه السّياق اللغوي السّابق واللاحق، وبذلك يتحقق الدّور الحجاجي بصورة جلية حيث تقرير الملكيّة لأصحاب المواشي لا غير، ويمكن التّمثيل له من خلال الآتي:



وقد حكم أيضًا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مسألة اعتداء جرت عليه في حديث تقرير آداب الاستئذان قبل النّظر أو الدّخول على آملاك الغير، والنّهي عن التّجسس:

عن سهل بن سعد قال: اطلع رجل من جحر في حجر النبي (صلى الله عليه وسلم)**، ومع النّبي** (صلى الله عليه وسلم) **مدرى يحك به رأسه، فقال: (لو أعلم أنك تنتظر، لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر)**(٧٠).

و يقال في مناسبة الحديث أنّ الحكم بن أبي العاص بن أميّة اطلع من ثقب مستدير في حجر النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكان (صلى الله عليه وسلم) يسرح شعره بحديدة، فقال لو كنت أعلم أنك مستلمي في النظر إلي لطعنتك بما في يدي (الماشطة). ويفهم من ذلك على وجوب الاستئذان في الدخول من أجل البصر، الذي قد يقع على عورة أهل البيت، ويطلع على أحوالهم(٧١).

وقد استخدم الرّسول (صلى الله عليه وسلم) لبيان الحكم الشّرعي في المسألة (**إنّما جعل الاستئذان من أجل البصر**) الأداة (إنّما) لتوجيه الملفوظ نحو نتيجة مخصصة لا تبديل فيها تقصر سبب وجوب الاستئذان في الدخول على أملاك الغير لغرض ألّا يقع البصر على العورات والحرمات، وكذلك لبيان أحقية ومشروعيّة رد الاعتداء بالدّفاع حين يتأكد اعتداء الإنسان (**لو أعلم أنك تنتظر، لطعنت به في عينك**)، فتكون عبارة القصر ماهي إلّا تسبيب لجزاء العقاب، وبذلك يتم حث النّاس على الدفاع دون الحاجة إلى انتظار رد ولي الأمر أو القاضي بحسب حكم المماثلة. ويمكن إيجاز الاستدلال المنطقي للحكم القضائي في هذا الحديث النبوي بالآتي:

- **بما أن الشّريعة جعلت الاستئذان لحفظ العورات من النّظر والتّجسس.**
- **فإن جميع من يعتدى على عوراتهم يكون حقه في الرد مكفولًا لاشتراك العلة.**

الخاتمة:

وانطلاقًا مما تقدم يتبين لدينا أنّ أسلوب القصر في سياق التقاضي النبوي أظهر فعالية تقتضي توجيه الملفوظات الخطابيّة بحسب موضوعاتها نحو وجهة معينة يقصدها القاضي دون غيرها من الاستلزامات الخطابيّة الأخرى؛ بهدف التأثير على المخاطب تأثيرًا حجاجيًا إقناعيًا يترتب عليه بناء الاستدلال المنطقي وأحكام المماثلة، وقد تناول الرسول (صلى الله عليه وسلم) أسلوب القصر الحجاجي بصورة محدودة على سبيل إيجاز ملفوظ قاعدة الحكم، أو تأكيدها عبر بيان العلة، ويمكن إيجاز نتائج الملاحظات على استثمار أداة (إنما) في الحديث النبوي في الآتي:

١. استخدام أداة القصر (إنّما) في الحديث النبوي القضائي في مختلف الدعاوى، مثل: دعاوى الأسرة، والحدود، والشفاعة في المصالح الإنسانيّة، وتقرير الآداب والجرائم الموجبة للعقاب.
٢. ورود أسلوب القصر مركبًا، بحيث تتضافر أداة القصر (إنما) مع أدوات لغويّة وأساليب إنشائية وطلبية متنوعة لتأكيد الحكم القضائي، ومشروعية ما اتصل به من معانٍ، مثل: استخدام الأمر والتّعجب والاستفهام والتوكيد.

٣. نجاعة استثمار أسلوب القصر في الحديث النبوي القضائي؛ نظرًا لارتباط معنى القصر بمعنى الإقصاء المستلزم وفق مقتضيات سياق التّقاضي من أجل إلغاء جميع الاحتمالات الخطابيّة التي من الممكن أن تتسبب ببطلان الحكم، مما يحفظ عقيدة التّقاضي من الاعتداء، ويبرز دورها في الإنصاف والرّدع، لاسيما أنّه يجعل منطوق الحكم متسقًا مع الأسباب المشرعة له.

المصادر والمراجع

- أرسطو. (١٩٥٣). الخطابة. ترجمه وقدم له وحقق نصوصه وعلق حواشيه: إبراهيم سلامة. .ط٢.مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- الآمدي. (١٤٠٢). الإحكام في أصول الأحكام. علق عليه: عبد الرزاق عفيفي. ط٢. دمشق- بيروت: المكتب الإسلامي.
- بافو، ماري آن وسرفاتي، جورج إليا. (٢٠١٢). النّظريات اللسانيّة الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية. ترجمة: محمد الراضي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- البخاري. (١٩٩٣). صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. ط٥. دمشق: دار ابن كثير، دار اليمامة.
- بروطون، فيليب. (٢٠١٣). الحجاج في التواصل. ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- بليت، هرنيش. (١٩٩٩). البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص. ترجمة محمد العمري. المغرب: أفريقيا الشرق.
- البيومي، سعيد أحمد. (٢٠١٠). لغة القانون في ضوء علم لغة النص. مصر: دار الكتب القانونية ودار شتات للنشر والبرمجيات.
- الثبيتي، عامر. (١٤٢٥). أسلوب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
- حسان، تمام. (١٩٩٤). اللغة العربية مبناها ومعناها. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- حسين، محمد أحمد شحاته. (٢٠١٥). الصياغة القانونية لغة وفنا. مصر: المكتب الجامعي الحديث.
- رشد. (د.ت) تلخيص الخطابة. تحقيق: عبد الرحمن بدوي. الكويت: وكالة المطبوعات، لبنان: دار القلم.
- السكاكي. (١٩٨٧). مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.
- روبول، أوليفيي. (١٩٩٦). "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي". ترجمة: محمد العمري. العدد ٢٢، مجلد٦. ديسمبر. النادي الأدبي الثقافي في جدة.
- السيوطي، جلال الدين. (١٩٧٤). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك. (٢٠٠٨). معجم تحليل الخطاب. ترجمة: عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود. تونس: المركز الوطني للترجمة.
- شارودو، باتريك. (٢٠٠٩). الحجاج بين النظرية والأسلوب. ترجمة: أحمد الودرني. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. الشهري. دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الشهري، عبد الهادي. (٢٠١٣). الخطاب الحجاجي عند ابن تيميّة: مقاربة تداوليّة. بيروت: الانتشار العربي.
- الصالح، صبحي. (د.ت). النظم الإسلاميّة نشأتها وتطورها. بيروت: دار العلم للملايين.
- طروس، محمد. (٢٠٠٥). النظريّة الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقية واللسانية. الدار البيضاء: دار الثقافة. ص٥.
- العاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التّونسية.
- عبد الرحمن، طه. (١٩٩٨م). اللسان والميزان أو التّكوثر العقلي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.
- عبد الرحمن، طه. (٢٠٠٠). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط٢. بيروت -الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- العبد، محمد. (٢٠٠٢). "النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع". الهيئة المصرية العامة للكتاب. ع٦٠.
- عشير، عبد السلام. (٢٠٠٦). عندما نتواصل نغير تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج. الدار البيضاء: أفريقيا الشّرق.
- العزاوي، أبو بكر. (٢٠٠٦). اللغة والحجاج. الدار البيضاء: العمدة في الطبع.
- العليوي، سليمان بن أحمد. (٢٠١٢م). الدعوى القضائية بين الشريعة والأنظمة الوضعية. الرياض: مكتبة التوبة.
- عمر، أحمد وآخرون. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط١. القاهرة: عالم الكتب.

- عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت). العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- فريق البحث في البلاغة والحجاج. (١٩٩٨). أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمادي صمود. تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- القزويني، جلال الدين. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي. ط٣. بيروت: دار الجيل.
- القسطلاني. (١٣٢٣هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. ط٧. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
- مجموعة مؤلفين. (١٩٧٢). المعجم الوسيط. ط٢. القاهرة: مجمع اللغة العربية.
- ابن منظور. (١٤١٤). لسان العرب. الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين. ط٣. بيروت: دار صادر.
- الناجح، عز الدين. (٢٠١١). العوامل الحجاجية في اللغة العربية. صفاقس: مكتبة علاء الدين.
- الولي، محمد. (١٩٩٦). "بلاغة الترتيب والسرد". مجلة علامات مجلة ثقافية محكمة تصدر في المغرب. العدد (٦).
- الولي، محمد. (١٩٩٦). "بلاغة الحجاج". مجلة علامات مجلة ثقافية محكمة تصدر في المغرب. العدد (٦).

- **المواقع الإلكترونية:**

- موقع الدرر السنية. الموسوعة الحديثية. الموقع الإلكتروني:

https://dorar.net/hadith/sharh/١٥١٠٥٦

الهوامش

(١) انظر: بروطون، فيليب. (٢٠١٣). الحجاج في التواصل. ترجمة: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي. القاهرة: المركز القومي للترجمة. ص١٧.

(٢) أما الغاية الثانية فقد أطلق عليها (غاية الإفصاح) حيث أراد بها استعمال اللغة بقصد التعبير عن موقف نفسي ذاتي دون إدارة إحداث أثر أو تأثير في البيئة. انظر: تمام حسّان. (١٩٩٤). اللغة العربية مبناها ومعناها. الدار البيضاء: دار الثقافة. ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٣) انظر: حسين، محمد أحمد شحاته. (٢٠١٥). الصياغة القانونية لغة وفنا. مصر: المكتب الجامعي الحديث. ص ٥٥٩- ٥٦٠.

(٤) انظر: ابن منظور. (١٤١٤). لسان العرب. (ج٥/٩٥- ٩٧).

(٥) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت). العين. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال. (ج٥/ ٥٧- ٥٨).

(٦) يطلق عليه السيوطي لفظ (الحصر و الاختصاص). انظر: السيوطي، جلال الدين. (١٩٧٤). الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. (ج٣/ ١٦٦)

(٧) انظر: القزويني، جلال الدين. (د.ت). الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي. ط٣. بيروت: دار الجيل. (ج٣/ ٥).

(٨) انظر: عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب. (ج٣/ ١٨٢٢)

(٩) انظر: القزويني، جلال الدين. الإيضاح في علوم البلاغة. (ج٣/٢١-٢٩).

(١٠) بالإضافة إلى طريق القصر بضمير الفصل وطريق تعريف الخبر بلام الجنس. انظر: الثبيتي، عامر. (١٤٢٥). أسلوب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. (ج١/٢٥-٢٧).

(١١) انظر: ابن منظور. (١٤١٤). لسان العرب. الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين. ط٣. بيروت: دار صادر. (ج٢/ ٢٢٨).

(١٢) انظر: لسان العرب. (ج١١/ ١٠٣). والجدل صفة مشبهة تدل على الثبوت، والجدال هو شدة الخصومة (بالباطل وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) [الكهف: ٥٤]، ويطلق على الجدل اللفظي سفسطة، وفن الجدل فن المناقشة بطريقة الحوار. انظر: عمر، أحمد وآخرون. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة. ط١. القاهرة: عالم الكتب. (ج١/ ٣٥٢) وانظر: مجموعة مؤلفين. (١٩٧٢). المعجم الوسيط. ط٢. القاهرة: مجمع اللغة العربية. (ج١/ ١٥٧). والجدل عند ابن عاشور "هو الكلام الذي يحاول به إبطال ما في كلام المخاطب من رأي أو عزم عليه :بالحجة أو بالإقناع أو بالباطل". انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس:

الدار التّونسية. (ج١٥/ ٣٤٨). وتشير كلمة جدل في تحليل الخطاب إلى شكل خاص من الحوار المتبادل بين طرفين نحو البحث المنظم عن الحقيقة. انظر: شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك. (٢٠٠٨). معجم تحليل الخطاب. ترجمة: عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود. تونس: المركز الوطني للترجمة. ص١٦٩.

(١٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة. (ج١/ ٤٤٥).

(١٤) انظر: العبد، محمد. (٢٠٠٢). مقال "النص الحجاجي العربي: دراسة في وسائل الإقناع". الهيئة المصرية العامة للكتاب. ع٦٠. ص٤٣.

(١٥) انظر: شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك. معجم تحليل الخطاب. ص ٤١٩.

(١٦) انظر: شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك. معجم تحليل الخطاب. ص ٦٨.

(١٧) انظر: شارودو، باتريك. (٢٠٠٩). الحجاج بين النظرية والأسلوب. ترجمة: أحمد الودرني. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة. ص ١٣، ١٦.

(١٨) انظر: عبد الرحمن، طه. (١٩٩٨م). اللسان والميزان أو التّكوثر العقلي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ص ٢٢٦-٢٢٨.

(١٩) انظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. الشهري. دار الكتاب الجديد المتحدة. ص ٤٥٧.

(٢٠) انظر: فريق البحث في البلاغة والحجاج. (١٩٩٨). أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف: حمادي صمود. تونس: المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية. ص ١٤.

(٢١) انظر: طروس، محمد. (٢٠٠٥). النظريّة الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقية واللسانية. الدارة البيضاء: دار الثقافة. ص٥.

(٢٢) ومسوغ ذلك هو أن علاقة القيم بما هو ممكن وما هو محبذ، وقوة الحجة هو ما يحدد الإقرار بها، على نقيض البرهان الذي يعتني بترتيب الحقيقة. انظر: عبد السلام عشير. (٢٠٠٦). عندما نتواصل نغير تداوليّة معرفيّة لآليات التواصل والحجاج. الدار البيضاء: أفريقيا الشّرق. ص١٢٥.

(٢٣) انظر: شارودو، باتريك. الحجاج بين النظرية والأسلوب. ص١٣.

(٢٤) انظر: روبول، أوليفيي. (١٩٩٦). "هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي". ترجمة: محمد العمري. العدد ٢٢، مجلد٦. ديسمبر. النادي الأدبي الثقافي في جدة.

(٢٥) العلاقة المجازية بين الحجة والدعوى هي التي تتيح أن يكون ما هو معتبر بأنّه حجة هو في نفس الوقت اعتراض، ونسبية تلك العلاقة تجعل الخطاب يتكاثر، وبذلك تتحكم العلاقة المجازية في قوة الحجة أو ضعفها لتحقيق مراد الإقناع. انظر: الشهري. استراتيجيات الخطاب. ص ٤٦٠-٤٦١.

(٢٦) انظر: الشهري، عبد الهادي. (٢٠١٣). الخطاب الحجاجي عند ابن تيميّة: مقاربة تداوليّة. بيروت: الانتشار العربي. ص٥٤.

(٢٧) انظر: عبد الرحمن، طه. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص ٢٣١.

(٢٨) انظر: بليت، هرنيش. (١٩٩٩). البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص. ترجمة محمد العمري. المغرب: أفريقيا الشرق. ص٢٥-٢٦.

(٢٩) انظر: فريق البحث في البلاغة والحجاج. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم. . ص٣٦٣.

(٣٠) انظر: بافو، ماري آن وسرفاتي، جورج إليا. (٢٠١٢). النّظريات اللسانيّة الكبرى: من النحو المقارن إلى الذرائعية. ترجمة: محمد الراضي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ص٣٧٦-٣٧٧.

(٣١) انظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب. ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٣٢) انظر: فريق البحث في البلاغة والحجاج. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم. ص٣٧٠.

(٣٣) انظر: شارودو، باتريك ومنغنو، دومينيك. معجم تحليل الخطاب. ص ٣٩٩-٤٠٠.

(٣٤) انظر: طه عبد الرحمن. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص ٢٧٧.

(٣٥) ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي مفهوم الاتجاه. انظر: عبد الرحمن، طه. (٢٠٠٠). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط٢. بيروت – الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي. ص١٠٦.و انظر: العزاوي، أبو بكر. (٢٠٠٦). اللغة والحجاج. الدار البيضاء: العمدة في الطبع. ص٢٢-٢٤.

(٣٦) انظر: العزاوي، أبو بكر. اللغة والحجاج. ص٢٥.

(٣٧) انظر: شارودو، باتريك و منغنو، دومينيك. معجم تحليل الخطاب. ص ١٢٨.

(٣٨) انظر: الشهري: استراتيجيات الخطاب. ص٥٠٤.

(٣٩) انظر: عبد الرحمن، طه. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ص ٣٧-٣٨.

(٤٠) انظر: الشهري. استراتيجيات الخطاب. ص ٤٦٥- ٤٦٨.

(٤١) انظر: عبد الرحمن، طه. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٤٢) انظر: ارسطو. (١٩٥٣). الخطابة. ترجمة وقدم له وحقق نصوصه وعلق حواشيه: إبراهيم سلامه. .ط٢.مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. ص ١٥٥.

(٤٣) انظر: ارسطو. الخطابة. ص ١٥٩-١٦٠.

(٤٤) صحيح البخاري، باب: سؤال الإمام المقر: هل أحصنت. (ج٦/ ٢٥٠٢).

(٤٥) دليل الإقرار في الفقه الإسلامي يعد حجة على المقر، ولكن في القانون الوضعي غالبا ما تتردد المحكمة في الأخذ به إلا إذا أصر المتهم عليه وتنظر في الأدلة الأخرى المعاضدة له، مخافة تأثير عوامل أخرى عليه.

(٤٦) انظر: العليوي، سليمان بن أحمد. (٢٠١٢م). الدعوى القضائية بين الشريعة والأنظمة الوضعية. الرياض: مكتبة التوبة. محص ١٣١.

(٤٧) انظر: الصالح، صبحي. (د.ت). النظم الإسلاميّة نشأتها وتطورها. بيروت: دار العلم للملايين. ص ١٧٧.

(٤٨) انظر: الولي، محمد. (١٩٩٦). بلاغة الحجاج. مجلة علامات مجلة ثقافية محكمة تصدر في المغرب. العدد ٦.ص٧٥.

(٤٩) انظر: الولي، محمد. بلاغة الترتيب والسرد. ص٧٠.

(٥٠) انظر: البيومي. لغة القانون. ص٤٠٥.

(٥١) يطلق لفظ الصرفم أو الصرافم على الوحدات الصرفية (Morphemes). انظر: الناجح، عز الدين. (٢٠١١). العوامل الحجاجية في اللغة العربية. صفاقس: مكتبة علاء الدين ص٦٢.

(٥٢) انظر: الناجح، عز الدين. (٢٠١١). العوامل الحجاجية في اللغة العربية. ص٦١.

(٥٣) صحيح البخاري. باب: من قضي له بحق فلا يأخذه، فإن قضاء الحاكم لا يحل حراما ولا يحرم حلالا. (ج٦/٢٦٢٦).

(٥٤) انظر: الثبيتي، عامر. (١٤٢٥). أسلوب القصر في أحاديث الصحيحين ودلالاتها البلاغية. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. (ج١/٣٥).

(٥٥) قدر لها: ما كتبه الله لها من الخير لها. انظر: صحيح البخاري. باب الشروط التي لا تحل في النكاح. (ج٥/ ص١٩٧٨).

(٥٦) انظر: صحيح البخاري. باب: شفاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) على زوج بريرة. (ج٥/ ٢٠٢٣).

(٥٧) انظر: القسطلاني. (١٣٢٣هـ). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. (ج٨/ ١٥٥).

(٥٨) انظر: الناجح، عز الدين. العوامل الحجاجية في اللغة العربيّة. ص ٥٤.

(٥٩) انظر: موقع الدرر السنية. الموسوعة الحديثية تاريخ الوصول ٥ نوفمبر ٢٠٢٣م، الموقع الإلكتروني : https://dorar.net/hadith/sharh/١٥١٠٥٦

(٦٠) انظر: الآمدي. (١٤٠٢). الإحكام في أصول الأحكام. علق عليه: عبد الرزاق عفيفي. ط٢. دمشق-بيروت: المكتب الإسلامي. (ج٢/٢٥٨).

(٦١) انظر: صحيح البخاري. باب: البيع والشراء مع النساء. (ج٢/ ٧٥٧).

(٦٢) انظر: صحيح البخاري. باب: وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله. (ج٢/٩٨١).

(٦٣) انظر: القسطلاني. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. (ج٨/١٥٦).

(٦٤) انظر: السكاكي. (١٩٨٧). مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هومشه وعلق عليه: نعيم زرزور. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.ص ٣٢١.

(٦٥) انظر: صحيح البخاري. باب: الكهانة. (ج٥/ ٢١٧٢).

(٦٦) انظر: القسطلاني. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. (ج٨/ ٣٩٩).

(٦٧) انظر: القسطلاني. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. (ج٨/ ٤٠٠).

(٦٨) المشربة: حجرة تستخدم لتخزين الزاد والمتاع. والكسر: الاعتداء. انظر: صحيح البخاري. باب: لا تحتلب ماشية أحد بغير إذن. (ج٢/ ٨٥٨).

(٦٩) انظر: القسطلاني. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. (ج٤/ ٢٤٩).

(٧٠) انظر: صحيح البخاري. باب: الاستئذان من أجل البصر. (ج٥/ ٢٣٠٤).

(٧١) انظر: القسطلاني. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. (ج٩/ ١٤٠).

جماليات بناء الزمان والمكان في القصة العمانية القصيرة: نماذج مختارة

د. سلطان بن سعيد بن محمد الفزاري،

قسم الدراسات التربوية، كلية التربية بالرستاق، جامعة التقنية والعلوم التطبيقية، سلطنة عمان

الملخص

تقوم الأجناس الأدبية النثرية –عموما– على عناصر أساسية تشكّل معمارها السردي، ومن هذه العناصر الزمان والمكان، وهما من العناصر المؤثرة في بناء النص السردي، حيث يسهم كل منهما في تحقيق وحدته وتماسكه وانسجامه. إن الحديث عن عنصر من هذين العنصرين يقودنا للحديث عن العنصر الآخر؛ فكل منهما له تأثير على الآخر، والتلازم بينهما واحدة من القواعد السردية التي تقوم عليها كتابة الأجناس الأدبية النثرية. من هنا فإن هذا البحث يسعى للوقوف على بعض من جماليات بناء الزمان والمكان في القصة العمانية القصيرة، لذا فهو ينقسم إلى مبحثين رئيسين؛ سعى الأول منهما تبين جماليات بناء الزمان في القصص العمانية القصيرة، فيما انبرى الآخر إلى توضيح جماليات بناء الأمكنة في نماذج من هذه القصص.

الكلمات المفتاحيّة: القصة العمانية القصيرة، الزمان والمكان، الوظيفة الجمالية.

مقدمة

الزمان والمكان عنصران رئيسان من العناصر المكونة للسرد في القصة القصيرة، فأحداثها تشير إلى زمن، وشخصياتها تتحرك في زمن، وأفعالها تقع في زمن، كما أنه لا يمكن تصور قصة قصيرة دون مكان، فلا وجود لحدث خارج مكان محدد، ومكان القصة القصيرة وثيق الصلة بأحداثها، كما أنه يؤثر على شخصياتها، وتربطه علاقات وثيقة بباقي العناصر المشكّلة لجسد النص القصصي.

إن النظر في التتابع الزمني المنطقي للأحداث في القصة القصيرة يعد عملا جماليا صرفا له تأثيره على القارئ، فهو يؤثر في فهمه للأحداث، كما يؤثر في خلق عنصر التشويق لديه، وفي المقابل فإن المكان يلعب إلى جانب بنية الزمان دورا مفصليا في بناء القصة القصيرة، فهو ليس مجرد خلفية لأحداثها، أو عنصرا شكليا من عناصرها، إنه عنصر تشكيلي فاعل يمثل بعدا جماليا من أبعادها، حيث يتضخم به الإحساس بجماليات النص السردي، ويتحقق به التشويق، وبواسطته تحدث الاستجابة الفنية نحو بناء النص.

أسئلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

(١) ما أهمية البنية الزمانية في النصوص القصصية القصيرة؟

(٢) ما جماليات بناء الزمان في نماذج من القصة العمانية القصيرة؟

(٣) ما الدور الذي يلعبه المكان في بناء القصة القصيرة؟

(٤) ما جماليات بناء المكان في نماذج من القصة العمانية القصيرة؟

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته مما يأتي:

(١) يستمد البحث أهميته من طبيعة الموضوع الذي يدرسه، فهو يتناول عنصرين أساسيين من العناصر البنائية للنصوص القصصية القصيرة، وهما الزمان والمكان، ويتتبع أشكالهما وآليات الاشتغال عليهما في القصة العمانية القصيرة، ودور ذلك في تحقيق جمالية البناء القصصي القصير.

(٢) قلة الأبحاث والدراسات التي تناولت موضوع البحث في مدونة النقد العمانية.

(٣) يتناول البحث نماذج تحليلية من القصة العمانية القصيرة لم يسلط الضوء عليها في دراسة بنيتي الزمان والمكان في النصوص القصصية العمانية القصيرة.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

(١) التعرف بأهمية البنية الزمانية في النصوص القصصية القصيرة.

(٢) الكشف عن جماليات بناء الزمان في نماذج من القصة العمانية القصيرة.

(٣) مناقشة الدور الذي يلعبه المكان في بناء القصة القصيرة.

(٤) تبين جماليات بناء المكان في نماذج من القصة العمانية القصيرة.

منهج البحث:

يتوسل البحث بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بوصف الظاهرة الأدبية وتصنيفها، وتحليل النصوص الأدبية المرتبطة بها، واستنطاقها؛ لتحقيق النتائج المرجو تحقيقها.

المبحث الأول (البنية الزمانية في القصة العمانية القصيرة)

ترجع أهمية دراسة العنصر الزمني في السرد إلى ضرورة "التعرف على القرائن التي تدلنا على كيفية اشتغال الزمن في العمل الأدبي، وذلك لأن النص يشكل في جوهره بؤرة زمنية متعددة المحاور والاتجاهات"(١)، وهذا ما نلحظه في نماذج القص الحديثة التي ارتأت أن تتخذ هيكلا زمنيا معقدا تعرض فيه الأحداث بطريقة غير منتظمة، الأمر الذي خلق نوعا من التمرد على تعاقبية الترتيب الزمني الذي اتسمت به النصوص التقليدية القديمة.

ولعل أول من أدرج مبحث الزمن بين محاور النظرية الأدبية هم الشكلانيون الروس الذين توصلوا إلى أن القيمة في العمل السردي لا تكمن في طبيعة الأحداث بقدر ما تكمن في طبيعة العلاقات التي تربط بين أجزاء تلك الأحداث، ومن هذا المنطلق جاء تمييزهم بين زمن الحكاية وزمن السرد، إذ يحدد توماشفسكي Tomashevsky طبيعتهما بقوله: "إن زمن الحكاية هو زمن تكون فيه الأحداث المعروضة مفترضة الوقوع، وزمن السرد هو الزمن الضروري لقراءة العمل الأدبي"(٢).

وبذلك يكون زمن الحكي عند توماشفسكي هو زمن القراءة، أما زمن القصة فهو زمن الأحداث الذي يعرض بإحدى الطرائق الثلاث:

١- بذكر الزمن الذي وقعت فيه الأحداث بصورة مبهمة أو تحديده بدقة.

٢- بتسجيل المدد الزمنية التي تستغرقها هذه الأحداث بصفة مباشرة أو غير مباشرة.

٣- بوصف الأثر الذي يخلفه وقع الزمن في النفس(٣).

إن معظم التطورات التي طرأت على الفن القصصي هي في الأصل تطورات في بنيته الزمنية، إذ إن الزمن لم يعد مجرد موضوع فحسب، أو شرط لازم لإيجاز تحقق ما، بل أصبح هو ذاته الموضوع(٤)، ومن هنا فقد أخذ النقد الحديث يتعرف على قيمة العمل الخيالي في ارتياد أبعاد الزمن من خلال العملية السردية التي تعد بمثابة الأداة المسؤولة عن إبراز تلك القيمة(٥).

وتقدم سيزا قاسم مجموعة من الأسباب التي تدعو إلى دراسة الزمن في النصوص القصصية، هي:

١- كون الزمن هو الأساس الذي تبنى عليه عناصر التشويق والإيقاع والديمومة وكذا السببية المنطقية والتعاقب واختيار الأحداث.

٢- كونه يمنح القصة أو الرواية شكلها الفني، بل هو الشكل ذاته.

٣- كونه عنصرا بنيويا ليس معزولا عن سائر العناصر السردية، وإنما هو في علاقة تلاحمية معها بحيث تستحيل دراسته بوصفه عنصرا مستقلا(٦).

لذلك فإن الزمن جزء رئيس من الحياة، ومكون أساسي لخطوطها ودروبها، ولأنه كذلك؛ فإنه عنصر فاعل في القصة القصيرة بوصفها إبداعا واقعيا حياتيا مقتطعا من الحياة، لذا وجب تحديده بدقة وعناية. فالكاتب عليه أن يحدد زمن قصته التي تجري فيه أحداثها، كما أن عليه أن يحرص على وضوح الحقب الزمنية بين كل حدث وآخر؛ لأن كل حدث في القصة لا يكون له زمنه الخاص فقط، وإنما يكون له زمن علاقاته بالأحداث الأخرى أيضا.

إن خضوع الزمن في القصة القصيرة لآليات القاص المختلفة، كالاسترجاع والاستباق والتلخيص والحذف وغيرها من الآليات التي تتصل باللعبة الزمنية التي تحيل الفضاء إلى متعة وإغواء للمتلقي؛ تدفعه إلى التواصل والمتابعة، كما أن كل ذلك من شأنه أن يحقق كثيرا من جماليات السرد في القصة القصيرة.

تقوم لغة القص في قصة "الذاكرة ممتلئة تقريبا"، بشكل أساسي على حركية الزمن وإحساس المتلقي به، فالسارد يعتمد على سرد الأحداث التي تنحو منحى زمنيا مرتبا في ذاكرته الخاصة، من خلال ذاكرة هاتفه التي ما عاد بإمكانها استقبال أية معلومات جديدة لأنها امتلأت، على الرغم من رغبة السارد في استقبال تلك المعلومات الجديدة، وهو بذلك كأنه يحاول أن يلقي عبء ما تختزنه ذاكرته ويتخلص من سطوة الماضي وإلحاحه على حاضره، حتى يستطيع أن ينعم بذاكرة جديدة. يخبرنا في القصة وضمن إطار ذاكرة الزمن في هاتفه، أنه أعد العدة ذات مرة لقتل رجل، ليس لأي شيء سوى لأنه، كما يقول:

"صادفته عابرا مرة واحدة في حياتي، ولسبب لا يتعدى أنه ما انفك يراودني بعدها في أحلام اليقظة والنوم ويوشوش في أذني: إن كنت حقا تكرهني فاقتلني"(٧)، ثم يكمل السارد: " **... اتجهت بدافع الفضول إلى مدخل مبناه ذي الدرجات العديدة، كي أتفاجأ حينما رأيته يصعد الدرجات وحيدا، وأنا ظننته في الداخل طوال الوقت مع أقرانه، ولم يكن يبدو مختلفا عن مثيل الذاكرة. حييته، دون قصد، من أعلى السلم، بعفوية، قبل أن يلمحني: عمت مساء مستر. وما كاد يرفع بصره نحوي حتى تعثرت قدماه، وتدحرج ككرة ثلج نحو القاع، ولطخ الدنيا البيضاء بما تدفق من دمائه"**(٨).

فيما تقوم قصة "سنوات البياض" على فكرة تقطيع الزمن داخل القصة إلى مراحل محددة، ويعتمد الكاتب في ذلك على نظام العنونة الفرعية للزمن. فالمريض الذي تسرد القصة حكايته مع مرض سرطان الدم، يبقى أربع سنوات يتلقى علاجه

داخل الدولة وخارجها. وتمثل الأربع سنوات هذه للسرد في القصة لحظات زمنية مشبعة بالأحداث، يتصل بعضها مع بعض لتشكل امتدادا خاصا لمجموعة الأحداث المختلطة بالذكريات وبالمشاعر المتناقضة ما بين الخوف من الموت، والأمل في الشفاء:

"السنة الثالثة من البياض: عاد بعد أربعة أشهر، يحمل شوقا لحماماته، ظن أنَّ رحلته مع البياض انتهت. عاد شعره ينمو، الكل يبتسم، إلا هي. لم تغفل ولم تتأخر دقيقة عن أدويته، لا ليلا ولا نهارا. يقضي أياما طويلة في المستشفى، يعود إلى البيت، تقضه الحمَّى من جديد. الجو ملبَّد وكل شيء يُفقده المناعة ويعود إلى البياض. الزيارة ممنوعة إلا بالاحتياط التام. الجميع يتبادل الإقامة معه. والكل مهمومٌ وحزين، وهو يبتسم وينتظر الخروج ليتفقد حماماته"(٩).

وتعتبر اللحظة الزمنية في قصة "الشارع الطويل" محركا أساسيا تقوم عليه لغة القصة. فالسرد في القصة يبدأ من تلك اللحظة الزمنية التي يصنعها انتظار الراوي في أحد الشوارع تحت المطر للفتاة التي كان قد ارتبط بموعد سابق معها، وقد استعد لتلك اللحظة الزمنية التي تجمعه بها، غير أنها لم تأت، فظلت وحدته وغربته القاتلة تسكن في داخله:

"وقفت في مكاني، وأطرقت رأسي تماما إلى الأرض، وأغمضت عينّي. مطر وقوع أحذية الأرضية يتقارب ويبعد، وسيّارات. أريد الآن أن أعرف ماذا يحدث. لماذا لم تأت؟ لقد انتظرتها، ولم تأت. قلّصت المظلّة، وأزحت الحقيبة عنّي، ورميت الاثنتين في طرف الشارع. جريت في الشارع الطويل أبحث عنها"(١٠).

في قصة "يوم لرجل مهزوم" تنفلت لغة السرد من قيود البناء التقليدي لزمن القص، فهي تبني الحدث الرئيسي في القصة بناء أشبه بـ "اليوميات"، وهي لا تقوم فقط على وضع الشخصية في صورة حياة يومية رتيبة من خلال الموقف من الزمن في أيام متتابعة، ولكن من خلال ساعات يومه. إن بطل القصة يعاني هزيمة داخلية، ويعترف بأن ماضي الأحلام الكبيرة والرغبة بالحرية قد تغير لديه، وحل مكانه شعور بالإحباط بسبب وقوعه في سجن الوظيفة الكئيبة التي تحتم عليه الالتزام بروتين معين لا يريده. إن الدخول إلى عالم الوظيفة ومتعلقاتها يعد في نظره كابوسا يوميا، لذا فإن خوفه من لحظة الذهاب للعمل يظل هو الهاجس الذي يؤرق يومه باستمرار:

"الواحدة صباحا: رئة تتنفس الهزيمة، ورأس ثقيل موبوء بالأسئلة الحيرى، يستلقيان على سرير ككل الأسرة الرخيصة في غرفة ككل الغرف الكئيبة، في ليلة ككل الليالي البائسة.. يستجديان النوم.. لا بد أن يناما. فبعد خمس ساعات فقط سيتحتم عليهما أن يبدآ يوما جديدا لرجل مهزوم"(١١).

نستنتج من ذلك أن القصة العمانية القصيرة قد توسلت بعدد من آليات التعبير والمكونات لتقديم تجربتها الزمنية، وقد بدا الزمن فيها يأخذ أشكالا جديدة تتحقق معه جمالية القص، فهو يتماهى أحيانا إلى الحد الذي يضيع معه التوالي والتحديد، ويظهر أحيانا ليعبر عن مفاصل وأحداث في البناء، ويقدم البنية القصصية على نحو واضح، وهو يحفل بتقنيات تجريبية كتقنية التقطيع وغيرها.

المبحث الثاني (بنية المكان في القصة العمانية القصيرة)

المكان في العمل السردي له طبيعة خاصة، فهو يخضع لخيال السارد الذي ينقله إلى آفاق رحبة حتى يكسبه شكلا جديدا. وعلى الرغم من أنه يمتاز بالوضوح الناتج عن الإدراك الحسّي لكنه في العمل السردي يُحاط بالغموض في أحيان كثيرة يحتاج معها إلى تحليل وتفسير يفصحان عن جمالياته، لأنه يحدد الصلة بين الشخصيات وصراعها المأساوي المستمر، ولا يتحدد ذلك من الدلالة السيميائية للمكان وإنما من القيمة الجمالية له أيضاً(١٢). وهذا يعتمد على مهارة السارد في اختيار أمكنته وتوظيفها توظيفا جيدا يسهم في فهم سائر عناصر العمل، كما تتضح مهارته في طريقة توظيفه لكل العناصر مجتمعة حتى يتمكن من إثارة اهتمام المتلقي لعالمه. وإذا نجح السارد في توظيف أمكنته وأضفى عليها الأحاسيس والمشاعر المختلفة مما

يجعلها تحمل دلالات وإيحاءات خاصة، يكون قد حققّ لها جمالية تتسم بالسمو وتغدو قراءتها ممتعة، فالمكان يكتسب بُعدا جماليا في العمل القصصي "لما يمنحه من إمكانية الغوص في البنية الخفيّة والمتخفية في أحشاء النص، وأجوائه، ورصد تفاعلاته وتناقضاته(١٣).

وبما أن العلاقة بين الإنسان والمكان علاقة تأثير متبادل، فإن المكان يستمد خصوصيته وملامحه من الإنسان ساكنه، ويمده هذا الأخير من صفاته وملامحه، "فالإنسان من خلال حركته في المكان، يقوم برسم جماليات هذا المكان، والمكان بدون الإنسان عبارة عن قطعة من الجماد، لا حياة ولا روح فيها. كذلك فإن الإنسان بمشاعره وعواطفه ومزاجه، يأخذ من الطبيعة وطقوسها وفصولها ما يساعد مشاعره وعواطفه ومزاجه على رسم المكان"(١٤).

والأمر نفسه يمكن ذكره في علاقة المكان بالزمان وتبادل التأثير بينهما، حيث يستحيل وجود مكان أرضي أو غير أرضي لا يتضمن كمية من الزمن وجدت بوجوده واستمرت باستمراره. والزمان هو الذي يعطى المكان ملامحه وأشكاله التي تختلف من عصر إلى عصر ومن حضارة إلى أخرى؛ وإجمالا يمكن القول إن المكان لا تتجلى أبرز صفاته الجمالية إلا من خلال الزمان والإنسان(١٥).

أما بشأن علاقة اللغة بالمكان فبإمكاننا أن نصف المكان بأنه مكون سردي ينجز باللغة، وفي فضائها، فلا وجود له دونها، فالإنسان في حياته اليومية، وعلاقته بالمكان، لا يتوقف عن إبداع صيغ لغوية محملة بالتجربة الحياتية بأبعادها المختلفة، وكذلك كتاب القصة الذين تهيمن الوظيفة الجمالية على الوظائف الأخرى في صيغهم المتنوعة(١٦)، فهم يستخدمون اللغة بطريقة تختلف عن استخداماتها اليومية، لأنها في العمل القصصي تقوم بوظيفة جمالية، وتفصح عن دلالات خاصة إلى جانب دلالاتها العامة(١٧).

إن المكان داخل القصة القصيرة والفن السردي عموما لا يبدو معزولا عن عناصر السرد الأخرى؛ لأنه داخل في تشكيل بناء فني تتآزر عناصر مختلفة في إحكامه وتأكيد فنيته؛ ومن هذه العناصر الشخصيات، والأحداث، والزمن والرؤى السردية(١٨). ومن خلال هذه العلاقات يتبادل المكان علاقتي التأثير والتأثر مع غيره من العناصر، فإذا كان المكان يتخذ دلالته التاريخية والسياسية والاجتماعية من خلال الأفعال وتشابك العلاقات؛ فإنه يتخذ قيمته الحقيقية من خلال علاقته بالشخصية عامة ثم يعود المكان لكي يؤثر على ملامح هذه الشخصيات وصفاتها ولغتها وعلاقاتها وأسمائها وقيمها(١٩).

وفي القصة العمانية القصيرة تتعدد صور المكان، بحيث يمتد المحور المكاني في القصة العُمانية من القرية إلى المدينة حتى يصل إلى الساحل أو البحر الذي يكاد يكون قاسما مشتركا يربط بين غالبية القصص(٢٠)، وقد "شغل القاص العُماني برصد المكان باعتباره وعاء فكريا يلعب دورا فاعلا في تشكيل الذاكرة الجماعية للمنتمين إليه، وعني برصد تجلياته في فضاء السرد، وموقف شخوصه منه رفضا أو قبولا، تمردا وخضوعا، وهي عناية تجلت منذ الولادة الأولى لديه، وبدت عبر صور متعددة وأطوار فنية متعاقبة"(٢١).

ويعد "البحر" مكانا مشتركا في كثير من القصص العمانية القصيرة، فهو يمثل المكان "المحور" الذي تتناسل منه جميع الأماكن الفرعية الأخرى في مجموعة "أساطير عشق"، فالمدينة تقع على البحر، والبيت هو الآخر قريب من البحر، والنافذة تطل عليه، والطريق البحري يمتد بمحاذاته، والسفينة تسبح في عرض البحر، والفتاة التي تنثر حكاياتها الأقرب إلى السيرة الذاتية، تنثرها وهي تناجي البحر من على ذلك الشاطئ. إن فضاء البحر في المجموعة يتمظهر على أكثر من مستوى، فالبنية السردية في المجموعة لا تتكون من خلال الصور أو الإيقاع أو الانزياح أو المفارقة فحسب، بل تتبلور أيضا انطلاقا من البعد المشْهَدي لهذا المكان. حيث يصبح البحر مكانا غالبا في سائر القصص، ومسرحا لأحداث تحكيها الكاتبة بأسلوب فني ينثر جماليته في كل مكان.

إن الكاتبة لا تكتب عن البحر بوصفه رقعة مكانية ضيقة لها حدود معينة؛ بل تجعل منه فضاء واسعا ترسو فيه العلامات والرموز التي تؤرخ للتجربة الإنسانية في منظورها، وهي تمد المتلقي ببعض المفاتيح التأويلية التي تمكنه من الكشف عن الأفق الذي تنتمي إليه حساسيتها. فهي لا تكتب من فراغ بل من ذاكرتها القرائية التي تقوم بتوظيفها جماليا في قصصها.

في قصة "بكائية بحر وسفينة"، البحر، كذلك، هو أول ما تبدأ به القصة، وهو أيضا آخر ما تنتهي به. وبين تلك البداية وتلك النهاية ترسم الكاتبة علاقتها الحميمة مع البحر، باعتباره صديقا يشاطر الذات بداياتها ونهاياتها. ففي استهلال القصة تحاول الساردة أن تؤثث لسردها من خلال وضع المتلقي في جو السرد المشحون بالذكريات الحزينة، والمكان الذي تنطلق منه بداية تلك الذكريات المسكونة بالغياب:

"أجواء باكية تسكن ذلك المكان، ألحان عشق حزينة تعزفها سفينة وبحر"(٢٢).

ولكي يكتمل المشهد فإنها تختار من المفردات والتراكيب ما يتناسب ولغة الحوار مع البحر، كأن تأتي بتراكيب من مثل:

"يغوص ببطء، أمواج بحر، صخور أفكاري، الإبحار الدائم، بحر الحب، تلاطم أمواجه، عاصفة هائجة، شواطئ الحرمان"(٢٣).

مثل ذلك نجده أيضا في قصة "البحر والفقد"، فالبحر الذي يتكرر في القصة بطريقة أقرب إلى المبالغة، هو مسرح لأحداث الحكاية فيها، ومنه تنبثق جميع الصور والمشاهد التي تكونها الذات عن نفسها وعن العالم من حولها بما فيهم الشخصيات المحيطة بها:

"اتجهت ومعك اثنان من إخوتك اللذان يكبرانك سنا إلى البحر، وقبلها احتسى كل منكم كوبا من الشاي. ولجتم إلى البحر، وكان كعادته (خليج عُمان) هادئا في معظم الأيام. تحرك القارب في الساعة الخامسة والنصف، وشق طريقه في البحر، ووروحك أيها العاشق للبحر تتنفس البحر حياة ونورا. ابتعدتم كثيرا عن شاطئ البحر، وألقيتم بالصنارات في البحر، وتبادلتم أحاديث البحر وأهازيجه راجين أن تزداد أرواحكم نورا؛ فيزداد القرب من رب هذا الكون، فيهبكم رزقا واسعا من لدنه"(٢٤).

في قصة "صحراء الجبل"، بقدر ما يحكي لنا السارد حكاية الرجل الغريب –كما يطلق عليه أهل القرية– فإنه يحكي عن الصحراء ومكوناتها كذلك. فهو كما يبحث عن المخفي في شخصية الغريب فإنه يبحث أيضا عن المخفي في الصحراء، فهو يماهي بينهما لدرجة أن يصبحا شيئا واحدا، كما تصبح كل مكونات الصحراء تشبهه:

"هذا الجمل يشبهك في أكل الصحراء، رغاؤه يحث فيك الرحيل، يدك تمسد شعره، تسترحمه بعد أن بكته الصحراء"(٢٥).

شعرية التفاصيل ركيزة أخرى في فلسفة بناء المكان القصصي، ويظهر ذلك في قصة "فراغ"، حيث يولع السارد بوصف التفاصيل المكانية. فهو يصف جميع الأشياء التي يتكون منها الشارع، وهو في ذلك ينحو منحىً تفكيكيا في إفساح المجال للتفاصيل بأن تعلن عن وجودها في خريطة المكان. إذ إن الاهتمام بالأشياء والتفاصيل الثانوية من شأنه تقديم مكان مكثف، فيكتسب كل شيء كينونته في إطار الكل المكاني:

"أمشي أجوب الشوارع والأرصفة. أذرع الأحياء. لوحات كثيرة مررت بها ضاحكا. مسرح المدينة، سينما النجوم، الملتقى الأدبي، مسرح الشباب، النادي الثقافي، مسميات يفترض أن تفتك بالفراغ الذي أنظر إليه يرتعد"(٢٦).

كذلك نجد أن قصة "أين أنت؟؟" تبنى على علاقة وطيدة تنشأ بين السارد والمقهى، وطاقة تشويقية يبثها السارد من خلال هذه العلاقة. فالمقهى هو المكان المفضل عند السارد، وهو المكان نفسه الذي تنطلق منه أحداث القصة وتعود إليه: **"أين أنت؟ ستجدني في تمام الساعة العاشرة مساء في المقهى، لا أزال في المشي متجها للمقهى، نفس المقهى الذي تعرفت فيه على ليلى، هناك سأجلس مع رفقاء السوء، وسأشعل أكبر كمية من التبغ، سأنهي علبة المارلبورو البيضاء، ستنتهي العلبة التي اشتريتها قبل أن أصل إلى المقهى، وسأشتري غيرها وأنهيها في الحال"**(٢٧).

من ذلك، نجد أن الكاتب العماني قد استطاع أن يستثمر المكان في بناء نصوصه القصصية القصيرة، بما يخدمها ويضفي عليها جمالية أثّرت في إعلاء لغة القص وجمالياته.

خاتمة

درس البحث موضوع جماليات بناء الزمان والمكان في نماذج مختارة من القصة العمانية القصيرة، وتوزع البحث على مقدمة، ومبحثين رئيسين، ناقش المبحث الأول جماليات بناء الزمان في القصة العمانية القصيرة، فيما تتبع المبحث الثاني جماليات بناء المكان في نماذج من القصة العمانية القصيرة، وخرج البحث بالنتائج الآتية:

(١) ترجع أهمية دراسة بنية الزمن في النصوص القصصية القصيرة لما تحققه هذه البنية من متعة وإغواء لدى القارئ، تدفعه إلى متابعة القراءة، وتمكنه من الإحساس بجمالية النص القصصي.

(٢) يخضع الزمن في القصة العمانية القصيرة لأشكال وتقنيات مختلفة وظفها الكاتب العماني، ومنها الاسترجاع والاستباق والتلخيص والحذف.

(٣) تتحقق الوظيفة الجمالية للمكان في النصوص القصصية القصيرة من خلال إضفاء الكاتب على أمكنته الإحساس والمشاعر المختلفة التي تجعلها قادرة على حمل الدلالات والإيحاءات الخاصة.

(٤) توجد علاقة تبادل وتأثير بين عنصري الزمان والمكان في البنية السردية القصصية، بحيث تتجلى أبرز الصفات الجمالية لكل منهما بوجود الآخر.

(٥) تقوم اللغة التي يوظفها الكاتب في بناء النص القصصي بوظيفة جمالية، فهي تفصح عن دلالات خاصة في النص إلى جانب دلالاتها العامة.

(٦) تتعدد صور الأمكنة في القصة العمانية القصيرة، وقد اشتغل الكاتب العماني على هذه التعددية باعتبارها وعاء فكريا وجماليا يؤدي دورا فاعلا في فضاء السرد.

(٧) يمثّل البحر في القصة العمانية القصيرة مكانا مشتركا ربط بين كثير من القصص التي أبدعها الكاتب العماني.

مراجع البحث، ومصادره

- إبراهيم السعافين، الأقنعة والمرايا: دراسة في فن إبراهيم جبرا الروائي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ١٩٩٦.
- إبراهيم خليل، شعرية القصة القصيرة وحوار الأجناس، وزارة الثقافة، عمّان- الأردن، ٢٠١٠.
- أزهار أحمد، الممثل، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧.
- أحمد زنيبر، المكان في العمل الفني: قراءة في المصطلح، مجلة عمّان، عمّان- الأردن، عدد١٢٩، آذار ٢٠٠٦.
- أيمن ميدان، تجليات المكان والزمان في القصة العمانية، ندوة المنتدى الأدبي: قراءات في القصة العمانية المعاصرة (١٦-١٧ سبتمبر ٢٠٠١)، وزارة التراث والثقافة، مسقط- عُمان، ٢٠٠٢.

- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء- الزمن- الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ١٩٩٠.
- حمود الشكيلي، سرير يمتطي سحابة، وزارة التراث والثقافة، مسقط- عُمان، ٢٠٠٦.
- رولان بورنوف؛ وريال أوتيلية، عالم الرواية، ترجمة: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ١٩٩١.
- سعاد العريمي، أساطير عشق، وزارة التراث والثقافة، مسقط- عُمان، ٢٠٠٧.
- سليمان المعمري، ربما لأنه رجل مهزوم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠.
- سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٩٨٥.
- شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٩٤.
- شبّر بن شرف الموسوي، القصة القصيرة في عمان من عام ١٩٧٠ وحتى عام ٢٠٠٠: دراسة فنية موضوعية، وزارة التراث والثقافة، مسقط- عُمان، ٢٠٠٦.
- عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحيى يخلف، المعتز للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ٢٠٠٨.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت- الكويت، عدد٢٤٠، ديسمبر ١٩٩٨.
- عبدالله بني عرابة، قلق آخر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠٠٦.
- مازن حبيب، الذاكرة ممتلئة تقريبا، وزارة التراث والثقافة، مسقط-عُمان، ٢٠٠٦.
- محمد الباردي، الرواية العربية والحداثة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، ١٩٩٣.
- محمد السيد إسماعيل، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ٢٠٠٩.
- محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي: نماذج تحليلية من النقد العربي: الزمن- الفضاء- السرد، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب، ١٩٩١.
- ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٢.

الهوامش

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء- الزمن- الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ١٩٩٠، ص١١٣.

(٢) محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي: نماذج تحليلية من النقد العربي: الزمن- الفضاء- السرد، إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب، ١٩٩١، ص١٤.

(٣) نفسه، ص١٥.

(٤) انظر: رولان بورنوف؛ وريال أوتيلية، عالم الرواية، ترجمة: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد- العراق، ١٩٩١، ص١١٨.

(٥) انظر: ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٢، ص٤٠.

(٦) سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ١٩٨٥، ص٣٤.

(٧) مازن حبيب، الذاكرة ممتلئة تقريبا، وزارة التراث والثقافة، مسقط-عُمان، ٢٠٠٦، ص١٧.

(٨) نفسه، ص٣١.

(٩) أزهار أحمد، الممثل، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠٠٧، ص١٤.

(١٠) مازن حبيب، الذاكرة ممتلئة تقريبا، مرجع سابق، ص٢٤.

(١١) سليمان المعمري، ربما لأنه رجل مهزوم، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠، ص٢٥.

(١٢) انظر: إبراهيم السعافين، الأقنعة والمرايا: دراسة في فن إبراهيم جبرا الروائي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ١٩٩٦، ص٤٧.

(١٣) أحمد زنيبر، المكان في العمل الفني: قراءة في المصطلح، مجلة عمّان، عمّان- الأردن، عدد١٢٩، آذار ٢٠٠٦، ص١٣.

(١٤) شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٩٤، ص٩٦.

(١٥) انظر: محمد السيد إسماعيل، بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ٢٠٠٩، ص١٨-١٩.

(١٦) انظر: عالية أنور الصفدي، شعرية الأمكنة في روايات يحيى يخلف، المعتز للنشر والتوزيع، عمّان- الأردن، ٢٠٠٨، ص١٥٧.

(١٧) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت- الكويت، عدد٢٤٠، ديسمبر ١٩٩٨، ٢٩٩.

(١٨) انظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص٢٦.

وانظر: إبراهيم خليل، شعرية القصة القصيرة وحوار الأجناس، وزارة الثقافة، عمّان- الأردن، ٢٠١٠، ص١٠.

(١٩) محمد الباردي، الرواية العربية والحداثة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، ١٩٩٣، ص٢٣٢.

(٢٠) انظر: شبّر بن شرف الموسوي، القصة القصيرة في عمان من عام ١٩٧٠ وحتى عام ٢٠٠٠: دراسة فنية موضوعية، وزارة التراث والثقافة، مسقط- عُمان، ٢٠٠٦، ص٢٨٨ وما بعدها.

(٢١) أيمن ميدان، تجليات المكان والزمان في القصة العمانية، ندوة المنتدى الأدبي: قراءات في القصة العمانية المعاصرة (١٦-١٧ سبتمبر ٢٠٠١)، وزارة التراث والثقافة، مسقط- عُمان، ٢٠٠٢.

(٢٢) سعاد العريمي، أساطير عشق، وزارة التراث والثقافة، مسقط- عُمان، ٢٠٠٧، ص٣٥.

(٢٣) انظر: نفسه.

(٢٤) نفسه، ص٣٠.

(٢٥) حمود الشكيلي، سرير يمتطي سحابة، وزارة التراث والثقافة، مسقط- عُمان، ٢٠٠٦، ص١٨.

(٢٦) عبدالله بني عرابة، قلق آخر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠٠٦، ص٩٤.

(٢٧) حمود الشكيلي، سرير يمتطي سحابة، مرجع سابق، ص٥٧.

عتبات النص في التسريد العرفاني عند عبد الاله بن عرفة: دراسة في رواية بلاد صاد

د. حسين عبيد شراد الشمري،
قسم اللغة العربية، كلية الاداب، جامعة القادسية، العراق

الملخص

تناول البحث ثيمة العتبات النصية او مايسمى بالنص الموازي او التفاعلات النصية في النوع الروائي الجديد الذي اطلق عليه الكاتب اسم الرواية العرفانية او كما يسميها بعضهم ب الرواية الصوفية. سلط البحث على مفهوم العتبات النصية وعلاقته بالمصطلحات الأخرى التي تبين مفهوم هذا المصطلح، كمصطلح علمي وبداياته، ودور النقاد الغربيين والعرب في بلورته والياته وتسمياته المتعددة واستعمالاته من حيث الدراسة والتطبيق في روايتي بلاد صاد للكاتب عبد الاله بن عرفة وطبيعة التسريد العرفاني وخواصه الذي استلهمه الكاتب خلال منجزه الروائي (الثماني روايات) والذي نجح في تأسيس هذا النوع من انواع السرد مصدرا كل رواياته بخطاطات عرفنية شحذت الخيال الذي نهض باللغة النوارنية من ركام الذاكرة ليعيد بناء الذات مستلهما الوحي القرآني تارة، ومحاورة التراث المضيء والجريح في آن واحد تارة أخرى لقد وظف الكاتب التراث الديني والتاريخي والأسطوري في عوالم روايته العرفانية، وتوضيح الرؤيا العرفانية والتخييل العرفانيمن خلال تناصه مع آيات قرآنية مباركة، ومع الحديث الشريف، وأقوال الخلفاء والحكماء، والارتكاز على مفهوم العالم الآخر والتمحيص في ذلك العالم، وما يرافق النفس البشرية أثناء سفرها إلى عالم المجهول.

الكلمات المفتاحيّة: العتبات النصية، عبدالاله بن عرفة، الرواية العرفانية.

مُدخل

لما تزل محاولات التجديد في الرواية العربية في مشاريع الحداثة وما بعدها قائمة عن طريق التلاقح المعرفي والثقافي والتداخل مع الأجناس الأدبية والحقول المعرفية المتنوعة لخلق نصوص سردية غير تقليدية، وابتكار كل ما هو مغاير في عرضه ورؤيته واستعادة الوجود المنسي في اصوله الممتدة في التراث القديم وترميمه في وظائف مبتكرة للنهوض بالواقع الاجتماعي والديني والسياسي في وحاضر الأمة ومستقبلها.

ومن هنا ظهر الاتجاه الجديد في عملية السرد المسمى بـ (الرواية العرفانية) أو التسريد العرفاني في المنجز الروائي العربي الذي أخذ على عاتقه استدعاء النصوص الفلسفية والدينية في تراثنا الزاخر بها في الفكر الصوفي والعرفاني لحاضر مزقته الحروب والاقتتال الطائفي، إذ حاولت الرواية (العرفانية) تقديم صياغة جديدة بقراءة معاصرة حول المفاهيم الدينية والتاريخية حول أغلب المفاهيم الإشكالية مثل (الغيبيات، الذات الالهية، المقدس، المدنس) وتقديمها بروح معاصرة واطار معرفي جديد بعيداً عن التطرف أو التخندق أو الركون لفهم مسبق مسلطة الضوء على مسيرة شخصيات دينية تاريخية أغنت الفكر الانساني في منجزاتها وطرائق وصولها إلى المعرفة الحقة وانعتاقها من سجن المادة المغلق إلى فضاء الروح الأرحب الذي شكل اقصى درجات التماهي والاستدماج مع الذات المقدسة التي أنعمت عليها بفيوضاتها المعرفية وكراماتها التي جسدها اصحاب هذا الفكر عبر نتاج أدبي زاخر ركنته الذاكرة عبر هذه العصور التاريخية.

لقد أثار هذا النوع من الروايات (العرفانية) دهشة القارئ في دقة الاختيارات التي حاولت استمالته من الوهلة الأولى في عتبة العنوان.

أولاً: مفهوم العتبات النصية ووظائفها

أ- العتبة لغةً

ورد مصطلح العتبات في معاجم اللغة على أنه: ((أسكفة الباب. وجعلها إبراهيم عليه السلام, كناية عن امرأة إسماعيل إذ أمره بإبدال عتبته. وعتبات الدَّرجة وما يشبهها من عتبات الجبال وأشراف الارض))(١). وجاء في مقاييس ابن فارس أنها سميت عتبة لارتفاعها عن المكان المطمئن السهل(٢). والعتبة خشبة الباب التي توطأ... والجمع عتب وعتبات والعتب: الدرج(٣) وهذا يعني العتبة التي نصل من خلالها لمكان معين، فهي بداية دخول المنزل، وصلة وصل بين مكان منخفض، ومكان مرتفع لا تصله بدونها. وهذا يعني انطلاقاً من الدلالة اللغوية أن النصوص الموازية أو العتبات لها دور مهم في قراءة المتن، هذه القراءة التي تصير مشروطة بقراءة هذه النصوص، فكما أننا لا تلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها، فكذلك لا يمكننا الدخول عالم المتن قبل المرور بعتباته(٤).

ب- العتبات اصطلاحاً

ورد المفهوم الاصطلاحي لمعنى العتبات في المؤلف اللغوي العام على نوعين: الأول من تصدى لدراستها مستقلة, وسبر الأغوار في حيثياتها ومعاني مفاصلها, وتوضيح مرتكزاتها, وأهمية وجودها. والثاني: ذكرها ضمن مؤلفه العام, فتطرق إلى ذكرها بحسب الإشارة إلى المفهوم العام لها, أو لأجل التعريف والبيان بمدخل القول وتوطئته.

ولم يكن علماء العربية قديماً بمغفل عن العتبات النصية ولو بغير مسماها الحداثوي الحالي, فقد أهتموا بالمقدمة والخاتمة؛ ((لما لهما من خصوصيات مميزة, ولارتباطهما بأصول دينية, تطورت فيما بعد لتأخذ أبعادا فنية وبلاغية شملت إلى جانب النص القرآني كل أصناف الخطابات. فقد تقرر أن كل عمل يجب أن يفتتح بالبسملة ويختتم بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. مع التنصيص على ما قد يتلو الكتاب أو المصنف إن كان متعدد الأجزاء. واشترطوا في الخاتمة أن تكون حسنة جيدة بليغة هادفة لأنها آخر ما يتعلق بالأسماع وربما حفظت من دون غيرها لقرب العهد بها))(٥).

أولى تلك الاهتمامات كانت على أيدي الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ), والذي وضع للكتابة شروطاً بقوله: ((وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة, إلى بعض من يشاكله, أو يجري مجراه, فلا يرضى بالكتابة حتى يخرمه ويختمه, وربما لم يرض بذلك حتى يعنونه ويعظمه. قال الله جل وعز: (أم لم ينبَّأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى) فذكر صحف موسى الموجودة, وصحف إبراهيم البائدة المعدومة, ليعرف الناس مقدار النفع, والمصلحة في الكتب))(٦). فالجاحظ يشير ويشترط في الكتابة أجزاء ضرورية في قوام النصوص, واستحكامها, أطلق تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) على تلك الأجزاء تسمية (الرؤوس الثمانية), بقوله: ((اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤوس الثمانية قبل افتتاح كل كتاب, وهي الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أي صناعة هو وكم فيه من أجزاء وأي أنحاء التعاليم المستعملة فيه))(٧).

وهذا دليل واضح على اهتمام الدرس النقدي القديم بمستهلات النصوص ومطالعها, حيث يجب ((أن يتأنق المتكلم في أول كلامه, ويأتي بأعذب الألفاظ, وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها, نظماً وسبكاً, وأصحها مبنى, وأوضحها معنى وأخلاها من الحشو, والركة والتعقيد, والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب))(٨).

أما في الدرس الحديث فقد عرَّفها **جيرار جنيت** مجموعة النصوص المحيطة بمتن الكتاب, بكافة جوانبه, والتي تشتمل على العنوان الرئيس والعنوان الفرعي والعناوين الداخلية والمقدمات والملحقات، والهوامش، والإهداء والملاحظات وكلمات الغلاف والفهرس والمقتبسات والتنبيهات والتقديم، والتوثيق، والصورة من أكثر الموضوعات التي اجتذبت اهتمام المفكرين والدارسين في هذا الميدان في الفترة الاخيرة وان كل أديب يتعامل مع العتبات النصية التي تعد مؤشراته الأولى نحو دلالات

النص، والتي يتيح لقارئه من خلالها فرصة الدخول إلى عالم الكتاب، قبل أن يتغلغل في دهاليز النص، بأشكال متنوعة تتبع رؤيته وأسلوبه الخاص(٩). وأطلق **جيرار جنيت** على تلك العناصر تسمية (النص الموازي), ويعدها الجسر الموصل بين النص وجمهوره, ويراها شرطاً أساسياً من شروط تحول النص إلى كتاب(١٠) بقوله ((إن النص الموازي عندنا, هو ما يصبح النصَّ به كتاباً وما يخول له أن يقدم نفسه إلى القراء والجمهور عامَّة على هذا الأساس نفسه))(١١). إذا هي مجموعة ((العناصر التي تساند النص وتصاحبه في رحلة اكتساب الحضور والهوية الثقافية النوعية, ضمن تداولية عامة أو خاصة. وهي في مجموعها تمثل وسائل انخراط النص في المؤسسة الأدبية, وانكتابه في المجتمع الثقافي))(١٢).

سبق **جيرار جنيت** مجموعة من العلماء في ذكر مصطلح المناص, واهتموا بتقسيماته, ووضع قواعده, ورسم المبادئ التي يجب أن يسير عليها النص, والوظائف التي يؤديها, منهم:

١- " **ك. دوشي** في مقالته في مجلة الأدب سنة ١٩٧١ من أجل سوسبو – نقد. حيث تعرض لمصطلح المناص, كونه منطقة مترددة... أين تجمع مجموعتين من السنن: سنن إجتماعي, في مظهرها الإشهاري, والسنن المنتجة أو المنظمة للنص"(١٣).

٢- "**ج. دريدا** في كتابه التشتيت ١٩٧٢, وهو يتكلم على خارج الكتاب (Hors Livre), الذي يحدد بدقة الاستهلالات والمقدمات والتمهيدات, والديباجات, والافتتاحيات محللا إياها, فهي دائما تكتب لتنتظر محوها, الافضل لها أن تنسى, لكن هذا النسيان لا يكون كليا فهو يبقى على أثره... وتقدمة (presenter) النص لجعله مرئيا (visible), قبل أن يكون مقروءا"(١٤).

٣- "**ج. دوبوا** في كتابه L, Assommoir d,E.Zola diseours, ١٩٧٣ , نجد أن دوبوا قد تعرض لمفهوم المناص, وهو يدفع بالتحليل لمصطلح الميتانص (meta – texte), معينا حدوده وعتبته"(١٥).

٤- "**فليب لوجان** في كتابه الميثاق السيرذاتي ١٩٧٥, يتعرض لما سماه حواشي أو أهداب النص, فحواشي النص المطبوعة, هي في الحقيقة تتحكم بكل القراءة من (اسم الكاتب, العنوان, العنوان الفرعي, اسم السلسلة, اسم الناشر, حتى اللعب الغامض للاستهلال"(١٦).

٥- "**م. مارتان بالتار** في كتابه المشترك.... الخاص بالمقرر الأوربي لتعليم اللغات الحية.... استعمل مصطلح المناص لأول مرة بالدقة المنهجية والسعة المفاهيمية التي سيعالجه بها جنيت في كتابه عتبات"(١٧).

حدد **سعيد يقطين** من خلال دراسته لمفهوم جيرار جنيت للعتبات, أنواع التفاعل النصي, وقسمها على ثلاثة أقسام هي: (المناصة, والتناص, والميتانصية)(١٨). والمناصة: ((هي البنية النصية التي تشترك وبنية أصلية في مقام وسياق معينين, وتجاورها محافظة عل بنيتها كاملة ومستقلة. وهذه البنية النصية قد تكون شعراً أو نثراً, وقد تنتمي إلى خطابات عديدة, كما أنها قد تأتي هامشاً أو تعليقاً على مقطع سردي أو حوار وما شابه))(١٩).

ويرى **يوسف الإدريسي** بأنها ((بنيات لغوية وأيقونية تتقدم المتون وتعقبها لتنتج خطابات واصفة لها تعرف بمضامينها وأشكالها وأجناسها, وتقنع القراء باقتنائها))(٢٠). وهذه العتبات تشمل وظائف عدة(٢١):

١ – وظيفة تعيين مضمون النص والغرض المقصود منه، وإن كل ما يتلاءم ويضطلع بهذا الدورة والتي تمثل مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه عنوان صفحة الغلاف العناوين الداخلية، والمقدمة ويكمن امتياز هذا النوع من الوظائف في أنه يحدد أو يدل على المغزى المراد منه ويشكل في الوقت ذاته (نظاما إشاريا ومعرفيا لا يقل أهمية عن المتن الذي يخفره أو يحيط به، بل إنه يلعب دورا هاما في نوعية القراءة و توجيهها).

٢- وظيفة إخبارية: يشتمل على كل من يشير ويدور في فلك النص من (مصاحبات من اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، الإهداء الاستهلال أي كل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب كالصورة المصاحبة ،الغلاف، كلمة الناشر)(٢٢) وهي التي حسب (عبد المالك أشهبون) تتوجه إلى فئة القارئ الذي يمارس فعل فتح الكتاب و الشروع في قراءته.

٣-وظيفة التعيين التجنيسي للنص: وهي ما يراد منها يحدد جنس العمل الأدبي أي وضع النص ضمن سلسلة محددة كان تكون رواية أو تكون رواية أو تكون مجموعة قصصية أو مجموعة شعرية أو نقد أو مسرح.

تتمثل تقنية العتبات النصية في النص في الأدوات الأساليب الطرائق الإجراءات، الآليات والكيفيات التي اتبعت في صياغة ((العناصر التي تنضوي تحت تسمية "العتبات النصية" بمفهومها الحديث المتداول، صياغة تمنحها جماليتها وقيمها الأدبية الشعرية الفنية المعرفية والوظيفية وهي تقنيات لغوية بلاغية استعارية ومجازية تشكل جزءاً مهماً وأساسياً من البنية الكلية للرواية تتجلى في العنوان الرئيس والعناوين الفرعية وعناوين المقاطع والفقرات، إضافة إلى الإهداء والهوامش التي تغني متن النص وشتريه دلالات وإيحاءات حيث عُدت العتبات مكونات لا تتجزأ من النص الذي يعد بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية)، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة))(٢٣) وتتجلى تلك البنيات في العناصر المكونة لتلك العتبات. والتي بدورها تنقسم على نوعين: ((عتبات ثابتة وهي تلك التي تتعالق مع كل نص ولا يمكن الاستغناء عنها بشكل طوعي في أي مؤلف سواء كان نقدياً أم إبداعياً, ويندرج ضمنها اسم المؤلف والعنوان والفهرس, ومكان النشر أو المؤسسة الناشرة وتاريخ النشر؛ وعتبات متغيرة وهي تلك التي يستغنى عنها بالنظر إلى طبيعة موضوع الكتاب أو ذوق الكاتب أو الناشر ورؤيتهما, وتدخل في هذا الإطار الأيقونة والإهداء وكلمات الشكر والمقتبسات والمقدمة..))(٢٤).

أما العتبات النصية فقد رأت فيها دراسات حديثة الشرفة التي يطل منها القارئ على عوالم العمل الأدبي من شعر، قصة، مسرحية، رواية أو غيرها، وقصدت بها المداخل التي تجعله يمسك بالخيوط الأولية والأساسية لذلك العمل باعتباره يتضمن نصاً محيطاً يشتمل على عنوان ومقدمة وعناوين فرعية داخلية، بالإضافة إلى الملاحظات التي يمكن للكاتب أن يشير إليها، وكل ما يتعلق بالمظهر الخارجي للكتاب(٢٥) أو لذلك العمل وهي تبرز ((جانباً أساسياً من العناصر المؤطرة لبناء الحكاية ولبعض طرائق تنظيمها وتحققها التخييلي، كما أنها أساس كل قاعدة تواصلية تمكن النص من الانفتاح على أبعاد دلالية تغني التركيب العام للحكاية وأشكال كتابتها))(٢٦) وبذلك تكون لها أهمية قصوى.

من مبدأ تلك الأهمية اكتسبت العتبات قيمتها الفنية في مجال تفعيل القراءة المبدعة المنتجة للنص و((في مجال تحليل النص الأدبي؛ لأنها تسعف الباحث، أو الناقد أو المحل، في فهم النص الأدبي وتفسيره وتأويله، أو تفكيكه وتركيبه))(٢٧) لما تشتمل عليه من دلالات أو ما يمكن أن تؤدي من وظائف تعين القارئ على استكشاف كثير من أبعاد النص الخفية أو الظاهرة، المكنونة أو المكشوفة ولا يقتصر ذلك على عتبة بعينها، بل يمكن لكل عتبة أن ((تمثل التعبير عن موقف ما، وتضطلع بدور أساسي في ولوج القاري إلى عالم الكتاب وتوغله التدريجي فيه، لأنها تحدد هوية النص، وتقدم عنه إشارات أسلوبية ودلالية أولية، وتبنى كوناً تخييلياً محتملاً، كما توفر معلومات في حدها الأدنى عن النص المرتقب (المتن المركزي). فالقارئ يستبق معرفة النص الغائب من خلال المعطيات الأولية التي ينثرها الروائي على عتبات النص، وفي مداخله الافتتاحية))(٢٨).

بإدراك هذا الدور الجوهري تمكن العتبات القارئ الناقد والمحلل الأدبي من استشفاف متن النص من مرصد تلك العتبات التي تفتح أمامه مصاريع إطلالة مثمرة على النص، وتتيح له إمكانية التفاعل والتحاور معه بقصد إجراء معالجات تفسيرية أو تأويلية، أو يهدف بلوغ إجابات مناسبة عن أسئلة مفترضة في سياق القراءة الإبداعية الفاعلة المنتجة للنص من جديد. وباحتراز من سلوك تحويل العتبات إلى محاريب . تنتفي في ظلالها أنوار المتن وقيمه، كما حدث في بعض الدراسات التي قدمت خطابات مكرورة وفضفاضة تصلح لكن النصوص لا النص بعينه، كما تطرقت في تقديمها العتبات على حساب النص تقديساً

غير منطقي لدرجة أنها قصرت القيمة الكلية والقيم الجزئية للنص على العتبات وحدها دون اعتبار لما يشتمل عليه المتن من عناصر تكتنز أدبيته وجمالياته، فإن هذه الدراسة تقارب العتبات بعين وعينها الأخرى على النص بما يتسم به من تمايز وخصوصية وعلاقات داخلية وإحالية خاصة به دون سواه، مع الأخذ في الحسبان أهمية العتبات ودورها ووظائفها.

وهناك من يطلق عليها تسمية النص الموازي, والنص الموازي في اللغة الفرنسية يتكون من جزأين Para و Texte ، فالجزء الأول يرتبط في الأصل اليوناني بعدة معان كالمشابهة والمماثلة والمساواة والملائمة والموازاة والمجالسة، أما الجزء الثاني فهو النص، ويعود أصله عموماً إلى بلوغ الغاية واكتمال الصنع(٢٩) والربط بين الجزأين يدل على كل ما يوازي ويماثل النص بطريقة أو بأخرى.

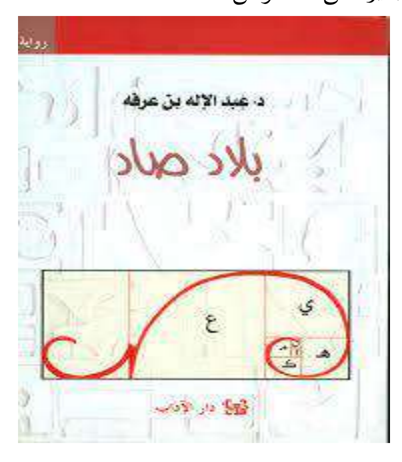
أطلق عليها أيضاً مصطلح (المكملات), وهي الترجمة الأقرب لكلمة (Peritexte), وهي من الأدوات المساعدة لمحققي النصوص, ومؤلفيها, حيث تقرب الصورة لغوامض المخطوطات, وتساعد في فك شفراتها, وإبراز قيمتها العرفية ومكانتها التاريخية(٣٠).

اهتم كثير من العلماء بالعتبات النصية, ومنهم (لوسيان كولدمان), الذي دعا إلى إيلاء عملية دراسة النصوص أهمية كبيرة من قبل الباحثين والدارسين, مؤكداً على العنوان ومدى تعالقه مع متن الرواية النصي, ويعد (ليو هويك leohoek) المؤسس الحقيقي لعلم العنوان, لأنه قام بدراسته من منظور خاص, مستنداً على العرف المنهجي, وسعة الاطلاع على علم اللسانيات, ومخرجات السيميوطيقا, وتاريخ فن الكتابة(٣١).

ثانياً: العتبات الخارجية في رواية بلاد صاد

١- صورة الغلاف والوانها

صورة الغلاف يحتاجها المتلقي بنفس درجة احتياج الناشر والكاتب إليها، فالتفكير في مكوناتها ومحاولة تفسيرها يجعل القارئ مشاركاً فعالاً في كتابة النص الذي يأبى - الآن أن يأتي كاملاً من مؤلفه، ويصر على أن يكون نبتة لا تنمو إلا بقراءة متلق قادر على تخيل ما لم يخض فيه الكاتب، الذي تكمن حرفيته في مدى استغلاله لطاقات المتلقي الذهنية والتذوقية. ولأهمية الصورة عدها البعض وسيطاً توصيلياً بين المبدع والجمهور(٣٢) ((تتجلى فيها أثار الروح ذاتاً مستقلة بجوهرها))(٣٣)، لذا اهتم الناشرون والكتاب المعاصرون بتصميم أغلفتهم، ليس فقط لتكون فعالة . وقادرة على جذب الانتباه، بل لتساعد على فك شفرات النص، واكتشاف علاقات النص بغيره من النصوص.



لو نظرنا إلى الألوان المستخدمة في الرواية متأرجحة ما بين الأحمر القريب الى الجوزي متجانس مع البيج الفاتح والأسود لكن الغلاف بشكل عام بألوانه كان زاهياً كأنه يعبر على الحياة وليس قاني يميل إلى العتمة اذن الالوان تفتح للقارئ النفس للغوص في ثنايا الكتاب وهذا ما لاحظته على رواية بلاد صاد هذا الخط العريض في اعلى الرواية باللون الأحمر المائل الى الجوزي مكتوب في عبارة رواية التمييز بين نوع النص الدال هنا على أنها رواية.

نهاية الغلاف مستطيل مزغرف بطرقة جميلة يحمل عبارة من القران الكريم وهي (كهيع) واكمالها في عبارة عنوان الكتاب وهي حرف الصاد فيصبح ((كهيعص)) وهي أول ايه من سورة مريم مندمجة معها بشكل مصغر ((ألم)) وهي الآية الأولى من سورة البقرة ، مستخدماً اللون الاسود كي يبرزها فكان للون تأثير على عين القارئ كي يثير التساؤل لديه.

اما الغلاف الآخر في نهاية الرواية فهو ملخص للرواية لكن موضوع تحت تسمية المكتبة الطابعة للكتاب للدلالة على أن هذا الكلم هو تلخيص من احد الطباعين في المكتبة لا المؤلف للرواية.

٢- العنوان

من أهم العناصر وأكثرها أهمية حيث يتصدر الكتب ويسبق المتون, ليكشف عن المجال المعرفي والفكري, ويقدم رسالة التشفير الأولى, التي يطرحها على القارئ ليبدأ بفك رموز تلك العلامات التي تشير إلى خفايا النصوص, ومضامين رسالاتها(٣٤). ((ويشير العنوان في الأدب العربي القديم إلى دلالتين رئيسيتين: دلالة قصدية تحدد مضمون الكتاب وتلخص فكرته العامة؛ ودلالة إرسالية تسمى المرسل والمرسل إليه))(٣٥).

أما في السرديات الحديثة فقد رأت الدراسات الخاصة بهذه السرديات أن عنوان النص علامة تميزه وتمهد السبيل لقراءته من حيث كونه ((يوجه قراءة الرواية، ويغتني بدوره بمعان جديدة، بمقدار ما تتوضح دلالات الرواية. فهو المفتاح الذي به نحل الغاز الأحداث، وبه يستساغ إيقاع نسقها الدرامي وتواترها السردي، علاوة على مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص، وتحديد ثيمات الخطاب القصصي، وإضاءة النصوص بها))(٣٦). فهو بذلك ((مؤشر تعريفي وتحديدي, ينقذ النص من الغفلة؛ لكونه — أي العنوان — الحد الفاصل بين العدم والوجود, الفناء والامتلاء, فأن يمتلك النص اسماً (عنواناً), هو أن يحوز كينونة, والاسم (العنوان), في هذه الحال, هو علامة هذه الكينونة))(٣٧). هذه الأهمية جعلت العنوان يفرض بصفته نصاً له تضاريسه الوعرة التي تمنع من مقاربته بالسهولة التي يمكن تصورها. ((غير أن تجذر العنونة في الخطاب السردي يجعل من تحليله رهين سبر عتباته ومنها العنونة التي تقودنا إلى أسرار الخطاب السردي، وذلك يرجع إلى أن العنوان ليس مكوناً طارئاً على السرد بقدر ما كان لافتة مميزة لكينونته))(٣٨).

تكاد الدراسات الحديثة معظمها تؤكد على القيمة الدلالية، الفنية والجمالية للعنوان بصفته من أهم عتبات النص، لما له من أهمية في فتح المجال أمام القاري للولوج في عوالمه واستكناه دلالاته، وهو ما دفع بعضهم إلى القول إن العنوان مفتاح ضروري لسبر أغوار النص، والتعمق في شعابه الثانية والأداة التي بها يتحقق انساق النص وانسجامه وتتكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة(٣٩) وانطلاقاً من العنوان تبدأ رحلة القراءة مستهدية بما أوحى إليه وتضمنه من دلالات، بل إن طبيعة التركيب اللغوي للعنوان (بلاد صاد هذه الرواية الرائعة لعبد الاله عرفة تكاد تختزل كل اللغات وكأن العنوان يختزل فيه المؤلف كل اللغات بلاد صاد قبل أن نقرأ الرواية وعلى ما يطلق المؤلف هذه العبارة يكون للقارئ تصور هل يعني بها البلاد العربية بشكل كامل بل انه عنى بها بلاد معينة من بلدان العرب ام انه على ببلاد صاد البلاد التي نزل بها القرآن اذن عتبة العنوان تثير للقارئ عدة تساؤلات يحاول ان يناقشها بين ذاته وقراءته كي يرى الاجابة.

من هذا المنطلق ذهب بعضهم إلى أن العنوان ((أخطر البؤر النصية التي تحيط بالنص، إذ يتمثل في الحقيقة – العتبة التي تشهد عادة مفاوضات القبول والرفض بين القارئ والنص فإما عشق ينبجس وتقع لذة القراءة وإما نكوص، ليتسيد الجفاء مشهدية العلاقة، فالعنوان هو الذي يتيح (أولاً) الولوج إلى عالم النص والتموقع في ردهاته ودهاليزه، لاستكناه أسراره العملية الإبداعية وألغازها هكذا يُعرف العنوان النص، بتسميته وتحديد تخومه ومجاله، ثم يقتنص قارناً له، ليدق، من ثم، نواقيس القراءة، فتشرع عوالم النص بالتكشف والتقوض في فعل القراءة))(٤٠).

٣- اسم الكاتب

العتبة هنا في اعلى الكتاب كما ذكرت سابقاً باسم عبد الاله بن عرفة ولد بمدينة سلا عام ١٩٦٢ في المغرب العربي حائز على دكتوراه في اللسانيات من جامعة السوربون بباريس، هو خبير في منظمة الاسيسكو، وباحث في اللسانيات والتصوف والفكر الإسلامي . أسس عبد الإله بن عرفة لما سماه بالأدب الجديد وهو مشروعه السردي العرفاني ذي المرجعية القرآنية، والتي يرى فيها مفهوم مختلف للأدب حيث أن غاياته المعرفية تكمن في إنتاج أدب معرفي يحقق تحولاً في وجدان القارئ ومعرفته وسلوكه فازت روايته خناثة بجائزة القراء الشباب للكتاب المغربي

من الأنشطة المهنية التي قام بها:

مدير دولي في الثقافة

خبير دولي، مسؤول عن قسم التراث والسياسات الثقافية والتنوع الثقافي

أستاذ سابق في كلية الآداب بمكناس – المغرب

عضو في النادي الجراري الأدبي، الرباط

٤. عتبة الاهداء

من الملاحظ على الاهداء ان الراوي قد أهدى الى اثنين فقط الشاعر الفقيه وهو شخصية مغربية ووالدته التي يلاحظ من خلال الاهداء ان القاص يقدس هذه الانسانة كونها كانت السند والعون له المضحية كما يصفها.

٥-عتبة فصول الرواية

لم الحظ للرواية فصول مطلقاً بل ابتدأها بترقيم دون ذكر عناوين من (١) الى (٣٣)

سوى الرقم الأخير وضع تحته تسمية متوالية جل.

من الملاحظ ان للكاتب طريقة رائعة لشد انتباه القارئ يجعله يثير التساؤل بينه وبين نفسه من خلال العتبات قبل الغوص في الرواية ومعرفة عن ماذا تحكي.

لعله بات من الواضح أخيرا أن أي قارئ لا يمكن أن يتجاهل العتبات النصية للكتاب. فهي تلعب دورا مهما في العملية التواصلية إضافة إلى أنها تثير الانتباه وتجذب القارئ للكتاب، فهي تلعب دورا هاما في فهم محتوى المتن وما يحتويه من مضامين وإن كل ما سبق تناوله وكل المعطيات التي توفرت لنا وضعتنا أمام حقيقية أن أي عمل ابداعي ولاسيما فيما يخص العتبات النصية مصدره الراوي والمصمم معا.

النتائج

١- نجح الكاتب في تأسيس هذا النوع من أنواع السرد مصدرا كل رواياته بخطاطات عرفنية شحذت الخيال الذي نهض باللغة النورانية من ركام الذاكرة ليعيد بناء الذات مستلهما الوحي القرآني تارة, ومحاورة التراث المضيء والجريح في آن واحد تارة أخرى.

٢- لقد وظف الكاتب التراث الديني والتاريخي والأسطوري في عوالم روايته العرفانية, وتوضيح الرؤيا العرفانية والتخييل العرفاني من خلال تناصه مع آيات قرآنية مباركة, ومع الحديث الشريف, وأقوال الخلفاء والحكماء, والارتكاز على مفهوم العالم الآخر والتمحيص في ذلك العالم.

٣- تكمن الكاتب بحرفيته العالية في استغلال صورة الغلاف واستفزاز لطاقات المتلقي الذهنية والتذوقية. ولأهمية الصورة عدها البعض عدها وسيطاً توصيلياً بين المبدع والجمهور.

٤- أظهر الكاتب براعته في اختيار العتبات الاخرى من العنوان الذي شكل خطاطة اطارية كبيرة تناصت مع اسماء السور القرآنية بحروفها المقطعة التي تحيل الى مخزون معرفي متراكم في ذاكرة القارئ.

المصادر

١- انفتاح النص الروائي النص والسياق. يقطين سعيد. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب - بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠١.

٢-انوار الربيع في انواع البديع, تأليف: السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني, ١٠٥٢ – ١١٢٠ هـ, حققه وترجم لشعرائه: شاكر هادي شكر, مطبعة النعمان – النجف الأشرف, ط ١ , ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م

٣- التحولات السيميائية ، احمد يوسف، مجلة كتابات معاصرة، عدد (٣٢)، ١٩٩٨.

٤- الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة, نبيل منصر, دار توبقال للنشر, الدار البيضاء – المغرب, ط ١, ٢٠٠٧.

٥- السميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، جميل حمداوي، الكويت، المجلد ٢٥، العدد ٣ ، يناير/ مارس ١٩٩٧.

٦- عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) تقديم سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٨.

٧- عتبات الكتابة في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون ، اللاذقية، دار الحوار، ط١، ٢٠٠٩.

٨- عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر, يوسف الإدريسي, الدار العربية للعلوم ناشرون, ط ١, ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م.

٩- عتبات النص مقاربة نظرية, عبد المجيد علوي إسماعيلي, بحث منشور في موقع أخبار الجنوب يوم ١٩ / ٣ / ٢٠١٢, رابط البحث: https://www.maghress.com/sudinfos.

١٠- عتبات النص: البدنية والدلالة عبد الفتاح. الحجمري منشورات الرابطة. الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦.

١١- العتبات النصية في ((رواية الأجيال)) العربية, الدكتورة: سهام السامرائي, دار غيداء للنشر والتوزيع, عمان – الاردن, ط ١, ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م.

١٢- عتبات، جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٨.

١٣- في تسمية الرواية

١٤- في نظرية العنوان (مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية), د. خالد حسين حسين, دار التكوين, د. ط, د. ت.

١٥- كتاب الحيوان, تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, ط ٢, ١٩٦٥.

١٦-كتاب العين مرتباً على حروف المعجم, الخليل بن أحمد الفراهيدي, ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي, دار الكتب العلمية, بيروت - لبنان ط ١, ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٢ م.

١٧- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٨- مدخل إلى عتبات النص, عبد الرزاق بلال: دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، تقديم: ادريس نقوري, إفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠٠.

١٩- معالم السيميائيات العامة، اساسها ومفاهيمها، عبد القادر فهيم شيباني، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠.

٢٠- معجم السرديات, محمد القاضي وآخرون, دار محمد علي للنشر – تونس, ط ١, ٢٠١٠
٢١- مقاييس اللغة, ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دون طبعة، ١٩٧٩.
٢٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار, المعروف بالخطط المقريزية, تأليف: تقي الدين ابي العباس احمد بن علي المقريزي, المتوفى سنة ٨٤٥ هـ, دار صادر – بيروت, ط ٢, د, ت.

الهوامش

(١) كتاب العين مرتباً على حروف المعجم, الخليل بن أحمد الفراهيدي, ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي, دار الكتب العلمية, بيروت, ط ١, ١٤٢٤ هـ: ج ٣ / ٨٩.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دون طبعة، ١٩٧٩ ،ج٤، ٢٥٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤١٤ هـ، ج١: ٥٧٦.

(٤) مدخل إلى عتبات النص , عبد الرزاق بلال: دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ،إفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠٠٠: ٢٣.

(٥) مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم, عبد الرزاق بلال: ٣١.

(٦) كتاب الحيوان, تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ, تحقيق: عبد السلام محمد هارون, ط ٢, ١٩٦٥: ج ١ / ٩٨.

(٧) كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار, المعروف بالخطط المقريزية, تقي الدين ابي العباس احمد بن علي المقريزي: ١ / ٣.

(٨) انوار الربيع في انواع البديع, علي صدر الدين بن معصوم المدني, تحقيق: شاكر هادي شكر, ط ١ , ١٩٦٨ م: ج ١ / ٣٤.

(٩) مدخل إلى عتبات النص، عبد الرزاق بلال ، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، افريقيا الشرق ٢٠٠٠، الدار البيضاء، بيروت: ١٦.

(١٠) ينظر: معجم السرديات, محمد القاضي وآخرون, دار محمد علي للنشر – تونس, ط ١, ٢٠١٠: ٤٦٢.

(١١) معجم السرديات, محمد القاضي وآخرون: ٤٦٢.

(١٢) الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة, نبيل منصر, دار توبقال للنشر, الدار البيضاء – المغرب, ط ١, ٢٠٠٧ : ٢٥.

(١٣) عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص), عبد الحق بالعابد: ٢٩.

(١٤) م. ن: ٢٩.

(١٥) م . ن: ٢٩.

(١٦) عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص), عبد الحق بالعابد: ٢٩- ٣٠.

(١٧) عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص), عبد الحق بالعابد: ٣٠.

(١٨) ينظر: انفتاح النص الروائي, النص والسياق, سعيد يقطين, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء – المغرب, ط ٢, ٢٠٠١ : ٩٩.

(١٩) نفسه: الصفحة نفسها.

(٢٠) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر, يوسف الإدريسي, الدار العربية للعلوم ناشرون, ط ١ , ٢٠١٥: ٢١.

(٢١) عتبات النص مقاربة نظرية, عبد المجيد علوي إسماعيلي, بحث منشور في أخبار الجنوب يوم ١٩ / ٣ / ٢٠١٢, رابط البحث: https://www.maghress.com/sudinfos

(٢٢) عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص) تقديم سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١ ،٢٠٠٨: ٤٩.

(٢٣) انفتاح النص الروائي النص والسياق. يقطين سعيد. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب - بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠١ :٢٢.

(٢٤) عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر: ٥٦.

(٢٥) السميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، جميل حمداوي، الكويت، المجلد ٢٥، العدد ٣ ، يناير/ مارس ١٩٩٧، ص١٠٢.

(٢٦) عتبات النص: البدنية والدلالة عبد الفتاح. الحجمري منشورات الرابطة. الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٦ :١٦.

(٢٧) سيميوطيقا العنوان جميل حمداوي ط١، ٢٠١٥ : ٥.

(٢٨) عتبات الكتابة في الرواية العربية، عبد المالك أشهبون ، اللاذقية، دار الحوار، ط١، ٢٠٠٩ : ٤٣-٤٤.

(٢٩) عتبات، جيرار جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٨، ٤٣.

(٣٠) ينظر: مدخل إلى عتبات النص, دراسة في مقدمات النقد العربي القديم: ٢٢.

(٣١) ينظر: العتبات النصية في ((رواية الأجيال)) العربية, الدكتورة: سهام السامرائي, ط١, ٢٠١٦: ٢٥.

(٣٢) معالم السيميائيات العامة، اساسها ومفاهيمها، عبد القادر فهيم شيباني، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠ :١٥١.

(٣٣) التحولات السيميائية ، احمد يوسف، مجلة كتابات معاصرة، عدد (٣٢)، ١٩٩٨، ١٦.

(٣٤) ينظر: عتبات النص في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر: ٤٣.

(٣٥) م. ن: ٤٣.

(٣٦) سيميوطيقا العنوان: ٣٢.

(٣٧) في نظرية العنوان (مغامرات تأويلية في شؤون العتبة النصية), د. خالد حسين حسين: ٥.

(٣٨) في نظرية العنوان خالد حسين حسين: ٣٠٤.

(٣٩) سيميوطيقا العنوان: ٧٩.

(٤٠) في نظرية العنوان، ٦.

دور القرآن الكريم في تحقيق الأمن اللغوي لمتعلم العربية

د. يحي صالح بن يحي و كلثوم قوماني،
مخبر التراث (الباحث الأول)، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة غرداية، الجزائر

الملخص

تطرح ورقتنا البحثية إشكالية لسانية اجتماعية وتعليمية تقوم على إمكانية الاستفادة من الصلة السرمدية والتوقيفية بين القرآن الكريم واللغة العربية، للعمل على ضمان حياة كريمة للغة العربية تكفل لها الاستقرار والبقاء، بما يحقّق الشعور بالأمن اللغوي للناطقين بها والذين يتعلّمونها باعتبارها لغة ثانية، لاسيما في المجتمعات التي تعاني من تعدد لساني أو ازدواجية. وذلك بناء على الفرضية القائلة إنّ القرآن الكريم المنزّل بلسان عربي مبين، من شأنه أن يدعم تعليم العربية وتعلّمها لاسيما عند مجاورتها للغات أخرى منافسة لها، بشرط أن يكون المتعلّم متمسّكا بالقرآن الكريم ومتعاهدا له بشكل مستدام. وعليه، فهذه الورقة محاولة لمعالجة الموضوع استنادا إلى مبادئ اللسانيات الاجتماعية وتعليمية اللغات، مع التركيز على نظريات تعلّم اللغات، لاسيما النظرية السلوكية لملاءمتها لحيثيات الموضوع. مع عرض موجز لبعض التجارب التي كانت ولا تزال محل بحث في إطار مشروعنا البحثي الجاري العمل فيه، ضمن مخبر البحث الذي ننتمي إليه.

الكلمات المفتاحية: تعليم القرآن، تعدد اللغات، الأمن واللا أمن اللغويين، ملكة العربية، لغة ومجتمع.

مقدّمة

منطلق هذا الموضوع ملاحظة هامة مؤسّسة على مبادئ اللسانيات الاجتماعية وتحديدا في حقل تعدّد اللغات وتعايشها وتصارعها وتأثير بعضها في بعض، مفادها أنّ البيئات التي تتوفر فيها أكثر من لغة، وهو ما يطلق عليه وضعية التعدد الألسني، من شأنها أن تكون متوتّرة لغويا، ويشعر بعض مستعملي تلكم اللغات بفقدان الأمن الألسني أو انعدامه (Linguistic insecuruty)(١) كنوع من الانهزام النفسي والانحباس اللساني، لاسيما إذا لم تجد لغة هؤلاء الدعم والعناية من المجتمع سياسة وتخطيطا بغرض تطويرها وتنميتها، مما يترك المجال للغات الغالبة كي تسود وتسيطر، ويؤدّي هذا الوضع بطبيعة الحال إلى ظهور مثل تلكم الحالات من الاكتئاب والانهزام في داخل المتكلمين، وهو ما يصطلح عليه بحالة الانفصام و/أو اللاأمن اللساني.

يحدث هذا الانفصام لدى الأفراد الذين يكونون غير قادرين على استعمال لغتهم بحرية، أو يجدون أنفسهم ملزمين بكتمها وإخفائها ظنا منهم بأنّها دون غيرها من اللغات مكانة واعتبارا، فيصبحون وكأنّهم يعيشون في حصار نفسي. ويحصل هذا الشعور من جراء التصادم أو التصارع بين اللغات (الأسن)، وغلبة بعض اللغات وسيطرتها في واقع الاستعمال، لاسيما إذا كانت اللغات الغالبة ذات حضور قوي في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، مما يقلّل من شأن ومكانة اللغة المغلوبة، ويؤدي إلى حالة الضيق النفسي والقهر الاجتماعي المذكور.

وبناء على ما سبق، فإنّ ورقتنا البحثية هذه تحاول عرض تجربة فرقتنا البحثية في الموضوع(٢)، ووجهة نظرها حول هذه الإشكالية/ من خلال خلاصة ما انتهت إليه من استنتاجات ذات دلالة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- إنّ البيئات ذات التعدد اللغوي عموما، ومثالها الجزائر، حيث تتواجد اللغتان العربية والفرنسية في صراع مستمر كواقع تاريخي ناتج عن تعرّض الجزائر للاستعمار الفرنسي لأكثر من قرن، مما يؤدّي حتما إلى شعور غالبية أفراد المجتمع بحالة من القهر اللغوي، أو انعدام الأمن.

- ❖ إنّ تعاهد أبناء الجزائر عموما للقرآن الكريم واحتفائهم به تلاوة وحفظا، سواء في العهد الاستعماري أم بعد الاستقلال، أدّى إلى تخفيف حدّة الشعور باللاأمن اللغوي تجاه اللغة الفرنسية بخاصة، وذلك بفضل رسوخ ملكة الفصحى لديهم، على الرغم من كون العربية لغة ثانية بالنسبة لشريحة هامة من المجتمع (الأمازيغ).
- ❖ إنّ غزارة الإنتاج الأدبي الناطق و/أو المنشور بالعربية، في جزائر الاستقلال عموما، وبخاصة في البيئات غير الناطقة بالعربية، مثل بيئة وادي مزاب على سبيل المثال لا الحصر، لاسيما وأنّها تمثل مجتمع الدراسة، يعدّ خير دليل على تأثير القرآن الكريم في تصحيح الوضع وتحقيق فرضية الدراسة.

ومما تستند إليه ورقتنا هذه أنّ بقاء العربية قوية طيلة القرون الخمسة عشر لهجرة الرسول(صلى الله عليه وسلم)، إنّما يعود إلى الصلة القوية بين العربية والقرآن الكريم عموما، وهو ما يؤكّد عليه ابن خلدون بخاصة(٣)، وتؤكّد عليه هذه الورقة، من خلال دراسة تأثير تعاهد القرآن الكريم على رسوخ ملكة العربية لدى متعلميها وشعورهم بالأمن اللغوي. منوّهة بجهود مؤسسات تعليم القرآن الكريم عبر التاريخ على اختلاف أشكالها وأنظمتها (المحاضر والزوايا والمساجد والمدارس والمعاهد)، في حصول هذا التأثير وبقائه ما دامت للقرآن قائمة.

ولعلّ قول المولى سبحانه وتعالى: **(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)) (يوسف؛١-٢)**، يعدّ بمثابة تصريح واضح ومباشر من الذات العلية (سبحانه)، بوجود صلة قوية وعلاقة متميّزة؛ تاريخية ودينية بين القرآن الكريم واللسان العربي، مما عزّز من قيمته فيما بين الألسن، وأضفى عليه نوعا من القدسية والجلال ما لم يحظ به لسان آخر قبله ولا بعده.

إضافة إلى ما سبق، فإنّ هذه الدراسة لا تنطلق من فراغ، بل تقيم طروحاتها على أصول الدرس اللساني؛ النظري والتطبيقي ومرجعياتهما المعرفية المختلفة، وكذا الأسس المنهجية لعلم تعليم اللغات (Didactics)، ونظريات الاكتساب اللغوي (Language Acquisition)، والتي نجد العديد من الدارسين يتحدثون(٤) عنها باعتبار ما لها من علاقة ودور في معالجة مشكلات تعلّم اللغات وتحسين التحصيل، سواء في إطار اللسانيات أم في إطار علم النفس وعلوم التربية.

أهمية البحث

يكتسي هذا الموضوع أهمية خاصة، من حيث كونه محاولة للإسهام في حل مشكلة ضعف مستوى تعليم العربية وتعلّمها عموما، ولاسيما في البيئات ذات التعدد اللساني، والتي عادة ما يكون المتعلمون فيها حاملين لأكثر من لغة إذ تعدّ العربية بالنسبة لهم لغة ثانية أو لغة علم وثقافة، وهذا الضعف يرجع فيما نحسب إلى عدم الأخذ بأسباب المنهج العلمي في تعليم العربية بصفة عامة، وهو ما يذهب إليه **عبده الراجحي** في كتابه علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية(٥)، وتؤكّد عليه هذه الورقة بالملاحظة أيضا، مما يجعلنا نفترض إمكانية معالجة المشكل، من خلال توظيف هذه الخصوصية المتمثّلة في الصلة الحميمية بين العربية والقرآن الكريم، لتحقيق الجودة في منهجية تعليم العربية وتعلّمها، بما يفيد في رفع مستوى التحصيل والاكتساب وترسيخ ملكة الفصحى لدى المتعلّمين.

ودون التنكر لكونها لغة بشرية من جهة، ومرتبطة بالقرآن الكريم من جهة أخرى، يمكن القول إنّ بإمكاننا استثمار هذه الخاصية للغة العربية، والتي تجعل المسلمين بخاصة يعيشون مع العربية باستمرار، من خلال تعاهدهم للقرآن الكريم سماعا وتلاوة وحفظا وتجويدا وتدبّرا ...إلخ، إذ أنّ هذا الوضع يضمن نوعا من الانغماس المطوّل في هذه اللغة ولو بصفة غير مقصودة، لتعزيز اكتسابها وترسيخ ملكتها، وتحقيق الفصاحة المنشودة للمتعلمين، وبالتالي شعورهم بالأمن اللغوي المأمول.

وإذا أخذنا بالتوجيه القرآني الحنيف الذي يأمر بالسماع للقرآن والاستماع له والإنصات، في قوله تعالى:(**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)** (**الأعراف؛ ٢٠٤**)، ولاسيما إذا كانت التلاوة مجوّدة وبأحكامها المعروفة، فإنّنا نلاحظ أنّ المستمع سوف يزداد تعلّقا بالعربية، كما يزداد تحفيزا على حسن استقبالها واستيعابها، وبالتالي يسهل عليه تعلّمها وامتلاك ناصيتها. وهو ما يصطلح عليه التعليميون **بالقابلية للتعلّم**.

وكذلك الأمر بالنسبة **لتلاوة** القرآن الكريم وتكراره وهو ما نجد الإشارة إليه في مواضع عدّة من القرآن الكريم، تأكيدا على ارتباط فعل التلاوة بالإيمان بنزول القرآن وحقيقته، ومن مثل ذلك، قوله تعالى: (**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)(**البقرة؛ ١٢١**). إذ تعدّ التلاوة أداء لغويا هي الأخرى، يتعلّق بالأداء الاستقبالي، كما يساعد على ترسيخ السماع وتحفيز ملكة المتعلّم وتمكينه من القدرة على **الإنتاج اللغوي**، أي صناعة الكلام.

ومن خلال تتبع سائر الأفعال اللغوية المختلفة، والمرتبطة بتعهّد المسلمين للقرآن الكريم، من مثل **تكرار التلاوة** باعتبارها فعلا تعبّديا، ووردا يتلزم المسلم به في أوقات مختلفة، فضلا عما يكون له منها في الصلوات المفروضة والنافلة، وكذا **الحفظ والاستظهار** باعتبارهما من الطاعات المندوبة والتي يتنافس عليها المسلمون، مما يعزّز ويقوّي ما ذهبنا إليه من إمكانية استثمار تلكم الصلة بين العربية والقرآن، في تحقيق الهدف المنشود، ألا وهو معالجة الضعف في المهارات الأساسية لمتعلّمي العربية، وترسيخ ملكتها لديهم وانطلاقهم . وبالتالي شعورهم بالأمن اللغوي.

- **أسئلة البحث**

بناء على أنّ هدفنا من هذا الموضوع هو عرض تصور فرقتنا البحثية لمعالجة الموضوع بمنهجية أصيلة ذات مرجعية تاريخية ودينية، مفادها أنّ تعاهد القرآن الكريم بالتلاوة والحفظ، يجعل صاحبه أكثر حظا من غيره في تحصيل ملكة العربية واكتساب الفصاحة واللّسانة وبالتالي لا يشعر بانعدام الأمن في استعماله للعربية، لأنّه يكون ماهرا بها مشافهة وكتابة وبالتالي لن يشعر بالانهزام أما الآخرين ممن يلجه باللغات الأجنبية أو يتفوق فيها. وهو ما تؤكده نتائج البحوث والتجارب المتصلة بتعليم العربية المستند إلى القرآن الكريم عموما. وعليه، فإنّ من أهمّ التساؤلات التي تطرحها هذه الورقة، ما يلي:

- ❖ كيف يؤثّر تعاهد القرآن الكريم في نشر وتقوية العربية في البيئات ذات التعدد اللساني؟
- ❖ كيف يمكن تفسير العلاقة بين تعاهّد القرآن الكريم وترسيخ ملكة العربية لدى المتعلّم في ضوء نظريات الاكتساب اللغوي؟
- ❖ كيف السبيل إلى توظيف الصلة بين القرآن والعربية من أجل ضمان الأمن للغة العربية.

وللإجابة عن تلكم الأسئلة، استندنا إلى مبادئ اللسانيات الاجتماعية وتعليمية اللغات، مع التركيز على نظريات تعلّم اللغات لاسيما النظري السلوكية لـ: سكينر (Skinner) والعقلية لتشومسكي (Noam Shomsky).

- **الإطار النظري**

تنتمي هذه الدراسة إلى زمرة البحوث اللسانية التطبيقية، أي تلكم التي تعنى بحل المشكلات الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، فهي تخص تحديدا مشكلة الضعف الذي يعاني منه متعلمو العربية بصفة خاصة، ويشعرهم بالقهر اللغوي المصطلح عليه بحالة انعدام الأمن في خطابهم بلغتهم أو الانفصام اللغوي، مما يقتضي أن تكون مقاربة الموضوع لسانية تطبيقية

اجتماعية، بما يستلزمه معالجة الموضوع من **مرجعيات أساسية داعمة، ولاسيما المرجعية إلى علوم الدين وعلم الاجتماع، والمرجعية إلى علم النفس وعلوم التربية**.

فأمّا من حيث تأسيس الدراسة نظريا، فإنّها تقوم بداية على مبادئ **اللسانيات واللسانيات التطبيقية**، وذلك، من حيث كون الموضوع محل الدراسة موضوعا لغويا طبيعيا، إذ اللغة العربية تعدّ لغة بشرية طبيعية لها من الخصائص ما لأية لغة أخرى، وتخضع في تحليلها أو تدريسها إلى عين ما تخضع له سائر الألسنة البشرية الأخرى، مما يتّصل باختصاص اللسانيات العامة (النظرية)، ومن حيث كون الموضوع متعلّقا بمشكلة ذات صلة باللغة، يحاول البحث إيجاد حل لها، ونعني بذلك مشكلة ضعف التحصيل في تعلّم العربية والشعور بالانفصام أو القهر اللغوي، بحيث تستهدف الورقة بحث المشكلة واقتراح حل لها، وهو ما يدخل ضمن اختصاص **اللسانيات التطبيقية اللسانيات الاجتماعية**.

كما يدخل ضمن التأسيس النظري للدراسة، كون هذه الورقة تستند في تحليلها للموضوع وما تقترحه من حل للمشكلة إلى **نظريات تعلّم اللغات وتعليمها**، بغرض تحسين منهجيات تعليم اللغات سواء للناطقين بها أم لغير الناطقين. وفي هذه الورقة، نحاول الاستدلال على مدى إمكانية الإفادة من مبادئ هذه النظريات ولاسيما **النظرية السلوكية** منها من أجل الاستثمار إيجابيا في طبيعة العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية من الناحية العلمية والعملية، من أجل ضمان نتائج أحسن في تحصيل ملكة الفصاحة لدى متعلّم العربية المسلم خاصة، وهو ما تقرّره الوقائع في الميدان، من خلال النتائج المبهرة الملاحظة عموما في مستويات الفصاحة ورسوخ ملكة الفصحى لدى خريجي المدارس القرآنية وحفظة القرآن الكريم، بما يؤكّد على حصول التأثير بين تعهدهم للقرآن الكريم وحصولهم على الجودة والإتقان.

١. ومن ضمن ما ينبغي الإشارة إليه ضمن التأسيس النظري للموضوع كذلك، كون الدراسة تقوم على مبدأ أصيل تعتمده أصول التربية والتعليم قديما وحديثا، ألا وهو **مبدأ الانغماس اللغوي**(٦) أو الغمر اللغوي (Immersions linguistique /Bain linguistique) باعتباره الإطار الحيوي الذي يتم خلاله اختبار مبادئ نظريات تعلّم اللغات، وهو ما يقصده عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: « **فمن** أراد أن يتعلّم لغة من اللغات، لابد أن يعيشها وأن يعيشها هي وحدها لمدة معينة، فلا يسمع غير**ها** ولا ينطق بغير**ها** وأن ينغمس في بحر أصواتها -كما يقولون- لمدة كافية لتظهر فيه هذه الملكة»(٧). كما أنّ مبدأ الانغماس اللغوي مما تلجأ إليه مناهج تعليم اللغات الأجنبية عموما، حيث تهيؤ الظروف للمتعلّم من خلال برامج دقيقة ومدروسة تسمح له بالإقامة (Séjour) الفعلية ولمدة زمنية طويلة نسبيا في الوسط الطبيعي للغة المراد تعلّمها، ومع الناطقين بها أصالة(٨)، كي يكون له حظ من الانغماس فيها أو كما عبّر به عنها ياسبيرسن: (الحياة داخل اللغة) « Lives in language »(٩)، فيسمعها من أفواههم فصيحة نقية، ويكون ملزما بالاجتهاد والمحاولة من أجل التحدّث بها معهم، وتقليدهم في محاوراتهم، وبالتالي يكون أخذه للغة بصفة مباشرة وتلقائية، بعيدا عن تعقيدات الدروس النظرية التي تتم داخل الفصل الدراسي. وهو ما كان العرب قديما يطبقون لتأديب فلذات أكبادهم وتفصيح ألسنتهم منذ نعومة أظافرهم، إذ كانوا يعهدون بهم إلى البادية، حيث البدو الخلص، وحيث نقاوة اللغة وفصاحة اللسان، فينغمس هؤلاء الأطفال في تلكم البيئة الفصيحة ويمكثون فيها مدّة من الزمن، حتى تصقل ألسنتهم بفضل سماعهم للأشعار البليغة والفصيحة وحفظها، فينشؤون على سليقة أصحابها.

انطلاقا من هذه الحقائق المثبتة تاريخيا وتجربة، فإنّ متعلّم العربية الذي يتعهّد القرآن الكريم سماعا وتلاوة وحفظا، ويمكث معه لمدّة قد تطول أو تقصر، يكون -ولو بشكل غير مقصود- في **حالة انغماس لغوي (شبه طبيعي)** لكونه يعيش

لمدة طويلة مع أعظم نص (خطاب) عرفته العربية قداسة ومكانة، وأنقاها فصاحة وأبلغها أسلوبا، وأعجزها نظما، فهو الذي عجز فحول شعراء العرب عن أن يأتوا بمثله.

على أنّ هذه الصورة من **الانغماس اللغوي القرآني** من حيث الاصطلاح تعتبر **انغماسا اصطناعيا شبه طبيعي،** ذلك لأنّها عبارة عن بيئة لغوية افتراضية واستثنائية، يكون **الحوار فيها مع النص لا مع الإنسان،** ومع ذلك، فإن بإمكانها أن توفّر للمتعلّم كل الظروف اللازمة لحصول التفاعل المنشود مع اللغة موضوع التعلّم، وحصول الاكتساب الجيد لمهارات الاتصال الأساسية وترسيخ ملكة الفصحى لديه.

- **الدراسات السابقة وجدة الموضوع**

تعدّ فكرة هذه الورقة جديدة وجريئة - فيما نحسب - من حيث زاوية النظر ومنهجية الطرح، ولكنّا مع ذلك لا ندّعي السبق إلى تناول إشكالية **أمن اللغة العربية**(١٠) **وصلة هذا الأمن بالقرآن الكريم** وكذا **ضعف المنهجية العلمية في تعليم العربية** بالمقابل إلى ما تتمتّع به تعليميات اللغات الأجنبية عموما. مما يجعلنا نشير ههنا إلى وجود دراسات مشابهة وقريبة من الموضوع، بل وخادمة له، لا نرى موجبا لاستعراضها، لاسيما وأنّها تفضي في جلها إلى غاية واحدة ألا وهي العمل على رفع مستوى التحصيل في العربية عموما وترسيخ ملكتها لدى المتعلّمين.

أمّا الجديد الذي تتناوله الورقة، ونعني به الدعوة إلى توظيف العلاقة التاريخية والدينية بين القرآن الكريم واللغة العربية لتحسين تعليم العربية، من خلال ما اصطلحنا عليه بـ: **الانغماس اللغوي القرآني (شبه الطبيعي)،** فهي من اجتهاد الباحث سواء من حيث وضع المصطلح أو شرح مفهومه، وتحديد شروطه وآلياته، ذلك لأنّنا لم نعثر -فيما اطلعنا عليه من بحوث ومصادر معلومات- على دراسة سابقة تحمل الإشكالية ذاتها أو هذا الاصطلاح نفسه.

- **منهجية البحث**

الدراسة عبارة عن مقاربة نظرية، لمشكلة واقعية تتعلّق بضعف مستوى تعلّم العربية، والتي تعدّ من التحديات الكبرى التي تواجهها العربية في العصر الحاضر، في ظل العولمة وصراع اللغات وتطوّر مناهج وتكنولوجيا تعليم اللغات عالميا. في محاولة للإسهام في حلها، من خلال اقتراح منهجية أصيلة تقوم على أسس ومبادئ اللسانيات التطبيقية. وعليه، فإنّ أهم الإجراءات البحثية المعتمدة في دراساتنا تتلخّص فيما يلي:

١- **توصيف المشكلة وتشخيص الواقع،** من خلال الوقوف على حالة الضعف المنتشر في مستوى فصاحة العربية لدى الناطقين بها فضلا عن غيرهم، وذلك رغم الجهود العديدة المبذولة من قبل مختلف المؤسسات البحثية المتخصصة، والجهات المسؤولة، في سبيل الرقي بمناهج تعليمها، على اختلاف مصادرها ومستوياتها؛ حكومية كانت أم خاصة، مما استدعى منا بناء **إشكالية** للموضوع تقوم على أساس السؤال عمّا إذا كان بالإمكان إيجاد وسيلة ناجعة وقوية لحل المشكلة، وهو ما **افترضته** ورقتنا باقتراحنا استثمار العلاقة بين تعهد القرآن الكريم واللغة العربية.

٢- **تحليل العلاقة بين تعهد القرآن الكريم وترسيخ ملكة العربية وبالتالي تحقيق الشعور بالأمن اللغوي** لدى متعلّم العربية المسلم خاصة، من خلال شرح ما يمكن أن يحدثه ذلكم **التعهّد** (الملازمة المستمرة) للقرآن الكريم، من نشاط **لغوي** حقيقي من شأنه أن يحفّز على الاكتساب ويؤكّده، مثل: **السماع** (الاستماع للقرآن والإنصات له)، **والقراءة** (التلاوة التجويد والتدبّر)، **والحفظ** (التكرار والاستظهار). إذ بمجرّد أن يلتزم المتعلّم بذلك، يصبح وكأنّه يعيش مع العربية في **انغماس لغوي** حقيقي، ولو كان مصطنعا أو شبه طبيعي.

٣- **تحليل عملية الاكتساب وفق مبادئ وأسس نظريات تعلّم اللغات،** ولاسيما **النظرية البنائية (السلوكية)** لـ: سكينر (Skinner) التي تتلاءم وطبيعة الموضوع، من حيث كون هذه النظرية تعتمد على أساس تعريف اللسانيات البنوية للغة بأنّها عبارة عن مجموعة من الألفاظ والتراكيب التي تنتظم وفق نظم وقواعد معيّنة، بحيث يتعرّض لها المتعلّم عن طريق **آليات الاستقبال** من **سماع وقراءة وحفظ** فيخزنها في ذهنه، وبفضل تكرار هذه العملية يحصل لديه تعزيز لمكتسباته وترسيخ لها فتحصل لديه ملكة تلكم اللغة. وهو عينه ما يحدث لمتعهد القرآن، إذ بفضل سماعه وإنصاته المتكرر للقرآن الكريم، وكذا اجتهاده في تلاوته وتدبّره وتجويده باستمرار، أو اجتهاده كذلك في حفظه، وهو أمر يتمّ كلّه باللغة العربية وفي سياق لغوي عربي قرآني فصيح، أو بالاصطلاح التعليمي: في **انغماس لغوي قرآني** فصيح، فإنّه سوف تترسّخ لديه ملكة الفصحى لا محالة، بكل ما تعنيه العبارة من معنى، سواء من حيث الثروة اللفظية، أم من حيث الأسلوب، ويقل لحنه، وذلك، دون الحاجة إلى معرفة قواعد النحو والإعراب.

على أنّ الورقة لا تستثني من المسألة **النظرية العقلية (التوليدية التحويلية)** لنعوم تشومسكي (Noam Chomsky)، وكذا **النظرية المعرفية** لبياجيه (Piaget)، وإن كانت لا تركّز عليهما، باعتبار طبيعة الموضوع، بل وتعتبرها سندا قويا يعزّز ويؤكد صحة الفرضية، من حيث كونها تستند إلى التعريف الذي يقول إنّ اللغة عبارة عن **فطرة وقدرة** أو إدراك داخلي للإنسان، وبمجرّد أن يتعرّض لنموذج من اللغة، يكون قادرا على تقليده والإتيان بمثله، من خلال النسج على المنوال.

- **استنتاجات البحث**

وبفضل منهجية البحث سالفة الذكر، فإنّنا نسجّل مجموعة من **الاستنتاجات،** نحسبها قابلة للتطبيق الميداني، لا سيما وأنّها استنتاجات تعزّزها التجارب التاريخية والممارسات العملية المختلفة، منها:

➢ **استنتاج منطقي وتجريبي** يتعلّق بنجاعة تطبيق مبدأ الانغماس اللغوي لتحسين تعليم اللغات وتعلّمها وتقويتها، وبالتالي تحقيق الأمن اللغوي للمتعلّم، وهو ما يؤكّد عليه جل المهتمين بهذا الشأن من معلّمين وباحثين في حقل تعليمية اللغة العربية خاصة، حيث يقرّرون أنّ الناجحين في تعلّم اللغات عموما سواء أكانت لغة أولى أم ثانية أم لغات أجنبية، هم أولئك الذين ينالون حظا من الانغماس في محيط اللغة موضوع التعلّم، وبيئتها الحيوية، ليأخذوها مباشرة من ألسنة فصحائها ونصوصها الأصيلة.

وهو الاستنتاج عينه الذي توصّلنا إليه بالنسبة لمتعلّم العربية المتعاهّد للقرآن الكريم خصوصا في بحوث سابقة(١١) من بينها ورقة بعنوان: **أثر حفظ القرآن على التفوق في مادة اللغة العربية**(١٢)، قدّمت في المؤتمر الدولي الخامس للدراسات العربية والإسلامية الحضارية بماليزيا. إذ لاحظنا فيها أنّ المتفوّقين في العربية من طلبة المدارس والجامعات على سبيل المثال، هم في الغالب من متعهّدي القرآن الكريم بالتلاوة والحفظ- على اعتبار تعهّد القرآن الكريم -بالشكل الذي شرحناه- نوعا من الانغماس اللغوي (الاصطناعي)، ومن خلال فحص علامات مادة اللغة العربية في امتحان شهادة الباكالوريا لعينة من الطلبة المتعهدين للقرآن الكريم وغير المتعهدين له، انتهينا إلى تأكيد هذه الفرضية بشكل واضح لا يترك مجالا للتأويل أو الشك.

➢ **استنتاج نظري ومعرفي،** يتعلّق بنجاعة **الاعتماد على النظرية البنائية السلوكية في تعليم اللغات وتعلّمها،** بحكم نجاح التجربة واقعيا بتطبيق مبدأ الانغماس اللغوي، وتأكيد التجارب الواقعية الملموسة، وغير المقصودة أحيانا، والتي تؤكد على إسهام تعليم القرآن الكريم بصفة عامة في رفع مستوى تعليم العربية ونشرها، وهو ما أشرنا إليه أيضا في أوراق بحثية، كما أسلفنا.

- **استنتاج علمي نظري وعملي**، يتعلّق باقتراح بناء برامج ومقررات تعليمية للعربية على أساس تطبيق مبدأ **الانغماس القرآني** ولو بشكل اصطناعي أو شبه طبيعي، على اعتبار خصوصية العربية، من حيث ارتباطها بالقرآن الكريم، الذي يظل النص الوحيد المحتفظ على فصاحة العربية ونقائها، مما يستلزم استثماره بعلمية ومنهج في تعليمها.
- **استنتاج علمي نظري وعملي**، يتعلّق بصحة الفرضية التي بنينا عليها البحث، والتي مفادها أنّ استثمار العلاقة بين القرآن والعربية، من شأنه ضمان جودة تعليم العربية من جهة، وتحقيق الأمن للعربية، لاسيما في الأوساط والبيئات ذات التعدّد اللغوي. وقد اعتمدنا بيئة الجزائر عينة لمجتمع الدراسة.

- **التوصيات**

وبناء على ما سبق، تأسيسا وتأصيلا واستنتاجا، يمكن لنا أن ننهي ورقتنا بعدد من التوصيات التي نرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار من قبل جهات القرار والتنفيذ، نوجزها فيما يلي:

١. تشجيع الجهود البحثية والعملية المبذولة في الموضوع لاستثمار صلة العربية بالقرآن الكريم، لتصحيح العديد من الاختلالات في منظومتنا التربوية ومنهجيات تعليم العربية بخاصة.
٢. تصحيح النظر إلى العلاقة بين تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم، من خلال رفع مستوى حضور النص القرآني في مقررات التعليم العام، مع حسن استثمار هذه العلاقة في تعليم العربية خاصة.
٣. ضرورة التفكير في برامج تعليمية للعربية مبنية على أساس نظريتنا الداعية إلى ضرورة تفعيل الانغماس القرآني، واستثماره باعتباره واقعا معيشا من أجل ضمان الجودة في تعليم العربية ومعالجة مشكل الضعف الملاحظ في اكتسابها. وبالتالي تحقيق الأمن للعربية في ديارها وديار البيئات ذات التعدد اللساني بخاصة.

- **الخاتمة**

لقد انتهت ورقتنا (بحمد الله تعالى) على أنّ العربية في حاجة إلى مزيد من العناية والاهتمام تعليما وتعلّما وسياسة وتخطيطا، لاسيما من خلال حسن استثمار علاقتها بالقرآن الكريم لتجويد تعليمها وتقوية ناصيتها، وضمان الشعور بالأمن لمستعمليها، سواء أمام اللغات المتعايشة معها داخليا (لغات المسلمين غير العربية، أم اللغات المتصارعة معها عالميا (اللغات الأجنبية).

• المراجع

١. القرآن الكريم. (برواية ورش).

٢. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تح: عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣. ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، (د.ت).

٤. أنور الجندي، **المؤامرة على الفصحى لغة القرآن**، دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت)

٥. أنيس فريحة، **نظريات في اللغة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨١م.

٦. جون سوان وآخرون، معجم اللغوات الاجتماعية، ترجمة: فواز محمد وعبد الرحمن حسني، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، السعودية، ٢٠١٩م.

٧. دوجلاس براون، **أسس تعلّم اللغة وتعليمها**، تر: عبده الراجحي وعلي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

٨. زاهد زهير غازي، العربية والأمن اللغوي، مكتبة الوراق، عمان الأردن، ٢٠٠٠م.

٩. عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، موفم للنشر، الجزائر، (دط)، ٢٠٠٧م، مجلد٠١، ص ١٩٣.

١٠.عبده الراجحي، **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية**، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، (د.ط)،١٩٩٦م.

١١.مناع آمنة و بن يحي يحي، **الانغماس اللغوي وأثره في تعليمية اللغات، دراسة لسانية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ٢٠١٦، المجلد٩، العدد ٠١، ص: ١٠٥٠-١٠٥٥.

١٢.يحي بن يحي، **دور المدارس الحرة في دعم تعليم العربية ونشرها في الجزائر والعالم، معهد الحياة بالقرارة عينة**، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي، الإمارات العربية، ٢٠١٥.

١٣.يحي بن يحي، **أثر حفظ القرآن على التفوق في مادة اللغة العربية؛ دراسة لعلامات عينة من كشوف الباكالوريا لطلبة من جامعة غرداية بالجزائر**، ٥th International Conference on Arabic Studies & Islamic Civilization, Malysia, (ICASIC٢٠١٨)

١٤.يحي بوتردين، **تعليمية النص القرآني في إطار التكوين العالي المتخصص في اللغة العربية وآدابها**، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦.

١٥. Otto JESPERSEN , **Lives in language**, Babel The Language Magazine, February ٢٠١٦, pp ٢٩-٣١.

١٦. Roy LYSTER , **Grandes questions et options en pédagogie de l'immersion**, Journal de l'immersion, L'Association canadienne des professeurs d'immersion, Ottawa (Ontario) , vol :٣١, N :٣, ٢٠٠٩, p: ٨

الهوامش

(١) يعد ويليام لابوف ((William Labov لساني أمريكي (ولد ١٩٢٧)، من أوائل من وظّفوا مصطلح فقدان أو انعدام الأمن اللغوي في بحث نشره في ١٩٧٢. وهذا المصطلح يستعمل للدلالة على حالة نفسية تنتاب المتكلمين نتيجة لمواقفهم السلبية تجاه خطاباتهم في مقابل خطابات غيرهم، ينظر: جون سوان وآخرون (٢٠١٩)، معجم اللغوات الاجتماعية، ترجمة: فواز محمد وعبد الرحمن حسني، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، السعودية، ص٢٣٥.

(٢) فرقتنا البحثية، عنوانها: **اللغة والمجتمع**، تابعة لمختبر البحث في التراث الثقافي واللغوي والأبي بالجنوب الجزائري، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة غرداية (الجزائر).

(٣) ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن، (٢٠٠٤)، المقدمة، تح: عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ج٣، ص٨٣٠.

(٤) ينظر على سبيل المثال: دوجلاس براون، **أسس تعلّم اللغة وتعليمها**، تر: عبده الراجحي وعلي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

(٥) ينظر: عبده الراجحي، **علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية**، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، (د.ط)،١٩٩٦م، ص٨٩.

(٦) لقد تم لنا التطرق لهذا المفهوم وتخريجه لغة واصطلاحا في مقال مشترك، ينظر: مناع آمنة و بن يحي يحي، **الانغماس اللغوي وأثره في تعليمية اللغات**، دراسة لسانية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ٢٠١٦، المجلد٩، العدد ٠١، ص: ١٠٥٠-١٠٥٥. وينظر حول بيداغوجيا الانغماس:

-Roy LYSTER , **Grandes questions et options en pédagogie de l'immersion**, Journal de l'immersion, L'Association canadienne des professeurs d'immersion, Ottawa (Ontario), vol :٣١, N :٣, ٢٠٠٩, p: ٨.

(٧) عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في اللسانيات العربية**، موفم للنشر، الجزائر، (دط)، ٢٠٠٧م، مجلد٠١، ص ١٩٣.

(٨) هذا الاصطلاح من اقتراحنا، ولا نحسب أحدا من الباحثين طرحه من قبل، وهو: **الناطقين بالعربية أصالة**، ونعني به المتعلمين للعربية المولودين من أب وأم عربين، بالمقابل إلى **الناطقين بالعربية افتراضا** الذين هم المتعلمون للعربية من المسلمين غير العرب، ينظر أطروحتنا للدكتوراه، **تعليمية النص القرآني في إطار التكوين الجامعي المتخصص في اللغة العربية وآدابها**، جامعة الجزائر ،٢٠٠٦، ص ٢٦٧.

(٩) Otto JESPERSEN , **Lives in language**, Babel The Language Magazine, February ٢٠١٦, pp ٢٩-٣١.

(١٠) لقد عالج موضوع الأمن اللغوي غير واحد من الدراسين، منهم أنور الجندي في كتابه: **المؤامرة على الفصحى لغة القرآن**، زاهد زهير غازي في كتابه: العربية والأمن اللغوي، عبد السلام المسدي في كتابه: الهوية العربية والأمن اللغوي، وصالح بلعيد في كتابه: في الأمن اللغوي، وغيرهم.

(١١) توصلنا في بحوث سابقة إلى الاستنتاج ذاته، سواء في أطروحتنا للدكتوراه ٢٠٠٦م، أم في مختلف الأوراق البحثية التي قدمناها في مؤتمرات مختلفة عن هذا الموضوع، وهو ما نحاول البرهنة عليه في هذه الورقة بمنهج نظري تأسيسي. ومن بين تلكم الأوراق نذكر: يحي بن يحي، **دور المدارس الحرة في دعم تعليم العربية ونشرها في الجزائر والعالم، معهد الحياة بالقرارة عينة**، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي، الإمارات العربية، ٢٠١٥.

(١٢) يحي بن يحي، **أثر حفظ القرآن على التفوق في مادة اللغة العربية؛ دراسة لعلامات عينة من كشوف الباكالوريا لطلبة من جامعة غرداية بالجزائر**، ٥th International Conference on Arabic Studies & Islamic Civilization, (ICASIC٢٠١٨) Malysia,

تحليل أسلوبي لقصيدة يحيى الحسيني في وقائع معركة طوفان الأقصى

حاتم بن راشد بن حمد الحسيني،
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الجنان، لبنان

الملخص

لا زال أدب المقاومة يبرز بطرائق متعددة منذ بدء الخليقة إلى عصرنا هذا وإن كان ظهوره في القضية الفلسطينية أخذ محنى جديدا عندما عمدت أجهزت الاستخبارات الإسرائيلية (الموساد) إلى اغتيال الكاتب الفلسطيني غسان (كنفاني)، هنا اتضحت قوة القلم التي شكلت تهديدا للدولة الإسرائيلية ودفعت بها إلى توجيه جهازها الاستخباراتي لاغتيال الكاتب الفلسطيني، ولقد جاءت معركة طوفان الأقصى وجاء معها عصر جديد للمقاومة ازدهر فيها أدب المقاومة بشتى صوره وظهر الشعر العماني مساندا للمقاومة الفلسطينية، لذا هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أحد النماذج الشعرية العمانية والتي تحاول من هذه الدراسة إلى إبراز الظواهر الأسلوبيّة لقصيدة الشاعر العمانيّ يحيى بن حمود الحسينيّ في وقائع معركة طوفان الأقصى، ولا شك أن المنهج الأسلوبيّ الذي يسعى إلى الكشف عن مستويات النص ودلالاته سيكون موائما لهذه الدراسة وسيجيب على إشكاليات الورقة وهي على النحو الآتي: ما هو أثر القيمة التأثيريّة للناحية الجماليّة والنفسيّة والعاطفيّة في الصّياغة اللغوية ؟ وهل يمكن أن نتلمس أثر تفاعل جمال الكلام، وحيويّة الخطاب في هذا النص؟ وما هي البنى اللغويّة للنص التي يمكن رصدها في هذا الدراسة؟ وما هي الملامح الأسلوبيّة عند الشاعر يحيى بن حمود الحسينيّ التي يمكن إظهارها في هذا النص؟ في حين يمكن لنا أن نتوخى النتائج في هذه الدراسة وهي: إظهار الثروة اللغويّة لدى الشاعر العمانيّ يحيى ين حمود الحسينيّ، والكشف عن الظواهر الأسلوبيّة في شعره مثل، التصريع والتمكين والتجنيس، ومستوى الصورة الشعريّة، ومستوى التراكيب.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية، التحليل الشعري، الشعر العمانيّ، أدب المقاومة، طوفان الأقصى.

تمهيد

إن معركة طوفان الأقصى التي تبنتها المقاومة الفلسطينية (كتائب الشهيد عز الدين القسام) الجناح العسكري لحركة حماس والتحق معها سرايا القدس وعدد من كتائب المقاومة الفلسطينية في السابع من أكتوبر لعام ٢٠٢٣م وأظهرت تقدمًا كبيرًا جدًا في مكاسب المقاومة وتحقيق أهداف عسكرية واستخباراتية كبيرة ليس لها سابق مثيل في تأريخ الحرب الإسرائيلية الفلسطينية والتي استطاعت أن تؤثر على العدو الصهيوني بشكل ملحوظ وكبير جدا، كان لها في المقابل أثر كبير على المجتمع العربي والإسلامي وعلى الصعيد المجتمعي والإعلامي والصحفي وكذلك الأدبي ومما أثار انتباه الباحث أن الحراك الشعري في سلطنة عمان كان ملحوظًا إذ تم بث عدد من الحلقات الشعرية المتلفزة في قناة الاستقامة الفضائية ببرنامج "فلسطين في وجدان الشاعر العربي" يذيعه الشاعر أحمد بن هلال العبري، وحضي البرنامج بمشاركة عدد من الشعراء العمانيين كما شارك في البرنامج عدد من الشعراء الخليجيين والعرب، والبرنامج مازال يذاع إلى وقت كتابة هذا البحث بعد استمرار أكثر من شهر على بدء هذه المعركة، ونشرت قصيدة الشاعر يحيى الحسيني بتاريخ التاسعة من أكتوبر لبث هذا البرنامج واستوقفتني القصيدة لما تتسم به من ميزات شعرية وجماليات تركيبية إذ إن عاطفية الشاعر تنبثق عن التعاطف الإنساني الذي وقع للشعب الفلسطيني منذ ٧٥ عاما، ولذا فإن الدخول في عباب هذا النص وسبر أغواره كونه يحضى بشاعرية ظاهرة، وإيقاع واضح، وتصاوير شعرية تدفع الناقد لدراستها وتحليلها يقول الدكتور محمد الهادي الطرابلسي: "جمال الكلام، في حيوية الخطاب،

والحيوية تتحقق فيه بإيقاع وتخييل، والجملة، بنية يتفاعل فيها هذان الرافدان، وتلتقي فيها سائر البنى لتحصيل قيمة دلالية عالية الطبقة في الإفادة والامتاع"(١).

التعريف بالشاعر

اسمه ونسبه وكنيته :يحيى بن حمود الحسيني ،أبا محمود، ولد في بيت والده البسيط الذي يتكون من غرفتين فقط ببلدة العليا من وادي عندام بنيابة سمد الشأن، من ولاية المضيبي بشرقية سلطنة عمان، ولا يعرف الشاعرُ يوم ميلاده تحديدا كحال عموم العمانيين في ذلك الوقت إلا أن التاريخ التقريبي بعد القيام بالفحوص الطبية المتقدمة فإنه يعتقد تقريبا يوم ميلاده كان في عام ١٩٥٧م، نشأ الشاعر يحيى الحسيني وترعرع في قرية العليا وعاش طفولته هناك حتى أكمل دراسة المرحلة الثانوية ثم التحق بالقوات السلطان المسلحة (الحرس السلطاني العماني) وتدرّج في الرتب حتى حصل على رتبة ضابط، وهو الآن ضابط متقاعد، له اهتمامات شعرية فهو أحد أعضاء مجلس الخليلي للشعر والذي يعد من أبرز المجالس الشعرية في سلطنة عمان إذ إن انعقاده مستمر بشكل شهري، يجتمع أعضاء المجلس ويلقون أشعارهم الجديدة ويتناقشون مواضيعها وينتقدونها ويصححونها، ويحضر في هذا المجلس متخصصون في علم اللغة والنقد والأدب ويحضر كذلك محبو الشعر، من أبرز أعمال يحيى الحسيني الثقافية تنظيم فعالية (ملتقى الكيذاوي) والتي استضاف فيها مجلس الخليلي للشعر في قرية العليا بشرقية عمان عام ٢٠١٦م إضافة إلى عدد من المثقفين والأهالي المنطقة، وكان مهرجانا شعريا كبيرا، وتم الاحتفاء بشخصية الشاعر الكيذاوي وهو موسى بن حسين الحسيني الذي ينتمي إلى قرية العليا وكرّم الشاعر يحيى بن حمود الحسيني الباحث سلطان بن سيف المقبالي الذي قام بتحقيق ديوان الكيذاوي، وقدم الباحثون عددا من الأوراق العلمية التي تتحدث عن شاعرية الكيذاوي وحياته، ونشرت الصحف المحلية عن هذا اللقاء أبرزها جريدة عمان بتاريخ ١٩ من مارس لعام ٢٠١٧م، كما أن النتاج الأدبي والشعري ليحيى الحسيني لم تتوقف في كثير من المناسبات الوطنية والاجتماعية، من أبرزها القصيدة التي كتبها في وقائع معركة طوفان الأقصى وهي محور دراسة هذه الورقة.

أولا: مستوى الإيقاع

ينقسم الإيقاع على نوعين إيقاع خارجي وإيقاع داخلي، فالإيقاع الخارجي يتعلق بالوزن والقافية، ويعرف ابن جعفر الشعر بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى"(٢) ومن جميل صنع ابن جعفر أن فسر تفسيرا دقيقا لكل لفظة شملت هذا التعريف، فقد ذكر لماذا أسماه قولا؟ ولماذا موزونا؟ ولماذا مقفى؟ ولماذا يدل على معنى؟ وذكر ما قوله:" فقولنا: قول: دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر، وقولنا: موزون: يفصله مما ليس بموزون، إذ كان من القول موزون وغير موزون، وقولنا: مقفى: فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف، وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع، وقولنا: يدل على معنىً: يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالة على معنى مما جرى على ذلك من غير دلالة على معنى"(٣)، وهذا يدل على دقة انتقائه الألفاظ في صياغة الحد التعريفي للشعر، وإن كان الشعر في العصر الحالي تغيرت أُطره، وأصبح حرا، ونثرا، إلا أن الحديث عن هذا الموضوع ليس بصدد هذه الورقة البحثية، وإنما له عناوينه الخاصة به، وعودا على بدء فإن الوزن هو" نسق من الحركات والسكنات يلتزمه الشاعر في نظمه الشعر، وقد اتبع الشعراء أنساقا مختلفة يطلق على كل منها بحر، فالبحر نسق خاص من الحركات والسكنات"(٤)، إن اتباع هذا النسق الخاص من الحركات والسكنات يولد إيقاعا خاصا ينسجم من الإطار العام للقصيدة الشعرية كون هذا النسق يتكرر بشكل منتظم فيشكل ميزة خاصة للنص لا

سيما هذا التكرر يستمر حتى نهاية النص الشعري، ولا شك أن الإيقاع سمة أساسية في النصوص الشعرية وعدم وجود "الإيقاع كعامل أساسي موجه في لغة الشعر يؤدي بدوره إلى اختفاء خاصية الشعر الأساسية، مما يبرز دوره البناء في تكوين البيت الشعري"(٥) ولذا نرى أهمية وجود الإيقاع الخارجي في النص الشعري.

البحر المستخدم في القصيدة

إن البحر الذي استخدمه الشاعر يحيى الحسيني في وقائع معركة الطوفان هو البحر البسيط رغم إن الاتجاه العام للشعر يرفض الربط بين موضوع القصيدة والوزن الشعري ولا شك بأن هذا هو أقرب للصواب أي ابتعاد الربط بين الموضوع ووحدة الإيقاع الكلامي التي هي البحر، وبحر البسيط وفق طبيعة وحدة الإيقاع هو "مستفعلن فاعلن" ويتكون البيت من تردد هذه الوحدة الإيقاعية أربع مرات، على النحو الآتي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفلن فاعلن

ولقد سمي البسيط بهذا الاسم لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه "فَعِلُنْ" وآخره "فَعِلُنْ" وقيل: لأن الأسباب انبسطت في اجزائه السباعية، فحصل في أول كل جزء من أجزائه السباعية سببان، فسي لذلك بسيطا، وقيل" سمي بسيطا، لانبساط الحركات في عروضه وضربه في حالة خبنهما، إذ تتوالى فيها ثلاث حركات، قال أبو إسحاق: انبسطت فيه الأسباب، فصار أوله "مُستفعل" فيه سببان متصلان في أوله(٦). ولا شك أن ازدواج تفعيلات البسيط المكونة من (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) يحتاج من الشاعر وقفة تأملية كبيرة ونفسًا أطول عند النظم(٧)، ولا يخفى على الشعراء أن البحر البسيط "بحر راقص يتصف بنغماته العالية وتغيير حركي موجي ارتفاعا وانخفاضا، حتى أن إيقاعه يتعلمه بيسر كل من يألف العروض، لأن سهولة موسيقاه الطاغية تقود الأذن إلى دقة تركيبه بمجرد تكرار أبيات مقطعه نغميا"(٨) ونلحظ الشاعر يحيى الحسيني قد كوّن نصه من هذه الوحدات الإيقاعية الأربعة وقد خضعت جميع القوافي إلى التوحد بين أجزائها إلا أنها تنوعت في مضمونها وهذا يبّين حقيقة الإئتلاف في وحدة الإيقاع والاختلاف في نطاق الموضوع، يقول الشاعر يحيى الحسيني:

تِلْكَ الصّوَاعِقُ حادِيهِنَّ طُوفَانُ قَدْ أُرْسِلَتْ وَبِهَا بَرْقٌ وَنِيرانُ

وبذلك نستنتج بأن مدى الوحدات الإيقاعية يحكم بنية النص الكلية، ويأطر حشو النص تأطيرا يحاصر المظاهر التساوي في الوحدات الإيقاعية، فيحّد هذا التكوين من الرتابة.

القافية

لقد عرف علماء العروضِ القافيةَ بعدد من التعريفات نذكر منها: هي المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت(٩). كما عرفها العنابي بقوله: هي ما يلزم تكراره في أواخر الأبيات من الشعر المقفى من أحرف وحركات(١٠)، وسميت القافية بهذا الاسم لأن الشاعر يقفوها أي لأنها تقفو ما قبلها أي تتبعه(١١)، وسوف نأخذ برأي قطرب وثعلب فعندهما القافية هو حرف الروي(١٢)، والروي هو: آخر حرف صحيح في البيت وعليه تبني القصيدة وإليه تنتسب، فيقال: قصيدة ميمية أو نونية أو عينية، إذا كان الروي فيها ميمًا أو نونًا أو عينًا"(١٣)، .واتخذ يحيى الحسيني النون المضمومة المسبوقة بحرف المد الألف المفتوح ما قبله، وبهذا فهي قصيدة نونية، وكون هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي مسلم البهلاني كما تقدم والتي يقول في مطلعها:

تِلْــــكَ البَــــوَارِقُ حَـــادِيهِنَّ مِرْنَـــانُ فَمَـــا لِطَرْفِـــكَ يَـــا ذا الشَّـــجْوِ وَسْـــنَانُ

إلى أن قال:

يَـــا للرِجَـــالِ أَلَمْ يَـــأنِ الجِهَـــادُ لَكُـــمْ بَـــلا لَقَـــدْ فَـــاتَ إِبَّـــان وإِبَّـــانُ

يَـــا للرِجَـــالِ احْفَظُـــوا أَوطَـــانَ مِلَـــتِكُمْ فَمَـــا لَكُـــمْ بَعْـــدَ خَـــذْلِ الِّـــدِينِ أَوْطَـــانُ

ويتضح للمتلقي أن أبا مسلم البهلاني عندما كتب هذه القصيدة كان يستحث الشعب العماني للاتحاد وعدم الشقاق والتفرق، ويحثهم على الدفاع عن أوطانهم وأن الجهاد دفاعا عن الوطن هو الذي يدعو به الدين، وهذا المنطلق هو يا يقصد به يحيى الحسيني عندما اختار معارضة هذه القصيدة فالغاية من هذا هو استثارة حماسة الأمة للقضية الفلسطينية، والسعي من أجل الدفاع عن أرضهم وعن مقدساتهم لا سيما أن ثالث الحرمين ومعرج رسول الله صلى الله عليه وسلهم هو المسجد الأقصى الواقع في القدس عاصمة فلسطين، ولقد كان نسق القافية يتضح بها الائتلاف كنطاق كامل للقصيدة، رغم اختلاف المفردات المستخدمة على نهاية وحدتها.

التصريع

يُظهر التصريعُ جمالية سبك القصيدة إذا إنه يحدث جوا موسيقيا يعطي المتلقي تنبيها لأهمية النص وقوته، كما أنه يعد من العناصر البلاغية المهمة في النصوص الشعرية، وأهتم به أهل البلاغة القدماء أهمية كبيرة وكان من محاسن الشعر،"ماكانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصانه وتزيد بزيادته"(١٤) ويتضح لنا أن الشاعر يجانس بين شطري البيت الواحد في مطلع القصيدة أي يجعل العروض يشابه الضرب وزنًا وقافية، ويصفه بعضهم بقوله: "وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب... وهو مما استحسن حتى أن أكثر الشعر صرّع البيت الأول منه"(١٥)، كما أن ابن قدامة جعله من النعوت الخاصة بالقوافي، حيث أنه اشترط في هذه النعوت أن تكون القافية "عذبة الحرف سلسة المخرج، وأن تقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها... وربما صرعوا أبياتاً أخرى من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره" (١٦) ويمكن لنا أن نقول بأن التصريع كأنه الشكل الهندسي المعماري لواجهة المبنى، فهو كذلك واجهة النص الشعري فأول ما يقع عين الملتقى على القصيدة مطلعها، وأول ما يسمعه المتلقي من النص الشعري هو مطلعه كذلك، و"المطالع على وجه الخصوص والبيت الأول هو المفتاح الإجرائي أو العتبة الأولى التي ندلف من خلالها بهو النص"(١٧) وعندما نرى قصيدة يحيى الحسيني في وقائع معركة طوفان الأقصى فإننا نرى القصيدة مصرّعه حيث يقول:

تِلْـــكَ الصّـــوَاعِقُ حَـــادِيهِنَّ طُوفَـــانُ قَـــدْ أُرْسِـــلَتْ وَبِهَـــا بَـــرْقٌ وَنِـــيرانُ

وَأَمْطَـــرَتْ مِـــنْ سَمَـــاءِ اللهِ وَابِلَهَـــا لَـــنْ يَسْـــتَقِرَّ لَهُـــمْ مِّـــنْ بَعْـــدِهَا شَـــانُ

تُبِيـــدُ خَضْـــرَاءَهُمْ حَـــتَّى غَـــدَتْ يَبَسـاً فَأَحْرَقَتْهَـــا وَعَـــيْنُ الـــدَّهْرِ أعْيَـــانُ

فنرى يحيى الحسيني بأنه قد صرع بين كلمتي (طوفانُ، نيرانُ) إذ أنهما جاءتا منتهيتان بنون تسبها ألف مد، والحركة الإعرابية للكلمتين متفقتين مما يجعلهما يشكلان جرسا موسيقيا داخليا ينبه المتلقي إلى أهمية هذا النص وقوته من خلال المطلع.

التصريع من النوع المستقل: وهذا التصريع الذي صرعه الشاعر يحيى الحسيني في قصيدته يعد تصريعا من النوع المستقل ونقصد بذلك أن يكون المصراع الأول مستقلا بنفسه غير محتاج إلى الذي يليه، فإذا جاء الذي يليه كان

مرتبطا به(۱۸)، فعندما نستمع إلى الشطر الأول من البيت الأول نجده " تِلْكَ الصّوَاعِقُ حادِيهِنَّ طُوفَانُ " وهو مكتمل ومستقل بنفسه والمعنى كامل وتام ثم نجد الشطر الثاني " قَدْ أُرْسِلَتْ وَبِهَا بَرْقٌ وَنيرانُ" وهو مرتبط بالشطر الأول موضحا لمعناها لا سيما في قوله قد "أُرسلت" وهو يقصد بذلك الصواعق ثم يقول "وبها برق ونيران" وهذا الوصف إنما يقصد به للصواعق التي في الشطر الأول.

التمكين

ومما يتعلق بالقوافي ويحسنها هو التمكين: "وهو ائتلاف القافية، ومنهم من سماه بالتمكين، ومنهم من سماه بائتلاف القافية: وهو أن يمهد الناثر لسجعه فقرة، أو الناظم لقافية بيته تمهيدًا تأتي به القافية ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، غير نافرة ولا قلقة، ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه، بحيث إن منشد البيت، إذا سكت دون القافية، كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها"(۱۹) ومن ذلك قول يحيى الحسيني:

صُبَّتْ عَلَيْهِمّ مِنَ الآيَاتِ نَافِثَةُ   لاَ يَسْتَقِيمُ لَهَا فِي الأَرْضِ شَيْطَانُ

فعند قول الشاعر لفظة "نافثة" وعند معرفة المتلقي أن قافية القصيدة نونية تسبقها ألف، والنفث من أعمال الشيطان لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه"(۲۰) فإن السامع بطبعه ينقدح في ذهنه بأن القافية ستكون لفظة "شيطان" وهذا بالفعل هو ما تحقق، ونرى كذلك التمكين في قول يحيى الحسيني:

جُنْدٌ مِّنَ المَلَكُوتِ، الرُّوحُ يَقْدُمُهُمْ   وَعِزْرَئِيلُ يُنَادِي أَيْنَمَا كَانُوا

ويتبين لنا في هذا البيت عند قول الحسيني " يُنَادِي أَيْنَمَا" ويستحضر المستمع أن القصيدة نونية وهي مسبوقة بألف فإنه يكاد ينطق القافية قبل أن ينطقها الشاعر إذ أن لفظة "أينما" يترتب عليها أن تكون بعدها كلمة "كانوا" وهذا ذاته ما اختتم به الشاعر، كما أن المتلقي يستطيع أن يجد ظاهرة التمكين في قول يحيى الحسيني:

قَدْ أَيَّدَ اللهُ أَقْوَاماً إِرَادَتُهُمْ   لِلنَّصْرِ يَدْفَعُهَا دِينٌ وَإِيمَانُ

فهنا نرى ظاهرة التمكين في هذا البيت حيث إن المتلقي يستطيع أن يتفطن إلى نهاية البيت عندما يصل الشاعر إلى قول "يدفعها دين و" مباشرة يستحضر المتلقي عطف الإيمان على الدين كون القافية منتهي بالألف والنون، وكذلك في قول الشاعر:

فَالظَّافِرُونَ هُمُ وَالرَّابِحُونَ هُمُ   وَأَنْتُمُ حَظُّكُمْ خِزْيٌ وَخُسْرَانُ

وهنا نستطيع أن نرى تمكين القافية في هذا البيت فعندما يصل الشاعر على قول " وَأَنْتُمُ حَظُّكُمْ خِزْيٌ و" فيستطيع المتلقي أن يتوقع القافية من هذا البيت وهي كلمة "خسران" كونها لها علاقة قوية بكلمة الخزي ولا يتبع الخزي إلا الخسران، وكذلك نرى ظاهرة التمكين في قول الشاعر يحيى الحسيني:

أَغَرَّكُمْ أَنَّ رَبَّ العَرْشِ أَمْهَلَكُمْ   سَبْعِينَ عَاماً بِهَا جَوْرٌ وَطُغْيَانُ

فعندما يصل إلى أذن المستمع قول الشاعر " أَمْهَلَكُمْ سَبْعِينَ عَاماً بِهَا جَوْرٌ و" فإنه ينقدح في ذهن المتلقي أن بعد كلمة "جور" ستكون "طغيان" لا سيما أن قافية القصيدة منتهية بالأف والنون المرفوعة، وكذلك كون الجور له علاقة قوية بالطغيان وكذلك مرادف له، وكذلك نرى ظاهرة التمكين في قول الشاعر:

فَسَلِّمُوا الأَمْرَ قَبْلَ الفَوْتِ وَانصَرِفُوا   مَا ثَمَّ إلاَّ تَوَابِيتٌ وَأَكْفَانُ

وهنا يمكن للمتلقي أن يتوقع قافية البيت الأخير من القصيدة حيث إن الشاعر ابتدأ الشطر الثاني بأسلوب الحصر "ما ثم إلا" ثم ذكر التوابيت ثم عطف عليها الأكفان وعند سماع المتلقي لفظة "توابيت" فإنه يستطيع أن يتوقع مباشرة أن العطف سيكون على كلمة الأكفان.

التجنيس

إن التجنيس من المقومات الأساسية للإيقاع الداخلي ومن أهم مظاهر التنوع الصوتي والذي يمكن أن يكسب اللفظ دلالة قوية، و التجنيس أو الجناس يُعد من مفردات علم البديع ويقصد به "تشابه الكلمتين في اللفظ، واختلافهما في المعنى"(٢١) ويستخدمه الشعراء كأحد أهم العناصر التي تشكل الخطاب الشعري كونه تتوفر فيه بعض القيم الإيقاعية التي تتضح في النص، كما أن نغمة الإيقاع الشعري تكون واضحة، فالتجنيس أثره كبير على الإيقاع الشعري، ويعطي جرسا موسيقيا يُلفت انتباه المتلقي، لهذا السبب يعمد الشعراء إلى تزيين قصائهم بهذا المحسن البديعي، والتجنيس يأتي على عدة أوجه فمنه ما يكون تاما أي أن التشابه بين اللفظتين تشابها تاما إلا أنهما يختلفان في المعنى، ويأتي منه التجنيس الناقص وهو " اختلاف اللفظين في عدد الحروف"(٢٢) ومنه ما يكون مشتقا ويسمى التجنيس الاشتقاق ويقصد به: وهو أن يجمع الاشتقاق بين الألفاظ، حيث ترجع إلى أصل واحد(٢٣)، وهذا النوع من التجنيس يقوم على استعمال "المشتقات ذات الأصل الواحد في البيت، فيكون لها نغم موسيقي مطرب، قريب النغم المنبعث من تكرار كلمة بعينها"(٢٤) وتظهر قيمة هذا اللون الموسيقي الداخلي عند تعمد إيراد صور الاشتقاق ذات الأصل الواحد وذلك للفت انتباه المستمع، ولفت نظره إلى الدلالات التي يريد الشاعر أن يوضحها في شعره، ونرى بأن الشاعر يحيى الحسيني استعمل هذا النوع من التجنيس أكثر من مرة في قصيدته فهو يقول:

شَاءوُا فَكَانَتْ مَشِيئاتٌ تُعَزِّزُهَا ... مِنْ قُدْرَةِ القَاهِرِ الجَبَّارِ أَعْوَانُ

وهنا نرى أن التجنيس يتجسد بين كلمتي: (شاءوا، مشيئات) فهنا يظهر إيقاع الكلمتين متجانس في الصوت وإن كان هناك اختلاف في التركيب، فكلا الكلمتين مشتق من الفعل الماض شاء لذا نرى بأن الشاعر استطاع أن ينبه المتلقي إلى الجو الموسيقي الذي تشكل إثر وجود التجنيس في البيت الشعري، و يقول يحيى الحسيني أيضا:

حَتَّى وَهَمْتُمْ بِأَنَّ اللهَ مَكَّنَكُمْ ... وَمَا إلى قَهْرِكُمْ فِي الدَّهْرِ إِمْكَانُ

فهنا نرى بأن التجنيس وقع في كلمتين وهما (مكنكم، إمكان) وكلا المفردتين مشتقتان من الفعل الماضي ولذا فإن الموسيقى الداخلية النابعة من الفعل الماضي (أمكن) أسهمت في إبراز المعاني في هذا البيت، ويقول الشاعر يحيى الحسيني أيضا:

وَكَمْ هَدَمْتُمْ بُيوتاً فَوْقَ سَاكِنِهَا ... وَكَمْ تَشَرَّدَ بَعْدَ الأَمْنِ سُكَّانُ

وهنا نرى التجنيس قد وقع في كلمتي (ساكنها، سكَّان) وذلك كون أن هاتين المفردتين مشتقتان من الفعل (سكن) وبذلك يكون قد اتضح لنا " أهمية الإيقاعية والموازنة الصرفية يؤكدان لنا جمالية الجناس، ودوره في تقييم المعنى تقييما نقديا ينتج عنه محاصرة جهور المعنى، ودوره في رفع الكلام، في مقامات التجانس إلى درجة الشرف في الدلالة"(٢٥) وهذا بالفعل هو ما تحقق في هذا النص الذي بين أيدينا الآن فقد ظهرت جمالية التجنيس وأثره في توضيح المعنى الذي يريد الشاعر إيصاله للمتلقي.

ثانيا: مستوى الصورة الشعرية

إن الطبيعة بشكل عام لها دلالاتها في التكوين الإبداعي، ولا شك بأن الشاعر يحتكم إليها في رسم نصه الشعري، إذ إن العناصر الجغرافية لها دور مهم في تشكيل الفكر للمبدع وهو بدوره يبني عناصر الفكر بعد أن يتلقها باتحاد الحواس والعقل سويا، وبالمحصلة فإن المتلقي يستطيع أن يدرك الصورة الشعرية عن طريق استخدام الحواس، وهذه الطريقة هي التي سنستخدمها في هذا الورقة، حتى نتلمس الصور الشعرية في هذا النص، ونستشعر دلالتها الفنية.

الصور البصرية

يقول الشاعر يحيى الحسيني:

تِلْـكَ الصَّـوَاعِقُ حَـادِيهِنَّ طُوفَـانُ ... قَـدْ أُرْسِـلَتْ وَبِهَـا بَـرْقٌ وَنِـيرانُ

وَأَمْطَـرَتْ مِـنْ سَمَـاءِ اللهِ وَابِلَهَـا ... لَـنْ يَسْـتَقِرَّ لَهُـمْ مِّـنْ بَعْـدِهَا شَـانُ

تُبِيـدُ خَضْـرَاءَهُمْ حَـتَّى غَـدَتْ يَبَسـاً ... فَأَحْرَقَتْهَـا وَعَـيْنُ الـدَّهْرِ أعْيَـانُ

مَوْتَـاً وَرُعْبَـاً مَـدَى أَنْظَـارِهِمْ مُـلِأَتْ ... سَـاحَاتُهُمْ، فَهِـيَ أَشْـبَاحٌ وَغِـيلانُ

نرى في هذا المقطع وهو أول أربعة أبيات من قصيدة الشاعر الحسيني وهو ينتقي صور تكوين هذا المقطع الشعري وكأنه مقطع مرئي يدرك بحاسة البصر فهو يستخدم في البيت الأول المفردات الآتية (طوفان، برق، نيران) وهذه الصورة تدرك بحاسة البصر، وفي البيت الثاني والثالث نرى كذلك المفردات الآتية (أمطرت، سماء الله، خضراءهم، يبسا، أحرقتها) كل هذه المفردات إنما يكون إدراكها عن طريق حاسة البصر، وكذلك في البيت الرابع من هذا المقطع فإننا نرى الشاعر قد استعمل المفردات الآتية (ساحاتهم، غيلان) ويكون إدراك هذه المفردات كذلك عن طريق حاسة البصر، ويقول الشاعر الحسيني كذلك:

سَـبْعُونَ عَامـاً وَدَأبُ الغَـيُّ دَأبُكُـمُ ... وَمِـنْ صُـنُوفِ الأَذى المِمْقُـوتِ أَلَـوَانُ

في هذا البيت نرى بأن الشاعر الحسيني يذكر بأن الصهاينة إنما يقومون بأذية الفلسطينيين بأنواع مختلفة من الأذى ويصفه بأنه (ألوان) ولا يكون إدراك الألوان إلا بحاسة البصر حتى وإن كان وصف الأوان خاص بالأذى، ويقول الشاعر يحيى الحسيني في موضع آخر من قصيدته:

كَـذَلِكَ الأُسْـدُ لَـوْ نَامَـتْ عَلَـى رَهَـقٍ ... فَـإِنَّ وَثْبَتَهَـا ظِفْـرٌ وَأَسْـنانُ

ويذكر الشاعر في هذا البيت حيوان الأسد شديد القوة والذي وإن نام إلا أنه عندما يستيقظ من نومه فإن في وثباته ترى الشدة والأنفة وهذا المشهد المتكامل لا يمكن أن يدرك إلا عن طريق حاسة البصر، هذا الوصف للمشهد التخيلي عن الأسد يضفي جمالية شعرية على الإطار العام لهذا النص.

الصور السمعية

يقول الشاعر يحيى الحسيني:

تِلْـكَ الصَّـوَاعِقُ حَـادِيهِنَّ طُوفَـانُ ... قَـدْ أُرْسِـلَتْ وَبِهَـا بَـرْقٌ وَنِـيرانُ

يبرز الحس السمعي في هذا البيت الشعري عند مفردتي (الصواعق، حاديهن) إذ إن الصاعقة بطبيعة الحال تُصدر صوتا، وكذلك الحداء والذي تُخص به الإبل ويسمى حداء الإبل ويُعد أحد التواصل الشفهي بين صاحب

الإبل وقطيعه إذ إنه يصدر مجموعة من الأصوات حتى يحثها على المشي أو الإسراع(٢٦) وبذلك فإن تلقي هذه الدلالة يكون عن طريق حاسة السمع، ويقول الشاعر يحيى الحسيني كذلك:

قَدْ أَذْهَلَتْ عَنْ ضَنَاهَا كُلَّ مُرْضِعَةٍ تَصِيحُ نَفْسِيَ ،لاَ إِلْدٌ وَإِخْوَانُ

هَلِ القِيَامَةُ قَامَتْ؟ قَالَ قَائِلُهُمْ أَنَافِخُ الصُّورِ هَذا وَهوَ غضْبَانُ

في هذين البيتين نستطيع أن نرى كيف أن الحس السمعي واضح في المفردات الآتية (تصيح، قال قائلهم، أنافخ الصور) كل هذه المفردات إنما يمكن إدراكها عن طريق الحس السمعي، ولذا فإننا نرى في شعر الحسيني تعدد الصور السمعية في أكثر من موضع في القصيدة.

الصورة اللمسية

يُقصد بالصورة اللمسية هو تصوير المشاهد التي يمكن إدراكها عن طريق حاسة اللمس وذلك عن طريق اكتشاف ملمس الأشياء بالضغط على الجلد، وهو عبارة عن استشعار للتفاعل مع البيئة المحيطة بالشخص وإمكانية تحسس الأشياء من حوله كالبرودة والحرارة والخشونة والنعومة وغيرها من اللمسات المتخلفة، يقول الشاعر يحيى الحسيني:

إنَّ الأَفَاعِي وَإنْ لانَتْ مَلاَمِسُهَا" فَمَنْ يُلامِسُهَا لاَ شَكَّ عَطْبَانُ

وهنا يمكن للمتلقي أن يلتفت إلى الصورة اللمسية في هذا البيت الشعري حيث يتحدث الشاعر عن الأفاعي وأن ملمسها لين، إلا أنه في الجهة المقابلة فالأفعى بحد ذاتها مؤذية كما هو معلوم لدى الجميع ويجب على المرء ألا يغتر بلين ملمس جلدها، وهذه الصورة إنما تدرك عن طريق حاسة اللمس، ومن جهة أخرى فإن هذا البيت الشعري يحتوي على تضمين للبيت الشهير الذي قاله عنترة بنت شداد:

إنّ الأفاعي وإن لانت ملامسها عند التقلّب في أنيابها العطب

ثالثا: مستوى التراكيب

ثنائيات ضدية

لقد تعمد الشاعر يحيى الحسيني أن يحمل قصيدته أسلوب التضاد، لما لهذا الأسلوب من أثر عميق في جمالية النص، إذ إنه يصنع تناغمًا متوازنًا بين مفردات اللغة المتناقضة، وهذا الأسلوب بحد ذاته يجذب المتلقي والمستمع ويلفته إلى عمق التعبير الفني والذي يؤدي بدوره إلى سهولة الفهم للمتلقي وينعكس إيجابا على تفاعله العاطفي مع النص، فجاء التضاد اللغوي ليكتسب أهمية كبيرة عند حضوره في السياق الشعري، إذ إنه يشكل المخالفة، والمخالفة تغدو فاعلة وأساسية يتلقاها القارئ عبر كسر السياق والخروج عليه(٢٧)، فالتضاد اللغوي من الأساليب الظاهرة في قصيدة الشاعر يحيى الحسيني حيث يقول:

فَالظَّافِرُونَ هُمُ وَالرَّابِحُونَ هُمُ وَأَنْتُمُ حَظُّكُمْ خِزْيٌ وَخُسْرَانُ

يظهر في هذا البيت أسلوب ثنائيات ضدية حيث إن الشاعر ذكر لفظة (الرابحون) ويقصد بذلك أهل فلسطين ثم عقب في الشطر الآخر من البيت واصفا الاحتلال بأن حظهم (خسران) وهنا يكمن التناغم في ذكر المفردة ونقيضها في البيت ذاته، ويقول يحيى الحسيني كذلك:

حَتَّى وَهَمْتُمْ بِأَنَّ اللهَ مَكَّنَكُمْ وَمَا إلى قَهْرِكُمْ فِي الدَّهْرِ إمْكَانُ

هنا في هذا البيت نستطيع أن نرى التضاد في قوله (مكنكم) والتمكين وهو إزالة الموانع(۲۸) وذلك للقيام بعمل ما، وقوله (قهركم) والقهر هو الْغَلَبَة وَالْأَخْذ من فَوق، و أُخِذ القومُ قَهْراً: إذا أُخِذوا دون رضاهم على سَبِيل الْغَلَبَة(۲۹)، وهكذا يتضح التضاد بين التمكين والقهر.

التَكرار

يُعد التكرار أحد العناصر للنص لتكوين الموسيقى الداخلية، كما حضي باهتمام النقاد منذ القدم، وتعد "تشكلاته المختلفة ثمر من ثمرات قانون الاخيار والتأليف، ومن حيث توزيع الكلمات وترتيبها بحيث تقيم تلك الأنساق المتكررة علاقات مع عناصر النصر الأخرى"(۳۰)، إن التكرار ليس عبارة عن نمط اعتباطي لتكرار المفردات دون أي هدف بل "إن تكرار النص يسلط الضوء على نقطة حساسة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر"(۳۱) والناقد بطبيعة الحال يستطيع عن طريق ظاهرة التكرار معرفة " الفكرة المتسلطة على الشاعر، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق النفس فيضيئها بحيث، نطلع عليها، أو لنقل إنه جزء من الهندسة العاطفية للعبارة"(۳۲) إن التكرار بوصفه أسلوبا نسقيا غايته استجلاء الدلالات الكامنة والتنبيه لها إذ إنه يمنح " تكوينات نصية متماسكة تتعدد تبعا لتنوع الأنساق وتعدد الأشكال والدلالات للترديدات اللفظية أو التركيبية التي تكشف المعنى وتزيد من فضاءات النص التأويلية وتتسع بها مساحة الدلالة"(۳۳)، وتتراوح ظاهرة التكرار في شعر يحيي الحسيني ما بين تكرار الحروف والألفاظ وهذا دليل على إمكانية الشاعر على ترويض اللغة ،يقول يحيى الحسيني:

سَبْعُونَ عَامَا أَمَا اْستَوْعَبْتُمُ أَبَداً ... أَنْ لَيْسَ لِلْبَغْيِ وَالبَاغِينَ أَوْطَانُ
سَبْعُونَ عَاماً وَدَأبُ الغَيُّ دَأبُكُمُ ... وَمِنْ صُنُوفِ الأَذى المِقُوتِ أَلْوَانُ
سَبْعُونَ عَامَا وَكَمْ مِّنْ أَعْزَلٍ قُتِلَتْ ... أمَامَ عَيْنَيْه أَزْوَاجٌ وَوِلْدَانُ

يستطيع المتلقي والمستمع لهذه الأبيات الثالثة أن ينتبه إلى التكرار في قول الشاعر (سبعون عاما) ثلاث مرات، وهذا يدل على أن الشاعر يحاول أن يركز على البعد التاريخي لهذه القضية التي جاوزت سبعين عاما على وجودها في الشرق الأوسط، علما أن هذا النوع من التكرار يطلق عليه اسم التكرار الرأسي وهو أن يتكرر اللفظ في عدد من الأبيات بشكل رأسي كما أن هذا النوع ظهر كذلك في موضع آخر في قول الشاعر يحيى الحسيني:

وَكَمْ هَدَمْتُمْ بُيوتاً فَوْقَ سَاكِنِهَا ... وَكَمْ تَشَرَّدَ بَعْدَ الأَمْنِ سُكَّانُ
وَكَمْ طَعَنْتُمْ بِسَيْفِ الغَدْرِ خَاصِرَةً ... وَكُلُّ شَأنِكُمْ حِقْدٌ وَأَضْغَانُ
وَكَمْ نَقَضْتُمْ عُهُوداً أُبْرِمَتْ عَلَناً ... ونَاقِضُ العَهْدِ وَالمِيثَاقِ خَوّانُ

يتضح في هذه الأبيات التكرار الرأسي في اسم الاستفهام (كم) من الناحية الإعرابية إلا أن نوع كم هي خبرية إذ إن الشاعر لا ينتظر إجابة من المتلقي وإنما الشاعر في هذا المقطع الشعري يحاول أن يُعرّف المستمعَ إلى الكمية المهولة لأضرار الاحتلال التي خلفها على الفلسطينيين فهو يذكر الاسم (كم) في صدارة الجملة ولا يطلب الإجابة بطبيعة الحال ولذا فإن نوع (كم) في هذه الأبيات خبرية وليس استفهامية فالشاعر يريد أن يخبر عن الأضرار الكبيرة تجاه الفلسطينيين منذ بداية الحرب عليهم، وكذلك نرى التكرار في قول الشاعر:

وَاليَوْمُ يَوْمُ قِصَاصٍ حَانَ مَوْعِدُهُ ... وَآذَنَتْ بِانْتِهَاءِ الظُّلْمِ أَحْيَانُ

نرى في هذا البيت تكرار كلمة (اليوم) وهنا يريد أن يدلل الشاعر يحيى الحسيني على أهمية يوم السابع من أكتوبر الذي استطاعت فيه كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس أن يؤثر تأثيرا كبيرا في العمق الإسرائيلي، والذي يلفت النظر أن نوع التكرار في البيت السابق هو تكرار أفقي، ويوجد بيت أخر يحمل ذات النوع من التكرار يقول الشاعر يحيى الحسيني في بيت آخر مخاطبا الإسرائيليين:

فَالظَّافِرُونَ هُمُ وَالرَّابِحُونَ هُمُ   وَأَنْتُمُ حَظُّكُمْ خِزْيٌ وَخُسْرَانُ

نرى في هذا البيت تكرار لفظة (هُمُ) والمقصود بهم أهل غزه فهم الذين ربحوا في هذا الحرب رغم الخسائر المادية الكبيرة التي لحقتهم إلا أنهم استطاعوا أن يكسبوا عدة مكاسب على الصعيد النفسي والميداني وكذلك فشهدائهم في الجنة –بإذن الله تعالى – ولهذا السبب وصفهم الشاعر بأنهم الظافرون والرابحون مما أعطى هذا البيت جرسا موسيقيا متناغما، إن جميع المفردات التي كررها الشاعر في قصيدته أحدثت جمالية في الإيقاع الموسيقي، إذ إنها انسجمت مع الأفكار التي أراد الشاعر أن يركز عليها في قصيدته ويلفت انتباه المتلقي لها.

الخاتمة

إن هذه الدراسة استطاعت أن توضح المكنة اللغوية التي يمتلكها الشاعر يحيى بن حمود الحسيني، وذلك عن طريق وضوح البصمات الأسلوبية لديه وبرزت الظواهر اللغوية التي أعطت للنص جمالية منسجمة مع الإيقاع الداخلي والخارجي للقصيدة، فقد كان محتوى القصيدة له بُعد ديني وتاريخي لاسيما أن قضية الشرق الأوسط ما زالت تتصدر أبرز العناوين حتى وقت كتابة هذه الورقة.

وضوح هذه الظواهر الأسلوبية تدل على قدرة الشاعر على ترويض اللغة واستخدامها في عدد من الأنساق التي ترسم جمالية النص الشعري بأسلوب يفضي إلى نضج التجربة الشعرية لدى الشاعر، كما أن الدلالات اللغوي أثبتت تمكن إبداع الشاعر يحيى بن حمود الحسيني، وهذا ما يجعل المتلقي أن يلتفت إلى هذا النص بروية وهدوء حتى يتلمس التجربة الشعرية عن كثب.

إن هذه الدراسة كشفت عن مجموعة من السمات الأسلوبية في النص، مثل التصريع والتمكين والتجنيس أو الجناس، كما وضحت مستوى الصورة الشعرية التي تلمسناها عن طريق الحواس الخمس، كما كشفت الدراسة كذلك عن المستوى التركيبي في القصيدة فظهر التكرار الرأسي والتكرار الأفقي كذلك.

التوصيات

بعد أن انتهيت من دراسة هذا النص وصلت لعدد من التوصيات وهي:

- إن معركة طوفان الأقصى أثارت مواضيع كثيرة على إثرها، وصدرت نتاجات أدبية وإعلامية وصحفية وهي عبارة عن حقل خصب جدا للدراسة فهذه الورقة إنما درست نصا شعريا واحدا من الأدب العماني مع أن الأدب العماني نتج عن عدد من القصائد الشعرية التي هي محل للدراسة كذلك، فما بالك بالنصوص الشعرية من الوطن العربي والإسلامي ككل.
- الاهتمام بدراسة النصوص أكانت الشعرية أم النثرية على حد سواء والتي تتعلق بمعركة طوفان الأقصى، وفق المنهج الأسلوبي، وذلك كون هذا المنهج يستجلي دلالات جديدة وجماليات لا تدرك إلى بالتعمق في النص قراءة وتأملا.

- توجيه طلبة الدراسات العليا من الماجستير والدكتوراه والباحثين بشكل عام إلى دراسة النتاج الأدبي والإعلامي والصحفي بالمناهج الحديثة كالبنيوية والأسلوبية والتفكيكية والسيميائية لاستكشاف النتائج المترتبة عن استعمال كل منهج، وهنا أذكر بعض المقترحات للدراسة على النحو الآتي:
  - لغة الخطاب لدى المتحدث العسكري لكتائب عز الدين القسام دراسة أسلوبية.
  - الحجاج عند أبي عبيدة معركة طوفان الأقصى أنموذجا.
  - الصورة الفني للقصائد الشعرية العمانية/العربية المتعلقة بمعركة طوفان الأقصى.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٩م.
- ابن دريد، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.
- أحمد بن محمد العنابي الأندلسي، الوافي بمعرفة القوافي، تحقيق ودراسة: د. نجاة بنت حسن بن عبد الله نولي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (د.ط) ،١٩٩٧م.
- إنعام عكّاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.
- تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الأخيرة، ٢٠٠٤م.
- حسني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني: دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.
- الخطيب القزويني، محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م.
- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، القاهرة، درا الشروق، ط١، ١٩٩٨م.
- عبد الباقي بن عبد الله بن المحسن أبو يعلى، القوافي، تحقيق محمد عوني عبدالرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٨م.
- عبد الخالق العف، دراسات في الشعر الفلسطيني المقاوم، رابطة الكتّاب والأدباء الفلسطينيين، غزة، (د.ط)، ٢٠١٠م.
- عبد الرضا علي، العروض والقافية، مطبعة دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٩٨٩م.
- عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية بيروت، دط،١٩٨٥م.
- عبدالفتاح داود كاك، الحماسة الشجرية دراسة أسلوبية، جار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٢٢م.
- عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر،٢٠٠١م.
- علوان، محمد شعبان وآخرون، من بلاغة القرآن، (د.ن)، ط٦، ٢٠١٤م،
- غالب بن محمد الشاويش، الكافي في علم العروض والقوافي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣م.
- فاطمة دحية، قراءة في جماليات النص القديم، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر، العددان (١٠،١١)، ٢٠١٢م.

- قدامة بن جعفر زياد البغدادي، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٨٨٥م.
- محمد الهادي الطرابلسي، ورقة بحثية بعنوان: تحليل إيقاعي لـ(قصيدة) مصطفى خريف (حورية الموج)، النص الشعري قراءات تطبيقية بحوث محكمة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠١٦م.
- محمد الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- مصطفى أبو شوارب، جماليات النص الشعري، دار الوفاء، مصر، ط١، ٢٠٠٥م،
- موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي (دراسة تطبيقية)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ٢٠٠٠م.
- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٩٧م.
- نشوان بن سعيد الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ت: حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، ط١، ١٩٩٩م.

المواقع الإلكترونية:

- موقع الجزيرة، مقال: غسان كنفاني، أديب ومناضل فلسطيني اغتاله الموساد، ٢٠١٧/٧/١٨م، https://www.aljazeera.net.

الهوامش

(١) محمد الهادي الطرابلسي، ورقة بحثية بعنوان: تحليل إيقاعي لـ(قصيدة) مصطفى خريف (حورية الموج)، النص الشعري قراءات تطبيقية بحوث محكمة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠١٦م، ص٢٩.

(٢) قدامة بن جعفر زياد البغدادي، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٨٨٥م، ص٣.

(٣) المرجع نفسه، ص٣.

(٤) حسني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني: دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٩.

(٥) صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط١، القاهرة، درا الشروق، ١٩٩٨م، ص٥٠.

(٦) يُنظر: غالب بن محمد الشاويش، الكافي في علم العروض والقوافي، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣م، ص٧٧.

(٧) يُنظر: عبدالفتاح داود كاك، الحماسة الشجرية دراسة أسلوبية، جار الكتب العلمية بيوت ٢٠٢٢م، ص٩٠.

(٨) عبد الرضا علي، العروض والقافية، مطبعة دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٩٨٩م، ص١٠٩.

(٩) عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية بيروت، (د.ط)، ١٩٨٥م، ص١٣٤.

(١٠) أحمد بن محمد العنابي الأندلسي، الوافي بمعرفة القوافي، تحقيق ودراسة: د. نجاة بنت حسن بن عبد الله نولي، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،١٩٩٧م، ص٤١.

(١١) أحمد بن محمد، الوافي بمعرفة القوافي، ص٤٢.

(١٢) عبد الباقي بن عبد الله بن المحسن أبو يعلى، القوافي، تحقيق محمد عوني عبدالرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٧٨. ص٦٨.

(١٣) عبدالعزيز عتيق، علم العروض والقافية، ص١٣٦.

(١٤) ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ج١، ص١٧٣.

(١٥) الخطيب القزويني، محمد بن سعد الدين بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م، ص٣٦٥.

(١٦) قدامة بن جعفر زياد البغدادي، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٨٨٥م، ص١٤.

(١٧) فاطمة دحية، قراءة في جماليات النص القديم، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر،٢٠١٢م، العدادن (١١،١٠) ص١١٨.

(١٨) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٩م، ج١، ص٢٣٨.

(١٩) تقي الدين أبو بكر بن علي الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الأخيرة،٢٠٠٤ ج٢، ص٤٤٦.

(٢٠) سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م، (رقم الحديث: ٧٧٥) ج٢، ص٨٢.

(٢١) علوان، محمد شعبان وآخرون، من بلاغة القرآن، (د.ن)، ط٦، ٢٠١٤م، ص٢٧٩.

(٢٢) علوان، محمد شعبان وآخرون، من بلاغة القرآن، ص ٢٨٣.

(٢٣) يُنظر، إنعام عكّاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م، ص٤٦٩.

(٢٤) مصطفى أبو شوارب، جماليات النص الشعري، دار الوفاء، مصر، ط١، ٢٠٠٥م، ص١٨٥.

(٢٥) محمد الهادي الطرابلسي ، تحليل إيقاعي لقصيدة مصطفى خريف، ص٤١.

(٢٦) يُنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، باب (الحاء)، ج١، ص٢٩٦. ابن دريد، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين — بيروت، ط١، ١٩٨٧م باب(حدواي)، ج٢، ص١٠٤٧.

(٢٧) موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقي (دراسة تطبيقية)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ٢٠٠٠م، ص١٨٤.

(٢٨) نشوان بن سعيد الحميرى، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ت: حسين العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق - سورية، ط١، ١٩٩٩م، ج٩، ص٦٣٦١.

(٢٩) محمد الهروي، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج٥، ص٢٥٧.

(٣٠) عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر،٢٠٠١م، ص٢١٩.

(٣١) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٩٧م، ص٢٤٢.

(٣٢) المرجع نفسه، ص٢٧٧.

(٣٣) عبد الخالق العف، دراسات في الشعر الفلسطيني المقاوم، رابطة الكتّاب والأدباء الفلسطينيين، غزة، (د.ط)، ٢٠١٠م، ص١٤١.

علم الوضع مفهوما

عبدالواحد عبدالحميد جبر الجبوري و د. محمد ذنون يونس،

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق و قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، العراق

الملخص

مع بدايات القرن العشرين بدأ الاهتمام بعلم الوضع يقلّ, والكتابات في تعليميته تتضاءل ولجنوح الدراسات الأكاديمية نحو الدراسات التطبيقيّة المحضة, القائمة على معالجة عيّنات وظواهر استعماليّة؛ لم ينل عنايةً كافية تبرز دوره في ميدان العلوم اللغويّة, لذلك تشكّلت صورة باهتة ومشوّهة عن هذا العلم بوصفه علمَ منطقٍ وفلسفة وذلك لتداخلٍ موضوعي ملزمٌ في مباحثه بين الجانب اللغوي والجانب المضموني والفكري, وإنّ الغرض من هذه الدراسة بيان طبيعة هذا العلم الذي لم يستغن عنه مبحثٌ من مباحث اللغة؛ لأنّ وجود الدلالة الوضعية يكشف لنا أنّ اللغة نظامٌ من الرموز والعلاقات الدالّة على معانٍ ممنفردة وضعت لمقاصد ضرورية ليتواصل بها الناطقون, وإنّ النظام الذي يميّز بين الألفاظ المفردة ودلالاتها السياقيّة يعود إلى (علم الوضع), ومعرفة دلالات الألفاظ حالة الوضع بغية التمييز بينها عند دخولها في سياقات تعبيرية متعددة, ويضع لها قواعد ضابطة تحكمها, وتبيين درجة الانحراف في كل استعمالٍ مع وضع المقاييس الثابتة المراقبة حركة التراكيب في الاستعمالات الكلاميّة المختلفة؛ فالوضع جهاز مركزي ونظام سيطرة على الاستعمالات المختلفة مميّزاً بين صحيحها وسقيمها والمقبولل منها والمردود.

الكلمات المفتاحية: علم الوضع ، الالفاظ ، اللغة العربية.

المقدمة

تعدّ النظريّة الوضعية جدارا ساندا وسدا ذريعا أمام القراءات التأويلية غير المنضبطة؛ لأنّها الأصل الثابت لكلّ عمليّات (الاصطلاح والتوصيف والتّقسيم والتّعريف ووضع الأحكام)؛ لأنّ العلوم تنشد الدّقّة في هذه المباحث فلا بدَّ من وجود معيارٍ تعتمده وهو الوضع, كما تتأسس فكرة التمييز بين الفئات النحوية والصيغ الصرفية والحقائق والمجازات والمفردات والمركبات على قواعد الوضع وأحكامه وأنواعه, وتتأسس فكرة الإعراب والبناء والتعريف والتنكير والتمييز بين أنواع التوابع على معايير الوضع ومقاصد الواضعين, ومن هذا المنطلق المعرفي كان لا بدّ من الوقوف على ماهيّة هذا العلم وفائدته وموضوعه وغايته والثمرة المرجوة منه بغية إيضاح أهميّة هذا العلم في سلسلة العلوم المعرفية الإنسانيّة, ولذا نقول:

أولا: المفهوم

بعد أن استقرَّت نظرية الوضع اللفظيّ وآلت علماً, واتّضحت معالمها في الفكر اللغويِّ العربي بشكل مستقلٍّ ظهرت الحاجة لتعريفها بوصفها فنّاً وعلماً, وجاءت تعريفات علماء الوضع لهذا العلم متقاربةَ الفكرة والمضمون, متباينةَ الألفاظ؛ منها أنّه: "علمٌ يُبحث فيه عن أحوال اللفظ من حيث الوضع"(١), وبهذا تخرج أقسام الأدب كلّها(٢), وبدأ التعريف بالجنس وهو(علم) والمعنيُّ به هنا: العلم الحصولي الانفعالي, الذي يُوجد بعد وجود الموجودات(٣), ومعنى هذا أنّ المسائل التي تُعرَض فيه لها الصبغة العلميّة من حيثُ القواعد الشّموليّة والطبيعة التّنظيميّة, والمقدّمات البديهيّة التي يبتني العلم عليها, والمصطلحات الخاصة به التي تحدد المفاهيم, ومكونات القضايا التي يتألّف منها, وإنّ الذي يناسب البحث عن أحوال اللفظ هو إرادة المسائل التي تبحث في أحوال اللفظ العربي, وبهذا تتحقق السمة العلميّة لهذا الفن ويغدو علماً مستقلًّا كباقي علوم اللغة العربية المتعددة, ويبحث في هذا العلم (عن أحوال اللفظ), ومعلوم أنّ أحوال اللفظ متنوعة متعددة, فهنالك أحوال تتعلّق

بنية الكلمة من حيث ما يطرأ عليها من تغييرات الإعلال والإبدال والقلب والحذف وغيرها, ويبحث في هذه الأحوال (علمُ الصرف), وهنالك أحوال تتعلّق باللفظ من حيث الإعراب والبناء, ويبحث فيها (علمُ النحو), إذن الأحوال التي تطرأ على اللفظ كثيرة ومتعددة, وباعتبار تلك الأحوال والخصائص تتنوّع علوم العربيّة وتستقلّ بعضها عن بعض, وإن كان المبحوث عنه واحداً وهو (اللفظ العربي), ولهذا احتاج إلى تقييد تلك الأحوال بالحيثيّة المعنيّة بوضع اللفظ العربيّ, أي: أنّه لا يعرض في علم الوضع أحوال اللفظ من حيث الاعلال والإبدال كعلم الصرف, ولا من حيث الإعراب والبناء كعلم النحو, ولا من حيث مطابقة اللفظ لمقتضى الحال كالبلاغة, ولا من حيث بيان المعنى المعجمي كمتن اللغة؛ بل من حيث وضع الألفاظ وطبيعة ذلك الوضع, وأنواع الموضوعات والمعاني الموضوع لها, ونظرا لكون الحيثيّة تحتاج لشيءٍ من التّفسير ذهب بعض المعرِّفين لتعريف هذا العلم بأنّه: "علمٌ باحثٌ عن تفسير الوضع وتقسيمه إلى: الشخصي والنوعي والعام والخاص, وبيان حال وضع الذوات ووضع الهيئات إلى غير ذلك"(٤), وهو تعريف باعتبار جهة الوحدة الذّاتيّة؛ لأنّ مسائله اجتمعت في موضوعٍ واحد هي (الألفاظ) من حيث ما يعتور ذواتها وضعاً من الحيثيّات الداخلة في حقيقته التي أشار إليها المعرّف, وعرّفه الدَّجْوي (ت: ١٣٦٥ هـ) بتعريفٍ مقاربٍ فقال: هو "علمٌ يبحث عن أحوال الّلفظ العربي من حيثُ ما يعرف به شخصيّة الوضع ونوعيّته وخصوصه وعمومه إلى غير ذلك"(٥), ولعلّ المدرّس (ت: ١٤٢٦ هـ) اقتصر على الحيثيّة لما في التفسير من قصور أطال في تعداد تلك الأحوال فقال: هو "مسائل يُبحثُ فيها عن أحوالِ اللفظ من حيثُ الوضع"(٦), وفي اختياره (المسائل) على (العلم) تصريحٌ بأنّ المراد بالعلم هنا المسائل والقواعد.

والوضع يشمل الوضعَ (التعييني) عن طريق تخصيص اللفظ للمعنى وضعاً, و(التّعيُّني) الواقع على الألفاظ المنقولة عن معانيها إلى معانٍ أخرى تستقرّ عليها بكثرة الاستعمال لها, وهجر المعنى الأوّل(٧).

إنّ الوقوفَ على حقائق الأشياء منوطٌ بمعرفتها بقدر الطاقة البشرية, ولما كانت الحقائق كثيرةً والمسائل العلميّة متنوعة احتاجت إلى جهاتٍ تضبط مسائلها وفروعها من خلال مراقبة ما يعرض لها من أحوال, وما يميّز حقيقةً عن أخرى, لذلك أُفردت (الأحوال الذاتية) المتعلّقة بشيءٍ واحد تحتَ موضوعٍ واحد جمعوا فيه مسائله وباعتباره عُدّ (عِلماً واحداً), ولما كان الحكم على الشيء فرع تصوّره؛ كان لزاماً أن يكون لكلّ علمٍ موضوعٌ تتمايز به العلوم عن بعضها, وغايةٌ إذا فُقدت كان البحث في موضوع ذلك العلم عبثا, وفائدةٌ أو ثمرةٌ مبنيةٌ على ذلك العلم بذلك الموضوع, والمسائل الراجعة إلى موضوع العلم بالذات أو بالقصد تسمّى تلك الجهة التي تضبطها (جهة الوحدة الذاتيّة), والمسائل الراجعة إلى غاية العلم وهي أمر خارج عن حقيقة العلم تسمّى تلك الجهة التي تضبطها (جهة الوحدة العرضية), ولهذا انشغل العلماء في مقدّمات العلوم ببيان تعريف موضوع العلم وغايته مع مسائل أخرى كاستمداده وحكمه ومسائله إلى آخر ما اصطلح على تسميتها بمبادئ العلوم العشرة, لكنّ التركيز الكبير يكون على موضوع العلم وغايته(٨).

ثانيا: الموضوع

أمّا موضوعه: فهو (اللفظ من حيث وضعه)؛ لأنّ كلّ مسائله المتكثرة راجعةٌ إلى اللفظ باعتبار وضعه, ومن المقرر أنّ موضوع العلم هو: ما يبحث في العلم عن الأعراض الذّاتيّة لموضوع العلم, والعرض الذاتي هو: الخارج المحمول الذي يلحق الشيء لذاته أو لجزئه أو لمساوٍ له, وبهذا الاعتبار يتميّز هذا العلم عن العلوم الأخرى وتعدّ مسائله علماً واحداً, وتسمّى (جهة الوحدة الذّاتيّة)؛ لأنّها راجعةٌ إلى الموضوع, ونظرتنا إلى مسائل (علم الوضع) ترينا أنّ تلك المسائل تتّخذ من اللفظ وإشكاليّاته موضوعا له, سواء كان اللفظ موضوعاً بالفعل أو بالقوة, ليشمل الألفاظ الصادرة من الفم عند الإنسان, وما من شأنه الصدور؛ ليدخل في مسائل هذا العلم (كلامُ الله تعالى) المنزّه عن الجوارح وأعضاء النطق ضمن موضوع علم الوضع, وإنّ

جميع الأبحاث والقواعد الواردة والمسائل المعروضة في هذا الفن تتعلّق بالوضع العرفي سواء كان وضعاً عرفيّاً خاصّاً أم عرفيّاً عامّاً, وبيان ما يتّصل باللفظ الموضوع عموماً وخصوصاً, وشخصيًّا ونوعيًّا, وبيان أحوال الذّوات والهيئات للألفاظ المفردة والمركّبة وما يطرأ عليها في وضعها, وتوجيهها طبقاً لأركانه وطرق وضعه, وفي الحكم عليها وبها حسب مقاييسه.

كما يشتمل على الإجابة عن ماهيّة (الوضع اللفظي) الذي به نقف على حقيقته, وما هي القواعد العلميّة التي تؤدي رعايتها وعدم الخروج عنها إلى دقّة استعمال اللغة على ما هي عليه, إذ إنّ جميع مسائل هذا العلم يحمل فيها الحكم على موضوع العلم الذي هو اللفظ بالذات؛ كقولنا: الاسم موضوع لكذا, أو بالواسطة كقولنا: المبهم يحتاج إلى قرينة, فإنّ المبهم هو ذلك الضمير مثلاً الموضوع لأمرٍ خاصٍّ باعتبار أمرٍ عام ممّا يؤدي إلى الاحتياج إلى القرينة.

ثالثا: غايته

أمّا غايته أو فائدته فإنّ لكلّ علمٍ غايةً باعثة على تحصيله, تسمّى: غاية العلم وفائدته, وبين الغاية والفائدة خصوصٌ وعمومٌ مطلق, لا يظهر إلّا من خلال معرفة الوضع, وبهذا تظهر أهميّة هذا العلم في عرض فائدته وغايته, والفرق بينهما "أنّه إذا ترتّبَ على فعل أثرٌ فذلك الأثر من حيثُ إنّه نتيجةٌ لذلك الفعل وثمرة يسمى فائدة, ومن حيثُ إنّه على طرف الفعل ونهايته يسمى غايةً, يعني أنّ الواضع لما اعتبر في الأثر الناشئ عن فعل ما أنّه ناجمٌ عنه بوجه كونه نتيجةً وثمرةً سمّاه فائدة, ولما اعتبر فيه أنّه واقعٌ في نهاية الفعل لا من حيث كونه نتيجةً سمّاه غايةً, وفائدة الفعل وغايته متّحدان بالذات مختلفان بالاعتبار لاختلاف مفهومهما(٩).

وغاية (علم الوضع) والثّمرة المرجوّة من دراسته تظهر في أنّها توقف القارئ للفكر اللغوي على أصل الوضع, ومعرفة وضع الألفاظ المخصوصة لمعانيها إجمالاً, والاقتدار التام على تمييز الموضوع عن غيره, وتمييز موضوعات اللغة والصرف والاشتقاق والنحو وغير ذلك بعضها عن بعض, وتمييز بعض الأقسام عن بعض آخر, وتمييز أمارات الحقيقة عن قرائن المجاز, و"إذا كانت علوم اللغة لعصمة اللسان عن الخطأ في الفكر, فالوضع لكونه علماً لغويّاً يرجع إلى هذه الغاية ولكن من حيثُ الوقوف على أصل الوضع للصيغ والتراكيب لتنزيلها منازلها...؛ فغاية علم الوضع الأساسية إيقافُ المتعلّم والدارس على وضع الألفاظ بإزاء معانيها, وليس كل الالفاظ اللغوية المستعملة؛ لأنّ ذلك مهمة المعجم, وإنّما إيقاف الألفاظ باعتبار اندياحها في مجموعة تضم آلاف الكلمات والتراكيب, كوضع المصادر وأسمائها, والأفعال وأنواعها, والمشتقّات وصيغها, والتركيب الاسمي والفعلي الخالي من القيود والمخصَّصات والمقيد بالمفاعيل وغيرها من الفضلات, والتّركيب الإسنادي التّام وغيره من الإضافي والوصفي والإيقاعي"(١٠), وغايته الكبرى أيضاً حل الإشكال القائم في وضع (اسم الإشارة واسم الموصول والضمائر والحرف), والتفرقة بين (وضع الحروف) المحتاجة إلى ضميمة, و(وضع المبهمات من الأسماء) في احتياج كلٍّ منها للقرينة, وافتقار الأولى لها افتقار تحقُّقٍ ووجود, والأخيرة افتقار وضوحٍ وبيان, وبيان العلّة الوضعيّة التي جمعتهما بوضع وفرّقتهما بآخر, وللرّد على مَن أشكل عليه ورود (المبهمات) و(الحرف) في وضعٍ واحد عند المتأخّرين, واشتراط المتقدمين لها الاستعمال في غير ما وُضعت له, والتفرقة بين (وضع الأسماء المعلومة من المعارف) و(وضع المبهمات), في استقلال الأولى وضعاً ووضوحاً, وافتقار الثانية في الوضوح واحتياجها القرائن المزيلة للخفاء, والفرق بين (المبهمات) و(النّكرات), وأنّ الوقوف على العلل التي دفعت العرب لاستعمالٍ دون آخر تمييز الموضوع الخاصّ من العام له آثاره في الاستدلال الفقهي المتعلّق بأفعال المكلّفين صحّةً وفسادًا وفرضًا وتحريمًا(١١).

رابعا: أهميّته

تكمن أهمية (علم الوضع) أيضاً في حفظ مفردات ومركبات اللغة, حقائقها ومجازاتها, وفي تفسيره الظواهر الصّرفية والنحوية والبلاغية والأصولية, وتحديد الفئات الصرفية والنحوية والبلاغية في موضعها, ولقيام معيار الوضع في أذهان المصنّفين الأوائل الذين قسّموا الكلمة إلى أقسامٍ ثلاثة, وكل واحد منها إلى أقسام أخر, وطبيعة ما تحتويه من دلالات خصّها به لإداء وظائف معيّنة مخصوصة, وكيفية التمييز بينها من خلال الوضع والاستعمال, ومساهمته في استنباط الأحكام وفهم النصوص, ولا سيما في جانب الأدلة التي تعتمد الحقيقة والمجاز, وتحديد الرموز المستعملة في النظام اللغوي(١٢), ومعرفة الأساس الذي بنى عليه النحاة تقسيماتهم وتوجيهاتهم للأبواب النّحوية, والوقوف على الدوافع والمعطيات العلمية المسببة لهذه الاختيارات, حتى قال طاش كبري زاده: "وهذا علمٌ نافعٌ في الغاية"(١٣), ولا نكاد نبالغ إذا قلنا إنّ قراءة علوم الصرف والنحو والبلاغة في التراث اللغوي العربي بشكلٍ رصين قائمة على التّضلّع بهذا العلم؛ لما بينها وبينه من وشائج وعلاقات وصلات, حتى إنّ كثيراً من مقررات تلك العلوم مبنيّة على فلسفة الوضع واعتباراته المتعددة, ومن أهميته أنّه لا يمكن لباحثٍ ما في قضية لغوية معيّنة أن يدخل إليها إلّا بعد أن يقف على أصلها وهو ما وضعت له أوّل الأمر, وهو سابقٌ للاستعمال.

الخاتمة

يشكّل وضع اللفظة جوهر العمليّة التواصليّة دون إغفالٍ لأهمية أنواع التواصل الأخرى كالإشارة والعقد والخطوط والكتابة, إلّا أنّ علم الوضع اللغوي يقوم على اعتبار الألفاظ الموضوعة المستعملة, وهي متعددة الاستعمالات ومتباينة الوضع لتباين اعتبارات الواضع لها عند وضعها, وهذه الألفاظ متساوية الإقدام قبل الوضع, وإنّ وضع الألفاظ هو الذي يكسبها أحكامها التوصيفيّة من حيث منح المعنى المعجميّ أولاً, ومن حيث التوزيع الصرفي صحّة وإعلالا, وصيغة وبناء, والنحوي من حيث التعريف والتنكير والإعراب والبناء, وهذه المباحث اللغويّة لا يمكن إدراك فلسفتها اللغويّة دون معرفةٍ مسبقةٍ بهذا العلم, ووجه اقتصار الوضع على الوضع اللغوي للألفاظ دون غيرها أنّ الألفاظ أخفّ الموضوعات التي لا يحتاج عند استعمالها إلى إحضار الموضوع له, ويُكتفى باستحضاره ذهناً, كما يضبط العمليّة اللغويّة بمحافظته على الركائز التواصليّة بين أفراد البيئة اللغويّة الواحدة, وقد ظهرت المباحث الوضعية في الدراسات اللغوية القديمة ظهوراً مكثّفاً؛ وشكّلت أساساً نظرياً متيناً في الوقوف على دلالات الكلمة الأصليّة وتفرّعاتها الاستعماليّة, ونظاماً عميقاً لمراقبة الصيغ الصرفيّة وتحوّلاتها, ومعياراً منهجيّاً لتحديد التكوينات النحويّة الأصليّة ومتغيّراتها, ولا يمكن للباحث أن يقف على المنجز اللساني العربي القديم دون قراءة مكثّفة لطبيعة هذا العلم المركزي المهم.

قائمة المصادر والمراجع

١- **نهاية الوسع شرح رسالة الوضع**, أبو بكر الميروستمي, مخطوط, مكتبة السليمانيّة.

٢- **حاشية العجلوني على الرسالة الوضعية العضدية**, اسماعيل الجرّاحي العجلوني, مخطوط, ضمن مجموع.

ثانيا: الكتب:

٣- **أبجد العلوم**, أبو الطيب, محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي, دار ابن حزم, بيروت- لبنان, ط١و ٢٠٠٢م.

٤- **حاشية الدسوقي على الوضعية شرح الرسالة العضديّة**, العلامة محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي, ومعه حاشية الحفناوي على الشرح المذكور, عني بهما: مرعي حسن الرشيد, دار نور الصباح, مديات- تركيا, ط١, ٢٠١٢م.

٥- **خلاصة علم الوضع**, الشيخ يوسف الدجوي, مكتبة القاهرة, د.ط, د.ت.

٦- **رسائل العرفان في الصرف والنحو والوضع والبيان**, الشيخ عبدالكريم المدرّس, الدار العربيّة للطباعة- بغداد, ط١, ١٩٧٨م.

٧- **علم الوضع دراسة في فلسفة اللغة بين علماء أصول الفقه وعلماء اللغة**, أ. د. عبدالرزاق أحمد محمود الحربي, ديوان الوقف السني- دائرة البحوث والدراسات, بغداد, ط٢, ٢٠١٣م.

٨- **قراءات في علم الوضع**, د. محمد ذنون يونس, دار الرياحين, بيروت- لبنان, ط١, ٢٠١٨م.

٩- **متن في الوضع**, إبراهيم حقي بن خليل الأكيني, وهو منشور ضمن المجموع المنتخب من متون علم الوضع, جمع وتحقيق: د. شامل شاهين, دار غار حراء, دمشق- سورية, ط١, ٢٠٠٦م.

١٠- **المحمدي في شرح الوجيزة**, الأستاذ الملّا محمد باقر, د.ط, د.ت.

١١- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**, أحمد بن مصطفى الشهير بطاش‌كبري زاده, دار ابن حزم, بيروت- لبنان, ط١, ٢٠١٠م.

١٢- **المقرر في شرح منطق المظفّر مع متنه المصحح**, السيد رائد الحيدري, مكتبة محدث, قم- إيران, ط١, ٢٠٢٠م.

الهوامش

(١) المحمدي في شرح الوجيزة, الأستاذ الملّا محمد باقر: ٣-٤.

(٢) ينظر: نهاية الوسع شرح رسالة الوضع: ٢.

(٣) ينظر: المقرر في شرح المنطق مع متنه المصحح, السيد رائد الحيدري: ١٧.

(٤) أبجد العلوم: أبو الطيب القِنَّوجي: ٥٥٢.

(٥) خلاصة علم الوضع: ٣.

(٦) رسائل العرفان في الصرف والنّحو والوضع والبيان: ١٨٥.

(٧) ينظر: علم الوضع دراسة في فلسفة اللغة بين علماء أصول الفقه وعلماء اللغة, أ.د. عبدالرزاق أحمد محمود الحربي: ١٣١.

(٨) ينظر: متن في الوضع, الأكيني: ١٢٧-١٢٨, وهو منشور ضمن: المجموع المنتخب من متون علم الوضع, جمع وتحقيق: الدكتور: شامل شاهين.

(٩) ينظر: أبجد العلوم: ٤٢, وحاشية الدسوقي على الوضعية شرح الرسالة العضديّة, الدسوقي, ومعه: حاشية الحفناوي على الشرح المذكور, عني بهما: مرعي حسن الرشيد: ٥٨.

(١٠) قراءات في علم الوضع, د. محمد ذنون يونس: ١٨-١٩.

(١١) ينظر: حاشية العجلوني على الرسالة الوضعية العضدية, اسماعيل العجلوني: ٦, مخ, ضمن مجموع.

(١٢) ينظر: علم الوضع, دراسة في فلسفة اللغة بين علماء أصول الفقه وعلماء اللغة: ١٩-٢٠, وقراءات في علم الوضع: ١٩-٢٠.

(١٣) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: ٩٢.

دلالة اسلوب التقديم وقيمها في النص القرآني الكريم -القيم الدلالية-

عبير عدنان مهدي الصافي،
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة كربلاء، العراق

الملخص

هناك فارق بين متحدث وآخر ويكمن هذا الفارق في اسلوبه في تقديم مايجوز تقديمه وتأخير مايمكن تأخيره، يأخذ من مفهوم الدلالة و مقتضى الحال منهجا في ترتيب كلماته، بحسب منظومة أسلوبية للكلام، إذ إنّ جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار، هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام. وعلى هذا فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطاً في نظم الكلام، وتأليفه وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو ضرورة من ضروراتها الجمالية؛ إن ما يقتضي التقديم في الكلام هو بالوقت نفسه ضرورة لتأخير الجز المتمم له؛ وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يكون هناك مبرر لاختصاص كل من المسند إليه والمسند بدواع خاصة عند تقديم أحدهما أو تأخيره عن الآخر، لأنه إذا تقدم أحد ركني الجملة تأخر الآخر، فهما متلازمان. ان للمنهج الاسلوبي طاقات إضافية تحرك النص حركة محورية تلف ذات النص وتعمل على إظهار إشعاعات مضيئة ، تزيد من جمالية البناء النصي ، فقد أكد البلاغيون على ظاهرة التقديم في القرآن الكريم على أنها واسعة التصرف، جمة المحاسن، ويحمّلون النحويين المتقدمين أوجه التغافل عنه، قال الجرجاني : (قد صغُر أمر التقديم و التأخير في نفوسهم و هوّنوا الخطب فيه حتى إنك لَترى أكثرهم يرى تتبعه و النظر فيه ضربا من التكلف)، ولا بد للمنهج الاسلوبي ان يتسع لملئ مساحة النص ليتمكن من اظهار آفاق جمالية أخاذه بمشاعر المتلقي،حيث إن الأدوات الأسلوبية في الإعجاز القرآني هي من كشفت القيم الدلالية و الجمالية و الصياغية، من ذلك أسلوب التقديم و التأخير في سياق الآيات الكريمة، قال الجرجاني : (ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعُه و يلطفُ لديك موقعُه ثم تنظر فتجد أن سبب أن راقك و لطف عندك أن قدّم فيه شيء و حوّل اللفظَ عن مكان إلى مكان)، لم يكتف القرآن المجيد بمراعاة السياق الذي ورد فيه اللفظ فحسب بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات؛ فاقتضت ضرورة البحث تقسيمة إلى مبحثين، أولهما تفرد بأسباب التقديم و التأخير و أسراره في القرآن المجيد، و انقسم المبحث الى مطالب عدة؛ و أمّا المبحث الثاني فاقتصر على توضيح أسباب التقديم من وجهة نظر اللغويين المتقدمين.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني، المفردة، اسلوب التقديم، الدلالة.

المفاهيم

مفهوم حركة الرتبة البنيوية بحسب أدوات الأسلوب في النص القرآني ، تتجلى فيها الشحنة الدلالية ،و النشاط الحركي للعلاقات البنيوية داخل النص ، وتسمح هذه العلاقات النصية بدخول تأثيرات على الجوانب الصياغية له ، قصد تأسيس منهج لغوي موضوعي ، يدفع بالمتلقي من إدراك الملامح الفنية إدراكا تفاعليا ، يعي بموجبه علاقات الخصائص الوظيفية للنص ، و المؤشرات الدلالية الجديدة فيه ، باعتبار الظواهر اللغوية الذاتية التي تتحكم بالعلاقات البنائية داخل النص ، هي العنصر المشترك الذي يربط بين التحليل الأسلوبي و تلك الظواهر التي وظفتها الأدوات الأسلوبية لنتائج انفعالية تحقق استجابة المتلقي و تحرك إحساسه ، فآليات المنهج الأسلوبي طاقات إضافية تحرك النص حركة محورية تلف ذات النص وتعمل على إظهار إشعاعات مضيئة ، تزيد من جمالية البناء النصي ، فقد أكد البلاغيون على ظاهرة التقديم في القرآن الكريم على أنها واسعة التصرف ، جمة المحاسن ، ويحمّلون النحويين المتقدمين أوجه التغافل عنه ، قال الجرجاني : (**قد صغُر أمر التقديم**

و التأخير في نفوسهم و هوّنوا الخطب فيه حتى إنك لَترى أكثرهم يرى تتبعه و النظر فيه ضربا من التكلف)(١) .
دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص١٤٩ .

لابد للمنهج الأسلوبي أن يتسع لملئ مساحة النص ، ليتمكن من إظهار آفاق جمالية أخاذة بمشاعر المتلقي ، و لها القدرة على استثمار العلاقات البنيوية ضمن دائرة النسيج التركيبي للعبارة ، وسعي الأدوات الأسلوبية على كشف العلاقات الحميمة بين اللفظ و معناه ، و إجلاء بريق العلاقات البلاغية ، من جناس و طباق و تقديم و تأخير في سياق العبارة ، و هو ضرب من الصياغة التصويرية و التعبيرية للعبارة ، يقول الجرجاني : (فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والرسوخ في الفكر سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى ، وكان ترتب الكلام بحسب ذلك ، وهذا كله على وجه الأولوية وبيان المناسبة ، لا على وجه اللزوم) ؛ إن التحليل الأسلوبي للأوجه الجمالية في النص ، لا يسمح لها أن تقفز فوق مكونات التوليف الصوتي للفظ ، و تقف عند جرس الكلمة مثلا ، وبذلك فعلى المنهج الأسلوبي أن يلتزم بالمرور على مستويات اللغة : الصوتية و الصرفية و النحوية ، ثم يشع بالمعاني الدلالية الجديدة التي يتوخاها كما ينبغي أن تكون عليه أو كما كانت ، وبما يحاكي به الآخر(٢). ينظر : كتاب أرسطو طاليس في الشعر ، ترجمة : د . شكري محمد عياد ، نقل : أبي بشر متي القناني ، ص ١٤٢ .

إن الأدوات الأسلوبية في الإعجاز القرآني هي من كشفت القيم الدلالية و الجمالية و الصياغية ، من ذلك أسلوب التقديم و التأخير في سياق الآيات الكريمة ، قال الجرجاني : (**ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعُه و يلطفُ لديك موقعُه ثم تنظر فتجد أن سبب أن راقك و لطف عندك أن قدّم فيه شيء و حوّل اللفظَ عن مكان إلى مكان**)(٣) (دلائل الاعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني ص، ١٤٨ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ٢٠٠٢.

المبحث الاول : أسباب تقدم المفردة و تأخيرها في النص القرآني

من الصعوبة حصر جميع مبررات نشاط حركة الكلمة في بيئة النص وأسرارها في القرآن المجيد و ما ينتج عنها من دلالات , لسعة مساحة النص القرآني في إيحاءاته و إشاراته المعرفية , و يمكن أن نستضيئ برؤية الإمام السيوطي و محاولته التوصل إلى أغلب هذه الإشارات منها :

١ - التبرك : كتقديم اسم الله في الأمور ذوات الشأن , ومنه قوله: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَا﴾ [آل عمران: ١٨].

٢ - التعظيم : كقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [النساء: ٦٩].

٣ - التشريف : ، كتقديم الذكر على الأنثى في نحو: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]الآية. والحي في قوله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ...﴾ [الروم: ١٩]، والخيل في قوله: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]، والسمع في قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ [الإسراء: ٣٦].

زعم الامام السيوطي أنّ ابن عطية نقل عن النقاش , أنه استدل بها على تفضيل السمع على البصر(٤)، ولذا وقع في سمعه تعالى: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١] بتقديم السمع. وتقديم موسى على هارون لاصطفائه بالكلام وتقديم المؤمنين على الكفار في كل موضع، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال، والسماء على الأرض، والشمس على القمر، ومنه تقديم الغيب على الشهادة في قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[المؤمنون: ٩٢]لأن علمه أشرف(٥).

٤ - المناسبة، وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام، كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦] فإن الجمال بالجمال وإن كان ثابتاً حالتي السراح والإراحة إلا أنها حالة إراحتها، وهو مجيئها من المرعى آخر النهار، يكون الجمال فيها أفخر؛ إذ هي فيه بطان(٦)، وحالة سراحها للرعي أول النهار يكون الجمال بها دون الأول؛ إذ هي فيه خماص.

٥ - الحث: عليه والحض على القيام به حذراً من التهاون به؛ كتقديم الوصية على الدين في قوله:﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١] مع أن الدين مقدم عليها شرعاً.

٦ - السبق : وهو إما في الزمان باعتبار الإيجاد؛ كتقديم الليل على النهار، والظلمات على النور، وآدم على نوح، ونوح على إبراهيم، وإبراهيم على موسى، وهو على عيسى، وداود على سليمان، والملائكة على البشر في قوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاس﴾ [الحج: ٧٥].

والأزواج على الذرية في قوله: ﴿قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

والسِنة على النوم في قوله: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أو باعتبار الإنزال، كقوله: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٩]، ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَان﴾ [آل عمران: ٣،٤].

أو باعتبار الوجوب والتكليف، نحو: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧].

أو بالذات، نحو: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وأما قوله: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ [سبأ: ٤٦] فللحث على الجماعة والاجتماع على الخير.

٧ - السببية : كتقديم العزيز على الحكيم؛ لأنه عز فحكم، والعليم عليه؛ لأن الإحكام والإتقان ناشئ عن العلم. ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة؛ لأنها سبب حصول الإعانة وكذا قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] لأن التوبة سبب للطهارة.

٨ - الكثرة : كقوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِن﴾ [التغابن: ٢] لأن الكفار أكثر(٧)، قلت فقدمهم على المؤمنين.

قيل: وقدم السارق على السارقة؛ لأن السرقة في الذكور أكثر.والزانية على الزاني فيهن أكثر. ونحو قوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود﴾ [البقرة: ١٢٥] فكل طائفة هي أقل من التي بعدها فتدرج من القلة إلى الكثرة. فالطائفون أقل من العاكفين لأن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة. والعكوف يكون في المساجد عموماً والعاكفون أقل من الراكعين لأن الركوع أي الصلاة تكون في كل أرض طاهرة أما العكوف فلا يكون إلا في المساجد. والراكعون أقل من الساجدين وذلك لأن لكل ركعة سجدتين ثم إن كل راكع لا بد أن يسجد وقد يكون سجوداً ليس فيه ركوع كسجود التلاوة وسجود الشكر فهو هنا تدرج من القلة إلى الكثرة.

ولهذا التدرج سبب اقتضاه المقام فإن الكلام على بيت الله الحرام. قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود﴾ [البقرة: ١٢٥]، فالطائفون هم ألصق المذكورين بالبيت لأنهم يطوفون حوله، فبدأ بهم ثم تدرج إلى العاكفين في هذا البيت أو في بيوت الله عموماً ثم الركع السجود الذين يتوجهون إلى هذا البيت في ركوعهم وسجودهم في كل الأرض.

ونحوه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، فبدأ بالركوع وهو أقل المذكورات ثم السجود وهو أكثر ثم عبادة الرب وهي أعمّ ثم فعل الخير.

وقد يكون الكلام بالعكس فيتدرج من الكثرة إلى القلة وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] فبدأ بالقنوت وهو عموم العبادة ثم السجود وهو أخص وأقل من عموم العبادة التي هي القنوت ثم الركوع وهو أقل وأخص منهما.

٩ – الترقي من الأدنى إلى الأعلى : كقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...﴾ [الأعراف: ١٩٥]، بدأ بالأدنى لغرض الترقي، لأن اليد أشرف من الرجل والعين أشرف من اليد والسمع أشرف من البصر.

١٠ – التدلي من الأعلى إلى الأدنى، كقوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥](٨).

وزاد غيره أسباباً أخر؛ منها كونه أدل على القدرة وأعجب؛ كقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

قال الزمخشري: قدم الجبال على الطير؛ لأن تسخيرها له وتسبيحها له أعجب، وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز؛ لأنها جماد، والطير حيوان ناطق(٩).

وقد يكون التقديم لغرض آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك من الأغراض، إلا أن الأكثر فيه أنه يفيد الاختصاص. ومن التقديم الذي لا يفيد الاختصاص قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٨٤] فهذا ليس من باب التخصيص إذ ليس معناه أننا ما هدينا إلا نوحاً وإنما هو من باب المدح والثناء.

ونحو قوله: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩،١٠] إذ ليس المقصود به جواز قهر غير اليتيم ونهر غير السائل وإنما هو من باب التوجيه فإن اليتيم ضعيف وكذلك السائل وهما مظنة القهر فقدمهما للاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما(١٠) (ينظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن/ أبي الفضل جلال الدين السيوطي , ص (١٣١-١٣٢)).

المبحث الثاني: التجليات الأسلوبية لحركة المفردة في النص القرآني

سنحاول الوقوف عند التجليات و المعايير الأسلوبية ، و تقديم المنتج النصَّ للمتلقي بحلية جديدة منها :

أولا / القيم السياقية

١ – القيم الدلالية

من السياقات القرآنية التي أفضت إلى تجليات دلالية ، قوله تعالى في سورة الفاتحة : " **الحمد لله ، رب العالمين ، الرحمن الرحيم** " فإذا وضعنا النص أمام المعايير الأسلوبية ينبغي أن نعيّن قصديته أولا ، ثم نتفحص التوليف الصوتي لأبنية النص ، وبعد ذلك نهيئ الأبنية الدلالية الجديدة ، و إحلالها بدل المدلول الفردي (المعجمي) ثم ندخل بين العلاقات الوظيفية لأبنية النص و ربطها بأنظمة لغوية تؤدي إلى حراك ذاتي داخل العبارة ، قصد إدراك الفروق الإبداعية بين نص و آخر ، ثم التفرد بميزة إظهار الأحكام الجمالية التي تشع من تلك العلاقات الداخلية ، وفي هذا الحكم تفترق أدوات الناقد الأدبي عن المعايير الأسلوبية ، بأن الأول يستسلم لمعايير و مسلمات من خارج البيئة النصية ، و يسقطها على مساحة النص ، فالأسلوبية بذلك القيد يكون بعضا من تلك الأدوات و ليس كلها ، تختص ببيان العلاقات الجمالية داخل النص و من أجل النص(١١) ينظر : مجلة فصول ، بحث الأسلوبية الحديثة ، د. محمد عياد ص ١٢٣ . فالنص القرآني الكريم ، قد

استهل ببنية توالفَ فيها صوتان رخويان مهموسان (الحاء و الميم) ، مع صوت شديد مجهور (الدال) ، ليسهل نبوات رتيبة في جولة اللسان بين المخارج الصوتية في أثناء نطق اللفظ ، فجاء التوليف اللفظي مختوما ب(الدال) كصوت انفجاري لينبر به بنية اللفظة ، ويحقق جرسها في السياق ، ولم يبدأ النص بكلمة مماثله لها بالمعنى ككلمة (شكرا) لأن البنية الصوتية لهذه الكلمة لا تتحقق منها تلك المرونة في النطق ، فضلا عن دلالتها المعجمية الفردية ، فالحمد أعم من الشكر ، فضلا عن أن في اللفظة المزعومة (شكرا) خطاب مباشر لحدث آني متغير ، توافق زمان حدوثه مع زمان فعله المحذوف جوازا ، لغرض توكيد الفعل حصرا دون دوامه و ثبوته و استمراره ، أما لفظة (الحمدُ) ، فقد احتلت مرتبة الابتداء في الآية الكريمة ، لما يدل عليه الاسم في ثبوت المعنى و استقراره و دوامه بعد أن ألحق به (ال) الجنسية ، ليصح إطلاقها على جنس و صور الحمد الذهنية ، و أشكاله الدلالية كافة ، ثم منحها الناظم المبدع . جل و علا . رتبة الابتداء ، وتصدرت السياق ، لما لمرتبة المبتدأ من حظوة وظيفية أساسية فيه ، فاستدعت تلك الوظيفة الأخبار عنها و الإسناد إليها ، لتشع منها دلالة الثبوت ، في ضوء معايير الجملة الاسمية و أهميتها في الدلالة ، وهي غالبا ما تكون في أدوات البلاغيين ، دلالة تقريرية مستمرة ، مجردة من قيد الزمن ، وإنما خصص الرفع لكل اسم نبتدئ به ، فالرفع في الأسماء دالة تلازميه تخرج لمعنى الثبوت و الدوام ، وربما رفعة منزلة الاسم المرفوع ، لما تتقدم رتبته في التركيب ، وتظهر أهميته في الوظيفة السياقية عندما يصح الإخبار عنه ، بألفاظ تليها في الرتبة ، و تقيد ذلك الإطلاق العام ، بمدلول خاص ، ويشكل معه دائرة إسنادية تامة المعنى يحسن المتلقي السكوت عليها ؛ فضلا عن أن لفظة (الحمد) تفردت بمدلولات معجمية واسعة ، منها : الثناء ، و الشكر ، و الامتنان ؛ فتنتقي الأدوات الأسلوبية منها أشرف المعاني ، و تلك مزية من مزايا الإعجاز في النص القرآني .

أما لفظ الجلالة (الله) فهي لفظة مخصوصة الإطلاق ، متفردة المدلول ، تحدد ذاته . جل و علا . من دون باقي المسميات ، لا يجوز أطلاقها مجازا ، ولا استعارة ؛ لها جرس متجانس ، يخلو من أي صوت شديد انفجاري ، ينبو في نطقها اللسان مرة واحدة إلى سقف الحنك الأعلى ، ويصف علماء الأصوات صوت (الام) بانه من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ، فهو صوت رخو مهموس قابل للاستعلاء و الاستفلاء ، خلافا لمن يصفه بأنه متوسط بين الشدة و الرخاوة(١٢) (. ينظر : الأصوات اللغوية ، ابراهيم أنيس ، ص٦٢ .)، لما يكتنز فتح الفم من توالي صوت الألف الممدودة ، وغير مماثلة ،وكأنها بعض من صوت الهاء ، فيخرج صوت الهاء من الحلق مشبعا بألف لينة متسعة ، تبقي على الفم مفتوحا بهذه الكيفية لنطق هذين الصوتين بصورة متتالية ، إنما يفصح عن معاني الدعاء ، و التضرع ، و التوسل ؛ أما عن إلحاق حرف الجر (الام) بلفظ الجلالة ، فإنما يخرج لمعنى التملك و التخصيص ، وتوجيه هذه المصاحبة بين (الام) و لفظ الجلالة إنما جاء بغاية قصر الحمد إليه لا شريك له فيه ؛ و أما عن أسلوب هذه الدائرة ألإسنادي البسيطة . في مقابل الجملة المركبة . ، فهو تركيب خطابي مباشر ، مراعاة لمقتضى حال المقام (المتلقي) ، في البيئة البدوية لمجتمع مكة ، و لسهولة فهمه و حفظه و تداوله ، و تناقله ؛ وما نبحث عنه هو ، ذلك التقديم الذي اقتضاه أسلوب البناء السياقي في أن يتقدم لفظ (الحمد) على لفظ الجلالة . جل و علا . و عظم شأنه ، ،إلا أن ذلك الحراك الوظيفي داخل بنى النص قد أفصح عن دلالة أسلوبية ، لا تخرج عن انصراف الحمد و الثناء له وحده و قصره عليه ، ولو كان التقدير في غير القرآن الكريم ، وتقدم ما كان متأخر ، لما أثمر السياق عن تلك الدلالة المتحصلة التي أسلفناها ؛ أما عن دلالة العلائق الجديدة ، التي بنتها الأدوات الأسلوبية بالتنغيم الصوتي في نهاية الآية الكريمة فهو وقف جوازي بمثابة توطئة للكلام اللاحق ، وعامل ربط بين الجملتين على نية استكمال الدلالة العامة للنص .

و قوله تعالى : " **رب العالمين** " فالربوبية مصدر صناعي ، و مفردها رب ، ففيها تربية و نشأة للعالمين ، يتصف بها المتعال من البشر و الذي بيده ناصية الآخرين ، فهو رب ، مصدرٌ وصف به على أحد وجوه الوصف بالمصدر ،

ودلالتها دنيوية وضعية ،تشير إلى التملك العام ، و القدرة على ملكوت الدنيا ، ولا يصح أن يكون الرب بمعنى الثابت و لا بمعنى الصاحب لا متناع إضافته للعالمين ، و إن كان بمعنى المصلح كان الوصف بالرحمة مشعرا بقلة الإصلاح ، وقيل نصب على المدح وهي فصيحة لولا خفض الصفات بعدها فضعف النصب ، فتضعف قراءة نصب (رب) مع خفض الصفات بعدها ، لأنهم نصّوا أنه . لا إتباع بعد قطع المنعوت(١٣) (المصدر السابق ، ص ١٢٥). وتوجيه الجر فيه على الوصفية ، و لا على البدلية و لا على نية تكرار العامل ، لأن ، وقد اقتضت الدلالة السياقية في النص أن تتأخر، عبارة (يوم الدين) الذي يخص العالمين جميعهم ويهابونه لعظمته ، فلا خلاف مع من يذهب إلى إعرابها نعتا لأن هذه اللفظة فيها توصيف متحرك ، واسم متغير قد تلازم مع اسمه . سبحانه وتعالى . كما يلازم ذلك النسيج البنيوي للفظة (رب) غيره من الأسماء ،لعدم تحقق التفرد في دلالة بنيته ، و لو تحقق التفرد المتحصل من غيره من الصفات ، لكانت وظيفته النحوية متباينة ، وقد جوز لنا التركيب الدلالي للبنية ، التفريق بين وظيفتي النعت و البدل ، للتسليم بحقيقة أن البدل من الصفات المطابقة لذات المبدل منه ، أما النعت فينضوي على جزء من صفات الذات الموصوفة ، فصفاته . جل و علا . هي ذاته ، وذاته هي صفاته ، وقد أنصفها أسلوب البناء الدلالي لدى المبدع . جل و علا . لما أضافها إلى مكون خلقي إبداعي هو لفظة تدل على الجمع (العالمين) و مفردها عالَم ، . مفتوحة اللام . ، و يقصد عالم الشروق و الغروب و الشمال و الجنوب و الوسط ، وجمعها بعض النحاة على عوالم ، على وزن فواعل . جمع لغير العاقل . ، مطرد في القياس و شاذ في الاستعمال(١٤) (ينظر : البحر المحيط ، ج١ ، ص ٣٨) .

٢ . القيمة الوصفية التطابقية

و نعني بها تلك الصفة المتطابقة و الثابتة التي تدل على مطلق ذاته . جلّ و علا . تفريقا عن الصفة التلازمية غير الثابتة في لفظة (رب) ، كما أسلفنا لاختلاف البنيتين ، ومنه قوله تعالى : (**الرحمن الرحيم**) ، إن وصف الرحمانية و الرحيمية لينبسط أمل العبد في العفو إن زلّ ، و يقوي رجاؤه إن هفا ، والخفض بما ذهب الجمهور على البدلية أو عطف البيان ، أما من أخذ بالنصب أو الرفع فعلى القطع(١٥) (ينظر : القرآن إعراب و بيان ، د. علي الحلو ، ص٨٩)، و الفصل برب العالمين ، لأن (الرحمن الرحيم) بنيتان وصفيتان تأخرت مرتبتهما بقصدية السياق النصي ، فيذهب أبو حيان إلى أن منشأ ذلك على أن مجاورة الرحمة بالحمد أولى ، و مجاورة الملِك بالملك أولى و الترتيب القرآني جاء في غاية الفصاحة لأنه . جل و علا . وصف نفسه بصفة الربوبية ، ثم ذكر شيئين أحدهما ملكه يوم الجزاء و الثاني العبادة ، فناسب الربوبية للمُلك ، و الرحمة للعبادة فكان الأول للأول و الثاني للثاني ، لأن دلالة لفظة الرب محددة بيوم الدين ، فاعترض الجملة بلفظتي (الرحمن الرحيم) لدلالة إعجازية مزيتها تناوب وظيفي في السياق بين النعت ثم الانتقال إلى الصفة البدلية ، مع تباين الدلالات في الوظائف السياقية ، فالرحمن ، على وزن فعلان ، صيغة مبالغة ، أما عن وردها في التركيب اللغوي لغرض الدلالة على الكثرة و استمرار الحدث و دوامه ، لأنه توصيف لذات الله . سبحانه و تعالى . و جذرها . رحم . ثلاثي و مصدره على فعلان ،يستدعي معنى الفوران و الحركة السريعة ، على وفق افتراضات النحويين ، و تحملاتهم ، في دلالات مصادر الفعل السماعي من الثلاثي ، و بما أن حركية الدوران لا تتفق و ذات الله ، فخرج بها السياق إلى دلالة أخرى لاختلاف وظيفتها في التركيب ، واختلف النحاة و المعربون في وظيفتها في الجملة ، منهم من أعربها على البدلية و بعضهم أقر بأنها نعت ثان ، ولو حاكمنا تلك الآراء على معطيات البنية التركيبية وأخذنا بدلالة أسلوب التأخير ، لفككنا رموز ذلك الخلاف ، .لأن منشؤه المعنى الذي يفصح عنه ظاهر اللفظ ولو حللوا بنيتها لخرجوا من دائرة الخلاف ، لأن لفظة الرحمن صفة مطابقة لذات الله ، وبهذا المعنى تخرج من وظيفة النعت ، لأنها لفظة

تدل على التفرد و التوحد ، وبما أن لفظ الجلالة في جملة (الحمد لله) يدل على التوحد و التفرد ، فيجمعها التطابق في المعنى ، لأن اللفظين يدلان على الوحدانية و الانفراد ، وهما صفتان ذاتيتان ، فوظيفتها بالجملة ، تبتعد عن النعت ، وتدخل في باب البدلية ، و نفس الحكم بالنسبة للفظة الر حيم ، مع اعتبار المدلولات التي وضعها المفسرون للفصل بين دلالة بنيتي (الرحمن . الرحيم) ؛فلو كان الغرض من تقديم جملة (الرحمن الرحيم) توصيف ذات الله ، كما في لفظة (رب)، لضاع المطلوب ، لأن النعوت إذا تعددت و توالت ، تضعف من التركيب السياقي و تبتعد عن الإعجاز بدلالة عميقة يوضحها الأسلوب الذي يعمل على توجيه اهتمام المتلقي لظاهر النص ، و تصرفه عن الدلالة المطلوبة ، وتكون بذلك صفات تدور حول ذات واحدة ، على وجه استدعاء المتلقي للصور الذهنية بقصد تقريب التعريف بالذات الجامدة ، و التي تفتقد إلى الحركية و التدبر ، فلا مزية في تركيبها ، سوى التدبر في الصياغة اللفظية بقصد تقريب صورة الذات ، بينما الإعجاز الأسلوبي في صياغة النصوص القرآنية يكمن في تلك الانتقالية الفكرية للمتلقي في تدبر دلالات الألفاظ و معانيها الشريفة التي تطلبها ، فضلا عن إظهار مزية جديدة تضمنها إزالة الرتابة في سياق العبارة ، فمزية الإعجاز تكمن في الانتقال بين الوظائف النحوية ، لتوليد معان جديدة ، تستهوي المخاطب ، وتستحوذ على اهتمامه ، وتدل بدلالة الخطاب الذي كان سائدا في البيئة البدوية للمجتمع المكي حينذاك.

ثانيا / القيم النحوية

قيمة القصر و الاختصاص

وهذا الأسلوب يأخذ اتجاهين في تحديد قصديته ، **أحدهما** وجوبي : ومنه قوله تعالى: " **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** "(١٦) . سورة الفاتحة : ٤ ، فالضمير (إياك) مفعول به واجب التقديم لأنه ضمير نصب منفصل ، و حكمه أن يتقدم على فعله وجوبا ، **و الآخر** جوازي : و نحو قوله تعالى : " **فَرِيْقَاً تَقْتُلُونَ** "(١٧) المائدة : ٧٠ . فالاسم (فريقا) مفعول به تقدم على فعله جوازا ، وفي كلا الأسلوبين ، يوصلان خطاب قصر الحدث على المعني بالخطاب ، فنجد أسلوب تقديم بُنْية (إياك) تخرج لدلالة الاختصاص و قصر العبادة عليه . جلّ و علا . و كذا الحال بالنسبة (**إياك نستعين**) فمن استعان بغير ذُل ، فهو أسلوب يخرج إلى دلالة الاستعانة به دون غيره ؛ ويذهب الدكتور السامرائي إلى أنه لو اقتصر أسلوب البناء السياقي على ضمير واحد فقال (إياك نعبد و نستعين) فلربما انصرف ذهن المتلقي إلى أن التقرب إليه . سبحانه و تعالى . مرهون بالجمع بين (العبادة و الاستعانة)(١٨) (ينظر : لمسات بيانية ، د . فاضل السامرائي ، ص ٣٣)، فكان الإعجاز في أسلوب بناء السياقين المستقلين واتصالهما على نية التعاطف، لأن معايير البُعد الدلالي لأسلوب العطف يخاطب الآخر بأن الاستعانة نتيجة مرهونة بالعبادة ، فلا تتحقق الاستعانة لوحدها ما لم تكن مرتكزة على تحقق العبادة ، وفي تكرير (إياك) أسلوب يوحي بالاهتمام و القوة في جرس البنية عند المتلقي ، وكذلك الحال بالنسبة لتركيب السياق في قوله تعالى : (**فريقا تقتلون**) .

ثالثا / القيم الحالية

١ - القيمة الزمانية

من الدلالات التي حققتها أدوات الأسلوب الإعجازي في بنية السياق هي دلالة الترتيب الزماني ، نحو قوله تعالى : " **وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مِدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ** "(١٩) (الحج : ٤٢)، فإن ترتيب هذه الأسماء السبعة وتقديم بعضها على بعض في بنية السياق التركيبي للآية

الكريمة إنما وقع بحسب ترتيبها الزماني الذي حصلت فيه ؛ ومثله قوله تعالى : " **وجعل الظلمات والنور**"(٢٠) (الأنعام : ١)، فإن الظلمة سابقة على النور بالزمان ، ومنه قوله تعالى : " **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم و اشكروا الله** "(٢١) (البقرة : ١٧١) ، إنما قدّم الساق اللغوي رتبة فعل الأكل على فعل الشكر ، و على الرغم من ثواب الشكر و جزائه و فضله عند الله . سبحانه و تعالى . لأن زمن الأكل ينبغي أن يسبق زمان الشكر . من جهة أخرى نجدهما كأنهما علة و معلول ، فلا يحصل الشكر ما لم يحصل الأكل(٢٢) (الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، ج١ ، ص ١٩).، ويبدو لي أن الفعلين هما من باب تقدم المسبب على السبب.

٢- القيمة التقريرية والإنكارية

فقد فصّل البلاغيون القول فيه وأظهروا دلالات عديدة له ، و يتضح ذلك من أسلوب تركيب الساق ، فإذا قلتَ : ما أكلتُ هذا ، كنت قد نفيتَ عنك فعل الأكل الذي لم يثبت أنه حدث فعلا و حقيقة ، و إذا قلت : ما أنا أكلتُ ، فقد عملتَ على نفي حدث الأكل مع أن الأكل متوفر حقيقة ، ولكن ليس منك بل حدث من فرد ، فأسلوب تقديم أداة النفي ، يحدد تجليات دلالية ثابته نحو قوله تعالى : " **ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ** "(٢٣) (الأنبياء : ٦٢). ، فقد التمس نمرود من سؤاله أن يدين نبينا إبراهيم . عليه السلام . و يجعله هو الفاعل لينفذ عقوبته فيه ، فعلى مستوى البناء الأسلوبي للنص ، فقد تقدم الاستفهام على الاسم ، وأصبح المراد ينصَبّ على الفاعل وليس المقصود نوع الحدث الناتج و الفعل الحاصل ، فكان جواب نبينا إبراهيم . عليه السلام . شافيا كافيا مصيبا لغة و معنى عندما عرف المطلوب من السؤال فقال : " **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فاسْأَلُوهُمْ إنْ كَانُوا يَنْطُقُونْ** "(٢٤) (الأنبياء : ٦٣)، ففوت الفرصة على نمرود في أن يقر بفعلته ، فضلا عما أفضى جوابه . عليه السلام . من دلالة الهزء بمعتقدهم ، عندما طلب منهم أن يُنطقوا تلك الأصنام إن توجهوا إليها سائلين ، ولو تنبه نمرود وعمل فكره على تقصير نبينا إبراهيم . عليه السلام . لكان حريا به أن يصوغ سؤاله بأسلوب آخر يعمد فيه بان يُدخل أداة الاستفهام على الفعل وليس على الاسم ، ويكون تقدير صياغة العبارة في غير السياق القرآني المقدس هو : (أ فعلت هذا ؟) ، فيكون الجواب لا مندوحة بالإيجاب ، لأن المعصوم لا يرتقي الكذب إلى كلامه فيقر ويتعرف نمرود على من فعل بآلهتهم ؛ ومثله في الإنكار قوله تعالى : **إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ** "(٢٥) (المائدة : ١١٦) ، فالاستفهام الإنكاري وقع على اسم النبي عيسى . عليه السلام ، لأنه هو المقصود بعينه في النص القرآني المجيد ، لذلك كان جوابه بأن أنكر ذلك عن ذاته و نفاه عن نفسه ، لكنه لم ينفِ فعل العبودية الحاصل من الناس ، أو أن ينكر حدثها (اتخاذ الناس له و لأمه إلهين) لأنه واقع حقيقة ، لأن بعض الناس كانوا حقيقة يتخذونه و أمه إلهين من دون الله.

٣ - القيمة السببية

ومفاد أن أسلوب التقديم يحمّل البنى السياقية دلالة متسلسلة بطبيعتها ، فهي حتمية التقديم ، نحو قوله تعالى : " **مثنى وثلاث ورباع** "(٢٦) (النساء : ٣)، وكذلك سائر ما يتقدم من الأعداد بعضها على بعض إنما يتقدم بالطبع لأن كل رتبة منه إنما تتركب على ما قبلها ، ومنه قوله تعالى :"**فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**"(٢٣) (البقرة : ٢٠٩) ،فقد قدم لفظ العزيز على الحكيم في المناجاة ، فقد روي أن أعرابيا لا يحفظ القرآن سمع قارئا يقرآ إن الله حكيم عزيز فقال ما هكذا أنزلت ، فقرأ له (عزيز حكيم) و أفاده بأن الله . سبحانه و تعالى . لما عزّ

حكم(٢٧) (المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١٢) ، و ليس العكس ومثل هذا كثير في القرآن العظيم ، كقوله تعالى: " **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** "(٢٨) (البقرة : ٢٢٢)، لأن التوبة سبب الطهارة ، لذلك وردت في الآية الكريمة أسبق ذكرا ، وكذلك قوله تعالى : "

كل أفاك أثيم "(٢٩) (الشعراء: ٢٢٢) ، ومثله " **مناع للخير معتد أثيم** "(٣٠) (القلم ١٢) لأن الأول سبب الإثم وكذلك الاعتداء. ومثله قوله تعالى : " **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**"(٣١) (غافر : ٦٧) ، فقد شاءت قدرته جلّ و علا أن يذكرنا بشؤون خلقه ، و يرتب هيئة خلق الإنسان ، بحسب تكوينها البيولوجي و ترتيبها الطبيعي ، و تدرج مراحل تكوينه علّنا نعقل قدرته . جلّ و علا . لذلك عطف مراحل التكوين المتدرجة بالحرف (ثم) لما فيه من دلالة الفاصل الزمني ؛ ومثله قوله تعالى : " **اركعوا واسجدوا** "(٣٢) (الحج : ٧٧) ، فالتقديم فيه بالطبع لأنه انتقال من علو إلى خفض فالركوع بالطبع من حق القائم ، و السجود من حق الجالس ؛ و الركوع أسبق في الصلاة من السجود ، بحسب طبيعة أداء أركان الصلاة ؛ ومنه تلك الأساليب السببية ، يمكن أن نسميها بأسلوب تقديم العلة على المعلول ، نحو قوله تعالى : " **وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوٰةَ** "(٣٣) (البقرة : ٤٣)، فقد اشترط الشارع المقدس قيام الصلاة أولا وأدائها ،ثم أوجب عليه دفع فريضة الزكاة ، وهناك من يذهب إلى الفصل بين الفريضتين * (٣٤) (البحر المحيط ، ج٥ ،ص)، فلا يعدهما من باب السببية ، وإنما جاءت رتبة الصلاة متقدمة لفضلها على الزكاة ، و خلافه يذهب أغلب المفسرين إلى أن الصلاة أصل العبادات ، فإن قبلت قبل ما سواها و إن ردت رد ما سواها ، وعلى هذا المعنى يأتي تقدم الصلاة في سياق الذكر الحكيم لأنها سبب قبول الفروض الأخرى ؛ ومثله قوله تعالى : " **فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ** "(٣٥) (البقرة : ٧٩) ،فالويل: معناه الفضيحة والحسرة، وقال الخليل: الويل: شدة الشر، و الهلكة(٣٦) (لسان العرب : مادة ويل) ، وهذا الوعيد لمن كسب المال الحرام، فلذلك كرر الويل في كل واحد منهما، لئلا يتوهم أن الوعيد هو على المجموع معا ، فكل واحد من هذين متوعَد إياه بالهلاك. وعلة الكسب الحرام هو ما تقاضوه من أجر على تحريفهم الكتاب ، وهو الأليق بسياق الآية. لذلك قدم العلة على معلولها(٣٧) (البحر المحيط ، ج٥ ، ص ١٣٩) ، ومثله قوله تعالى : " **فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا** "(٣٨) يوسف ٣٢) ، إنما قصدن المكر بامرأة العزيز ليغضبنها حتى تعرض عليهن يوسف ليبين عذرها، و قيل مكرهن هو اغتيابهن إياها، وسوء مقالتهن فيها أنها عشقت يوسف، وقيل: كانت استكتمن سرها فأفشينه عليها، أرسلت إليهن ليحضرن. والظاهر عود الضمير على تلك النسوة القائلات ما قلن عنها ؛ فالأفعال (أرسلت . اعتدت . ءاتت) مرتبة على الطبع و العادة ، لكنها مجتمعة تكون رتبتها سببية للفعل (سمعت)، ولولا سمعها ما قالته النسوة عنها ، لما أرسلت عليهن ، و لا أعدت لهن متكأ ، ولا آتت كل واحدة منهن سكينا ، قال تعالى في تكملة الآية نفسها "**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** "(٣٩) (يوسف : تكملة الآية السابقة)، فالرؤيا هنا بصرية ، فهي علة و سبب تقطيع أيديهن ، لذلك كانت رتبة الفعل (رأينه) متقدمة في الآية المقدسة ، ومثله أيضا عُدّ بالسبب في تقديمه على المسبب ؛ ومنه قوله تعالى : " **اذْهَبُواْ بقميصي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا**" (٤٠) (يوسف : يوسف : ٩٣) ، فالفعل (ألقوه) هو علة استرداد بصر النبي يعقوب . عليه السلام . ، لذلك تقدم في رتبته ضمن سياق الآية الكريمة ، ومما تجدر الإشارة إليه أن أغلب جمل الشرط وجوابها لا تخرج رتبة تقديم فعل الشرط فيها على جواب الشرط إلا كان بمجمله من باب تقديم العلة على المعلول .

٤ – القيمة التفضيلية

وهي رتبة شرفية أخذ بها السياق القرآني ، و تعد ميزة في أسلوب تقديم اللفظ الأهم على رتبة المهم في سياق الآيات القرآنية الشريفة نحو قال تعالى : " **من كان عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال** "(٤١) (البقرة: ٩٨) ، فقدم اللفظ الفاضل على المفضول ، وجعل مزية النظم في الآية الكريمة بأن الكافر وجه العداء أولا له . جل و علا . فقد قدم اللفظ الفاضل المقدس عل المفضل بحسب رتبة الأهم فالمهم ؛ ومن ذلك التقديم بالفضل والشرف قوله تعالى : " **من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** "(٤٢) (النساء: ٦٩)،ومنه تقديم السميع على البصير في أغلب المواضع لأهمية صفة السميع في شأن قدرته . سبحانه و تعالى . و تفضيلها على صفة البصير ، لأن حدود السمع أشمل و أبعد فهي بذلك المعنى أهم من حدود البصر الذي يدور فيما حوله(٤٣) (الفصول المفيدة في الواو المزيدة ، ج١ ، ص ١١٣) ، لذلك كانت رتبة السمع متقدمة ؛ ومثله قوله تعالى : " **و أذن في الناس يأتوك رجالا وعلى كل ضامر** "(٤٤) (الحج : ٢٧)، لأن الغالب أن من يأتي راجلا يكون من مكان قريب والراكب يأتي من مكان بعيد ، فقد روي عن ابن عباس . رضي الله عنه . أنه قال وددت أني حججت راجلا لأن الله تعالى قدم الرجالة على الركبان في القرآن فجعله أسلوب تقديم الفاضل على المفضول(٤٥) (ينظر : البحر المحيط ، ج٦ ، ص ٢٠١).

ومثله في تقديم الفضل و الأهمية قوله تعالى : " **وَبِالْوَلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ** "(٤٦) (البقرة : ٨٣) ، فقد اقتضت ضرورة رتبة الفضل و الأهمية أن يقدم (الوالدين) ويخصهما بالإحسان ، ثم عطف عليهما بقية من يستحق الإحسان بحسب أهميته.

الخاتمة

١ . أسلوب التقديم في السياق القرآني المجيد له أدواته اللغوية و دلالاته السياقية ، فحري بنا أن نحلل تلك الأدوات اللغوية قصد البحث عن قيم جمالية كثيرة في النص القرآني .

٢ . وجد الباحث تداخلا أسلوبيا بين قيمتي السببية و الطبيعة ، مما أفضى إلى دلالات متشابهة ، لتشابه أبنية السياقين .

٣ . و يقف البلاغيون على بعض هذه القيم الأسلوبية ، و تركوا الباب خلفهم مفتوحا للباحثين .

٤ . البحث الأسلوبي بحث لغوي حديث ، يحمل أبنية النص على دلالات و قيم تحرك البناء السياقي باتجاه حلحلة أحاسيس المتلقي و محاولة جذبه للدائرة الدلالية باعتباره عنصرا فعالا في تلك الدائرة ، و بما أن الأسلوب فن إظهار القيم الجمالية في النص ، لذلك من الضروري جدا تطبيق الأدوات الأسلوبية و تفاعلها مع النص القرآني ، بدلا من استغراق تلك الأدوات في نصوص أدبية غايتها ذاتية لنفسها و في نفسها .

٥ . يمثل النص القرآني قمة النظم و السبك في تراكيبه السياقية ، ومعجما للظواهر اللغوية ، و منهلا لأساليب الخطاب المتنوع لما يحتويه من قيم فنية.

المصادر

*القران الكريم

١- دلائل الاعجاز في علم المعاني /عبد القاهر الجرجاني /المكتبة العصرية –صيدا ٢٠٠٢

٢-علم المعاني –البيان-البديع /الدكتور عبد العزيز عتيق /دار النهضة العربية /بيروت ١٣٣

٣-معترك الاقران في اعجاز القران /أبي الفضل جلال الدين السيوطي /دار الكتب العلمية/ بيروت/ ط ١

٤-القران اعراب وبيان /الدكتور علي الحلو

٥-الاصوات اللغوية /ابراهيم انيس/ط ٥ / ١٩٧٥م

٦-لمسات بيانية في نصوص من التنزيل /الدكتور فاضل السامرائي/ط ٣/ دار عمار للنشر /١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م

٧-لسان العرب مادة ويل/ ابن منظور

٨-الفصول المفيدة في الواو المزيدة/خليل بن كيكلدي العلائي /تحقيق د. حسن موسى الشاعر/دار البشير عمان /ط ١ /١٤١٠هـ-١٩٩٠م

٩-مجلة فصول /بحث الاسلوبية الحديثة /الدكتور محمد عياد.

١٠-البحر المحيط /ابو حيان الاندلسي /تحقيق صدقي محمد جميل / دار الفكر /بيروت.

التحديات التي تواجه المترجم المُحلّف، مشكلة ترجمة ونقل الاسماء من العربية الي الفرنسية

د. نعيمة عبدالجليل التاجوري،

قسم اللغويات، كلية اللغات، جامعة تور، فرنسا

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على واحدة من أبرز التحديات اللغوية التي تواجه المترجم المحلّف، وهي مشكلة ترجمة ونقل الأسماء والألقاب وأسماء العائلة من اللغة العربية إلى الفرنسية حيث تختلف قواعد الكتابة والنحو بين اللغتين، مما يجعل التحول بينهما تحديًا إضافيًا. ويتوجب على المترجم التعامل مع هذا الجانب بحذر لضمان أن الاسم المترجم يحتفظ بالجوانب الفونيتكية الصوتية الأصلية. وفي سبيل توحيد الترجمة المناسبة للأسماء والألقاب، يتطلع بحثنا إلى مشاركة المترجمين والمتخصصون المتمرسون ذوي الخبرة لضمان تقديم حلاً مستدامًا وفعّالًا لتحديات كتابة الأسماء من العربية إلى لغات أخرى، ويتطلع إلى الاستفادة من تجاربهم ورؤاهم لتعزيز الفهم وتطوير الحلول في هذا السياق. يُقترح تقديم مقترح لنقابة المترجمين المحلّفين لإنشاء قاموس أو مرجع للأسماء والألقاب العربية مع مرادفاتها في اللغة الفرنسية والكتابة اللاتينية، على غرار القواميس المستخدمة في فرنسا. يُظهر البحث الحالي النقاط التي تحتاج إلى اهتمام إضافي، ويشكل جزءًا من سلسلة من الأبحاث المستمرة لاستكمال الصورة وتطوير حلول فعالة.

الكلمات المفتاحية: ترجمة، نقل، اسماء عربية، لاتينية، فرنسية، مترجم مُحلّف.

١ – المقدمة

تضم قائمة المترجمين الخبراء لعام ٢٠٢٣ حسب البيانات الرسمية من وزارة العدل الفرنسية حاليًا ٧٥٤ مترجمًا خبيرًا متخصصًا في الترجمة الرسمية والمحلّفة للغة العربية الي الفرنسية، حيث نجد جميع القوائم المعمول بها لدى محاكم الاستئناف ال ٣٦ في فرنسا. فالمترجم المحلّف هو خبير قضائي في محكمة الاستئناف أو محكمة النقض. يتم تعيينه بعد دراسة ملفه وتقدير دراساته وخبرته في المجال اللغوي القانوني والقضائي، وهو الذي أقسم اليمين أمام الجهة المختصة أو عينته هذه الجهة. فهو شخص يقع على عاتقه مسؤولية كبيرة وهي الامانة في الترجمة وايصال المعلومة بشكل صحيح سوا كانت عن طريق ترجمة النصوص المكتوبة او المحادثات الشفهية. هذا يعزز مصداقية الشهادة أو الترجمة أمام المحكمة أو في أي سياق قانوني آخر. وتمنح الوزارات المختلفة، بما في ذلك وزارة الداخلية والخارجية والسفارات والدوائر الحكومية، الثقة الكاملة للمترجم المحلّف كونه الشخص الوحيد القادر على تقديم ترجمات دقيقة وموثوقة للوثائق والمستندات وحتى المؤتمرات.

الترجمة المحلفة هي الترجمة التي يقوم بها الترجمان المحلّف في اللغة المرخص له العمل بها وتحمل ختمه وتوقيعه وتاريخ إنجازها. وهي الترجمة التي يعتد بها لإجراء الطلبات الرسمية لدى السفارات والخارجيات والدوائر الحكومية. حيث ان هذه الجهات تثق في هذه الترجمات ولا جدال عليها.

الترجمة والنقل الحرفي للاسم هما مصطلحان يستخدمان في سياق تحويل الأسماء من لغة إلى أخرى، ولكن هناك فارق بينهما:

–الترجمة:

الترجمة هي عملية تحويل المعنى من لغة إلى لغة أخرى. يهدف المترجم إلى نقل المفهوم والمعنى الكامل للجمل والنصوص. يشمل الاعتناء بالسياق والثقافة والمفردات لضمان فهم دقيق وشامل للنص الأصلي. يتطلب من المترجم أن يكون لديه مهارات لغوية وفهم عميق للثقافة لتحقيق ترجمة فعّالة. فالترجمة هي عمل فني ومعقد يعتمد على فهم اللغتين المعنيتين بشكل دقيق، بالإضافة إلى فهم الثقافة والسياق اللغوي.

–النقل الحرفي للاسم:

النقل الحرفي للأسماء والألقاب من لغة إلى أخرى يشير إلى نقل الأسماء والألقاب دون ترجمة معانيها. يتم التركيز بشكل رئيسي على تحويل الحروف والأصوات بحيث يكون للكلمة نفس الشكل اللفظي في اللغة الهدف .على سبيل المثال، إذا كنا نريد نقل اسم شخص من اللغة الإنجليزية إلى الفرنسية باستخدام النقل الحرفي، فإننا سنحافظ على نفس الأحرف والصوت، حتى لو لم يكن لدينا ترجمة دقيقة للمعنى.

على سبيل المثال:

"John" بالإنجليزية قد يصبح "جون" في العربية بالنقل الحرفي.

"Mr. Smith" قد يتحول إلى "السيد سميث" في العربية بنقل الحروف دون ترجمة المعنى.

يرجى ملاحظة أن هذا الأسلوب لا يأخذ في اعتباره الفروق الثقافية أو اللغوية بين اللغتين، وقد لا يكون دقيقًا دائمًا. في بعض الحالات، قد يكون من الأفضل استخدام الترجمة لضمان فهم صحيح للمعاني والسياق.

بشكل عام، عند تحويل الأسماء، يعتمد اختيار التقنية على السياق والغرض من التحويل. في الوسط الأكثر رسمية أو عند نقل النصوص الأدبية أو التقنية، يفضل استخدام الترجمة للحفاظ على المعنى والتفاصيل. في حين أن النقل الحرفي للاسم يمكن أن يكون مناسبًا في حالات أقل تعقيدًا أو عندما يكون الاهتمام بالشكل اللفظي هو الأكثر أهمية.

٢– مشاكل الترجمة

كما ذكرنا في المقدمة، قد يحدث الخطأ في الترجمة بسبب عدة أسباب، منها:

١. فهم غير صحيح للمعنى :المترجم قد يفهم المصطلح بشكل غير صحيح، مما يؤدي إلى ترجمة غير دقيقة.

٢. اختيار غير مناسب للمفردات :يمكن لاختيار المترجم لمفردات غير مناسبة أو غير دقيقة أن يؤدي إلى فهم مختلف عما هو مقصود.

٣. تجاهل السياق الثقافي :اللغات لا تقتصر على الكلمات فقط، بل تتأثر بالسياق الثقافي، وقد يتجاهل المترجم هذا الجانب.

٤. أخطاء بسبب السرعة :في بعض الأحيان، المترجم قد يكون مضطرًا للعمل بسرعة، مما يزيد من احتمالية وقوع أخطاء.

٥. اخطاء كتابية: قد يتم الحكم على الترجمة بأنها غير صحيحة، لعدم الدقة في كتابة الاسماء والالقاب من لغة الي اخرى.

كما ذكرنا في النقطة الاخيرة، من امثلة الأخطاء الواردة هي كتابة الأسماء والالقاب. في الحقيقة لا يمكن تسميتها خطأ فالمترجم قام فعلا بالترجمة، ولكن بطريقته او اعتماداً على مصدر معين (كمواقع وتطبيقات الترجمة)، فترجمة غير دقيقة ممكن ان تؤدي كما تم ذكره سابقاً الي رفض الطلب المتقدم به الشخص المعنى (طلب تأشيرة، تجديد إقامة، طلب لجوء، الخ..).

نهدف عبر هذه الدراسة، ومن خلال الاستبانة التي قمنا بتوجيهها الي مجموعة المترجمين المحلّفين المتواجدين في الساحة الفرنسية، الي البحث عن مصدر اشكالية نقل وترجمة الاسماء والالقاب من اللغة العربية الي الفرنسية، طرح التجارب والابحاث والتوصيات السابقة، ثم نستعرض النتائج الاولية والتوصيات والاقتراحات.

٣- تاريخ الاشكالية

لقد أثارت مشكلة الترجمة الصوتية اهتمام المتخصصين في العديد من اللغات، ولكن هذا الاهتمام حديث نسبيًا ويرتبط بالتطور المتزايد لاستخدام الإنترنت، وعلى وجه الخصوص، البحث عن المعلومات بين اللغات .وقد سبق أن تم التفاعل معها في دراسات سابقة عبر لغات متنوعة خصوصاً تلك التي تختص بثنائية اللغة، نجد مثلاً فيما يخص الترجمة الاتوماتيكية بحث (سعدان ٢٠١٢)، فيما يخص اللغة العربية والانجليزية نجد (ياسر واخرون ٢٠٠٢) ، (شريف واخرون ٢٠٠٧)، اما بالنسبة للغة العربية، الانجليزية والصينية فنجد دراسة (تاو ٢٠٠٦)، (شاو ٢٠٠٤)، اما بالنسبة للعربية والفرنسية فنجد (سيمار وسعدان ٢٠١٣) في دراسة بعنوان :(Transcription Des Noms Arabes En écriture Latine) اي "كتابة الاسماء العربية الي اللاتينية".

وبالتالي نجد أنظمة مقترحة تهدف إلى تخصيص ترجمة صوتية واحدة لاسم معين: وهذا هو حال النموذج المقترح للأسماء ذات الأصل الإنجليزي المكتوبة باللغة اليابانية (كاتاكانا) تجاه نظام الكتابة اللاتيني (نايت وآخرون، ١٩٩٧).

٤- اشكاليات مختلفة

عند التعمق في الموضوع، فأننا نري بأنه بالإضافة الي الاشكاليات الواردة اعلاه، فأن كتابة الأسماء من العربية إلى اللاتينية قد تواجه بعض التحديات بسبب الاختلاف في الهياكل اللغوية والأصوات بين اللغتين. فيما يلي بعض المشكلات الشائعة التي قد تطرأ عند تحويل الأسماء:

٤-١- اشكالات نحوية "التشكيل:

في العربية، يمكن أن يؤثر التشكيل (الحركات) كاستخدام الشدة والضمة على معنى الحرف. ومع ذلك، اللاتينية عادةً ما لا تستخدم التشكيل، وهذا قد يسبب بعض الالتباس.

٤-٢- التركيب الصوتي:

يرى (سيمار وسعدان ٢٠١٣) ان القضايا التي يثيرها النسخ والنقل الحرفي بالعلاقة بين الشفهية والكتابية عند الانتقال من نظام لغوي إلى آخر. حيث يخضع النقل الشفهي والمكتوب لقواعد مختلفة: أحدهما يحتوي على مادة صوتية، والآخر يحتوي على مادة مرئية، وكل مادة لها ديناميكيتها وقيودها الداخلية.

ومن هذه القيود نذكر ظاهرة التحول الصرفي التي تؤثر على الكلمات حسب طبيعة الحرف الأول منها. وبالتالي، إذا كانت الكلمة تحتوي على أداة (ال)، فيجب التمييز بين الحروف الشمسية والحروف القمرية.

أما مع الأول (الشمسي)، فلا ينطق حرف (ل) ويكون الحرف الذي يليه مكررا لفظا وكتابة. وعلى العكس من ذلك، ففي الحروف القمرية يتم نطق حرف "ل" الخاص بالمقالة ولا يتكرر الحرف الذي يليه لا في النطق ولا في الكتابة. لكن قواعد اللغة العربية هذه لا تُحترم دائمًا في الترجمة الصوتية المعتادة كما يتضح من الأمثلة المتعلقة بالترجمة الصوتية لأسماء الصحف العربية إلى الكتابة اللاتينية: النهار (An-Nahar) في لبنان، الزمان (AZZAMANE) في لندن، الصباح AL-SABAH) في فلسطين، اليوم (ELYAUM) في الجزائر. (سيمار وسعدان ٢٠١٣).

ونلاحظ ظاهرة مشابهة من الانحراف عن القاعدة الصوتية للنظام الأصلي في نقل حرف التاء المرفق (ة) المعروف في اللغة العربية بـ ''ت- مربوطة''. وتلفظ (ت) في حالة الضم حصرا. ولكن هنا مرة أخرى، تعكس بعض الترجمات الصوتية لأسماء الصحف تهجئة الكلمة العربية وليس نطقها الفعلي. مثلاً: (AL-TAWRA) بدلا من (ATH-THAWRAH).

لذلك، من المهم إجراء الاستجواب، قبل المعالجة التلقائية، فيما يتعلق بالجوانب التي قد تبدو واضحة للوهلة الأولى، ولكنها تستحق تحليلاً متعمقًا.

تعد الجوانب التالية كأولويات للمعالجة التلقائية للنسخ والترجمة الصوتية:

– درجة كفاية النسخ الشفهي (الصوت)؛

– درجة كفاية النقل الصوتي في الكتابة (الحرف)؛

–درجة كفاية التدوين الرمزي للاستخدام (الاجتماعي).

في الواقع، تمثل اللغة العربية اليوم حالة تتميز بتعدد اللغات المعقد (ديشي، ٢٠٠٩)، ومن ثم هناك تنوع في إنجازات اللغة العربية الأدبية (الكلاسيكية، الحديثة، المتوسطة، وغيرها)، وتعدد اللهجات (أنواع مختلفة من اللغة العربية أو الإقليمية أو المحلية)، والتي تكون خصائصها السائدة حساسة للمستخدمين. من هذا المنظور، تفرق اللهجات العربية بين عائلتين كبيرتين من اللهجات: لهجات المغرب العربي (المغرب والجزائر وتونس وليبيا) وعائلة المشرق (مصر وسوريا والشرق الأوسط). لكن ضمن عائلات اللهجات الجيولوجية هذه، نجد لهجات وطنية وكذلك لهجات إقليمية (لهجات إقليمية) أو حتى لهجات محلية.

الكلمات في العربية قد تكون مكونة من تراكيب صوتية مختلفة عن تلك في اللاتينية، مما قد يؤدي إلى ترجمات غير دقيقة. كما ان لجوء المترجم الي الانجليزية ليس بالحل السليم (يعتقد المترجم بلجوء اللاتينية الانجليزية صحيح او انه لا يدرك الفرق بينهن)، حيث نعلم بوجود فرق بين اللاتينية الفرنسية واللاتينية الانجليزية.

يتمثل الفرق في الحروف الابجدية، فبعض الحروف التي يُضاف عليها الحركات أو الـ "accent"مثل حرف الـ"e" في الانجليزية؛ حيث قد يُضاف فوقه é أو è أو ê أو ë وتلك الإضافات تغير نطق بعض الحروف، أو تُضاف لتمييز الكلمات عن أخرى شبيهة بها، أو للدلالة على تغيير لغوي سابق. من أمثلة إضافة هذه العلامات لتغيير نُطق الحروف، إضافة حرف c حيث يغير نطق الحرف من c إلي s أي من «ك» إلى «س» كما في كلمة فرنسي) بالفرنسية(Français : وهذا الحرف يسمى) بالفرنسية(c cedille :، أو ككلمة :Garçon ولد وتنطق Garson.

حرف U ينطق /y/ هذا الحرف لا يوجد بنفس النطق في اللغة الإنجليزية، ولكنه موجود في اللغة الألمانية وهو حرف Ü.

ايضاً اللغة الفرنسية تشمل بعض الأحرف التي لا يوجد لها مقابل في اللغة العربية مثل حرف U أو:E

حرف E لا يوجد في اللغة العربية، ولكنه يُنطق مثل ألف مضمومة ولكن بفتح الفم.

الفرنسية تحتوي الكثير من الحروف الساكنة فإذا أتت في أخر الكلمة لا تُنطق إلا في حالة الربط مثل N , M, T, : S, P, Z

هناك قاعدة في اللغة الفرنسية خاصة بكتابة حرف الـ s بين حرفين متحركين، هنا يتم نطقه على انه z

لذلك المترجم يضطر الي اضافة حرف s ثاني حتى لا يختلف النطق عن اللغة العربية مثال : Oussama أسامة والذي يكتب في الإنجليزية Osama او Ousama.

اسامة	Ousama، Osama	Oussama
يوسف	Yousef, Youcef	Youssef

ايضا، بعض الأصوات في اللغة العربية قد لا تكون موجودة في اللاتينية. على سبيل المثال، الحرف "ع" "ذ"، أو "خ" قد يكون من الصعب تمثيله بدقة في اللاتينية.

٤-٣ الأحرف المتكررة:

بعض الأحرف قد تكون متكررة في العربية، ولكن لا تتكرر بنفس الشكل في اللاتينية، مما يسبب صعوبة في التحويل. مثل ممدوح، Mamdouh, Mmdouh, Memdouh

٤-٥-الأسماء الخاصة:

بعض الأسماء الخاصة قد تكون فريدة من نوعها وتكون صعبة التمثيل بدقة في اللاتينية.

٤-٦-اختلاف الهجاء:

اللغات واللهجات العربية قد تستخدم أنظمة هجاء مختلفة، وهذا يمكن أن يؤدي إلى تفسيرات مختلفة للكلمات.

٥- اللهجات العربية المختلفة

المترجم العربي بشكل عام يواجه مشكلة الترجمة من العامية ومن النادر ان تكون الترجمات الشفهية نقل من الفصحى الي اللغات الأخرى. لذلك عليه ان يكون مُلم بها مثل (لهجة اهل مصر، المغرب العربي، الشام، الخليج). لهجة اهل المغرب مثلاً، تختلف عن لهجة اهل الشام، وطريقة نطقهم للأسماء ايضاً تتأثر حسب الرقعة الجغرافية، فعلى سبيل المثال، "جلال" بالعربية الفصحى يتم نطقه "دجلال" (لهجة اهل الجزائر). ايضاً، لكل رقعة جغرافية في الوطن العربي اسماء والقاب تختلف عن غيرها، وهنا على المترجم ان يكون على اطلاع بها وعرفة طريقة كتابتها، فمثلاً اسم: راشد، زايد، نواف، نجده رائج في دول الخليج، وعلى المترجم المغاربي مثلا الاطلاع على طريقة نقله.

بعض الفروق البسيطة في الصوتيات بين بعض اللهجات العربية كالتالي:

٥-١-اللهجة المصرية:

- غالبًا ما تكون النطقة أكثر إيقاعًا وتفردًا.
- يمكن أن يكون هناك بعض التغييرات في نطق بعض الحروف، مثل حرف الجيم الذي يُنطق "قيم" بدلًا من "جاء."

٥-٢- اللهجة اللبنانية:

- تشمل بعض الأصوات التي قد لا تظهر في اللهجات الأخرى، مثل "ق" الملقبة ب"قاف" و "ط" الملقبة ب"تاء مربوطة."

٥-٣ -اللهجة الخليجية (السعودية، الكويت، الإمارات، البحرين، قطر، عمان):

- تتميز بنطق حروف اللسان بشكل مميز، مثل حرف "ق."
- يمكن أن يكون هناك استخدام كلمات محلية خاصة.

٥-٤ -اللهجة المغربية:

- تمتاز بنظام صوتي مميز، مع بعض الأصوات التي قد لا تظهر في اللهجات العربية الشرقية.

٥-٥-اللهجة التونسية:

- تحتفظ بنظام صوتي خاص بها، وقد تظهر بعض الفروق في النطق واللهجة.

هذه مجرد عينة صغيرة من التنوع الصوتي في اللهجات العربية. يجدر بالذكر أن هذه الاختلافات قد تكون طفيفة وتختلف من شخص إلى شخص داخل نفس اللهجة.

٦- مراجع الترجمة والنقل

في اللغة الفرنسية تتواجد بكثرة قواميس صادرة عن دور نشر فرنسية كبيرة من أبرزها:

(Larousse, Hachette, Armand Colin)، هذه القواميس مخصصة للأسماء الفرنسية ومعانيها، والتي تعتبر مرجع للمترجم في حال شكوكه في النقل، ويتم تحديثها ونشر اصدارات جديدة لها بشكل شبه سنوي. في المقابل، المترجم او الناقل من العربية الي الفرنسية يفتقر الي المراجع ويعتمد غالبا على مواقع الترجمة واهمها وأولها Google Translation(١). لاختبار فعالية هذه المراجع قمنا بتجربة كتابة نفس الاسم على هذه المواقع والنتائج كانت مختلفة خصوصاً عندما نقوم بكتابة الاسم بالهمزة والتشكيل. (ردينة، رُدينة بالضمة على الراء)

	ردينة بدون ضمة	رُدينة بضمة على حرف الراء
موقع Google للترجمة	Rudaïna	Roudayna
موقع Reverso للترجمة	Roudeina ،Rudeineh	Roudeina ،Rudeineh
موقع Bing للترجمة	Rudaina	Rudaina

من هذه الامثلة، نرى بأن هناك تفاوت في الترجمة المقترحة من الذكاء الاصطناعي وقد لا تكون متجانسة بين المواقع المختلفة.

عند كتابة الأسماء من العربية إلى اللاتينية، قد يكون من الأمثل استخدام الطرق الرسمية المقبولة دولياً لتحويل الأسماء، والتي قد تختلف باختلاف السياق والمتطلبات.

٧- الاستبانة

من الادوات البحثية التي اعتمدنا عليها، هي استبانة موجهه للمترجمين، لجمع المعلومات والآراء ولفحص وفهم تجاربهم وآرائهم حول مواضيع محددة في مجال الترجمة. لضمان الحصول على إجابات دقيقة ومفيدة. تهدف الاستبانات إلى جمع البيانات الكمية والكيفية حول تجارب المترجمين وآرائهم، ويمكن استخدام النتائج لتحليل احتياجات المترجمين، وتحسين بيئة العمل لهم، وتحسين الأدوات والتكنولوجيا المستخدمة في هذا المجال.

تم توجيه الاستبانة لعدد ٢٥ مترجم مُحلّف من المترجمين المسجلين لدى محاكم الاستئناف الفرنسية. تم انتقاء مترجمين عرب من جنسيات مختلفة(٢) لإجراء الاستبانة، بهدف فهم تأثير اللهجة والثقافة الإقليمية على طريقة كتابتهم للأسماء والالقاب، وقمنا بدعوتهم للإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بطريقتهم في ترجمة ونقل وكتابة الأسماء. حيث تم تصميم الأسئلة بعناية وتضمين أسئلة مفتوحة للسماح للمترجمين بالتعبير عن آرائهم بشكل أوسع، بالإضافة إلى أسئلة مغلقة تتطلب إجابات نعم أو لا أو اختيار من بين خيارات معينة. الاستبانة كانت تنقسم الي أربع فروع سنقوم بتفصيلها في الفقرة التالية.

٧-١- معلومات اساسية:

طرحنا في الجزء الاول من الاستبانة بعض الاسئلة الاساسية عن المترجم، الاسم، العمر، الجنسية، اللغات واللهجات التي يتحدث بها، المحكمة المسجل بها، سنوات العمل كمترجم مُحلّف، وسنوات الخبرة كمترجم بشكل عام.

٧-٢- الاشكاليات:

طرحنا عن المترجم اسئلة تتعلق بالإشكاليات التي تواجهه، او سبق ان واجهها خلال ترجمته للنصوص والحوارات من اللغة العربية الي اللغة الفرنسية، وطلبنا منه تزويدنا بأسماء المواقع والمراجع التي يلجأ اليها في حالة واجه مشكلة او شكوك بالترجمة. سنقوم في الجزء التالي بعرض اجابات المترجمين في هذا الخصوص.

٧-٣- اقتراح ترجمة لأسماء والقاب معينة:

قمنا بعد ذلك، بدعوة المترجم الي تزودينا بالصيغة التي اعتاد ان ينقل بها كتابياً بعض الاسماء والقاب العربية، والتي رأينا في دراستنا، ومن خلال دراسات سابقة انها تُكتب بطرق وصور مختلفة، ومن ضمن الاسماء المقترحة التالي: - محمد - مُحمد (بالضمة على حرف الميم) - عبد الله - مصطفى- مُصطفى (بالضمة على حرف الميم)، عائشة — فاطمة - ليلى — اسامة — ابراهيم — دنيا - ادريس- ايمان - مُنيا- مريم - احمد - عبد الرحيم — سليمان.

سنقوم في الفقرة المخصصة لتحليل البيانات، بعرض الطريقة التي زودنا بها المترجمون لكتابة هذه الاسماء.

٧-٤ -الاقتراحات والتوصيات:

طلبنا من المترجم وبحكم سنوات خبرته وتجاربه، ان يقترح علينا بعض التوصيات والحلول التي يراها مناسبة للحد من اشكالية الترجمة النصية للأسماء والالقاب. فكان من ضمن السؤال المطروحة التالي:

- "هل لديكم توصيات او اقتراحات من شأنها تسهيل وضمان ترجمة ونقل كتابي سليم للأسماء من العربية الي الفرنسية؟"

٨- عرض نتائج الاستبانة

حتى الان لم تردنا جميع الاجابات من المترجمين الذين قمنا بتوجيه الاستبانة إليهم(٣)، والنتائج الأولية والغير نهائية كانت كالاتي:

في مرحلة تحليل البيانات تم استخدام تسميات تعريفية بديلة، مثل 'مترجم ١' و 'مترجم ٢'، للحفاظ على خصوصية الأفراد الذين شاركوا دون الكشف عن هوياتهم الحقيقية.

فيما يخص المشاكل التي تواجه المترجمين، سنتعرض اهم وأبرز الاجابات، والتي كانت كالتالي:

هل سبق وان واجهتكم مشكلة في نقل كتابة الاسماء او الالقاب العربية الي اللغة الفرنسية؟ إذا كانت اجابتكم بنعم، الرجاء التوضيح.	
مترجم ١	نعم، حدثت لي شكوك في صحة كتابة اسم عائلة.
مترجم ٢	نعم، أكثر من مرة.
مترجم ٣	أجل، تصادفني هذه المشكلة واطلب من الشخص تزويدي بصورة جواز سفره حتى انقل اسمه بشكل صحيح كما هو مكتوب عليه ولأتجنب تأليف اسم جديد له.
مترجم ٤	نعم، بشكل مستمر، ولكني أجد لها حل بالبحث عبر الانترنت.
مترجم ٥	نعم، ولكن نادراً، عادة بسبب عدم التأكد مما كتبته والخوف من الخطأ.
مترجم ٦	نعم، خصوصاً إذا كان الاسم يشتمل على تشكيل مثل الضمة والتنوين
مترجم ٧	نعم، تصادفني هذه الحيرة في حال الترجمة الشفهية، اي سمعت الاسم شفهي ويطلب مني طريقة كتابته (أكثر شيء في مركز الشرطة والدوائر الحكومية)
مترجم ٨	معظم الوقت مع الاسماء العربية غير المشهورة.
مترجم ٩	نعم، الاسماء العربية النادرة والغير معروفة كثيراً، والتنوين
مترجم ١٠	نعم، الاسماء التي لم يسبق لي ان سمعتها او قرآها

استعرضنا في هذا الجدول الاجابات التي كانت ب(نعم)، وهدفنا وضع التعليل كما ورد من المترجم.

نري ايضاً اختلاف ملحوظ في طريقة كتابة الأسماء العربية، والتي طلبنا من المترجمين كيفية كتابتها باللاتيني، نستعرض في الجدول التالي، الطريقة التي لجأ لها المترجمون:

الاسم او القب بالعربي	ترجمة ١	ترجمة ٢	ترجمة ٣
محمد	Mohamed	Mohammed	Mohamad
عبدالله	Abdula	Abdulla	Abdullah
عائشة	Aisha	Aicha	Aïcha
سليمان	Soleiman	Soliman	Souliman
منيرة	Mounira	Monira	Munira
ايمان	Iman	Eiman	Eman
جلال	Jalal	Djalal	Jelal
مصطفى	Mostapha	Mostafa	//

جدول ١ : كتابة الاسماء والالقاب من قبل المترجمين.

كما سبق الذكر اعلاه، فأن مثل هذه الاختلافات في نقل الاسماء قد تؤدي الي مشاكل أبرزها ادارية وقانونية. غياب الكتابة الموحدة "Al, El " ال"

" عبد" Abd, Abed, Abdel, Abdoul

تعد الاسماء التي تبدأ ب (عبد) من أكثر الاسماء تدولا في الوطن العربي، واردنا ان نعرف الكيفية التي اعتاد المترجمون كتابتها بها، فطرحنا عليهم السؤال التالي:

في حال طلبنا منكم كتابة اسم ك (عبد الرحمن) فأي طريقة من الطرق التالية هي تستخدمون لكتابة اسم "عبد"

Abed Alrahman	Abd EL Rahman	Adel Rahamn	كتابة اخرى
٤	١٠	٢	٠

من عدد الاجابات يتضح لنا ان اغلبية المترجمين يقومون بكتابة اسم عبد الرحمن ب اللاتيني الي (Abd EL Rahman). مع التذكير بأننا لم نستلم جميع الاجابات التي ارسلناها الي المترجمين.

<table>
<tr><td colspan="2">هل تفضلون المراجع الكتابة ام الالكترونية للتدقيق اللغوي لترجمتكم؟</td></tr>
<tr><td>المراجع الكتابية</td><td>المراجع الالكترونية</td></tr>
<tr><td>٤</td><td>١٢</td></tr>
</table>

نلاحظ هنا ايضا، ان الاغلية من المترجمين تفضل الاعتماد على المراجع الالكترونية للتدقيق في ترجمتهم.

اما فيما يخص الوسائل المساعدة والمتاحة للمترجمين لتسهيل عملية الترجمة، نلاحظ من الجدول التالي، ان الاغلبية تعتمد على موقع وتطبيق جوجل للترجمة، في حين حل موقع روفيرسو في المرتبة الثانية، تليه تطبيقات ترجمة اخرى.

ما هي مواقع الترجمة او التطبيقات التي تستعينون بها في مجال عملكم؟	
مترجم ١	موقع قوقل للترجمة(Bing Translator) بينج مايكروسوفت
مترجم ٢	جوجل Google
مترجم ٣	Google traduction + Reverso + Bing Translator
مترجم ٤	برومت.وان (PROMT.One Translator)، روفيرسو، قوقل
مترجم ٥	روفييرسو، تطبيق I translate
مترجم ٦	ريفيرسو (Reverso)
مترجم ٧	قوقل
مترجم ٨	Google ,(My Memory Translation)
مترجم ٩	قوقل، روفيرسو

وبخصوص الكيفية التي يقوم بها المترجم وفي حالة نقل نص الترجمة الفورية الشفهية الي كتابية، طرحنا السؤال الاتي:

عند تواجدكم في اماكن تتطلب الترجمة الفورية مثلاً كمركز الشرطة، مكتب التحقيقات، او المحكمة، ما هي الطريقة التي تلجئون اليها لضمان نقل سليم للأسماء والالقاب؟	
مترجم ١	الاستعانة بالهاتف المحمول
مترجم ٢	ليس لدي الوقت للتأكد، اقوم بكتابته كما يتم نطقه.
مترجم ٣	اقوم بكتابة الاسم على قوقل للتأكد من صحة ما اقترحت من كتابة
مترجم ٤	استخدم الهاتف النقال
مترجم ٥	لم يواجهني هذا الموقف، ولا أستطيع الاستعانة بأي شيء، عادة لا يسمح لنا باستخدام الهواتف داخل جلسات المحاكم والمراكز.
مترجم ٦	حسب نطق الحروف
مترجم ٧	حسب النطق واللفظ.
مترجم ٨	الانترنت

الاجابات مقسومة الي نصفين، منهم من يقوم بكتابة الاسم او اللقب مستعينة بطريقة نطقه، والنصف الثاني يقوم بالاستعانة بالتكنولوجيا والانترنت.

اما فيما يخص تحديات الترجمة، فالترجمة هو تحقيق التواصل الصحيح بين اللغات. وإذا كانت الترجمة غير واضحة أو تحمل معنى مختلف، يمكن أن يحدث الاعتراض. قد يكون الاعتراض بسبب الحاجة إلى دقة أكبر وتوفير معلومات صحيحة وموثوقة.

هل سبق وان تم الاعتراض على ترجمة قمتم بها؟ إذا كانت اجابتكم نعم، الرجاء التوضيح.	
مترجم ١	نعم، اعيد لي ملف قمت بترجمته لمكتب ترجمة بسبب خطا في اسم شخص وكتابتي لاسم المدينة كانت خاطئة.
مترجم ٢	لا
مترجم ٣	نعم، عادة عندما لا يتم تزويدي بالاسم كما هو مكتوب في جواز السفر فاني مجبر على كتابته بطريقتي والتي قد تختلف عما هي عليه في اثباتات الشخص الشخصية
مترجم ٤	لا
مترجم ٥	نعم، حدثت بسبب اسم ولقب شخص.
مترجم ٦	لا
مترجم ٧	نعم، اخطأت في كتابة اسم العائلة لاحد الزبائن
مترجم ٨	لم يسبق لي ان تعرضت لموقف مشابه، دائما اقول بالتدقيق ومراجعة ترجمتي اكثر من مرة،
مترجم ٩	نعم، لدى الأفراد أو الجهات توقعات محددة بناءً على سياق الترجمة، وإذا لم تلبِ هذه التوقعات، يمكن أن يحدث الاعتراض.

واخيراً، فيما يخص المقترحات، فقد اجمع المترجمون عن فكرة اعداد قاموس او مرجع لكتابة الأسماء العربية باللاتينية الفرنسية، والبعض ابدأ استعداده للمشاركة في اعداده ونشره.

هل لديكم توصيات او اقتراحات من شأنها تسهيل وضمان ترجمة ونقل كتابي سليم للأسماء من العربية الي الفرنسية؟	
مترجم ١	نعم، اعتقد بأن المترجم يمكنه الاعتماد على الذكاء الاصطناعي لمساعدته في الوصول لترجمة سليمة وللتأكد من صحة ما نقله.
مترجم ٢	يجب على المترجم ان يكون كثير القراءة والاطلاع على مختلف الاسماء العربية وطريقة تحويلها للفرنسية اللاتينية.
مترجم ٣	نعم، في حال شكوك المترجم بأماكنه الاستعانة بمواقع الترجمة عبر الانترنت.
مترجم ٤	يمكن للمترجم كتابة الاسم عبر الانترنت وسيرده التصحيح الأتوماتيكي للترجمة ان كانت خاطئة.
مترجم ٥	انصحه باستشارة زملاء له او الاستعانة بمدقق لغوي.
مترجم ٦	يمكنه الاستعانة بجوجل وذلك بكتابة الاسم في الخانة العربية واختبار اللغة الفرنسية كاللغة المترجم اليها وسيحصل بسهولة وسرعة على الاجابة.
مترجم ٧	يجب توحيد المراجع، لان الكتابة باللاتينية الفرنسية لسيت كالإنجليزية بسبب بعض الصوتيات، وعليه ان يعرف الفرق بينهم حتى لا يحدث خلل في ترجمته.
مترجم ٨	غياب مصدر موثوق يجعل المهمة صعبة، لذلك يجيب توحيد المصادر المتاحة للمترجمين
مترجم ٩	انشاء تطبيقات الكترونية كالقواميس والمعاجم وتكون خاصة فقط بالمترجم

في ظل الذكاء الاصطناعي والتقدم التكنولوجي السريع، يظهر أن الكثير من المترجمين يستفيدون من فوائد التطبيقات والمواقع المتقدمة في مجال الترجمة لتسهيل نقل الأسماء بدقة وهذا ما تظهره الاجابات السابقة، فتطبيقات الترجمة تقدم راحة وكفاءة، مما يسهم في تسهيل عملية نقل الأسماء بسرعة ودقة، خاصةً عند التعامل مع كميات كبيرة من الأسماء.

تظهر نتائج الاستبانة الأولية بوضوح وجود ثغرة أو مشكلة في عملية نقل وكتابة أسماء العلم والألقاب من خلال المترجم. يتبين أن هناك صعوبات حقيقية تواجهها العملية الحالية، حيث يعاني المترجم من تحديات في فهم ونقل تلك الأسماء بشكل دقيق. يُظهر هذا الاكتشاف أهمية إجراء تحسينات وتعديلات في عمليات الترجمة لضمان دقة وأمان في نقل هذه المعلومات الحساسة.

٩- الخاتمة

في ختام بحثنا حول مشاكل ترجمة الأسماء، يظهر أن هذا الموضوع يمثل تحديات كبيرة تواجه المترجمين والمتخصصين في مجال الترجمة. تُعَدّ مشكلة ترجمة ونقل الأسماء أحد الجوانب المعقدة في عملية الترجمة، نظرًا للعديد من العوامل التي تتداخل معًا وتؤثر على قدرة المترجم على نقل الاسم بشكل صحيح وفعّال.

من بين المشاكل الرئيسية التي تم استعراضها في هذا البحث:

١- تنوع الاسماء: الاختلافات الثقافية واللغوية تجعل الأسماء متنوعة ومتعددة الأشكال، مما يجعل عملية الترجمة أكثر تعقيدًا.

٢- صعوبة الترجمة الصوتية: الأسماء التي تعتمد على النطق والصوت والحروف المتحركة والتشكيل قد تكون أكثر صعوبة في الترجمة بسبب اختلاف الأصوات واللهجات.

٣- تحديات الترجمة التقنية: استخدام التكنولوجيا في الترجمة الآلية قد يواجه تحديات في التعامل مع الأسماء بشكل دقيق. المترجم يلجأ لهذا النوع من الترجمة لأنه الاسرع لسهولة الوصول اليه مقارنة بالقواميس والمواجع الورقية والمكتوبة.

٤- غياب المراجع الموحدة الموثوقة: اذ ان غياب مرجع او قاموس مخصص مثلاً لنقل الاسماء، يجعل الباحث او المترجم يبحث يميناً ويساراً عن حلول لمشكلته، وعادة ما يقع في اشكالية في حال اختباره المرجع غير الدقيق والذي يمنحه ترجمة غير سليمة. ونشدد على ان عدد من المترجمين اقترح انشاء وتأسيس مرجع الكتروني للرجوع اليه في حالة الشكوك في نقل الترجمة.

في النهاية، يتضح أن ترجمة الأسماء تتطلب فهمًا عميقًا للثقافة واللغة، والقدرة على التحكم في الحساسيات الثقافية والاجتماعية. وتعتبر إجابات المترجمين والخبراء أساسية للتفاعل مع تحديات كتابة الأسماء من اللغة العربية إلى لغات أخرى وتشكل موردًا حيويًا لحلولنا المستقبلية.

يظل البحث في هذا المجال أمرًا حيويًا لضمان فعالية عمليات الترجمة والتواصل الثقافي في مجتمعنا المتنوع. ويعتبر خطوة أولى في اتجاه البحث عن حلول للمشاكل المكتشفة وستكون هناك استمرارية وبحوث اخرى واستعانة ربما بالذكاء الصناعي، وإسهامات أكثر تأثيراً حتى نصل الي حل جذري لهذه الثغرة.

المراجع

م.الغامدي، "خوارزميات كتابة الأسماء العربية بالحروف اللاتينية"، علوم الحاسب والمعلومات، العدد ١٧، ٢٠٠٥، الرياض، ٢٠٠٥ .

Dichy J., «La polyglossie de l'arabe illustrée par deux corpus», In M. Bozdemir et L.-J. Calvet (eds), Politiques linguistiques en Méditerranée, Paris: Honoré Champion, ٨٥–١٠٢.

Maxime RODINSON, « Les principes de la translittération, la translittération de l'arabe et la nouvelle norme de l'ISO », Bulletin des bibliothèques de France (BBF), ١٩٦٤, n° ١, p. ١-٢٤.

Kleiber G. (١٩٨١). Problèmes de référence : descriptions définies et noms propres. Paris : Klincksieck.

Vinay J.-P. & Darbelnet J. (٢٠٠٤). « A methodology for Translation », The Translation Studies Reader, Venuti L. (ed.). Routledge : ٨٤-٩٣.

Stalls B., Knight K., « Translating names and technical terms in Arabic text », Proceedings of the COLING/ACL Workshop on Computational Approaches to Semitic Languages, ١٩٩٨, Montreal, Québec.

Emeline Lecuit, Denis Maurel et Duško Vitas, « La traduction des noms propres : une étude en corpus », *Corpus*, ١٠ | ٢٠١١, ٢٠١-٢١٨.

AGAFONOV, Claire, GRASS, Thierry, MAUREL, Denis, ROSSI-GENSANE, Nathalie et SAVARY, Agata, ٢٠٠٦. La traduction multilingue des noms propres dans PROLEX. Meta : journal des traducteurs / Meta: Translators' Journal. ٢٠٠٦. Vol. ٥١, n° ٤, pp. ٦٢٢-٦٣٦. DOI ١٠,٧٢٠٢/٠١٤٣٣٠ar.

Houda Saadane – Nasredine Semmar. Transcription Des Noms Arabes En écriture Latine. Revue de l'Information Scientifique et Technique. Volume ٢١, Numéro ١, Page ٥١-٦٢ . ٢٠١٣-٠٣-٠٥.

الهوامش

(١) الجيد في قوقل انه يوجد خانة ارسال ملاحظات للمشاركة في تعديل الترجمة المقترحة.

(٢) قمنا بالتواصل مع مترجمين محافين ممثلين عن جنسيات متنوعة من: (فلسطين، مصر، ليبيا، المغرب، الجزائر، العراق وسوريا).

(٣) وردنا حتى الان ١٩ رد من أصل ٢٣ تم ارسالها مطلع شهر اكتوبر الماضي.

شعر أبي الشمقمق دراسة في ضوء نظرية الأنساق الثقافية

فاطمة هادي شاكر و د. حسين عبيد شراد الشمري،

قسم اللغة العربية، كلية الاداب، جامعة واسط، العراق و قسم اللغة العربية، كلية الاداب، جامعة القادسية، العراق

الملخص

كان لظهور الأنساق الثقافية اثرا فعالا في تشكل النقد الثقافي، الذي ظهر كردة فعل على أدبية الأدب، إذ تتناول النص بعيدا عن محيطه، الامر الذي شغل حيزًا عريضًا في البحث النقدي منذ عدة قرون إلى وقتنا الحالي، فالنقد الثقافي يتناول النص بوعي عميق وليس تناولا شكليا يحوم حول الأدبية، بل يتجاوز ذلك إلى الولوج في جوانية النص ومعرفة المعاني الخفية التي يحملها النص، وعلى ذلك جاءت دراسة الشاعر أبي الشمقمق وفقا للنسق الثقافي الذي أفرز نسقين رئيسين، هما: النسق المضمر والمعلن، اذا تناول البحث مضمرات الفقر والكدية التي سلطت الضوء على حياة الشاعر المتمرد على السلطة العباسية انذاك من جهة ونقد السلوك الاجتماعي والاقتصادي وما يتطلبه من نقد ساخر لتصحيح ما افسده المجتمع من عادات وسلوكيات مرفوضة. اخافها النص بمضمراته التي أشار اليها شعر الشاعر من جهة اخرى عالج البحث ابرز الظواهر في شعر الشاعر، بوصفه شعرا اجتماعيا في أغلب طروحاته، وعاجلت النصوص في ضوء الأنساق الثقافية للكشف عن مضمرات شعر لشاعر.

الكلمات المفتاحية: شعر، أبي الشمقمق، الانساق الثقافية.

المقدمة

ان خوض تجربة البحث في ضوء الأنساق الثقافية تتطلب منا وعيا عاما وادراك للحقول المعرفية التي تحيط بالأدب العربي مثل السياسة والاجتماع وعلم النفس والتاريخ؛ بغية تلمس القيم الثقافية والوقوف على الدلالة النسقية التي يفرزها النص داخل هذه النصوص وما تحققه من إفرازات مختلفة عما ظهرها، إذ إن نتجاوز البحث في جماليات النص البلاغي الى الوقوف على ملامح ومضامين ثقافيه لم تظهرها هذه النصوص وتحليلاتها الجمالية وعلى وفق حاجة البحث ضمن الدرس العلمي وهو النقد الثقافي وتكلل اختياري لابي الشمقمق بعد قراءةِ ديوانه الذي قام بتحقيقه الدكتور واضح محمد الصمد وهو تحقيق مميز لتصنيفه الأبيات وذكر بحورها وتنظيمها على وفق الحروف الابجدية، وعليه قسمت البحث على تمهيد نظري تحدثت فيه عن مؤسس من مؤسسات النقد الثقافي في شعر أبي الشمقمق وهي الكدية؛ كون الشاعر هو احد شعراء الكدية، وكذلك تحدثت في بسطورعن حياة الشاعر وآراء النقاد فيه، ثم درست في المبحث الأول الأنساق الاجتماعية، وتطرقت في المبحث الثاني إلى النسق السياسي،ليؤكد هذا البحث في عدد من النتائج التي توصلت اليها خلال البحث ودونت قائمة المصادر والمراجع بعد الخاتمة.

ولقد افدت من عدد من المصادر المهمة التي تناولتها في البحث وهو النقد الثقافي بين الجماليات والقبحيات وكذلك الجرم الثقافي وحروف الرصاص وهي للدكتور حسين القاصد فضلا عن معجم الدراسات الثقافية لكريس باركر وترجمه جمال بلقاسم.

التمهيد-مفهوم الكدية وسطور من سيرة الشاعر وآراء النقاد

أولاً: مفهوم الكدية : تعد الكدية من الموضوعات الشعرية التي كانت نتاج العصر العباسي الذي امتاز بخصائص لم يعهدها العصر الاسلامي – صدر الاسلام والاموي – وقد شاع لأسباب متنوعة منها ترافة طبقة دون غيرها او تداخل الثقافات غير الايجابي الذي ادخل اعراف وافكار لم تكن ظاهرة بصورة واسعة على الساحة او لم تكون موجودة اصلاً، إذ تقع الكدية تحت مفهوم الامتناع القطعي(١)، وهذا الامر يلحظ من خلال المفردات التي وقعت تحت هذا التعريف وجميع هذه المفردات تصب في نهر الامتناع لكن اذا عدنا الى العصور التي سبقت العصر العباسي لم نجد الشعراء صرحوا بهذه الظاهرة – الكدية – منذ العصر الجاهلي والاسلامي وحتى الاموي، إذ عدنا لشعراء العصر الجاهلي نجد من اوائل الشعراء الذين استعملوا الشعر كوسيلة للحصول على مكاسب مادية ومعنوية هو الشاعر المخضرم حسان بن ثابت(٢)، ولقد تكسب الشعراء غير النابغة أمثال الحطيئة والاعشى وجرير(٣)، ويلحظ انَّ من نماذج هذا النوع من الشعر عند الشعراء الصعاليك واضحاً جداً؛ كون هذه الفئة طرحت شيء من افكار الكدية، إذ قال :

لحى الله صعلوكاً إذا جن ليلة	مصافي المشاش ألفا كل مجزر
يعد الغنى من دهره كل ليلة	اصاب قراها من صديق ميسر
ينام عشاء ثم يصبح طاويا	يحث الحصى عن جنبه المتعفر
قليل التماس الزاد إلا لنفسه	اذ هو امسى كالعريش المجور(٤)

إن متابعة النص نلحظ الشاعر يسعى الى محاولة ايجاد علاقة تلازمية او شبه تلازمية ، فشعر الصعلكة والكدية كلاهما لسد الحاجة ولكن الاختلاف بينهما بالطريقة فالصعاليك يقطعون الطريق، بخلاف ابو الشمقمق يميل الى الاستعطاف ظاهرا(٥)، ولكن يلحظ مما تقدم ان الكدية والتكسب تصب في منبع واحد وتؤسس لغاية واحدة باختلاف الطرق ولكن اذا راجعت مسألة التكسب في الشعر نجد أنَّ ومنذ العصر الاول – قبل الاسلام – وحتى وقتنا الحالي ان غاية التكسب تنشأ لحصول جانب منفعي سواء كان مادي او معنوي كما اسلفنا اي مختص برجالات القبائل والقادة والخلفاء وغيره فضلاً عن التكسب كان من شعراء له مكانة بين ابناء القبيلة حيث ان التكسب ولد واسس لظهور قضية الانتحال والسرقة(٦)، ويميل ابو الشمقمق الى ظاهرة الوصف اكثر من المدح الذي اعتمد عليه شعراء التكسب حيث نجد الوصف يتصدر الاغراض عند شعراء الكدية، وهنا الفارق في وجود نسق ثقافي وهذا الامر لايلغي غرض المدح الذي ورد في القليل النادر عند شاعرنا.

ثانياً: سطور من سيرة الشاعر وآراء النقاد: هو مروان بن محمد من موالي مروان بن محمد آخر خلفاء العصر الاموي وكانت نشأته الاولى في البصرة وعلى وجه التحديد بالبخارية ثم لضرورة الحياة انتقل الى بغداد وكان ذلك ايام حكم هارون الرشيد يكنى ابا محمد ولقبه ابو الشمقمق ويراد من هذا اللقب الطويل الجسيم من الرجال وقيل هو النشيط(٧)، ويذهب ابن خلكان الى امر خالف فيه الاجماع العام حول ابي الشمقمق حيث يصفه بأن الشاعر المشهور الكوفي(٨).

المبحث الأول-النسق الاجتماعي عند أبي الشمقمق

يمثل شعر شاعرنا ظاهرة في فضاء الشعر العباسي لما له نوع من التمييز والاختلاف عمَّا دار اروقة الشعر، إذ إن هذا الشعر انماز بطابعه المختلف حتى عُرف بشعر الكدية والتسول برفقه مجموعة من الشعراء امثال

ابـو فرعـون الساسـي وغـيره ، وبمتابعـة هـذا الشـعر وجـدت ان هنالـك انسـاق ثقافيـة تحتـاج الوقـوف علـى هـذه النصـوص وتلمـس غمارهـا داخـل هـذا البحـث، ولقـد انطلـق ابـو الشـمقمق بخصـائص اجتماعيـة ووصـف خـاص امتـاز بـه شـعره عـن دونـه مـن الشـعراء فهـو يطـرح رؤيـة ذاتيـة يُظهـر مـا اصـابه مـن تغـيرات الواقـع وظروفـه الحرجـة(٩)، وقـد يكـون هـذا الشـعر يـدخل ضـمن السـياق الشـعر الهامشـي أو شـعر المهمشـين وهـم الطبقـات الـتي سـلبت حقوقهـا، وهـذا الشـعر يتطلـب مـن الباحـث اشـتغالا علـى الـراهن المعـيش المـرتبط بالسـياقات السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة وغيرهـا ولا يمكـن الوقـوف علـى هـذا الشـعر مـن هـذا الجانـب إلا عـن طريـق تلمـس الأنسـاق الثقافيـة داخـل هـذا الشعر(١٠)، ومنه قول الشاعر من(الوافر)

برزت من المنازل والقباب	فلم يعسر على أحد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي	سماء الله أو قطع السحاب
فأنت إذا أردت دخلت بيتي	علي مسلما من غير باب
لأني لم أجد مصراع باب	يكون من السحاب إلى التراب
ولا انشق الثرى عن عود تخت	أؤمل أن أشد به ثيابي
ولا خفت الإباق على عبيدي	ولا خفت الهلاك على دوابي
ولا حاسبت يوما قهرمانا	محاسبة فأغلظ في حسابي
وفي ذا راحة وفراغ بال	فداب الدهر ذا أبدا ودابي(١١)

يبعـث ظـاهر الـنص الشـعري وصـفا لحيـاة ابي الشـمقمق الـذي يصـف حالـه وحـال بيتـه حينمـا انـه لا يعسـر علـى احـد رؤيتـه فمنزلـه بـلا سـقف ولا ارضـوبابه غـير موجـودة وحتانـه لا يخـاف الاباقيـة علـى عبيـده ولا يهـتم لدوابـه، في الـنص نسـق ثقـافي مضـمر يعـود لطبيعـة الطبقيـة الـتي تحققـت في زمـن الشـاعر، إذ إن الشـاعر يشـكو إهمـالاً كـان هـو جـزء مـن هـذا الإهمـال الـذي نـتج عـن حكـم مـترف لا يعـرف حقيقـة رعيتـه ومـا يجـري علـيهم، فالرعيـة هنـا ومـنهم الشـاعر لم تتحقـق معهـم المسـاواة الاجتماعيـة مـع الطبقـات الـتي سـكنت القصـور ودارت في الأزقـة بلبـاس مذهب وبعسس يجوب حولهم.

تحقـق عـدم المسـاواة في اطـار السيسـيولوجي(**الاجتمـاعي**) كشـف للأنسـاق والمنظومـات الثقافيـة المرتبطـة بايـديولوجيات تـدخلفي بنيـان المجتمـع والفـرد آنـذاك، وهـذا الشـعر جـزء مـن المشـهد الثقـافي للمجتمـع العباسـي، وهـو شـعر لا يقـل اهميـة وفاعليـة عـن غـيره مـن انـواع الشـعر وهـو قـدينتج صـورةً رئيسـةً تهـدف التقريـب والتوضـيح لسـوء الحال الاقتصادي والاجتماعي للفرد(١٢).

إن الأنسـاق الثقافيـة الـتي تمثـل اتجاهـاً مـن اتجاهـات مـا بعـد الحداثـة سـعت للوقـوف علـى مـا يكـون هامشـاً؛ بغيـه كسـر مركزيـة المركـز الـذي هـيمن لحقبـة طويلـة مـن الـزمن، إذ إن النسـق الثقـافي في هـذا الـنص تخلـى عـن الأثـر الاجتمـاعي الـذي قـد ظـن أن إنتـاج الـنص علـى وفـق النقـد الاجتمـاعي إلى الوقـوف علـى الأنظمـة السياسـية الـتي جعلـت مـن هـذا المهمـش طريقـاً معبـداً لإكمـال خطواتهـا(١٣)، وهـذا النسـق الاجتمـاعي واضـح قـد يتمتلمسـه عـن طريـق العلاقـة القائمـة بينـالوعي الثقـافي ومـا يـتم تجاهلـه، أي إنَّالنقـد الثقـافي بأدواتـه يـتلمس الصـورة الواقـع الحقيقيـة مـن داخـل ثنايـا الشـعر" فمـا لا يمكـن قولـه او المجـال غـير ضـدييكمن وراء الثقافـة ذاك الـذي سمـاه لاكـان الواقـع الـواقعي فالثقافـة كمـا تجـد بيليسـي سـجل شـعورا بقيودهـا الخاصـة بطريـق اكثـر دقـه ممـا يسـمح بـه "(١٤)، وكـذلك يقول ابو الشمقمقفي هجائه لبعض من ابتلي به من (الرمل)

أسمج الناس جميعا كلهم　　　كذباب ساقط في مرقه(١٥)

في النص نسق اجتماعي مضمر وهو ناتج عن كبت نفسي حققته الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع العباسي، إذ إن الشاعر يعد الطبقة الغنية هم الخبث واللؤم؛ لاحتكارهم الحياة المترفة لهم،حتى هجاهم هجاءً قاذعاً جعلهم كالذباب الذي يسقط في مرقه والمرق هوما سقط من الشعر بعد الكبر "فالنسق الثقافي هنا نتلمس فيه وعي الشاعر وثقافته وفلسفة ولغة فصار لنا أن الصورة اللغوي بمقومات ثقافية وصورة نفسية ثقافية وصورة فلسفية ثقافية "(١٦)، وما يؤكد هذا النسق الاجتماعي في الصورة المخالفة التي يظهرها الشاعر عن الصورة التي سعى الغذامي الى توظيفها إذا إنه جعل سورة الكرم بوصفها قيمة ذكورية بطلها الذكر وسمعته"(١٧)، وبهذا يكون ما تقدم من نسق مضمر اجتماعي داخل هذا النص اسعف ابا الشمقمق في تحقيق مبتغاه في الهجاء.

لقد "أكدت الدراسات الثقافية ان اللغة ليست وسيلة محايدة في تشكيل المعاني ومعرفة المتصلين بالواقع بل بالأحرى تعد مؤسِسةً لهما فاللغة تعطي معاني للأشياء المادية للممارسات الاجتماعية التي نكشفت و أصبحت واضحة لنا بفعل حدود اللغة وعملية إنتاج المعنى هذه تعد ممارسة دالة وفهم الثقافة يتمثل في الكشف عن كيفية إنتاج المعاني رمزيا كشكل من اشكال التمثيل"(١٨)، فضلاً عن ذلك يكشف لنا هذا النسق عند أبي الشمقمق" فكرة النظام الابوي تشير الى نظام اجتماعي"(١٩)، وكذلك يقول ابو الشمقمق من (الخفيف)

أتراني أرى من الدهر يوما　　　لي فيه مطية غير رجلي

كلما كنت في جميع فقالوا　　　قربوا للرحيل قربت نعلي

حيثما كنت لا أخلف رحلا　　　من رآني فقد رآني ورحلي(٢٠)

يتسم هذا النص الشعري بوجع شديد قدم فيه ابو الشمقمق رصدا مباشرا لحياته ومعيشته لما اخذ منه الفقر مأخذنا كبيرا ورافقه لمده طويلة وتأكد هذه المضامين في ضوء النص على وجه العموم الا ان النسق الاجتماعي المظهر داخل هذا النص هو نسق عميق يعد مضمرا لضعف التعليمات الإسلامية القرآنية والنبوية اذان الشاعر هنا يؤكد بهذا النسق عدم وجود التكافل الاجتماعي الذي تحدث به القران الكريم و الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ويؤكد ضعف الدولة بمعرفة رعاياها واهتماماتهم حاجاتهم.

إن الحياة التي عاشها ابو الشمقمق يؤكد مدى ارتباط "الحياة الاجتماعية التابع للحياة السياسية"(٢١)، إذ كان للشعر والشعراء الحظ الاوفر من التأثير بالمؤثر السياسي وكي يستعيد الشعر هيبته وجد نفسه في حاضنه الشعر العباسي وهو مااطلق عليه الدكتور علي عباس علوان بالعقم وهي مرحلة استدعاء الشعر العباسي في قالبه وهيبته بل حتى معناه وصوره(٢٢).

فالنسق الاجتماعي المضمر يؤكد وجود "نفسحار يصدر عن معاناة في كلماتها نبره اعتداء وثقه"(٢٣)، فضلاً عن كشفه زيف الحكم وما حققه من تفريق اجتماعي ونسق تاريخي وتعسف على الاخر مما حقق تهميش لهذه الفئة وابعاد ايديولوجي حتى على مستوى مكانتهم الادبية فانهم لم يحضوا باتجاه نقدي وتصوير لأدبهم آنذاك وكذلك صعوبة التعايش مع اصناف كثيرةللناس وحتى من الادباء انفسهم(٢٤).

نلخص الى أن النسق الاجتماعي عند ابي الشمقمق حمل طابعا قد يكون فيه بعض السخرية إلا أنه اتسم بالوصف العالي الذي وضَّح من خلاله ابي الشمقمق نسقه المضمر وما يعتريه من وجع نتيجة الواقع الاجتماعي الذي تأثر بالواقع السياسي واهمال الحكام لرعيتهم وعدم تنفيذهم للوصايا القرآنية والنبوية.

المبحث الثاني- النسق السياسي عند أبي الشمقمق

تُمثل الحاضرة العباسية رؤيته سياسية واسعة المدى؛ وذلك بسبب التنوع الثقافي والسياسي الذي اجتاح هذه الحضارة بمختلف عصورها ، ولقد سادتمجموعة من الرؤى السياسية في هذا العصر؛ نتيجة لتعدد الاتصالات السياسية فمنهم من ارتبط بالسلاجقة ومنهم بالبويهيين ومنهم بالفرس الصفويين ومنهم بأقطاب سياسية واحكام أجنبية مثل الرومان.

إنَّ النسق الثقافي في قصائد أبي الشمقمق يمثل خطاباً مضاداً لما لهمألوف لدى شعراء السلطة،إذ إنَّ هذه النخبة من الشعراء(شعراء السلطة) ساد في هذا العصر بكثرة العطايا ويمكن تلمس النسق السياسي في شعر ابي الشمقمق في قوله من (الخفيف)

ما أَراني إِلّا سَأَترُك بَغدا	د وَأَهوي لَكورَةِ الأَهواز
حَيثُ لا تُنكرُ المِعازِفُ وَاللَهْـ	ـوُ وَشربَ الفَتى مِنَ التَقمازِ
وَجوار كَأَنَّهُنَّ نُجومُ اللَ	ـيل زَهرٌ مِثلَ الظِباءِ الجَوازي
واضِحاتُ الخُدودِ أَدم وَبيض	فاتِناتٌ ميل مِنَ الأَعجازِ
بين عوادة وأخرى بصنج	في بساتينها وفي الأحواز
ذاكَ خَيرٌ مِنَ التَرَدُّدِ في بَغـ	ـداد تَنَزو بِيَ البِغالُ النَوازي
كُلَّ يَومٍ في كَمَةٍ وَقَميصٍ	وَرِداءٍ مِنَ الغُبارِ طِرازي
لَم يَحكه النساجُ يَوماً لِبَيعٍ	لا وَلا يشتَري مِنَ البزازِ
أَخَذَت أَهلَها الشَياطينُ	بِالرَكضِ لِطولِ الشَقاءِ وَالأَعوازِ
كُلَّ شَيخٍ تَخالُهُ حينَ يَبدو	فَوقَ بُرذونِهِ كَشَخصٍ حِجازي
وَجَميلُ الفَسيلِ أَعني اِبن مَحفو	ظٌ عَدُوٌّ النَدى وَسِلمُ المَخازي
ألفت إسته الفياشل حتى	ما تشكى للطعن بالعكاز
يَأَخُذُ الأَسوَدَ الَّذي يُفَرِّقُ الحَـ	ـوّاءَ مِنهُ كَدُّسَتِجُ المِنخازِ
لَيثٌ غابَ بِدُبرِهِ حينَ يَلقى	وَجَبانٌ في الحَربِ يَومَ البَرازِ
بَعُدَت دارُهُ فَلا رَدَّهُ اللـ	ـه وَلا زالَ نائي الدارُ شازي
ذاكَ شَخصٌ بِهِ عَلَيَّ هَوانٌ	كَهَوانِ الخصى عَلى الخَبّازِ(٢٥)

في هذا النص يعقد الشاعر مقارنه بين البغدادي والاهواز إلا أن النسق المضمر السياسي يكشفه هذا الشاعر بأن الصفات التي يقدمها للأهوازي هي الصفات الحقيقية لبغداد لما فيها من معازف ولهو وشرب وفتيان وطقماز وضباء الجوازي وغيرها من الصفات التي تحدث عنها ثم أخذ يذكر صفات الفتيات من ناحية(**واضحات الخدود، ادم وبيض، فاتنات ميل من الاعجاز**) هذه المضامين التي تحدث عنها هي مضامين توجد في بغداد أكثر من غيرها ولاسيما في العصر العباسي إلا أن النسق يكشف رفضاً مضمرا من لدن الشاعر على هذه الظواهر التي سادت بالمجتمع العباسي آنذاك، إذإن الشاعر يحاول ان ينبه المتلقي على حقيقة المجتمع الاهوازي الذي هو المجتمع الافضل له مقارنة بالمجتمع البغدادي نتيجة مضامين التي حققتها تداخل المجتمعات ثقافياً.

يمثل هذا النسق موقفاً ثقافياً وفكرياً من لدنا الشاعر، الذي افرزته اضطرابات تلك المرحلة وما شهدتها من مماحكات(خلافات)سياسية واضرابات داخل البيت الحاكم ، ومحاولة رفض هذه العادات التي تجسد رؤية متأثرة بالحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية غير العربية(٢٦).

أفرز نسق السياسي رؤية" باننا غير قادرين على التمييز بين الافكار من ناحية نتائجها الخاصة بفئات اجتماعيةتصدر احكام ضد قيمنا"(٢٧)، أي إن ما جاءت به هذه الثقافات هو تدمير وتحطيم للوعي العربي وهويته التي بذل اجيالاً واجيالاً لبنائها، وكذلك الطريقة التي كان يقدم بها ابي الشمقمق شعره هي طريقة تؤكد هذا النسق السياسي عن طريق بث الشعر داخل الأزقة والأسواق؛ كونه كان يلقي الشعر اثناء سيرهفي الاسواق وهذا يعني ن الاسواق ادت وظائف اخرى مثل البث الاعلامي في وقتنا الحاضر(٢٨)، وكذلك يقول الشاعر من (مجزوء الرمل)

أَنا في حالٍ تَعالى	اللهُ رَبّي أَيَّ حالِ
١,١,١ وَلَقَد أَهزَلتُ حَتّى	مَحَتِ الشَمسُ خَيالي
١,١,٢ مَن رَأى شَيئاً محالاً	فَأَنا عَينُ المحالِ
١,١,٣ لَيسَ لي شَيءٌ إِذا قيـ	ـل لِمَن ذا قُلتُ ذا لي
١,١,٤ وَلَقَد أَفلَستُ حَتّى	حَلَّ أَكلي لِعِيالي
١,١,٥ في حَر أَم الناسِ طراً	مِن نِساءٍ وَرِجالِ
١,١,٦ لَو أَرى في الناسِ حُرّاً	لَمَ أكُن في ذا المِثالِ(٢٩)

في النص الشعري نسق سياسي يؤكد سوء الادارة التي أودت بحال الطبقة الفقيرة ومنهم شاعرنا الى الهزل والضياع حتى أنه في وصف حاله أن الشمس محت أثره ووجوده في الحياة، وإحساس التهميش هو أساس هذا النسق، وقد يكون هذا التوظيف هو تأكيد على الاضطهاد السياسي وعدم قدرته على التمرد على هذا النظام على الرغم من محاولاته الكثيرة فأكل الأبناء للأب عن طريق وصف الشاعر لنفسه في النص الشعري، هو تأكيد لهذا لنسق وبيان واضح لما دار عليه نتيجة للمخلفات السياسية والاقتصادية والضرائب التي كانت تفرض عليهم في زمنه.

إنّ ًالملاحظ على هذا النص يؤكد أنه نصاعلامي؛كون هذا النوع من الشعر صنع دولاً وقادةوبنا كثيرا من الدعائم السياسية وهنا تكون هذه القصيدة قصيدة رافضة؛ وذلك لتحقيقها مستوى اعلامياً ونسقاً مغايرا ورافضا للدور السياسي.

فأبي الشمقمق حقق نسقا مغايرا لأغلب شعراء عصره، إذ كان مختلفا عن صورة الشاعر المتاحةآنذاك، وهي صورة الشاعر المادح الذي جعل الشعر حانوتا يدور على طالبين المدح وهي الصورة التي استمرت حتى وقتنا الحاضر(٣٠)، فمهمة النقد الثقافي في شعر ابي الشمقمقهي مهمة صعبه كون النقد الثقافي" لا يهتم لتبرج الخطاب أوحجابه خلف مكياج البلاغة بليفتش حتى عن ولادة فكره وبواعثها وكانه بصدد اصدار شهادة ميلاد للخطاب وهو مازال نطفه في حرم التفكير"(٣١)، وأنا لا تفق مع اغلب القائلين بأن السخرية كانت لجني الأموال عند أبي الشمقمق فحتى الشعر الساخر الذي يقدمه يؤكد لنا سعت وعيه وثقافته حتى أن الجاحظ(٢٥٥هـ)قال" أن

الضحك ظاهره اجتماعيه تنشط وتشتد بوجود عنصر اجتماعي اخر يشارك بها ويساعد عليها"(٣٢)، وكذلك يقول أبو الشمقمق من(الخفيف)

وَلَقَد قُلتُ حينَ أَجحَرَني البَر	دُ كَما تَجحَرُ الكِلابُ ثعالَه
١,١,٧ في بَييتٍ مِنَ الغَضارَةِ قَفرٌ	لَيسَ فيهِ إِلّا النَوى وَالنِخالَه
١,١,٨ عَطَّلَتهُ الجِرذانُ مِن قِلَّةِ الخَير	وَطارَ الذُبابُ نَحوَ زُبالَه
١,١,٩ هارِباتٌ مِنهُ إِلى كُلِّ خصبٍ	جيدة لَم يَرتَجينَ مِنهُ بَلالَه
١,١,١٠ وَأَقامَ السُنورُ فيهِ بشر	يَسأَلُ اللَهَ ذا العُلا وَالجَلالَه
١,١,١١ أَن يَرى فأرَةً فَلَم يَرَ شَيئاً	ناكِساً رَأسَهُ لِطولِ المِلالَه
١,١,١٢ قُلتُ لَمّا رَأَيتُهُ ناكِسَ الرَأ	س كَئيباً يَمشي عَلى شَرِّ حالَه
١,١,١٣ قُلتُ صَبراً يا نازَ رَأس السَنا	نيرِ، وَعَلَّلتهُ بِحُسنِ مَقالَه
١,١,١٤ قالَ : لا صَبرَ لي، وَكَيفَ مَقامي	في قِفارٍ كَمِثلِ بيدٍ تُبالَه
١,١,١٥ لا أرى فيه فأرة أنغض الرأ	س ومشيي في البيت مشي خياله
١,١,١٦ قُلتُ: سِر راشِداً فَخارَ لَكَ الل	ـه وَلا تَعُد كَرَبَجِ البَقالَه
١,١,١٧ فَإِذا ما سَمِعتُ أَنا بِخَيرٍ	في نَعيمٍ مِن عَيشة وَمَنالَه
١,١,١٨ فَائِتِنا راشِداً وَلا تَعدونا	إِن مَن جازَ رَحلنا في ضَلالَه
١,١,١٩ قالَ لي قَولَةً: عَلَيكَ سَلامٌ	غَيرَ لُعبٍ مِنهُ وَلا بِبَطالَه
١,١,٢٠ ثُمَّ وَلّى كَأَنَّهُ شَيخُ سوءٍ	أَخرَجوهُ مِن مَحبَسٍ بِكَفالَه(٣٣).

الظاهر من النص الشاعر يستمر ببث سخريته عن الواقع الذي يعتاشه إلا أن حقيقة النسق المضمر السياسي داخل هذا النص يؤكد مدى رفضه واستمراره على هذا الحال، فسوء الحال يؤكد أن الشاعر قدم ثورة رافضه خالية من المصالحة مع الحاكم وحاشيته؛ كونهم اوصلوهم الى هذه المنزلة، وعلى الرغم من أن الشاعر ابن البيئة والارث التاريخي العربي كما هو معروف الذي عرف ببعض مجالس المصالحة والسلم الى أنه يجد نفسه حائراً امامهذه المعيشة التي ارهقته وجعلته ضائعا بين ازقة المدينة بحث عن القوت على الرغم "السلم هو قانون الحياة ودستورها الدائم"(٣٤)، فالشاعر يحاول إلى تصحيح مسار الواقع كون "واجب وجوه القوم التصدي لكل ما من شأنه أن يعكر الحياة وصفوة المتألق وان يوقفوه قبل استفحاله والتعامل معه على انه حدث طارئ"(٣٥)، فالنسق السياسي المضمر الذي تلمسته في قصيدة أبي الشمقمق حقق فكرة تختصور مختلفة منها سيادة الذات والمحافظة على صورتين المقترنتين الانتروبولوجيا والنزعة الانسانية ضد جميع اشكال الخلخلة والانحراف عن الاصل(٣٦)، فالطبيعة الشعرية المختلفة في شعر ابي الشمقمق تؤكد أن المقولة التي تذهب الى أن العقل العربي في العصر العباسي عقل متفلسف يؤكد نضجه ووضوحه ولا يعد غريبا عن الشعراء كون المعرفة والثقافة جزء في بناء لغتهم الشعرية فالشاعر يجد نفسه ضائعاً أمام" الحالة المادية وتطورها كانت تقاليد المدينة تنمو وتتسع وتتوطد وتزدهر معارفها وثقافتها "(٣٧)، فالشاعر حينما يتناول شعره بهذه الطريقة وهذا يؤكد أنه استعمال لقيمة داخلية تحقق تأثيرها في المتلقي من دون القيم الجمالية بل هي قيمة ثقافية تم إرسالها عن طريق خلط بين المدلولات داخل النص الشعري وما يطرحه من مضامين(٣٨).

خلاصة القول أن النسق السياسي المضمر في شعر أبي الشمقمق امتاز في تنوع في قصائده من حيث السخرية ووصف نفسه و بيان حاله وعائلته وهي نقطة مركزيه ينطلق منها الشاعر في تصدير ثقافة الرفض والتمرد على الحكم السياسي حتى وان كان بدلالة نسقية نتلمسها من خلال الواقع السياسي والاقتصادي الذي عاشه الشاعر.

الخاتمة

بعد الانتهاء من البحث توصلت إلى عددمنالنتائج وهي على وفق مايأتي

أولاً: تمثل ظاهرة الكدية والتسول في شعر أبي الشمقمق ظاهره نتلمسمنها انساقاً ثقافية مثل النسق الاجتماعي والنسق السياسي.

ثانياً: إن الشاعر في قصائده قدم رسائل للمجتمع عامة ولفئة الفقراء خاصة ومحاولة رفضهم للطبقية التي زرعت في العصر العباسي بحيث انحصرت حياة الترف والرغد بطبقات معينه وهي الامراء والخلفاء الوزراء وحاشيتهم.

ثالثاً: حقق الخطاب المضاد دلالةنسقية تؤكد شعر أبي الشمقمق تجاوز مرحله الهزلية والسخرية الى تقديم أرث لبناء الشخصية وتحقيق الذات وبناء الهوية الفردية قبل الجماعية.

رابعا:إن النقد الثقافي هو نمط يحتاج الى ابعاد فكرية وإلمام بالحقول المعرفية كافه؛ بغية تلمس وعي الشاعر الذي حققه هذا النص وهذا الامر في شعر ابي الشمقمق انحسر بالامور الاجتماعية والسياسية وقد يكون السبب في ذلك هو طبيعة المجتمع آنذاك .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١) التطور الدلالي في لغة الشعر ،د.ذرغام الدرة، دار اسامه، الاردن، ط١، ٢٠٠٩.

٢) ثقافة الوعي مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، عبدالله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ،ط١ ،٢٠٠٠ .

٣) الثقافة والواقع نحو نظريةللنقد الثقافي ، كاثرين بيلسي ،تر:د.باسل المسالمة،منشورات الهيئة العامة للثقافة ،ط١، ٢٠١٧.

٤) الجرم الثقافي وحروف الرصاص المضمر في الشعر والنقد وأوامر السلطة، د.حسين القاصد، دار الصادق ، بابل، ط١، ٢٠٢٢.

٥) حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي ،ط٢، ١٩٨٧ .

٦) حفريات فيالذاكرة المصطلح الهامش والمهمش انموذجا ، د.عبد اللطيف حمودي الطائي – نورس ابراهيم عبد الهادي ،بحث منشور في مجلة العميد،كربلاء، د.ع، ٢٠١٤.

٧) الدلالة الثقافية وسيمياء النسق المضمر ،د.حسين القاصد،دار الصادق الثقافية، بابل،ط١ ،٢٠٢٣.

٨) ديوان ابي الشمقمق , تحقيق د. واضح محمد الصمد , دار الكتب العلمية , لبنان , ط١ , ١٩٩٥ .

٩) ديوان حسان بن ثابت , تح : جمانة سعيد , دار الفكر , لبنان , ط١ .

١٠) سوسيولوجيا التراكم الثقافي ، احمد شراك ، المركز الوطني للإبداع المسرحي والسينمائي،مصر،ط١، ٢٠٠٤ .

١١) شعر الكدية في العصر العباسي في النصف الثاني من القرن الرابع , رابح بودية , رسالة ماجستير , جامعة محمد خيضر , الجزائر , ٢٠١٥.

١٢) الشعراء الصعاليك, مزيد خنجر الغازي , رسالة ماجستير , جامعة ام درمان , السعودية , ٢٠١٠ .

١٣) طبقات الشعراء , ابن المعتز , تح : عبد الستار احمد فراج , دار الانجلو المصرية , مصر , ط٢ , ١٩٩٢.
١٤) ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم , رائد عبد الرحيم , بحث منشور في مجلة جامعة الازهر , م١٢ , ع١ .
١٥) ظاهرة الكدية في الادب العربي نشأتها وخصائصها الفنية ،د.حسن اسماعيل عبد الغني ،مكتبة الزهراء،مصر، د.ط، ١٩٩١.
١٦) ظواهر أدبية في التراث النقدي القديم ،د. حسن عبد العليم ،دار الكتب المصرية، القاهرة،ط١، ٢٠٠٥.
١٧) الفكاهة في النثر العباسي،د. علي عزيز صالح ،دار الكتب العلمية، لبنان ،ط١، ٢٠١٠ .
١٨) القصيدة الاعلامية في الشعر العراقي الحديث، د.حسين القاصد، دار الشؤون الثقافية،بغداد،ط١، ٢٠١٣ .
١٩) المصالحة والسلم في ادب عرب قبل الاسلام، د.احمد حسين العيثاوي،مكتبة دجلة،العراق،ط١، ٢٠١٧.
٢٠) معجم الدراسات الثقافية ،كريس باركر،تر:جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، مصر ، ط١، ٢٠١٨.
٢١) المفردات في غريب القرآن , الراغب الاصفهاني , دار الكتب العلمية , لبنان.
٢٢) موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ،د. محمد زكي العشماوي ،دار النهضة،ط١، ١٩٨١ .
٢٣) النقد الثقافي بين الجماليات والقبحيات،د. حسين القاصد ،دار الصادق الثقافية،بابل،ط١ ،٢٠٢٣.
٢٤) النقد الثقافي ومراجعات التجديد دراسة تطبيقية في شعر محمد رضا الشبيبي ، عبد القادر جبار، دار الحداثة للطباعة والنشر ، بغداد ،ط١، ٢٠١٨
٢٥) الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيوثقافية،د.هويدا صالح ، رؤية للنشر والتوزيع ، مصر ،ط١، ٢٠١٥ .
٢٦) وفيات الاعيان وابناء الزمان , ابن خلكان , تحقيق احسان عباس , دار الثقافة , بيروت .

الهوامش

(١) المفردات في غريب القرآن , الراغب الاصفهاني , دار الكتب العلمية , لبنان: ٤٢٧.

(٢) ينظر : ديوان حسان بن ثابت , تح : جمانة سعيد , دار الفكر , لبنان , ط١ :٨.

(٣) ينظر : طبقات الشعراء , ابن المعتز , تح : عبد الستار احمد فراج , دار الانجلو المصرية , مصر , ط٢ , ١٩٩٢ : ٣٧٥-٣٧٦.

(٤) الشعراء الصعاليك, مزيد خنجر الغازي , رسالة ماجستير , جامعة ام درمان , السعودية , ٢٠١٠ : ١٥.

(٥) ينظر : شعر الكدية في العصر العباسي في النصف الثاني من القرن الرابع , رابح بودية , رسالة ماجستير , جامعة محمد خيضر , الجزائر , ٢٠١٥ : ٨-٩.

(٦) ينظر : ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم , رائد عبد الرحيم , بحث منشور في مجلة جامعة الازهر , م١٢ , ع١ : ٤٢٤.

(٧) ينظر : ديوان أبي الشمقمق , تحقيق د. واضح محمد الصمد , دار الكتب العلمية , لبنان , ط١ , ١٩٩٥: ١٣-١٤.

(٨) ينظر : وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان , ابن خلكان , تحقيق احسان عباس , دار الثقافة , بيروت : ٣٣٥/٦.

(٩) ينظر: ظاهرة الكدية في الادب العربي نشأتها وخصائصها الفنية ،د.حسن اسماعيل عبد الغني ،مكتبة الزهراء،مصر، د.ط، ١٩٩١: ٣٥.

(١٠) ينظر:الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية،د.هويدا صالح ، رؤية للنشر والتوزيع ، مصر ،ط١، ٢٠١٥ : ٢٧.

(١١) ديوان أبي الشمقمق: ٢٧-٢٨.

(١٢) ينظر: سوسيولوجيا التراكم الثقافي ، احمد شراك ، المركز الوطني للإبداع المسرحي والسينمائي،مصر،ط١، ٢٠٠٤ :٢٧.

(١٣) ينظر:حفريات في الذاكرة المصطلح الهامش والمهمش انموذجا ، د.عبد اللطيف حمودي الطائي - نورس ابراهيم عبد الهادي ،بحث منشور في مجلة العميد،كربلاء، د.ع، ٢٠١٤: ٢٥٤.

(١٤) الثقافة والواقع نحو نظرية للنقد الثقافي ،كاثرين بيلسي ،تر:د.باسل المسالمة، منشورات الهيئة العامة للثقافة ،ط١، ٢٠١٧: ١٥-١٦.

(١٥) ديوان أبي الشمقمق: ٧٤.

(١٦) النقد الثقافي بين الجماليات والقبحيات،د. حسين القاصد ،دار الصادق الثقافية،بابل،ط١ ،٢٠٢٣: ١١٠.

(١٧) ثقافة الوعي مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، عبدالله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، لبنان ،ط٢٠٠٠،١ : ١٠٢.

(١٨) معجم الدراسات الثقافية ،كريس باركر،تر:جمال بلقاسم، رؤية للنشر والتوزيع، مصر ، ط١، ٢٠١٨: ١٤٥.

(١٩) معجم الدراسات الثقافية:٣٥٩.

(٢٠) ديوان أبي الشمقمق:٨٠.

(٢١) الجرم الثقافي وحروف الرصاص المضمر في الشعر والنقد وأوامر السلطة، د.حسين القاصد، دار الصادق ، بابل، ط١، ٢٠٢٢: ١٧١.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه:١٧١.

(٢٣) موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ،د. محمد زكي العشماوي ،دار النهضة،ط١، ١٩٨١ : ١٤٣ .

(٢٤) ينظر:ظواهرأدبية في التراث النقدي القديم ،د. حسن عبد العليم ،دار الكتب المصرية، القاهرة،ط١، ٢٠٠٥: ٥٠.

(٢٥) ديوان أبي الشمقمق:٦١-٦٣.

(٢٦) ينظر: النقد الثقافي ومراجعات التجديد دراسة تطبيقية في شعر محمد رضا الشبيبي ، عبد القادر جبار، دار الحداثة للطباعة والنشر ، بغداد ،ط١، ٢٠١٨ :٩٤.

(٢٧) معجم الدراسات الثقافية :٨٧.

(٢٨) ينظر: الجرمالثقافي وحروف الرصاص المضمر في الشعر والنقد واوامر سلطة: ١٦.

(٢٩) ديوان أبي الشمقمق:٧٧-٧٨.

(٣٠) ينظر: القصيدة الاعلامية في الشعر العراقي الحديث،د.حسين القاصد،دار الشؤون الثقافية،بغداد،ط١، ٢٠١٣ :١١.

(٣١) الدلالة الثقافية وسيمياء النسق المضمر ،د.حسين القاصد،دار الصادق الثقافية، بابل،ط١، ٢٠٢٣: ٢١٣.

(٣٢) الفكاهة في النثر العباسي،د. علي عزيز صالح ،دار الكتب العلمية، لبنان ،ط١، ٢٠١٠ : ٣١.

(٣٣) ديوان أبي الشمقمق: ٨٤-٨٧.

(٣٤) المصالحة والسلم في ادب عرب قبل الاسلام،د.احمد حسين العيثاوي،مكتبة دجلة،العراق،ط١، ٢٠١٧: ١٧.

(٣٥) المصدر نفسه:١٩.

(٣٦) ينظر: حفريات المعرفة، ميشيل فوكو، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي ،ط٢، ١٩٨٧ :١٣.

(٣٧) التطور الدلالي في لغة الشعر ،د.ذرغام الدرة، دار اسامه، الاردن، ط١، ٢٠٠٩ :٥٧.

(٣٨) ينظر : المصدر نفسه:٧٩.

تطبيقات تداولية من أدب المناظرة في العصر العباسي الاول (مناظرة هشام بن الحكم الكوفي انموذجا)

د. حليم عباس عبيد و حسين جويد موسى،

قسم الاديان المقارنة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العراق و مركز دراسات الكوفة، كلية القانون، جامعة الكوفة، العراق

الملخص

تعد اللسانيات التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، إذ بعدما كانت اللسانيات تقصر أبحاثها على الجانبين البنيوي والتوليدي؛ فتهتم بدراسة مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية وكذا وصف وتفسير النظام اللغوي ودراسة الملكة اللسانية المتحكمة فيه، جاءت اللسانيات التداولية لتعالج في مقابل ذلك ما يسمى بـ "لسانيات الاستعمال". ويعد العصر العباسي من أكثر فترات الحضارة الاسلامي غنى من الناحية الادبية اذ شهد التأسيس النظري للعلوم والمعارف اللغوية وعلم اللسانيات الذي سيشهد نقلات متميزة بفعل حاجة العلوم الشرعية كالفقه والتفسير وعلم الحديث وعلم الكلام الى اللغة ولأجل ذلك تم تصنيف الكتب الام لعلوم اللغة العربية والتي جمعت بين ثناياها مختلف الالفاظ العربية على اختلاف اللهجات التي كانت في البلدان المتباعدة والتي تعتبر الموطن الام لهذه اللغة. وبفعل اختلاف المسلمين الى موارد معرفية من الامم الاخرى، نشط علم الكلام في تلك الفترة خاصة مع تعدد الفرق والمذاهب الكلامية وحاجتها للغة في الترويج لمعتقداتها، وكانت تجري في ذلك العهد مناظرات بين ائمة المذاهب الكلامية، سجل لنا التاريخ جزء منها، ويأتي هذا البحث لفحص الاثر الفعلي للكلام لاحد تلك المناظرات التي جرت بمرأى ومسمع من الخليفة العباسي.

الكلمات المفتاحية: هشام بن الحكم، التداولية، هارون العباسي، البرامكة، المناظرات.

تمهيد-هشام بن الحكم الكوفي المتكلم والمحدث والفقيه

المحدث هشام بن الحكم الكوفي , هو ابو محمد وقيل ابو الحكم(١) هشام بن الحكم الكندي وقيل الشيباني البغدادي , ويرى الكشي معتمدا قول الفضل بن شاذان : أنّ هشام بن الحكم كان كوفي الأصل ولد ونشأ في واسط(٢) , وتاريخ ولادته على التحقيق مجهول غير ان القرائن تشير الى انه ولد بالكوفة في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة(٣), سكن هشام الكوفة وتلقى علومه الاولية في مدرستها , ثم انتقل الى واسط وعاش بها وطرا من حياته يزاول التجارة ويظهر أنّه كان يبيع الكرابيس(٤), وتدل النصوص وكتب الرجال أنّ لهشام أخاً اسمه محمد بن الحكم، كان أحد رواة الحديث، يروي عنه ابن أبي عمير(٥) , واختلف مترجموه في تحديد سنة وفاته فمنهم من قال انه توفي توفي في الكوفة سنة ١٧٩ هـ في زمن خلافة هارون الرشيد(٦) ودفن في الكوفة(٧), وبعد ذلك فان هشام بن الحكم المحدث والمتكلم أحد كبار الشيعة الإمامية(٨) ومن وجوه أصحاب الإمامين الصادق والكاظم (عليهم السلام) في القرن الثاني الهجري، وأحد متكلمي الشيعة وبطائنهم الذي فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج فيه , أثنى عليه وامتدح مكانته العلمية علماء الشيعة والكثير من علماء العامّة. وعُدّ من الملازمين ليحيى بن خالد البرمكيّ؛ إذ كان دائم الحضور في مجالس المناظرة التي يعقدها هذا الوزير في بغداد، وكان القيّم بمجالس نظره وكلامه. وقد حظي بهبات كثيرة وجوائز سنيّة من هارون الرشيد تكشف عن عظم مكانته العلمية, ولهشام بن الحكم نتاج متنوع من الكتب والرسائل , فقد ذكرت له كتب الرجال والفهارس ٣٥ كتاباً ورسالة.

المبحث الاول-مناظرة هشام بن الحكم مع الفقهاء والمتكلمين وبحضور هارون العباسي المعروف تاريخيا بـ (الرشيد)(۹)

مدخل

نظرة خاطفة لحياة هشام بن الحكم تنمي الشعور بان طلب اليقين كان يشكل المحور الاساسي والرئيس في تجربته المعرفية , لذا خاض مناظرات مع فرق المتكلمين والفلاسفة كافة , كما كان له في ذات الوقت مناظرات مع المشركين والثنوية والزنادقة واصحاب الديان الارضية والسماوية كالنصارى واليهود , وقد لقيت المناظرة التي بين ايدينا . وهذه الفئة من الحوارات بشكل عام . رواجا في العهد العباسي بعدما احتدم الجدال بين علماء الفرق الاسلامية حول مسألة الامامة بشكل خاص , او مع ارباب الملل الاخرى , حول مواضيع التوحيد والنبوة ساعد على ذلك الحرية الفكرية النسبية التي شهدها ذلك العهد(۱۰).

نص المناظرة

قال الشيخ(۱۱) (رحمه الله) : وحدَّثني أبو الفضل جعفر بن إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم بن الحسن(۱۲)، قال : حدّثني أبو الحسن البصري(۱۳) ، عن أبي عبدالله الحسين بن محمّد الجرير(١٤) ، عن محمّد بن الأشعث(١٥) المعروف بابن مكلّم الذئب الخزاعي ، قال : دخلت على هارون الرشيد(١٦) في بعض الأيّام ، فوقفت بين يديه ، وأنا متّكئ على سيفي ، إذ دخل عليه شابّ قد وجب عليه حدّ، فأمر الرشيد أن يقام عليه أربعة حدود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنَّ الله غضب لنفسه بحدّ واحد ، فلا تفضله بأكثر ممّا غضب لنفسه , ثمّ التفت إلى ابن أبي ليلى(١٧) فقال : أما إنّك لا تحسن مثله , ثمّ أدناني وقرّبني، فحسدني البرامكة(١٨) فلمّا كان ذات يوم ، أقبل يحيى بن خالد البرمكي(١٩) فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ هذا الذي قرّبته وأدنيته، يزعم أنَّ لله عزَّ وجلّ في أرضه إماماً غيرك ، مفترض الطاعة ، في ولد علي بن أبي طالب ، ويدّعي أنَّهُ معصوم من كلِّ ذنب > قال الرشيد : سبحان الله ما أعجب هذا! , قال يحيى : فَتُحبّ أن تسمع كلام أهل المقالات يا أمير المؤمنين ؟ ثمّ قال يحيى : ليس المعوَّلُ على هؤلاء أن تسمع كلامه ,قال الرشيد : فالمعوّل على كلام من قال يحيى : على مَنْ يقول بمقالة ابن مكلّم الذئب. قال الرشيد : فمن هو يا يحيى ؟ قال يحيى : هو هشام بن الحكم ، صاحب الصادق. قال الرشيد : ابعث إليه ليأتيني. قال : لا يأتي. قال الرشيد : ولِمَ ذلك ؟ قال يحيى : يخاف أن تقتله. قال الرشيد : فاكتب له أماناً. فكتب له يحيى عهداً عن الرشيد ، وبعثه إليه . فلمّا حضر بالباب أذِنَ له بالدّحول ، فدخل،وجلس الرشيد من وراء الستر ، فدخل هشام ، واجتمع أهل الكلام. فقال يحيى بن خالد لضرار بن عمرو(٢٠) : سل يا أبا محمّد ، يعني هشاماً(٢١) قال هشام : ما لي ولكلام الناصبة والخارجة عن ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال يحيى : لقد كنّا معكم على ولاية علي ، فلمّا ادَّعيتم لذريّته ما ليس لهم بحقّ خالفناكم على ولايتهم. قال هشام : قد أقررت أنّ الحقّ في أيدينا ، فأقم الآن البيّنة بادّعائك الباطل ، بأنّ الحقّ الذي معنا ليس بحقّ ، حتّى نجليه. قال يحيى : يا هشام إيّما أفضل النبوّة ، أم الإمامة ؟ قال هشام : لا فرق بينهما ، إذ قال : كان الله تبارك وتعالى أعطى محمّداً التنزيل ، وأعطى الإمام التأويل(٢٢) ، وبهذا خبّر أنس بن مالك(٢٣) ، قال : سمعت رسول الله ، وقد دخل عليه علي من باب المسجد فقال لي : يا أنس ، أنا وهذا الرّجل حجج الله تعالى على خلقه(٢٤) ، وهذا قول النبي لعلي أنت منّي وأنا منك(٢٥) ، وهذا خبر المباهل حيث يقول الله جلّ اسمه لنبيّه (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(٢٦) آل عمران : ٦ , قال يحيى : لعنة الله على الكاذبين. وقال يحيى : يا هشام ، إنّي لم أسألك إلاّ عن الفضل في مقام بَدْوٍ(٢٧) الصريح بالرسالة. قال هشام : ذلك محمّد

قال يحيى : فهذا محمّد لا تقوم له عصمة ، حتّى يقول جلَّ اسمه : (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى)الضحى : ٧ ، فهل يكون الضّالّ رجلاً معصوماً من الذنوب ، فيأتي بأضعف من الذنب حتّى يجمع على ظهره فيكون وزراً عظيماً. قال هشام : يا يحيى ، خبّرني عن الضلال على كم وجه ؟ قال : يحيى على ثلاثة وجوه : ضالٌّ عن علم ، وضالٌّ عن طريق ، وضالٌّ عن هدى.

قال هشام : صدقت يا يحيى ، إنّ النبي ، لما أُسري به(٢٨) إلى السماء ، وصار عند سدرة المنتهى زجّ به جبرائيل في النور ، فنادى : " يا جبرائيل ، هَهُنا يترك الخليل خليله ، والحبيب حبيبه ؟ ! " قال جبرائيل : إنّي لا أستطيعُ أنْ أسلك معك في النور .فبقي النبي وحده لا يدري كيف الطريق(٢٩) ، فحاشا رسول الله أن يكون ضالاً عن هدى أو عن علم. قال يحيى : ومن يسلّم إليك ، أنّ النبي أُسري به إلى السماء إنّما يتأوّل بقوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)الاسراء :١ , قال هشام : فأخبرني عن هذا المسجد الأقصى أين هو ؟ قال يحيى : هو بيت المقدس. قال هشام : إنَّ الله عزّ وجلّ قال : الأقصى ، والأقصى لا يكون وراءه شيء ; لأنَّ الله عزّ وجلّ ذكر أنّهُ الأقصى ، وهذا لا يكون وراءه شيء ، وبيت المقدس ، إنْ كان وراءه شيء لا يستحيل ، فهذا ورآء هذا. قال يحيى : هكذا قال الله سبحانه. قال هشام : ووجه آخر يا يحيى ، إنَّ ضلال النبي حبّه لربّه. قال : وكيف يكون الضّالّ محبّاً ؟ قال هشام : إنّ الله عزّ وجلّ يقول عن يوسف : (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)(٣٠) إلى قوله : (قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ)يوسف : ٩٤ ، يعنون به حبّه ليوسف ، وكذلك كان ضلال النبي حبّه لربّه ، كضلال يعقوب بحبّ يوسف عليه. ووجه آخر ، وهو ما لا يُدْفَعُ يا يحيى ، ولا يمكنك إنكاره ، ولا يمكن الخصم دفعه ، ولا يهتدي له أحد من الناس ، وهو في كتاب الله عزّ وجلّ.

فقال له يحيى : ما هو يا هشام ؟ قال : أمَّا قوله عزّ وجلّ : (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى)الضحى : ٧ ، أراد وجدك نَسِيّاً فجعلك ذَكُوراً. قال : وكيف يكون الضلال نسياناً ؟ قال هشام : أما سمعت قول الله عزّ وجلّ : (أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ)البقرة : ٢٨٢ ، أراد أن تنسى(٣١). قال : فلمّا رأى الرشيد الحجّة قد أفلجت على يحيى ، قال : والله لقد ظهر عليك يا يحيى ، وأعجبه كلام هشام ، وخروجه من حججه ، وجعل يهتزُّ في مجلسه ، ويكرّر الآيات ويستحسن وقوعها ، وعظم هشام عنده. ثمَّ قال يحيى : هذه واحدة ، فأخبرني عن الوزر؟(٣٢) قال هشام : ويحك يا يحيى ، ليس الوزر الذنب ، أما سمعت قول الله سبحانه : (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)محمد : ٤ ,قال : بلى . فما وزر الحرب ؟

قال : أنْ تقوم على ساق فكان من شأن رسول الله أنْ يباشر الحرب بنفسه ، فوضع الله عزّ وجلّ عنه وزر الحرب ، وأيّده بأخيه وابن عمّه علي بن أبي طالب ، وهذا تأويل قوله جلّ اسمه : (وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)الانشراح : ٢ , يعني وزر الحرب ، لا وزر الذنب. قال يحيى : يا هشام ، قد أقمت عصمة النبي ، وعصمة علي بن أبي طالب ، فأخبرني عن الخلق هل يحتاجون إلى إمام أم لا ؟ قال هشام : لا بدّ من إمام مفترض الطاعة. قال يحيى : وما الدليل على ذلك ؟ قال هشام : رأيت الله عزّ وجلّ قد أوجب على الخلق حدوداً لا يقدر العبد أن يؤدّيها من نفسه ك قتل القاتل ، وقطع السارق وحدّ الزاني ، فلمّا رأيتهم مع ذلك مأمورين ومنهيّين ، علمت أنّه لابدّ من إمام مفترض الطّاعة ، وليس كلُّ من ادّعى الإمامة جاز له ذلك ; لأنَّ إمامي المفترض الطاعة ، موصوف منعوت بأربع خصال. قال يحيى : ما هي ؟ قال هشام : أمَّا الأولى ، فإنّه يكون معصوماً. قال يحيى : وما الدليل على عصمته ؟ قال هشام : إنّي رأيت رعيّته معاقبة على الموبقات التي توجب الحدود ، ومتى جاز عليه ما جاز على رعيّته لم آمن أن يَثْبُتَ من جنبه حدّ ، ولا يجوز أن يقيم الحدود عن الله من جنبه حدّ ، ومن كان بهذه الصفة ، فلا يجوز أن يكون السفير بين الله وبين خلقه. قال يحيى : هذه واحدة. قال هشام : والثانية أن يكون شجاعاً. قال يحيى : وما الدليل على شجاعته ؟ قال هشام : إنّي لا آمن أن يلتقي هو وطائفته من المؤمنين طائفة من الكافرين ، فيولّيهم الدّبر ، فيستوجب العقاب لقوله تعالى : (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَال أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَة فَقَدْ بَاءَ بِغَضَب مِنَ اللهِ) الانفال

: ١٥ ، ولا يجوز أن يؤمّ الخليقة مَنْ غضب الله عليه. قال يحيى : فالثالثة ؟ قال هشام : ويكون عارفاً بالأحكام والسنن والشرايع ، لأنّه لا يؤمّن عليه أن يشذّ عليه شيء فيحتاج إلى من يعلمه ويحكم عليه ، ومن يحكم عليه لا يجوز أن يكون حاكماً ، فيكون الناس حينئذ لا فرق بين حاكم ومحكوم عليه. قال يحيى : فالرابعة ؟ قال هشام : ويكون أيضاً من العرب. قال يحيى : وإذا كان من العرب ؟قال هشام : ميّزهم يا يحيى ، فليس للعرب أكفاء. قال يحيى : خيرهم مُضر(٣٣) قال هشام : ميّزهم ، فليس ولد مُضر كلُّهم أكفاء ، فانظرك أيَّهم خير. فحينئذ قال يحيى : ولد النّضر(٣٤)، وهم قريش(٣٥) قال : ميّزهم. قال : ولد هاشم(٣٦) قال : ميّزهم قال : ولد عبدالمطلب(٣٧) قال : ميّزهم. قال : ولد عبدالله(٣٨) قال هشام : صدقت ، ولد عبدالله ليس له نظير ، ومحمّد بن عبدالله رسول الله ، فانظر يا يحيى من شقيق نوره ، ومن واساه بنفسه في الضرّاء والبأساء ؟ قال يحيى : لا أعرف. قال هشام : لم يخف والله ، ولا يُخفى هو علي بن أبي طالب(٣٩) ، أمير المؤمنين. قال يحيى : كيف أوجبت الإمامة لعلي دون إخوته ، وعمومته ، وبني عمّه ، ونظرائه من قومه ؟ قال : أوجبت له الإمامة لخروجه من حدّ الطفولية على الإيمان ، كخروج رسول الله من الطفولية على الإيمان ، لم يشرك بالله عزّ وجلّ ، ولا عبد وثناً ; لأنَّ الشرك ظلم ، ولا يجوز أن يكون الإمام ظالماً ; لأنَّ من ظلم فقد حلّ من الله عز وجلّ محلّ العداوة. قال : فحرّك الرشيد السّتر ، فقال : ويلك ، من هذا الذي تصفه بهذه الصفات. قال : ذاك أمير المؤمنين العالي القدر الشريف المكان. قال الرشيد : إنْ كنت وصفتني بهذه الصفة ، فإنّي والله منسلخ منها ، ولو سألتني عمّا كان على يدي من السكاريج بالأمس ما علمت ، والله يا هشام لأقتلنَّك. قال هشام : أو يكفي الله عزّ وجلّ. قال الرشيد : عليّ بحدّاد وقيد . فقيّد هشام وغلّه ، وبعث به على السجن. وجعل الرشيد يجمع أهل الكلام ويقول : هل فيكم أحد يقطع هشاماً حتّى أقتله بحجّة ؟ قال أبو الهذيل(٤٠) : أنا أسأله مسألة أوجب عليه فيها القتل. وقال يحيى : أنا أوجب عليه القتل بمسألة أسأله أيّاها. وقالت جارية من جواري الرشيد : أنا أسأله مسألة أوجب عليه فيها القتل. فأمر الرشيد بإحضار هشام ، وأمر بالسّتر أن يُرفع بينه وبينه. قال له : يا هشام ، أنت في هذا اليوم ، وهو آخر يوم من أيّامك ، وأوّل يوم من آخرتك ، وهو يوم الفصل ، فإنْ كان الحقُّ معك ولك خلّيت سبيلك ، وإنْ كان الحقّ لنا ومعنا أبحتُ دمك. قال هشام : قد أبحتُ دمي لكلّ من يقطعني ممّن على وجه الأرض. فقال له أبو الهذيل العلاّف : يا هشام ، ما تقول في علم علي ، أهو من الله جلّ اسمه أو وحي منه ، أو إلهام ، أو تعليم من رسول الله(٤١)؟ قال هشام : هو جمع الأمرين ; لأنّه قال : « علّمني رسول الله »(٤٢) ، فلمّا قال : علّمني رسول الله ، لم يجز لي أن أقول له : لا ، ورأيت الله عزّ وجلّ قد أعطى الخضر من العلم ما لم يؤت موسى ، وهو خير من الخضر ، فقد أعطاه الله العلم وحباه إيّاه ، وكما أعطاه الخضر حبّاً وإلهاماً. قال أبو الهذيل : فأين كان علمه ؟ قال هشام : في أيّ المواطن. قال في صفّين ، حيث وقف هو وابنه الحسن على قتلى أهل الشام . فقال : « يا بنيّ ، هذا فلان ، وهذا فلان من فتية آل فلان ، يا بنيّ ، قومٌ بغَوْا علينا فقتلناهم بأسيافنا ، فودّ أبوك أنّه مات قبل هذا بعشرين سنة »(٤٣) هل كان شاكّاً فيهم أنّهم ليسوا من أهل النّار ، أم كان شاكّاً في نفسه بتمنّيه الموت أنّه قَتَلَ قوماً من أهل الجنّة ؟ قال هشام : مسألة. قال أبو الهذيل : قل يا هشام. قال : أخبرني عن مريم لما ضربها الطَّلق ، وجاءها المخاض ، قال الله عزّ وجلّ حاكياً عنها : (قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً)مريم : ٢٢ . ، أخبرني عنها ، لِمَ تمنّت الموت ، أكانت شاكّة في نفسها ، أو شاكّة فيما في بطنها وقد كلّمها لوقته ؟ قال الرشيد : يا أبا الهذيل لا تطلق على مريم الشكّ ، إنّما قالت ذاك عند الضجر. قال هشام : وإنّما وقع ذلك من عليّ ضجراً ، أو لسبب عصيانهم إيّاه. قال يحيى : ألست تروي عن صاحبك جعفر بن محمّد(٤٤) أنّه قال عن جدّه علي بن أبي طالب: « إنّ الله وهب لي أربعة أسماء » ، وإنّه سمّاه صدّيقاً(٤٥) وسمّي به غيره ، وسمّاه فاروقاً(٤٦) وسُمّي به غيره ، وسمّاه وصيّاً(٤٧)، فورثه النّاس دونه ، وسمّاه أمير المؤمنين(٤٨) فسمّي به غيره ، ووعده رسول الله أن لا يتسمّى غيره إلاّ بُلي الأُبنة(٤٩) والعِنّة(٥٠)، واحتجّ بقول الله تعالى : و(إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن

يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَرِيداً)النساء : ١١٧. قال هشام : بلى ، قد قال ذلك سيّدي الصادق وابن الصادقين. قال يحيى : وَلِمَ دعا علي بن أبي طالب عمر بن الخطاب بأمرة المؤمنين وسمّاه بها ، هل كان صادقاً في ذلك أم لا ؟ قال هشام : إنّ الله جلّ وعزّ وصف عن إبراهيم صلّى الله عليه إذ قال : (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ) الصافات :٩١. فوصف الأصنام بأنّها آلهة وليست بآلهة في الحقيقة ، والله الصادق البارّ ، وكذلك وصف علي عمر بن الخطّاب بأمرة المؤمنين ، وليس بأمير المؤمنين على الحقيقة وعلي الصادق. فسكت يحيى. فقالت الجارية لهشام : أسألك مناظرة ، وإنّما هي مسألة ، فإن أجبت عنها بالحقّ ; خلاّ أمير المؤمنين سبيلك ، وإنْ عجزت أباح دمك. قال هشام : سلي عمّا بدا لك ، وبالله المستعان على ما تصفون. قالت : خبّرني عن إمامك علي بن أبي طالب لَمَّا اختصم وعمّه العبّاس إلى أبي بكر ، أيّهما كان الظالم ؟ قال هشام : فَوَرَدَتَ عليّ مسألة لم يَرِدْ عليّ مثلها ، فقلت في نفسي : إنْ قلت عليّاً ; استوجبت النّار ، وإنْ قلت العبّاس ; قتلني الرشيد لا محالة ، فأطرقتُ مليّاً وقد خنق(٥١) الرشيد غيظاً عليّ ، وقد رأى أنّه أصاب عليّ فرصة ، فقال : يا هشام ، هذا والله يومك ، كلّمها وأخبرنا . قلت : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن الخصمين اللذيْن اختصما إلى داوود ، وَذُكر أنّهما جبرائيل وميكائيل ، أيّهما كان الظالم(٥٢)؟ قال الرشيد : بل كان داوود الظالم لهما ، وإنَّ الحقّ لهما دونه مآل. قال هشام : قد أقررت يا أمير المؤمنين أنّ الذي اختصما إليه كان ظالماً لهما ، وأنّ الحقّ لهما دونه(٥٣) فضحك الرشيد ، حتّى تقطّعت أزراره ، ثُمَّ أطلق هشاماً ، وقال : قاتلك الله ، ما أنت من النّاس. فخرج هشام ، وهو يقول : كلاّ والله ، لا يقطعني إنسان ، وقد تفل في فمي الصادق جعفر بن محمّد ، ثمّ انصرف.

البيانات الاولية

اولا . المشاركون والحضور: شارك في هذه المناظرة مجموعة من الفقهاء والمتكلمين والوزراء , وطائفة ممن حضر مجلس يحيى البرمكي وهم :

. هشام بن الحكم الكوفي ويحيى بن خالد البرمكي وهارون الرشيد وضرار بن عمرو وابو الهذيل العلاف وجارية من جواري الرشيد (لم يذكر اسمها بالتحديد) .

. التقى الجمع بهدف التناظر في قضايا عقدية تتعلق بالوصية في الائمة من ولد علي , والنبوة , والامامة , والايمان والضلال , والعلم , وقد جرت المناظرة في قصر هارون الرشيد وبمحضره بناء على رغبة من قبل الرشيد ومن حضر مجلسه ورغبة هشام بن الحكم في الحضور مشروطة بالامان (ابعث إليه ليأتيني , فكتب له عهدا عن الرشيد , وبعثه اليه , حضر بالباب واذن له بالدخول) .

. سادت المناظرة علاقة غير حيادية , عززتها مواقف شخصية من قبل الحاضرين اتجاه هشام دعمت مجريات التفاعل وعرقلة حيادية المناظرة , وتبلورت على هيئة سلوكيات انفعالية , انتهت بالامر بالاتيان بالقيد وسوق هشام بن الحكم الى السجن (عليّ بحدّاد وقيد . فقيّد هشام وغلّه ، وبعث به على السجن) .

.كانت لهشام بن الحكم منافذ للتواصل الفكري بين هشام بن الحكم وبعض المتكلمين ممن حضر مجلس المناظرة , في الوقت الذي انعدمت مثل تلك المنافذ بينه وبين البعض الاخر ممن حضر المجلس ذاته .

. شف اسلوب يحيى البرمكي وابو الهذيل العلاف والجارية عن خبرة وتمرس باساليب الاتصال التناظري .

. هشام بن الحكم مسلم الديانة . شيعي المذهب . امامي الاعتقاد .

. انفرد هشام بن الحكم بتحصيل الحد الاقصى من المزايا فهو صاحب تجربتين فكرية وعلمية ذائعتين , ومكانة اجتماعية معلومة بين اهل العلم ورجال الحكم .

. اسفرت رواية المناظرة عن حضور جمع عاينوا احداث المناظرة او جزأ منها (محمّد بن الأشعث المعروف بابن مكلّم الذئب الخزاعي ، قال : دخلت على هارون الرشيد في بعض الأيّام ، فوقفت بين يديه .... دخل عليه شابّ قد وجب عليه حدّ...... ثمّ التفت إلى ابن أبي ليلى....يحيى بن خالد البرمكي ..... فقال يحيى بن خالد لضرار بن عمرو : سل يا أبا محمّد ..... وجعل الرشيد يجمع أهل الكلام ويقول : هل فيكم أحد يقطع هشاماً حتّى أقتله بحجّة ؟ قال أبو الهذيل .... وقالت جارية من جواري الرشيد : أنا أسأله مسألة أوجب عليه فيها القتل) .

ثانيا . النص

. مناظرة في فلسفة العقيدة واصول الدين , تمثل حلقة من حلقات حوار الاديان والجدل الفكري الذي كان من سمات تلك المرحلة التاريخية , بات يعتمد الطرح خلالها على الاستدلال والنظر العقلي للنصوص والذي يستند الى مسلمات او مقدمات يقينية , يعتبر النص القرآني والسنة احد مرتكزاتها الرئيسية , واستتبع هذا المنهج ظهور المد الفلسفي والمنطقي واضحا داخل الحوار بازدياد معدلات دوران مصطلحات فلسفية أُدخلت الى الثقافة الاسلامية نتيجة تزايد معدلات الترجمة من الثقافات الاخرى , فضلا عن ثوابت البناء المنطقي من قبيل تشغيل الاقيسة , في المنظومات الفقهية والعقائدية , واستمر هذا التيار يتصاعد بوتيرة عالية حتى نهاية الفترة التي نحن بصدد بيانها .

. النمط التناظري استهلك الخطاب بكامله في قائمة مستهدفة من الاشكالات , وغلب على هذا النمط السَّبري التقسيمي المقنن , من خلال ايراد النصوص التي تعتبر كأصول للمتناظرين , والبدء باسقاطها واحدا تلو الاخر ليتعين احدها كحجة لاحد طرفي التناظر , والسبر والتقسيم: كلاهما واحد، وهو إيراد أوصاف الأصل، أي المقيس عليه، وإبطال بعضها؛ ليتعين الباقي للعلية(٥٤) .

. جمعت المناظرة بين آليتي التناظر المتصلة والمنفصلة فقد استلزم الحوار في مراحله التمهيدية اسلوب التلاحق والتتابع مما يتفق وآليات التناظر , اما في معرض النظر في جملة القضايا والاصول , وسرد الشبه والاشكالات , استلزم الامر لجوء كلا طرفي المناظرة ان ياخذ فرصته كاملة في الحديث مما يتؤام والالية المنفصلة .

. سيطر على الطرح الاشكالي موضوعان رئيسيان هما :

١ . موضوع أحقية الامام علي بن ابي طالب بالخلافة والامامة بعد النبي مباشرة وبيان الحق في جميع افعاله وممارساته , وحق ابناؤه الائمة الاثنا عشر من بعده في ذات الموضوع .

٢ . موضوع اسس افضلية الامام علي بن ابي طالب على جميع الصحابة , وافضلية ابناؤه الاثنا عشر على جميع من سواهم من بعده .

وخلالهما أُثيرت . بصورة متداخلة . قضايا تمس صلب عقيدة المتناظرين هي :

آ. تناحر الفرق الاسلامية متباينة المذاهب والاعتقدات .

ب . تفسير القرآن الكريم بما تتحمله الايات وتستوعبه .

ج . منهج المتكلمين في مناقشة النبوة والامامة وفي الضلال والهدى وفي علم الامام .

د . قضية العصمة وتبرير وجودها من عدم ذلك في الائمة من ابناء الامام علي الاثنا عشر .

هـ . قضية الافضلية من جهة النسب الى انقى ارومات العرب .

. يعد التداخل في الاجوبة والاستفسارات , وتوليد سؤآل في داخل سؤال والتكرار من سمات العرض الغالبة , مما يعكس واقع التناظر واستطراديته , فقد اختفى الترتيب المعهود ونشأ بدلا عنه ترصد لنقاط الضعف وتذكير والحاح عليها .

. تم التغافل عن النسق الاجرائي المعهود في المناظرات من تقديم يسبق المناظرة يتم من خلاله طرح الافكار التي ستكون موضوع المناظرة , ولعل لجهة التحدي , وارادة ارغام الطرف الاخر على الاذعان او النزول عند راي المناظر الاخر كان لها دور في وجود هذا الاتجاه .

. اما فيما يخص الممارسات الاجتماعية فقد توفرت عليها مفردات المناظرة وبقوة وصلت الى حد وضع القيد في يد احد اطراف المناظرة وسوقه الى السجن , هذا فضلا عن العدوان اللفظي والرمزي (قال يحيى : لعنة الله على الكاذبين) .

ثالثا . الراوي والرواية

. شخصية الراوي محددة ومعروفة , ولها تضامن مشهور مع احد اطراف المناظرة وهو (هشام بن الحكم الكوفي)فهو يتفق معه عقائديا ويقول بمقالته في الامامة والعصمة , الا ان ذلك لم يمنعه من تقديم رواية موضوعية , تترفع عن الاختلاق والتدليس , وقد ظهر تضامنه من خلال :

١ . تقديم هشام بن الحكم بعناية فائقة , في مقابل التهوين من شأن يحيى بن خالد البرمكي , ورميه بالحسد والبغضاء والوشاية بالعلماء عند السلطان .

٢ . اظهار ارتياح الرشيد وانبساطه من اجوبة وحجج هشام بن الحكم , مما مهد لاطلاق سراحه فيما بعد .

. البرنامج السردي

آ .البناء السردي غير مؤطر وغير متدرج .

ب . الاسلوب السردي مباشر , كما تناوب على الرواية شخصان , هشام بن الحكم احدهما , وتم الانتقال بينهما بشكل متناوب يقترب من المفاجئ (قال يحيى .... قال هشام) دون ان يسفر ذلك الانتقال تعديل جوهري في طبيعة الاسلوب , فيما تناوب الضميرين المتكلم والغائب .

ج . رواية النص سردية , لم تبد خلالها اي تقنية او تشكيل سردي يبرز الحوار بصورة اكثر عمقا .

. انجز الراوي مهمته بصورة واضحة محددة , ركز اهتمامه خلالها بكل المعلومات الملقاة في المناظرة , دون وعي يذكر بسمات الخطاب الشفوي من تسجيل للبيانات الصوتية والمظاهر الايقاعية المميزة للارسال المنطقي او رصد للتركيبات الايمائية والتعبيرات الجسدية والانفعالات والمصاحبات الفسيولوجية لها , مما افقد الخطاب روح الممارسة اللفظية بصفة عامة .

المبحث الثاني-المحور عبر التخصصي

أولا . النشاط السلوكي

١ . الدوافع والاسباب

. هشام بن الحكم : الانتصار لمذهبه العقائدي بمناقشات ومبارزات , تتخذ من الادلة اليقينية مدخلا لمحاججة فكرية

. يحيى بن خالد البرمكي و ضرار بن عمرو الغطفاني: الايقاع بالخصم الفكري والعقائدي (هشام بن الحكم) عند هارون الرشيد , وبيان معتقده الداعي الى امامة غير بني العباس على الامة , والتهوين منه من خلال تشكيكات اتاحتها الفرصة لطرح الاسئلة الموقوفة والممنوعة (أقبل يحيى بن خالد البرمكي فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ هذا الذي ... يزعم أنَّ الله عزَّ وجلّ في أرضه إماماً غيرك ، مفترض الطاعة ، في ولد علي بن أبي طالب ، ويدّعي أنَّهُ معصوم من كلِّ ذنب .... قال الرشيد : فمن هو يا يحيى ؟ قال يحيى : هو هشام بن الحكم ، صاحب الصادق) .

. هارون الرشيد , ابو الهذيل العلاف , الجارية : الايقاع بهشام بن الحكم وقتله , من خلال الاصطدام بجوهر المعتقدات الشيعية الامامية واقتناص الفرص لبث شكوك المذاهب الكلامية الاخرى ضدها , في حوار ظاهره فكري وباطنه سياسي (

وجعل الرشيد يجمع أهل الكلام ويقول : هل فيكم أحد يقطع هشاماً حتّى أقتله بحجّة ؟ قال أبو الهذيل : أنا أسأله مسألة أوجب عليه فيها القتل. وقال يحيى : أنا أوجب عليه القتل بمسألة أسأله أيّاها. وقالت جارية من جواري الرشيد : أنا أسأله مسألة أوجب عليه فيها القتل. فأمر الرشيد بإحضار هشام ، وأمر بالسّتر أن يُرفع بينه وبينه .

. يلاحظ بقاء حالة التحفز ناشطة حتى اشبعت الدوافع (قال يحيى بن خالد لضرار بن عمرو .... سل ياابا محمد يعني هشاما ....) وبسبب ذلك تولدت حالة حفز حقيقية عند المتناظرين من دون النظر الى اي نتائج قد تكون وخيمة على اي طرف من اطراف المناظرة (قال يحيى : هو هشام ...قال الرشيد : ابعث إليه ليأتيني ...قال : لا يأتي ...قال الرشيد : ولِمَ ذلك ؟ قال يحيى : يخاف أن تقتله ...قال الرشيد : فاكتب له أماناً ...فكتب له يحيى عهداً عن الرشيد ، وبعثه إليه . فلمّا حضر بالباب أذِنَ له بالدّخول ، فدخل ، وجلس الرشيد من وراء الستر ، فدخل هشام ، واجتمع أهل الكلام) .

٢ . الاتجاهات النفسية : انطوت البنية المعرفية الاعتقادية للمتناظرين على عدد من المبادئ والاصول تحمل صفة اليقين (لقد كنّا معكم على ولاية علي ، فلمّا ادَّعيتم لذريّته ما ليس لهم بحقّ خالفناكم على ولايتهم) ويحمل كلا طرفي المناظرة رغبة حقيقية في الدفاع عن جوهر اعتقاده والانتصار له من كل مايشوبه من عوامل القصور وشبه النقص , وقد استلزم الامر جهدا خارقا من هشام بن الحكم حتى يتمكن من تفريغ بنية مخالفيه المعرفية (يحيى وضرار وابو الهذيل) وتنكيس جوهر اعتقادهم , واعادة صياغتها ببنية معرفية جديدة مستقرة ومقبولة عند الطرف الاخر من المناظرة (فضحك الرشيد ، ... ثُمَّ أطلق هشاما....فخرج هشام ، وهو يقول : كلاّ والله ، لا يقطعني إنسان) .

٣ . الفروق الفردية

. هشام بن الحكم : اظهرت جواباته ثقته واعتداده بنفسه على طول خط التناظر مما يمثل حالة متقدمة من حالات الوعي بالذات (فقالت الجارية لهشام : أسألك مناظرة ، وإنّما هي مسألة ، ... قال هشام : سلي عمّا بدا لك) وكذلك ارتفع معدل النشاط الذهني في استخراج التاؤيلات من النصوص القطعية الصدور كالاستشهاد بآي القرآن الكريم باعتبار الزامها لكلا طرفي المناظرة , وتاويل ظاهرها بما يتوافق والسياق العام للسؤال (قالت : خبّرني عن إمامك ... لَمَّا اختصم وعمّه العبّاس إلى أبي بكر ، أيّهما كان الظالم ؟ قال هشام : فَوَرَدَتَ عليّ مسألة لم يَرِدْ عليّ مثلها ...قلت : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن الخصمين اللذيْن اختصما إلى داوود ، وَذُكر أنّهما جبرائيل وميكائيل ، أيّهما كان الظالم ؟ قال الرشيد : بل كان داوود الظالم لهما ، وإنَّ الحقّ لهما دونه مآل. قال هشام : قد أقررت يا أمير المؤمنين أنّ الذي اختصما إليه كان ظالماً لهما ، وأنّ الحقّ لهما دونه) ولعل اللجوء الى هذا الاتجاه كان القصد منه ضبط سلوك المتناظرين بعدما ارتفعت العدائية من قبلهم في ايراد الحجج.

. يحيى بن خالد البرمكي : ابدى قدرا من الدونية والشعور بالنقص (أقبل يحيى بن خالد البرمكي فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ هذا الذي قرّبته وأدنيته) وكأنه قد حار ذرعا بمن نال حضوة من مليكه الرشيد , الامر الذي فقد فيه كل مظهر للكياسة وطفق يهذي بطريقة سريالية(٥٥) مخجلة لاتليق بوزير اول لدولة حدودها من الصين الى فرنسا .

. ضرار بن عمرو الغطفاني : ابدى تقلصا شديدا حول الذات(٥٦) , الامر الذي ظهر عمليا في تقديره الشخصي لذاته حيث كان مكتفيا بمتابعة المناظرة .

. هارون (الرشيد) : مارس حالة عدوانية اطلق فيها مشاعره المكبوتة وهو امر مقبول في سياقه التاريخي باعتبار التنافر العقائدي مع العقيدة التي يمثلها هشام بن الحكم , حيث اعتقاد (الرشيد) بضرورة انهاء اي مطالبة بالحق المغتصب الذي يدافع عنه الطرف الاخر .

. ابو الهذيل العلاف المعتزلي : اظهر العلاف قدرا كبيرا من العدوانية تبرز عدم استحقاقه للمناظرة من الاساس عندما اعلن انه سيكون سببا في قتل هشام (قال أبو الهذيل : أنا أسأله مسألة أوجب عليه فيها القتل) , ومما هو جدير بالذكر ان العدوان

يختلف عن العنف بوصف الاخير استجابات تتسم بصيغة انفعالية شديدة قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير بعكس العدوانالذي تتسم مصاحباته النفسية بانها اقل حدة واخف منه(٥٧) , والعنف متوقع داخل الاتصالات التفاعلية المكثفة لاسيما من واقع تلك النظرة السلوكية التي ترى التخاطب بين الافراد بوصفه متصلا يتراوح بين السلوك العدواني واللاعدواني(٥٨).

٤ . **السلوك الدفاعي** : مارس يحيى بن خالد البرمكي باعتباره الداعي والراغب في اجراء المناظرة والساعي الى حصولها حالة اسقاط غير واعية, اسقط خلالها الشبه المترسبة في ذاكرته ووجدانه على الاخر (...يزعم أنَّ لله عزَّ وجلّ في أرضه إماماً غيرك ... فلمّا ادَّعيتم لذريّته ما ليس لهم بحقّ..... قال يحيى : وما الدليل على ذلك ... قال يحيى : فهذا محمّد لا تقوم له عصمة ، حتّى يقول جلَّ اسمه : (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى) ، فهل يكون الضّالّ رجلاً معصوماً من الذنوب ...), خاصة منها تلك الشبهات التي ظلت تراود نظام الحكم وتطاردهم , ثم انه يحاول اضفاء صبغة مثالية على الذات , في بيان الاعتراضات وان الحق محصور فيما يعتقده لاغير (قال يحيى: لقد كنّا معكم ... فلمّا ادَّعيتم ..ّ. خالفناكم ... قال يحيى : ومن يسلّم إليك ، أنّ النبي أُسري به إلى السماء إنّما يتأوّل بقوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ.....), والاسقاط الية دفاع فحواه تفسير العقل لاعمال الغير بحسب مايجري في نفس الفرد , ويخشى ان يكون الدافع الحقيقي لسلوكه فيلجا حينئذ الى الصاقه بالاخرين ووسمهم به , بوصفه دافعا حقيقيا لسلوكهم(٥٩).

٥ . النشاط السلوكي العام : بدا النشاط السلوكي قويا وحادا داخل الخطاب , وذلك لاننا نلحظ ان المناظرة ومن الاساس كانت لاتنتمي الى اللقاءآت الفكرية المفتوحة التي يكون التعويل فيها على المنطق العقلي . وان التزم هشام بن الحكم بهذا المنهج . غير ان خصومه لم يكن الدافع لهم الا التهوين بعقيدة الطرف الاخر بكافة الاساليب حتى وان لم تكن الطريقة علمية , بينما انتهج هشام بن الحكم امكانية التوسع في استخدام الادلة الذهنية وتشغيل الاستدلالات داخل النص , وترك امر الانفعالات والوجدانيات للطرف الاخر الذي تعسف في استخدام العدوانية لفظا ورمزا .

. سكت يحيى بن خالد وابو الهذيل عن الاشكالات التي طرحها هشام بن الحكم والتي كان ينبغي عليهما محاججته نظرا لحساسيتها عندهم كمشروعية امرة المؤمنين لعمر بن الخطاب , وعدم الحاح هشام بن الحكم في تعقب موارد الخلاف بعد سكوت المناظر عن الاجابة , وهو امر مقبول في علم النفس المعرفي في ظل عمل العقل بشكل انتقائي لمحاور الخطاب الحجاجي ومفاصله(٦٠) .

ثانيا . السمات الاجتماعية

١ . البناء الاجتماعي :

. يمثل هشام بن الحكم هوية مميزة داخل عصره لما كان يتمتع به من ثقل علمي واجتماعي ونفوذ سياسي , نشأ نتيجة اتصاله المباشر بالخلفاء والامراء والوزراء , الامر الذي اكسبه صيتا ذائعا, ودعما اجتماعيا لشخصيته العلمية , مضافا الى سيرته الفكرية وتجربته المعرفية (قال يحيى : فَتُحبّ أن تسمع كلام أهل المقالات ... قال يحيى : هو هشام بن الحكم ، صاحب الصادق .... قول الرشيد لهشام : قاتلك الله , ماانت من انسان ....) اما مناظريه فيمثلون طائفة من الوزراء والمتكلمين والفقهاء ومن خواص السلاطين وجلاسهم .

. شكل الانتماء العقدي فارقا نوعيا واضحا في المناظرة ووصل الى درجة اراقة الدماء (قال له : يا هشام ، أنت في هذا اليوم ، وهو آخر يوم من أيّامك ... وهو يوم الفصل .), فكلا طرفي المناظرة يرى الاخر ضالا بعد ان كان على هدى , بل ويستحل لذلك دمه (... فقال له أبو الهذيل العلاّف : يا هشام ، ما تقول في علم علي .....قال يحيى : ألست تروي عن صاحبك ... قال له : فإنْ كان الحقُّ معك ولك خلّيت سبيلك ، وإنْ كان الحقّ لنا ومعنا أبحثُ دمك) الا ان نهاية

المناظرة تجلت فيها بوضوح منزلة وامتيازات ومكانة هشام عند الخليفة (فضحك الرشيد ... قال : فلمّا رأى الرشيد الحجّة قد أفلجت على يحيى ، قال : والله لقد ظهر عليك يا يحيى ، وأعجبه كلام هشام ، وخروجه من حججه ، وجعل يهتزُّ في مجلسه ، ويكرّر الآيات ويستحسن وقوعها ، وعظم هشام عنده .) لعدم نجاح يحيى بن خالد البرمكي وجوقة العلماء في الايقاع بهشام بن الحكم .

. قدم الخطاب الحجاجي حزمة من افكار الاقليات الفكرية الحية في العصر العباسي الاول , كما قدم ايضا صورة واضحة للتفاوت المقيت في الفرص والحقوق , ففي الوقت الذي يحضى به ابن ابي ليلى بالمنزلة والمكانة الرفيعة بحيث يكون من جلساء الرشيد والبرمكي بالرغم من ضعف بصيرته وضآلة قدره بين العلماء (ثمّ التفت إلى ابن أبي ليلى فقال : أما إنّك لا تحسن مثله ...) في هذا الوقت يلاحق عالم ومتكلم كبير كهشام بن الحكم ويسعى الوزراء للوشاية به بهدف قتله بين الحين والاخر , وتضيق عليه الفرص المتاحة في ظل نظم صارمة فرضتها الانظمة السياسية الحاكمة والساندة لها , احتل الشيعة فيها قاع المخروط الطبقي (قال الرشيد : ابعث إليه ليأتيني. قال : لا يأتي. قال الرشيد : ولِمَ ذلك ؟ قال يحيى : يخاف أن تقتله. قال الرشيد : فاكتب له أماناً .) .

٢ . الممارسة السياسية : شمل سلطان الخليفة العباسي في الفترة التي حصلت فيها المناظرة مناطق شاسعة من المعمورة , وهارون الرشيد هذا الذي كان يخاطب الغيمة : امطري حيث شئت فخراجك عائد لي , ودانت لسلطة بغداد اطراف العالم من شمال فارس الى اقصى المغرب العربي , بالاضافة الى ان وجود الخليفة في بغداد كان محققا للتجمع الاسلامي في مقابل اطماع الامبراطورية الفاعلة في ذلك الوقت (الرومانية) , الا ان الخليفة . وان كان خالقا للقرار السياسي . يبقى متاثرا بجهات صناعة القرار ولوبيات الضغط الاجتماعية والسياسية والتي تمثلها طائفة الوزراء والعلماء .

كان الاداء السياسي للعباسيين حذرا وقلقلا نوعا ما اتجاه الاقليات الدينية والسياسية , وهذا القلق انعكس على شكل اضطراب اجتماعي لدى تلك الاقليات انكفئت من جراءه على ذاتها وزهدت في اي مشاركة سياسية في صنع القرار بعدما تكاتفت عوامل القهر داخل اسوار الخلافة , لذا سجلت التقديرات الشعبية اعلى معدلاتها السلبية تجاه النظام العباسي الحاكم.

٣ . نمط الاداء الثقافي

. المناظرة برمتها تمثل ممارسة لواقع ثقافي وان كانت ذات بعد سياسي واضح , ولعل لحداثة الواقع السياسي الجديد اثره في مزاولة هذا المنهج (الثقافي . السياسي) وبات من نتائجها تقبل هذا النوع من المناقشات المفتوحة على العقائد والملل , عندما حاول العباسيون في سنوات التاسيس الاولى لدولتهم . التي استمرت زهاء خمسة قرون . استمالة اهل النظر والفكر وان كانوا مخالفين لاجماع علمائهم خاصة في مسالة الامامة تحت غطاء حرية التعبير عن الراي هذه السياسة التي سرعان ماتم رفضها والتنكيل بالاخر الثقافي والفكري فضلا عن السياسي في عهد قريب جدا من عهد الرشيد.

. ضَمِن النمط الاتصالي للعصر العباسي الاول معيرا اتصاليا فاعلاً من ابرز سماته : دقة توجيه الاسئلة وتحصيل الاجابات الواضحة عنها , كذلك ترتيب الردود وخبرة تغيير نقاط الطرح والانحراف عنها الى غيرها , او المناورة من خلال تضمين الاجابة بسؤال اخر ... (قال أبو الهذيل : فأين كان علمه ؟ قال هشام : في أيّ المواطن. قال هشام : مسألة. قال أبو الهذيل : قل يا هشام)...... الخ .

. بسبب اتحاد المنظومة العقدية لطرفي التناظر في الاطار العام , وردت نصوص رئيسية في المناظرة يتفق على ظاهرها طرفي التناظر ولكنهم اختلفوا على مصاديقها التطبيقية , مظافا الى وجود بعض القوالب الثقافية التي تستند الى القدر المشترك من الخبرة والمعرفة العامة بالبنية العقائدية لاطراف التناظر (قلت : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن الخصمين اللذيْن اختصما إلى داوود

، وَذُكر أنّهما جبرائيل وميكائيل ، أيّهما كان الظالم ؟قال الرشيد : بل كان داوود الظالم لهما ، وإنَّ الحقّ لهما دونه مآل. قال هشام : قد أقررت يا أمير المؤمنين أنّ الذي اختصما إليه كان ظالماً لهما ، وأنّ الحقّ لهما دونه) .

. انتهت التجارب المستمرة والخبرات التي اكتسبها اهل النظر والكلام نتيجة تداول المعرفة بعلم الكلام وكثرة مداولته على عمق معرفي لدى المتناظرين بدت مظاهره في اطلاقية المفردات المستخدمة وتجاوز المتراكم المعرفي الى معارف اخرى وتقديم الادلة باسلوب يبرز عمقا عقائديا واضحا .

٤ . ادبيات الحوار وقواعد السلوك

. كان الجانب الرسمي واضحا في الاتصال المعرفي مما جعل الخطاب جامدا(٦١), ولايسمح بتبادل المشاعر والتعاطف , مع احتفاظه بالمستوى اللغوي المعهود في المناظرات .

. قل معدل النوبات الكلامية بين طرفي التناظر , وغابت المقاطعات , وكانت الانتقالات الموضوعية سريعة بسبب تشعب قضايا الطرح ونقاطه .

غابت كثيرا معايير اللياقة الاخلاقية حين زادت معدلات الانتقاص والاهانة (قال هشام : قد أبحثُ دمي لكلّ من يقطعني ممّن على وجه الأرض) وارتفعت معدلات السخرية والتهكم (قال هشام : ويحك يا يحيى ... فضحك الرشيد حتى تقطعت ازراره) .

٥ . المعايير الاجتماعية وحدود الضبط والجزاءآت : حين لجأ البرمكي والعلاف الى تقبيح صورة خصمهم, استجاب هشام باسلوب يبرز الصرامة الجمعية في مواجهة كل مايتعارض مع القوانين القيمية والاخلاقية , فقد كانت اعتداءآت الخصوم جسيمة وبلغت حد التلويح بالقتل , مما استدعى تشغيل اداة ردع مناسبة اكتفى هشام خلالها بالتلويح بشكل من اشكال الجزاء (قال هشام : سلي عمّا بدا لك ، وبالله المستعان على ما تصفون) وهو بذلك استند على المعرفة التي يكتنفها , مستعينا بالله تعالى في موطن المحنة .

ثالثا . الوسائل التواصلية

. التفاعل في المناظرة كان فوري حر , احرز فيه يحيى بن خالد البرمكي خلاله السبق والمبادأة في توجيه الاسئلة , عارضا اولى نقاط الاشكال الذي تم طرحه بصورة مباشرة وواضحة (قال يحيى : لقد كنّا معكم على ولاية علي ، فلمّا ادَّعيتم لذريّته ما ليس لهم بحقّ خالفناكم على ولايتهم) .

. ظلت الاستجابات في مجملها من كلا طرفي المناظرة واعية ومناسبة , وان بدت من البرمكي استجابات مشوشة ومبتورة , واحيانا زائدة مثل موقف البرمكي من الاستشهاد بحديث انس في مقام الفضل للنبوة والامامة (قال يحيى : لعنة الله على الكاذبين) , فليس ذلك بجواب لحجة هشام .

. ارتبط التكنيك المتصل للمناظرة او بعبارة اوضح الطريقة التي اتبعها المتناظرين ارتبطت او ساهمت في ارتفاع مستوى الانصات وتحقيق اعلى معدلاته خاصة مع اختفاء المقاطعات وتضاؤل فرص التشويش .

. انخفض معدل التفاعل التبادلي(٦٢) بين المتناظرين بسبب ارتفاع وتيرة التكنيك المتصل للمناظرة .

. بقيت الفجوات الاتصالية(٦٣) حاضرة وبشدة لدى اطراف المناظرة لعدم وجود مسلمات مشتركة في اطار موضوع او الاشكال الذي تم طرحه كمادة للتناظر والقاء الخطاب الحجاجي .

. افتقدت المناظرة الى البيانات الصوتية بعامة , كذلك افتقدت سلاسل الايماءآت المصاحبة للكلام .

رابعا . استراتيجيات الخطاب : خطاب المناظرة طرح عقائدي يروم اجهاض الاستدلالات التي يوردها الخصم ومن ثم الاسهام بتنكيس وهدم البنية المعرفية , ثم اعادة تدويرها ببنية معرفية جديدة , وذلك من خلال استثمار توجيهات ذهنية والعمل على تفعيل المقاربات الاستدلالية , بقصد تثبيت البنية الجديدة وحمايتها من امكانية ردها من قبل الخصم .

. هشام بن الحكم :

أداء دفاعي إقناعي يهدف الى تحقيق نتائج حاسمة من خلال التغلب على الخصم ورد حججه او الاجابة عن اشكالاته داخل مقام الاستدلال بوصفه المنطلق الاساسي للاثبات واحراز صلاحية الفروض وشرعيتها في مناظرة عقلانية لامكان فيها لمدى مقبولية المناظر او قوة شخصيته او مكانته الاجتماعية او فاعلية سلطته فضلا عن مصداقيته , فاستهدف الرجل الحقائق الملموسة والشواهد . دون اي ثوابت او مسلمات . مركزا في الوقت ذاته على دور البرهنة الفكرية والنموذج الاستدلالي وذلك من خلال :

١ . العمل على القياس في دلالات الالفاظ باستخدام الشواهد والقرائن الحالية والمقالية (قال هشام : ووجه آخر يا يحيى ، إنَّ ضلال النبي حبّه لربّه. قال : وكيف يكون الضّالّ محبّاً ؟ قال هشام : إنّ الله عزّ وجلّ يقول عن يوسف : (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) إلى قوله : (قَالَ أَبُوهُمْ : إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ) ، يعنون به حبّه ليوسف ، وكذلك كان ضلال النبي حبّه لربّه ، كضلال يعقوب بحبّ يوسف عليه .

٢ . تفنيد افتراضات الخصم من خلال تفعيل السبر والتقسيم (قال يحيى : وما الدليل على عصمته ؟[سقصد الامام] قال هشام : إنّ رأيت رعيّته معاقبة على الموبقات التي توجب الحدود ، ومتى جاز عليه ما جاز على رعيّته لم آمن أن يَثْبُتَ من جنبه حدّ ، ولا يجوز أن يقيم الحدود عن الله من جنبه حدّ ، ومن كان بهذه الصفة ، فلا يجوز أن يكون السفير بين الله وبين خلقه .[ارجع اصل التنازع الى علة اصلية في ذات المقيس عليه ليتعيّن سببا للعلّيّة])

٣ . الاستدلال بالكلي على الجزئي (قال هشام : لا بدّ من إمام مفترض الطاعة. قال يحيى : وما الدليل على ذلك ؟ قال هشام : رأيت الله عزّ وجلّ قد أوجب على الخلق حدوداً [كلي]لا يقدر العبد أن يؤدّيها من نفسه ك قتل القاتل ، وقطع السارق وحدّ الزاني ، فلمّا رأيتهم مع ذلك مأمورين ومنهيّين ، علمت أنّه لابدّ من إمام مفترض الطّاعة [جزئي]).

٤ . تكوين انساق معرفية هدفها التهوين من استدلالات الخصم (قال يحيى : وَلِمَ دعا علي بن أبي طالب عمر بن الخطاب بأمرة المؤمنين وسمّاه بها ، هل كان صادقاً في ذلك أم لا ؟ قال هشام : إنّ الله جلّ وعزّ وصف عن إبراهيم صلّى الله عليه إذ قال : (فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ) . فوصف الأصنام بأنّها آلهة وليست بآلهة في الحقيقة ، والله الصادق البارّ ، وكذلك وصف علي عمر بن الخطّاب بأمرة المؤمنين ، وليس بأمير المؤمنين على الحقيقة وعلي الصادق .)

. يحيى بن خالد البرمكي:

انطلق برنامج البرمكي والعلاف المضاد في اتجاهين هدفا من خلالها احداث خلل معرفي عند هشام بهدف سحب اتجاهه بوساطة :

١ . نسج مآزق فكرية بغية ايقاع المناظر الاخر بالخطا او العدول عن راي مشهور له او لمذهبه الكلامي (... وَلِمَ دعا علي بن أبي طالب عمر بن الخطاب بأمرة المؤمنين وسمّاه بها ، هل كان صادقاً في ذلك أم لا....) .

٢ . تشويه اعتقادات الخصم وبث الشكوك فيها والتهوين من حجيتها بغية اخلال المنظومة اليقينية التي ينطلق منها المناظر الاخر في بيان راداته (قال يحيى : ألست تروي عن صاحبك جعفر بن محمّد أنّه قال عن جدّه علي بن أبي طالب....).

. مغالطات حجاجية : انحراف البرمكي والعلاف والجارية . احيانا . عن الواقع الموضوعي , ولم يتصل حجاجهم بشرائط البرهان ومقتضيات الاستدلال , بل صدر عن وعي مغلوط ومعالجة مشوهة حين :

١ . تخطوا النسق الايدلوجي المضاد الى باقي افراد الامة او على الاقل علمائها واهل النظر فيها , مانحي تعصبهم مساحة علمية مقنعة وواسعة (قال يحيى : ومن يسلّم إليك ، أنّ النبي أُسري به إلى السماء إنّما يتأوّل.... قال يحيى : كيف أوجبت الإمامة لعلي دون إخوته ، وعمومته ، وبني عمّه ، ونظرائه من قومه ؟) .

٢ . تصدير افكار واشكالات ناتجة من استيعاب غير دقيق لظاهر النصوص , او المسلمات الدينية من قبيل تساؤل يحيى (.. قال أبو الهذيل : فأين كان علمه ؟... في صفّين ، حيث وقف هو وابنه الحسن على قتلى أهل الشام . فقال : « يا بنيّ ، هذا فلان ، وهذا فلان من فتية آل فلان ، يا بنيّ ، قومٌ بغَوْا علينا فقتلناهم بأسيافنا ، فودّ أبوك أنّه مات قبل هذا بعشرين سنة » هل كان شاكّاً فيهم أنّهم ليسوا من أهل النّار ، أم كان شاكّاً في نفسه بتمنّيه الموت أنّه قَتَلَ قوماً من أهل الجنّة ؟ ....قال يحيى : يا هشام ، قد أقمت عصمة النبي ، وعصمة علي بن أبي طالب ، فأخبرني عن الخلق هل يحتاجون إلى إمام أم لا ؟) .

الخاتمة والنتائج

يعتبر العصر العباسي عصر اللغة العربية بامتياز اذ شهد اللبنات الاولى للتاسيس لعلم الكلام الاسلامي وعلوم اللغة واللسانيات , وقد كان من بين أهم الاهداف التي توختها معاجم وقواميس اللغة المصنفة في تلك الفترة بيان التأصيل اللغوي للكلام المتداول بين الاقوام الغير عربية التي دخلت الاسلام , اضافة الى المهام الاخرى التي نشأت نتيجة تعقيد الحياة العلمية والاجتماعية واتجاهها الى التفصيل بصورة اشد من اي فترة أخرى , ومن هنا ظهرت علوم اللسانيات والبديع في ظلال ذلك الاتجاه , ومن بين أهم النتائج التي خرج بها البحث :

١ . الاتجاه العام المعرفي في العصر العباسي الاول كان متجها صوب ايجاد قواعد عامة لعلم اللغة .

٢ . ظهور علم الكلام بفعل تعددية الفرق والمذاهب ساهم بشكل كبير في ظهور علوم اللسانيات .

٣ . ساهمت المناظرات العقائدية والمذهبية والسياسية في ظهور فنون العربية بشكل واضح كالحجاج واستخدام المنهج التداولي .

٤ . لم يكن المنهج التداولي معروفا كما هو اليوم كمنهج لساني , ولكن المناظرين استخدموه في ثنايا دفاعهم عن مذاهبهم العقائدية والسياسية بشكل واضح .

٥ . استخدمت التداولية في فضح كثير من اصحاب الدعاوي الباطلة , والانتصار للمذاهب الكلاميوة والفلسفية الحقة , وقد أجاد استخدام هذا المنهج الكثير من المتكلمين , وقد أشار البحث الى أحدهم ممن كانت له صولات وجولات في المناظرات العقائدية في تلك الفترة .

٦ . يُعد هشام بن الحكم الكوفي من خيرة اصحاب الامام الصادق عليه السلام وقد اثبت من خلال امكانياته اللغوي ان ينتصر لمذهبه العقائدي في مواطن كثيرة كانت هذهالمناظرة احدها .

المصادر

البغدادي , ابن النديم ، محمد بن اسحاق، (١٣٥٠ هـ) , الفهرست، تحقيق: محمد رضا تجدد، ، د.ن , طهران .

الصدوق , ابن بابويه ، محمد بن علي، (١٤١٤هـ) , من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر غفاري، جماعة المدرسين , قم.

أسعدي، علي رضا،(١٣٨٨ هـ) , متكلم الشيعة هشام بن حكم، دار العلوم الاسلامية . قم.

الزركلي , (٢٠٠٦ م) , الاعلام , دار العلم للملايين , بيروت .

الزعبي , احمد, (٢٠١١ م) , السلوك العدواني دار الخليج , الكويت .
الشرقاوي , انور, (١٩٨٨م) , علم النفس المعرفي المعاصر , مطبعة الانجلو , القاهرة , ط٢ .
صلاح , مخيمر , (١٩٨١ م) , المفاهيم المفاتيح في علم النفس , مكتبة الانجلو , القاهرة .
الطبرسي، الفضل بن الحسن، أعلام الورى بأعلام الهدى، (١٣٩٩ هـ) , تحقيق علي أكبر غفاري، دار المحجة البيضاء , بيروت .
الطوسي، محمد بن الحسن،(١٣٤٨ هـ) , اختيار معرفة الرجال، تحقيق: حسن مصطفوي، د.ن، مشهد، .
المامقاني، عبد الله، (١٣٥٢ هـ) , تنقيح المقال في علم الرجال ، مطبعة المرتضوية، النجف.
المغربي , سعد, (١٩٨٧م) , سيكلوجية العدوان والعنف , مجلة علم النفس العدد ١ , الهيئة العامة للكتاب , القاهرة .
النجاشي، أحمد بن علي، (١٤٠٧ م) , رجال النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، جماعة المدرسين , قم.
نعمة، عبد الله، (١٤٠٤ هـ) , هشام بن الحكم ، د.ن، بيروت .

الهوامش

(١) المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال في علم الرجال، النجف، مطبعة المرتضوية، ١٣٥٢ هـ., ٣ : ٢٩٤.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: حسن مصطفوي، د.ن، مشهد، ١٣٤٨ هـ ، ص ٢٥٥.

(٣) نعمة، عبد الله، هشام بن الحكم، بيروت، د.ن، ١٤٠٤ هـ. ص٤٢-٤٣. انظر ايضا : صفايي، أحمد، هشام بن الحكم المتكلم المعروف في القرن الثاني الهجري والتلميذ اللامع مكتب جعفري، طهران، ١٣٨٣ هـ. , ص ١٠-١١.

(٤) الكِرْبَاسُ : ثوبٌ غليظٌ من القطن.

(٥) الطبرسي، الفضل بن الحسن، أعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق: علي أكبر غفاري، بيروت، د.ن، ١٣٩٩ هـ.، ص٣٧١.

(٦) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٢٥٦.

(٧) ابن النديم، الفهرست، المصدر السابق , ص ٢٢٤.

(٨) ابن بابويه (الشيخ الصدوق)، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر غفاري، قم، د.ن، ١٤١٤ هـ., ٤ : ٤٣٧.

(٩) هذه المناظرة عبارة عن مخطوط لنسخة فريدة في مكتبة « مسجد أعظم » قم/ إيران برقم ٩٢٥ . وقد أشار إليه آغا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة . والمخطوط من ضمن كرّاس فيه ثلاثة ضمائم ، والمخطوط هو الثاني منها ، حيث يبدأ من ص١٨ حتّى ص٢٥ ، وضمّت كلّ ورقة ما بين ١١ و١٢ سطراً ، باستثناء الصفحة الأخيرة حيث ورد فيها سبعة أسطر ، ومسطرتها ٢٠ × ١٠ سم .

(١٠) انظر : محمد عويس , المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ , ص٣٠٠ .

(١١) هو الشيخ المفيد ، أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي (٣٣٦ . ٤١٣ هـ) ، من جلّة متكلّمي الإمامية ، انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه . . . وكان فقيهاً ، متقدّماً فيه ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب . الفهرست . للطوسي . : ٢٣٨ رقم (٧١١) ، الفهرست . لابن النديم . : ٣٧٧ .

(١٢) أبو الفضل جعفر بن إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم بن الحسن (لم نعثر له على ترجمة) .

(١٣) أبو الحسن البصري . قال عنه السيّد الخوئي في معجم رجال الحديث : اسمه محمّد بن عمر بن علي « أبو الحسن البصري » ، من مشايخ الصدوق . العيون : الجزء ١ ، الباب ١١ ، فيما جاء عن الرضا علي بن موسى (عليهما السلام) من الأخبار في التوحيد ، الحديث ٤٤ . معجم رجال الحديث ١٨ / ٨٤ رقم ١١٤٩٧ . وقال عنه السيّد علي البروجردي في كتابه طرائف المقال : محمّد بن عمرو بن علي ، روى عنه الصدوق غير مرّة في توحيد وغيره ، ولم أجده في الرجال ، مجهول ، فقاهةً . طرائف المقال ١ / ١٩ .

(١٤) أبو الجرير صاحب الكاظم. رجال ابن داوود : ٣١١.

(١٥) محمّد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعي ، وال من كبار القوّاد في عصر المنصور العبّاسي ، ولاّه المنصور مصر سنة ١٤١ هـ ، غزا بلاد الروم مع العبّاس بن عمّ المنصور ، فمات في الطريق سنة ١٤٩ هـ (الأعلام ٦ / ٤٠ ، البداية والنهاية ١٠ / ١١٢) .

(١٦) هارون الرشيد : (١٤٩ . ١٩٣ هـ) ابن محمّد (المهدي) بن المنصور العبّاسي ، أبو جعفر ، خامس خلفاء الدولة العبّاسية وأشهرهم ، ولد بالرّي ، وبُويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة ١٧٠ هـ ، فقام بأعبائها ، وازدهرت الدولة في أيّامه . الأعلام ٨ / ٦٢.

(١٧) محمّد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، القاضي ، أبو عبدالرحمن الكوفي ، تفقّه بالشّعبي ، وسمع منه ، ومن عطاء بن أبي رباح وغيرهم . وعُدّ من أصحاب الصادق . روى عنه سفيان الثوري وغيره .. كان فقيهاً مفتياً ، قارئاً للقرآن . وقيل : كان من أصحاب الرأي ،. رجال الطوسي : ٢٨٨ رقم ٤١٨٥ ، رجال ابن داوود : ١٧٧ رقم ١٤٤٦ .

(١٨) ينتسب البرامكة إلى بَرْمَك بن جاماس ، خادم النوربهار (وهو بيت النار) في بلخ ، وكانت المجوس في بلخ توقد النيران في النوبهار وتعبدها ، واشتهر برمك ونوّه بسدانته ، وكان برمك عظيم القدر عند المجوس ، ولم أعلم هل أسلم أم لا . وفيات الأعيان ٦ / ٢١٩ .

(١٩) يحيى بن خالد البرمكي ، هو : أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد ، كان من النبل والعقل وجميع الخلال على أكمل حال ، ولما استخلف هارون الرشيد عرف له حقّه ، وقال له : يا أبت ، أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك ويمنك وحسن تدبيرك وقد قلّدتك الأمر ، ودفع له خاتمه ، إلى أن نكب هارون البرامكة فغضب عليه ، وخلّده في الحبس إلى أن مات فيه . انظر تاريخ بغداد ١٤ / ١٣٢ الترجمة رقم ٧٤٥٩ .

(٢٠) ضرار بن عمرو الغطفاني (. . . . ١٩٠ هـ) : قاض من كبار المعتزلة ، طمع برئاستهم في بلده فلم يدركها ، فخالفهم ، فكفّروه فطردوه ، وصنّف نحو ثلاثين كتاباً ، بعضها في الردّ عليهم وعلى الخوارج ، وفيها مقالات خبيثة ، وشهد عليه أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن المحي ; فأفتى بضرب عنقه ، هو من رؤوس المعتزلة وشيخ الضرارية . ميزان الاعتدال ٢ / ٣٢٨ ، الأعلام ٣ / ٢١٥.

(٢١) وردت في المخطوطة « هشام » وما أوردناه هو الصحيح نحوياً .

(٢٢) كفاية الأثر : ٧٦ (باب ما جاء عن أنس) . الأمالي . للطوسي . : ٣٥١ ح ٧٢٦ . المناقب . للخوارزمي . : ٦١ ح ٣١ .

(٢٣) أنس بن مالك (١٠ هـ . ٩٣ هـ) ، هو : أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري ، أبو تمامة ، أبو حمزة ، صاحب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وخادمه ، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً . مولده بالمدينة ، ثمّ رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة ، فمات فيها . وهو آخر مَنْ مات بالبصرة من الصحابة . الأعلام : ٢ / ٢٤ .

(٢٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣٠٨ .

(٢٥) صحيح البخاري ٥ / ٨٥ باب عمرة القضاء من كتاب المغازي ، مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٠٨ . المستدرك للحافظ ٣ / ١٢٠ (حديث الخالة . . .) .

(٢٦) انظر : شرح الأخبار ٢ / ٢٢٩ ح ٦٨٠ . ٦٨١ ، تفسير القرآن . للصنعاني . ١ / ١٢٢ ، جامع البيان ٣ / ٤٠٨ ، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٨٢ ، شواهد التنزيل ١ / ١٥٥ ح ١٦٨ .

(٢٧) بدا: يبدو: بُدُوّاً، وبَدْاءً: بمعنى: ظهر. لسان العرب ٢٧/١.

(٢٨) تقول : أسرى الليل ، وأسرى به : قطعه بالسير قال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى)

(٢٩) ورد نحوه في الأمالي . للطوسي . : ٤٣٥ ضمن ح ٥٧٦ . روضة الواعظين : ٥٥ (باب الكلام في المعراج) .

(٣٠) يوسف : ٩٣ .

(٣١) الأقوال في معنى « الضلال » في الآية موجودة في : البحار ١٦ / ١٣٧ . التنزيه : ٩١ (في تنزيه سيّدنا محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم)) ، التبيان ١٠ / ٣٦٩ ، مجمع البيان ١٠ / ٣٨٣ ، تفسير الثعلبي ١٠ / ٢٢٨ ، تفسير السمعاني ٦ / ٢٤٤ ، تفسير البغوي ٤ / ٤٩٩ .

(٣٢) مرداه ما جاء من قوله تعالى في كتابه الكريم : (وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ) .

(٣٣) مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، جدّ جاهلي ، من سلسلة النسب النبوي ، من أهل الحجاز ، قيل : إنّه أوّل من سنّ الحداء للإبل في العرب . . . أمّا بنوه فهم من أهل الكثرة والغلبة في الحجاز ، كانت الرياسة لهم بمكّة والحرم . الأعلام ٧ / ٢٤٩ .

(٣٤) النضر بن كنانة بن خريمة بن مدركة ، من بني نزار ، من عدنان . جد جاهلي ، من سلسلة النسب النبوي . كنيته أبو يخلد ، وقيل : اسمه قيس ، ولقب بالنضر ; لجماله . بنوه قبائل وبطون كثيرة ، كانت مساكنهم حول مكّة وما والاها . الأعلام ٨ / ٣٣ .

(٣٥) قريش بن بدر بن يخلد بن النظر بن كنانة ، من عدنان . جاهلي من أهل مكّة . كان دليل بني كنانة في تجاراتهم ، فإذا أقبل في القافلة يقال : « قدمت عِير قريش » ، فغلب لفظ « قريش » . الأعلام ٥ / ١٩٤ .

(٣٦) هو : هاشم (نحو ١٢٧ ق . هـ . نحو ١٠٢ ق . هـ) بن عبدالمناف بن قصي بن كلاب بن مرّة ، من قريش : أحدُ مَن انتهت إليهم السيادة في الجاهلية ، ومن بنيه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم. الأعلام ٨ / ٦٦ .

(٣٧) هو : عبدالمطلب (نحو ١٢٧ ق . هـ . نحو ٤٥ ق . هـ) بن هاشم بن عبدمناف ، أبو الحارث : زعيم قريش في الجاهلية ، وأحد سادات العرب ومقدميهم ، مولده في المدينة ومنشأه في مكّة . الأعلام ٤ / ١٥٥ .

(٣٨) هو : عبدالله (٨١ ق . هـ . ٥٣ ق . هـ) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، أبو قثم الهاشمي القرشي ، الملقّب بالذبيح ، والد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) . . ولد بمكّة وهو أصغر أبناء عبد المطلب . الأعلام ٤ / ١٠٠ .

(٣٩) هو : أبو طالب (٨٥ ق . هـ . ٣ ق . هـ) بن عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم من قريش : والد علي(رضي الله عنه) ، وعمّ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكافله ، ومربّيه ، ومناصره . كان من أبطال بني هاشم ورؤوسائهم . الأعلام ٤ / ١٦٦ .

(٤٠) أبو الهذيل العلاّف (١٣٥ . ٢٣٥ هـ) ، هو : محمّد بن محمّد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، مولى عبدالقيس ، وهو من أئمّة المعتزلة ، ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام ، له مقالات في الاعتزال ، ومجالس ، ومناظرات ، كُفّ بصره في آخر عمره ، وتوفّي بسامرّاء . له كتب كثيرة . الأعلام ٧ / ١٣١ .

(٤١) البحار ٢٩ / ٤٤٩ ، مناقب ابن شهرآشوب ١ / ٢٣٧ ، الطبقات الكبرى ٥ / ٥٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٤٥٨ . وقد ورد فيها : (الجمل) ، بدل : (صفّين) ، وفي بعضها ورد عين استدلال هشام.

(٤٢) بصائر الدرجات : ٣٢٣ (الباب ١٦ في ذكر الأبواب التي علّمها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)عليّاً(عليه السلام) ، الكافي ١ / ٢٣٩ ح ١ و٢٩٦ / ٤ . ٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣٨٥ ، نظم درر السمطين : ١١٣ ، كنز العمّال ١٣ / ١١٤ ح ٣٦٣٧٢ .

(٤٣) البحار ٢٩ / ٤٤٩ ، مناقب ابن شهرآشوب ١ / ٢٣٧ ، الطبقات الكبرى ٥ / ٥٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٤٥٨ . وقد ورد فيها : (الجمل) ، بدل : (صفّين) ، وفي بعضها ورد عين استدلال هشام .

(٤٤) جعفر بن محمّد الصادق كنيته : أبو عبدالله ، ولد بالمدينة سنة ٨٣ هـ ، وقبض بالمدينة في شوال سنة ١٤٨ هـ ، له خمس وستون سنة .

(٤٥) المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي ٧ / ٤٩٨ ح ٢١ ، الآحاد والمثاني : ١٤٨ ح ١٧٨ ، تهذيب الكمال ١٢ / ١٨ ، كنز العمّال ١١ / ٦١٦ ح ٣٢٩٩٠ .

(٤٦) المعجم الكبير للطبراني ٦ / ٢٦٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٣٠ و٤ / ١٢٢ .

(٤٧) تاريخ الطبري ٢ / ٦٣ ، ينابيع المودّة للقندوزي ١ / ٢٣٤ ح ٣ و٢٣٨ ح ١٠ و٤٠٢ ح ١ و٢ / ٢٩٩ ح ٨٥٦ .

(٤٨) تفسير فرات الكوفي : ٢٦٦ ، شرح الأخبار للقاضي النعماني ٢ / ٣٩٧ ضمن ح ٧٤٥ و٣ / ٤٤٣ ح ١٣٠٧ .

(٤٩) الأُبنة . بالضم . : العيب ، وهو كناية عن التخنّث ، ومنه المخنّث . (توضيح ورد في المخطوطة) .

(٥٠) الهداية الكبرى للخصيبي : ١٩٢ ، الكافي ١ / ٤١١ ح ٢ ، تفسير العيّاشي ١ / ٢٧٦ ح ٢٧٤ ، علل الشرايع : ١٦٠ ح ١ ، مناقب ابن شهرآشوب ٢ / ٢٥٤ ، اليقين لابن طاووس : ٢٤ . ٢٧ ح ١ . ١٠ وقد ورد فيه بعدّة ألفاظ .

(٥١) خنق : حَنَقَ ، والحنق : الغيظ ، والجمع حناق . انظر الصحاح ١٤٦٥ « حنق » .

(٥٢) يقصد بذلك قوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْض فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) سورة ص ٣٨ : ٢٢

(٥٣) أورد هذه المناظرة الشيخ المفيد في الفصول المختارة ، ,انظر ايضا المصادر التالية : الفصول المختارة : ٤٩ ، المناقب لابن شهرآشوب ٣ / ٤٩ و٧٨ (وردت قطعة من الحديث) ، بحار الأنوار ١٠ / ٢٩٣ ح ٢ ، تأويل مختلف الحديث : ٩٨ . ٩٩ ، الذخائر والبصائر ٥ / ١٩٩ ح ٧٠٠ ، العقد الفريد ٢ / ٤١٢ ، التذكرة الحمدونية ٧ / ١٨٧ ح ٨٦٥.

(٥٤) التعريفات–علي بن محمد الجرجاني–توفي: ٨١٦هـ/١٤١٣م.

(٥٥) السريالية تعني حرفياً "فوق الواقع"، مصطلح يهدف إلى التعبير عن العقل الباطن بصورة يعوزها النظام والمنطق وحسب مُنظهرها أندريه بريتون فهي آليّة أو تلقائية نفسية خالصة، إذن فالأمر يتعلق حقيقة بقواعد إملائية للفكر، مركبة بعيدة كل البعد عن أي تحكم خارجي أو مراقبة تمارس من طرف العقل و خارجة عن نطاق أي انشغال جمالي أو أخلاقي .

(٥٦) يظهر بعض الافراد نقصا في تكوين شخصياتهم , فلايستطيعون توفير القدر الكافي من الاستجابات المتوقعة منهم حال تفاعلهم مع الاخرين , مما يضطرهم الى اتخاذ مرتبة ادنى خلال التعامل مع الغير , فيقبلون لانفسهم مرتبة الخضوع فيما يطلق عليه الشخصية الناقصة او الضئيلة . انظر : النفس (انفعالاتها وامراضها وعلاجها) علي كمال , ص ٩٠.

(٥٧) سعد المغربي , سيكلوجية العدوان والعنف ص ٢٦ . ٣١ .

(٥٨) احمد الزغبي , السلوك العدواني , ص٢٢١ .

(٥٩) صلاح مخيمر , المفاهيم المفاتيح في علم النفس , ص ١٧٠ .

(٦٠) انور الشرقاوي , علم النفس المعرفي المعاصر , ص ٣٣.

(٦١) انظر : محمد شفيق , السلوك الانساني , ص ١٢ .

(٦٢) التفاعل التبادلي : هو تفاعل الشَّيئان بحيث يؤَّثر كلٌ منهما في الآخر , ناتج من شعور باشتراك في الفكر ,كما في التبادل الثقافي .

(٦٣) الفجوة الاتصالية : هي فشل التكنيك التواصلي الذي استخدمه المتناظرين للوصول الى قاعدة مشتركة لاصل الاشكال الكلامي المطروح كمادة للحجاج , وبالنتيجة لم يتم التوصل الى مسلمات يتفق عليها طرفي المناظرة , ولذلك كانت لغة الخطاب تخرج عن اطار المناظرة باستخدام العنف او العدوان مع بقاء الاشتباك الحواري قائما .

الخطاب البرلماني بين الإقناع والإمتاع

د. رقية بنت سيف بن حمود البريدية،

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان

الملخص

إنّ الخطاب البرلماني بشكلٍ عامّ وخطاب مناقشة البيانات الوزارية بشكلٍ خاصّ قائمٌ على رغبة كلِّ طرفٍ بإقناع الآخر، حتى يقطف أحدهما ثمرة التأثير الفكري والإقناع العقلي، ولابد لأي متكلم أن يضمن اتصال عقل المتلقي بما يقوله ليضمن إقناعه، ولاسيما إذا طال الحديث، لذلك لا يكتفي المتحدث عادة بمجرد التخطيط لإقناع المتلقي وإنما وجب ضمان اتصاله العقلي والذهني بالحديث لحصول الاستجابة، وهذا لا يكون إلا إذا وجد المتلقي ما يُمْتِعه ويُطرِب آذانه للإصغاء إليه وجذب اهتمامه. لذلك نهدف في هذا البحث إلى تتبع الإمتاع بالحوار في المناقشات البرلمانية إلى أن يصل المتكلم بالمتلقي إلى الإقناع العقلي، ولا شك بأن الخطاب السياسي رغم رتابته في كثير من الأحيان إلا أنه أيضًا يحتاج لنوافذ من الإمتاع المتمثل في الأساليب وتنويع الاستراتيجيات وإدخال التشويق وغيره، فالإقناع إنما يترتب على الاستراتيجية التي يتكلم بها المتكلم وما تتطلبه تلك الاستراتيجية من الأساليب المختلفة أما الإمتاع فنجده يكمن في ثلاثة عناصر أساسيّة، هي: استخدام اللغة الفصيحة والأساليب البلاغية، ثم تنويع استراتيجيات الإقناع المستخدمة في الخطاب، وأخيرًا الاهتمام بسيميائية الخطاب أثناء طرحه.

الكلمات المفتاحية: الإقناع، الإمتاع، الخطاب البرلماني، البلاغة، السيميائية.

تمهيد

إنّ الخطاب البرلماني ولاسيما خطاب مناقشة البيانات الوزارية قائمٌ على رغبة كلِّ طرفٍ بإقناع الآخر، حتى يقطف أحدهما ثمرة التأثير الفكري والإقناع العقلي، ولابدّ لأي متكلم أن يضمن اتصال عقل المتلقي بما يقوله ليضمن إقناعه، ولاسيما إذا طال الحديث، لذلك لا يكتفي المتحدث عادة بمجرد التخطيط لإقناع المتلقي وإنما وجب ضمان اتصاله العقلي والذهني بالحديث لحصول الاستجابة، وهذا لا يكون إلا إذا وجد المتلقي ما يُمْتِعه ويُطرِب آذانه للإصغاء إليه وجذب اهتمامه.

لذلك فإننا في هذا المبحث ندرس العوامل المؤثرة على الإمتاع في خطاب مناقشة البيانات الوزارية في مجلس الشورى العماني، إلى أن يصل المتكلم بالمتلقي إلى الإقناع العقلي، ولا شك بأن الخطاب السياسي رغم رتابته في كثير من الأحيان إلا أنه أيضًا يحتاج لنوافذ من الإمتاع المتمثل في الأساليب وتنويع الاستراتيجيات وإدخال التشويق وغيره، فالإقناع إنما يترتب على الاستراتيجية التي يتكلم بها المتكلم وما تتطلبه تلك الاستراتيجية من الأساليب المختلفة.

أما الإمتاع فنجده يكمن في الأساليب البلاغية واستخدام لغة الجسد، وتنويع استراتيجيات الإمتاع، لذلك فإن خطاب المناقشات البرلمانية قائم على خصائص تحافظ على الإمتاع إلى حين تمام الإقناع، ويكون تأثيرها واستخدامها من المتكلم أقوى في البيان والإقناع لمن يسمع أو يشاهد.

إن الإقناع والتأثير في الخطاب الحجاجي السياسي بشكل عام يتميّز عن غيره من الخطابات بأنه لا يشترط الاستجابة الظاهرة بشكل مباشر من المتلقي، إذ يكون التأثير داخليا في نفس المتلقي، كما أن القدرة على الاقناع السياسي يدخل في إبداع السلطة؛ فليس من السهل التحكم في نفس المتلقي وعقله في الجوانب السياسية، وربما هذا يجعل السياسيين يلجؤون إلى تسخير

المعتقدات الشعبية والدينية للوصول إلى أفكارهم، ومن هنا خرجت عبارة كارل ماركس الشهيرة(الدين أفيون الشعوب) ونظن أنها لا تنكر الدين بل تقر بقدرة الدين على التحكم في عقول البشرية. وعند تتبع جلسات مجلس الشورى العماني خلال الفترة السابعة وجدنا أن أبرز مظاهر الإمتاع في خطاب مناقشات مجلس الشورى العماني ما يلي: أولاً: استخدام اللغة الفصيحة والأساليب البلاغية:

جاء في البيان والتبيين " إذاكان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدًا من الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"(١) ويشير الجاحظ على ما يجب أن يكون عليه الكلام من الجمع بين الإقناع والإمتاع ولكن بطرائق تتفق مع سنن العرب ومجاري كلامهم(٢).

وإن تتبعنا تعريفات البلاغة عبر العصور الأدبية سنجدها مرتبطة بوصول المعنى للقلب، فهي عند العسكري مثلاً "كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"(٣) والوصول لقلب السامع يقصد به الإمتاع، لذلك كانت لغة الخطاب وبلاغته أولى أساليب الإمتاع للوصول إلى الإقناع.

وقد عُرِف المجتمع العماني منذ قديم الأزل بعنايته الكبيرة بعلوم اللغة العربية على اعتبارها بوابة العبور للعلوم الشرعيّة، وهذا ما أنتج لدينا ما نسميه بالأسر أو البيوت المحافظة، وهي تقسيمات مجتمعية لها وزنها الاجتماعي ويعرف أفرادها بتربيتهم الدينية، فينالون تقدير القبيلة والبلدة التي ينتمون إليها، لذلك من الطبيعي أن يكونوا الأكثر حظًا في حال ترشحهم لمجلس الشورى، إذ لا يخلوا مجلس الشعب من هذه الفئة المجتمعية(٤)، وهم في الحقيقة أكثر فئة من أعضاء المجلس قدرة على استدعاء النصوص المحفوظة من الحكم والأمثال، والشعر، والنصوص الدينية والصور البليغة، ومزجها بالمعارف المتعلقة بالمداخلات المطروحة على الوزير بهدف الإمتاع وخدمة الأهداف السياسيّة أو الاجتماعيّة.

ولا يختلف الخطاب الشفاهي عن المكتوب في تأثيره البلاغي على المتلقي عند تشغيل الذاكرة، إذ يفعل الخطيب ذلك بالاستحواذ على المستمع عندما ينجح في الاسترجاع السلس لخطابه وإلقائه بكل مهارة، والتواصل مع المتلقي عن طريق تذكيره بنصوصٍ مألوفةٍ ذات وقع في نفسه، أو باستحضار نصوص غريبة عليه يأنس لها ويتفاعل معها.(٥)

وعند الحديث عن الإمتاع بالبلاغة لابدّ لنا أن نعرج على المدرسة الكلاسيكية التي تمتاز بعنايتها ببلاغة الإمتاع والإقناع، وتهدف إلى اكتساب المتكلم أو المجادل بلاغة يستطيع بها أن يحقق الأهداف التي يسعى إليها، لذلك اهتمت المدرسة بالصور التي تشمل التصوير والاستعارة والمجاز والكناية والتشخيص والقصر والإطناب وغير ذلك من الأوصاف والأغراض البلاغية، وهذا ما جعلها مدرسة تعليمية جلّ وظيفتها هي التعليم والتلقين للكاتب والمتكلم والخطيب فنون البلاغة والكلام والفصاحة من أجل الوصول إلى الأغراض التي يقصدها.

ولا ننسى أن البلاغة عند البعض من الأمور التي يتقوى بها المرء على الجدل وتضليل الخصوم كما هو الحال عند اليونانيين والسوفسطائيين، حيث يعتمدون على البلاغة فهي عندهم

الطريق، فكانوا يتكسَّبون بها ويرتزَّقون منها، فكلما تفوّق الرجل منهم في البلاغة والفصاحة كان قادرًا على أن يصل إلى درجة أعلى من الوصول إلى الأهداف المطلوبة في الجدال والخصومة والمحاورة، فقد كانوا يفحمون خصومهم بما يملكون من الخطابة والبلاغة والفصاحة؛ لأنهم يهدفون للتكسب بها أكثر حتى من رغبتهم في الوصل للحقيقة.

وقد رفض هذا المنهج أفلاطون وسقراط وانتقدا هذا الأمر بشدَّة، فقد رفضا التصورات الجدلية التي افترضها السوفسطائيون؛ لأنها تحمل طابع الخداع والتشكيك والغش والكذب، ولا تحمل طابع الحقيقة والصدق والوصول إلى الأهداف الحقة التي تحمل الصدق والأمانة، وقد صارت هنا البلاغة تخرج من طريقين: إما طريق التضليل والكذب، أو طريق الصدق والحق والأمانة، أما في الأصل فالهدف من البلاغة الحجاجية هو الوصول إلى الحق المطلق الذي يجب على الجميع التمسك به والعمل عليه، فالإقناع يتحقق حينما يصل المستمعون إلى القول الخطابي الصحيح ويستشعروا انفعالًا في ماهيته وصول إلى الحق المبين أو إلى الضلال والتشكيك حينما نستخرج الصحيح أو الباطل من هذا الخطاب(٦).

والبلاغة عند أرسطو مميّزة بين ثلاثة طرق، الطريق الأول: الخطاب القضائي، ويهدف إلى تحقيق العدالة. والطريق الثاني: الخطاب الاستشاري وهو ما يهدف إلى السياسة وتحقيق المصلحة العامة. والطريق الثالث: الخطاب البرهاني المعتمد على المدح والذم للآخرين، بعدها استقلت البلاغة بعيدة عن الفلسفة والسياسة والجدل والأخلاق، وانحصرت في الجانب القضائي والسياسي، بعيدا عن المدرسة الفلسفية(٧).

والبلاغة العربية غنيّة بأساليب الإقناع والإمتاع التي يغلب عليها طابع البرهان والحجة والإقناع كالمذهب الكلامي، وحسن التعليل، والطباق والمقابلة، والجناس والسجع، والتكرار والحذف،...الخ(٨).

ونجد جمال اللغة العربية بما تحمله من بلاغة المنطق وحسن التصوير وبراعة اختيار اللفظ، والمحسنات البديعيّة حاضرة بقوّة في الكثير من المداخلات، ولاسيّما تلك المنقولة إعلاميًّا.

ثانيًا: تنويع استراتيجيات الخطاب

يختلف البشر في مستويات أفكارهم وطرق تعبيرهم عنها، فكلّ فردٍ منهم تشكله مجموعة من الرؤى المتباينة وفقًا لمرجعيّته المعرفيّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة، والدينيّة، والسياسيّة، وهذا المزيج ينتج تنوّعًا كبيرًا في مجلس الشورى بالذات؛ كونه حصيلة انتخابات شعبيّة من محافظات وولايات تختلف في بيئاتها وأنماط حياتها الاجتماعيّة وانتماءاتها الدينيّة المذهبيّة، لذلك تصعب رؤية توافقٍ في أساليب المناقشة البرلمانيّة واستراتيجيات الاقناع المستخدمة بين عضو وآخر، كما أنَّ الخبرة البرلمانيّة تعدّ مؤثّرًا مُهمًّا في أساليب المناقشة وتنويع السياقات والعناصر التي يتشكل بها الخطاب، حيث تتضح تَدْرِيجِيًّا أمام العضو البرلمانيّ مفاتيحُ الإقناعِ في المواقِف المختلفةِ، والتي تجعله مميّزا في طرحه بين أقرانه.

فعندما ينتج المرسل خطابه عبر التنوع الأسلوبي والتشكيل اللغوي فهذا يدخله في نطاق تنوع استراتيجيات الخطاب، فلا يتوقف التواصل بين الناس على اللغة وحدها، سواء أكان هذا الاستعمال مكاتبة أم شفاهة، لذلك يستخدمون أدوات أو استراتيجيات منظمة تتناسب مع مرجعياتهم الاجتماعية والثقافية، " إن الناس ينتمون إلى جماعات اجتماعية، مما يجعلهم

يتبعون نماذج من السلوك العام والمتوقع داخل الجماعة "(٩). وقد سبق تعريف الاستراتيجية في الفصل الأول، ولكن يمكننا القول بأن الاستراتيجية تتمثل في أمرين، هما :الأدوات والآليات؛ فأما الأدوات فهي كل ما اتصل بالألفاظ والعبارات والتراكيب، وأما الآليات فهي الطرائق والأساليب التي يأخذها شكل الخطاب"(١٠). ويتوجب علينا البحث في أنواع استراتيجيات الخطاب، قبل البحث في تأثير تنوعها على الخطاب السياسي وما تحدثه من الإمتاع في حال حضورها.

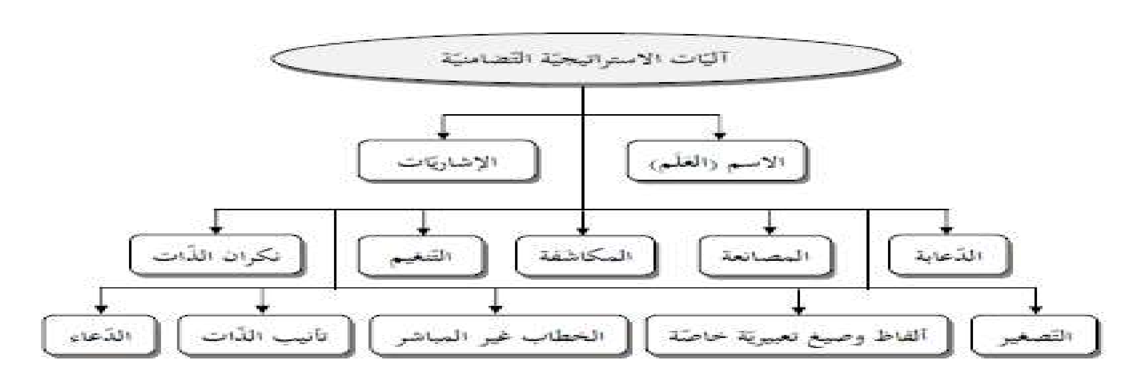
أنواع استراتيجيات الخطاب:

عند البحث في أنواع استراتيجيات الخطاب وجدنا عدة معايير لتصنيفها "يتمثل المعيار الأول لتصنيف استراتيجيات الخطاب في دلالة الشكل اللغوي على المعنى المقصود لدى المرسل، ويكون القصد إما قصدًا مباشرا وإما قصدًا غير مباشر يفهم من سياق الخطاب، وعليه يمكن الحديث عن استراتيجيتين خطابيتين مختلفتين، تركز الأولى على المعنى الحرفي، في حين تعتمد الاستراتيجية الثانية على التلميح(١١)"، أما في الدراسات التداولية فتصنّف الاستراتيجيات الخطابية وفق ثلاثة معايير، وهي(١٢):

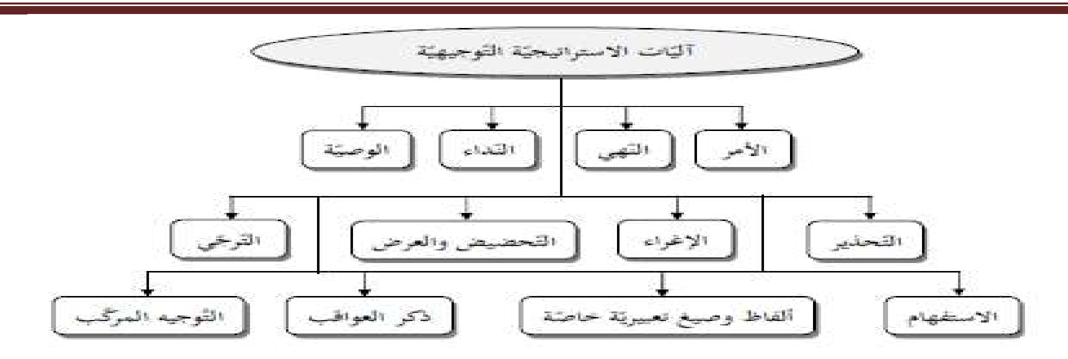
١- المعيار الاجتماعي: ويتعلق بالعلاقة بين طرفي (المرسل والمتلقي) التخاطب، وقد تفرعت عن هذا المعيار استراتيجيتين هما:

أ) الاستراتيجية التضامنية: وتعرف في الدراسات التداولية بأنها:" الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، بتفهم

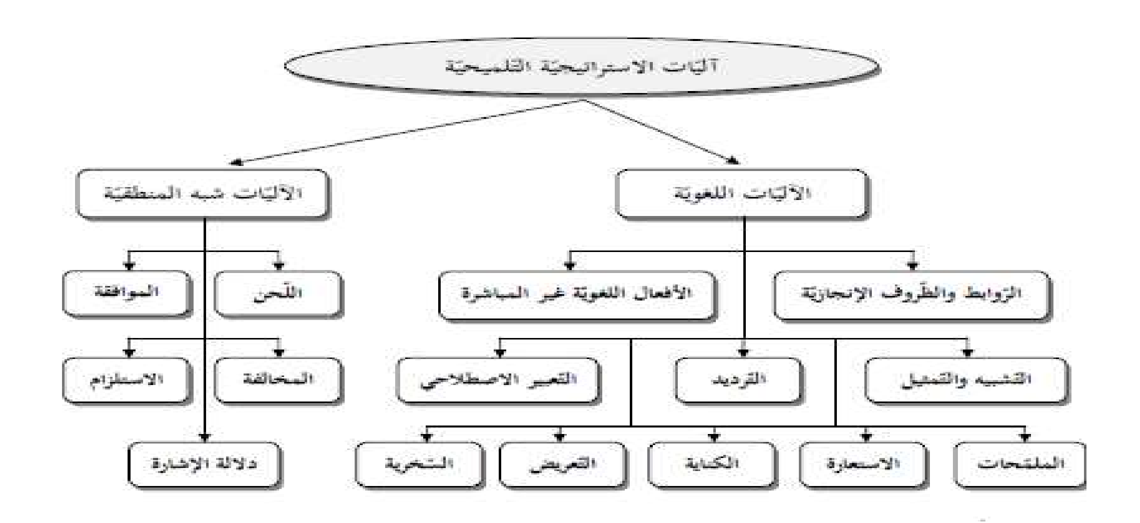
حاجة الجمهور وإجمالا؛ هي محاولة التقرب من المرسل إليه"(١٣). ويمكن تلخيص آليات استراتيجية التضامنية كما في الشكل (١)(١٤):



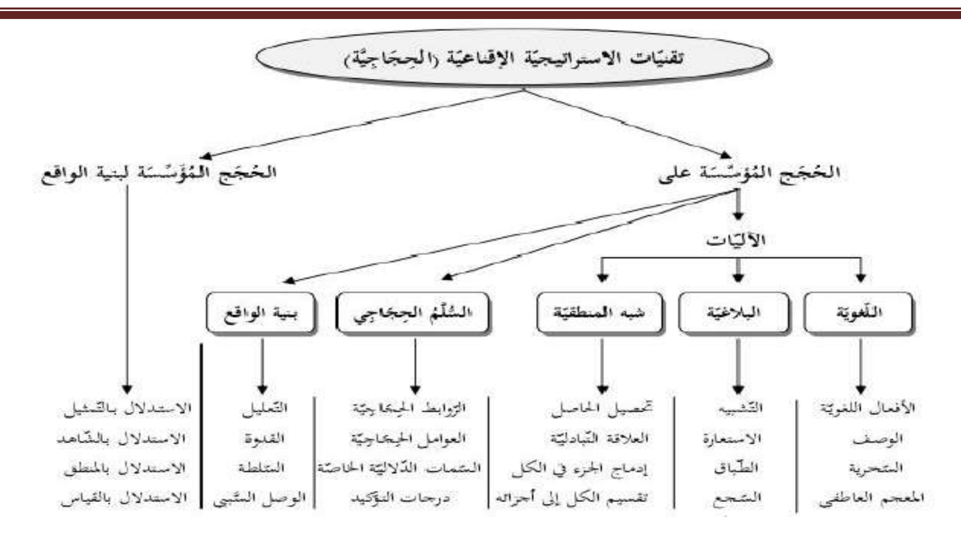
ب) الاستراتيجية التوجيهية: وتتسم هذه الاستراتيجية بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل فهو لا يدع للمتلقي فرصة التأويل، فالمقصد يتحقق بأفعال لغوية صريحة بالسياق(١٥). ويمكن تعريفها بأنها الاستراتيجية التي يرغب المرسل بها تقديم توجيهات ونصائح وأوامر ونواه يفترض أنها لصالح المخاطب أو المرسل إليه، ولا يعد التوجيه هنا فعلا لغويا فحسب، وإنما يعد وظيفة من وظائف اللغة التي تعنى بالعلاقات الشخصية حسب تصنيفها، إذ إن اللغة" تعمل على أنها تعبير عن سلوك المرسل وتأثيره في توجهات المرسل إليه "وسلوكه(١٦). ويمكن تلخيص آليات استراتيجية التوجيهية كما في الشكل (٢)(١٧):



٢- معيار شكل الخطاب: ويتعلق بشكل الخطاب اللغوي للدلالة على قصد المرسل، وعن هذا المعيار تفرعت الاستراتيجية التلميحية، وتعرف هذه الاستراتيجية بأنها: "الاستراتيجية التي يعبر فيها المرسل من غير طريق التصريح المباشر والدلالة الظاهرة، بل يختار أن ينقل قصده عبر طرق دلالية غير مباشرة (التضمين implication أو الاقتضاء presupposition) يحتاج معها المرسل إليه إلى إعمال آليات الاستدلال للوصول إلى القصد الأصلي، فهي استرا تيجية يحتاج فهمها إلى الانتقال من المعنى الحرفي للخطاب إلى المعنى المضمر الذي يدل عليه عادة السياق بمعناه العام الاستراتيجية التلميحية هي الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، ويتجاوز المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق(١٧) ويمكن تلخيص آلياتها في الشكل (٣)(١٨) :



٣- معيار هدف الخطاب: وعنه تفرعت الاستراتيجية الحجاجية أو استراتيجية الإقناع، وهي استراتيجية تداولية تكتسب اسمها من هدفها من الخطاب؛ إذ ينبني فعل الإقناع وتوجيهه دوما على افتراضات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصا المرسل إليه، والخطابات السابقة والخطابات المتوقعة"، فصاحب الخطاب الإقناعي دائما ما يبني خطاباته على من سبقوه لتحديد موقفه ومكانته، وعلى هذا الأساس صار الإقناع لب العملية الحجاجية، القائمة على على المستويين الفكري والعاطفي، وتلك هي الغاية من هذه استراتيجية الإقناع(١٩)، إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي.(٢٠) ويمكن تلخيص آليات استراتيجية الإقناعية أو تقنياتها في الشكل رقم (٤)(٢١):



وبغض النظر عن مسوغات استخدام أي استراتيجية مما ذكرنا(٢٢) فإننا نهتم هنا بكون تنوعها يخدم الخطاب البرلماني بشكل كبير من حيث تسخيرها لأجل الإمتاع والإقناع، وإن ركّزنا على عوامل جذب المتلقي وإمتاعه أثناء الجلسة من خلال تنويع استراتيجيات الخطاب للحفاظ على التواصل الذهني، فإننا نجدها واضحة في بعض المداخلات الطويلة حيث لا يمكن للعضو الاستمرار على رتم واحد، فينتقل بين تقنيات الإيتوس والباطوس واللوجوس،

ثالثا: تسخير لغة الجسد في الخطاب البرلماني (سيميائية الخطاب):

تعدّ لغة الجسد من أهم استراتيجيات التواصل المؤثرة في الإقناع؛ وذلك لقدرتها على التأثير المباشر على المتلقي بغض النظر عن المرجعيات الثقافية التي يتكون منها، وهي الأنسب عندما يكون المتلقين غير متكافئين في الفكر، أو الثقافة، أو الطبقة الاجتماعية، أو غيره وهذه السمات المختلفة تنطبق على الشعب وهو المتلقي للخطاب السياسي، ويمكن للغة الجسد أن تكون حربًا نفسيًّةً في الخطاب السياسي، كما أنها استراتيجية ناجحة في ربط المتلقي بمحتوى الخطاب وضمان استمتاعه.

إن لغة الجسد هي الاتصال غير الشفهي بين الأشخاص والتي تحدث باستخدام الحركات والوضعيات والمسافات(٢٣)، وتأخذ أهميتها باتصالها بسلوك الإنسان غير المحكي وتفاعله الاجتماعي(٢٤)، كما تشير الدراسات إلى أن الناس يستقبلون الرسائل من بعضهم البعض بحسب المعادلة الآتية : ٥٥% من لغة الجسد، ٣٨% من نبرة الصوت و ٧ % من الكلمات التي تقال، كما أن ٦٥% - ٧٠% من الانطباع الأول الذي تتركه في نفوس الآخرين يأتي من لغة الجسد، وقد أثبتت الدراسات أن الشخص يعطي حوالي عشرة آلاف إشارة جسدية في الدقيقة الأولى من التعاطي مع الآخرين(٢٥)، ولا ننسى أن لغة الجسد تعلمنا كيفية التعاطي مع الأشخاص الذين ينتمون إلى ثقافات وحضارات ومجتمعات مختلفة(٢٦)، وهي المرجحة للتواصل بين شخصين من لغتين مختلفتين.

إن سيميائية الاتصال السياسي من المجالات التي تدرس الحالة الفردية والحملات الانتخابية والظهور التلفزيوني، كما تهتم بتحليل نتائج التحليلات السيميائية السياسية المختلفة.

وتعد السلوكيات الجسدية المنظمة، التي تتمتع بالمعنى مثل سلوك الأفراد وتعابير الوجه من أهم مكونات الخطاب السياسي الأساسية إضافة إلى النصوص الشفهية والشعارات والبيانات الصحفية والخطب العامة، والنصوص التوفيقية والملصقات والإعلانات والمنتجات السمعية والبصرية.

ولسنا هنا بصدد تفسير معاني الإشارات والإيماءات الجسدية وإنما نبيّن أثرها كأحد عوامل الإمتاع في الخطاب، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

١- إن تفعيل لغة الجسد في الخطاب يسهل نقل الأفكار فالتلقي البصري لا يقل أهميَّة عن التلقّي السمعي، فالإشارات والإيماءات وحركة الوجه واليدين، وطريقة الجلوس، ونبرة الصوت وما إلى ذلك من لغة الجسد تشد الانتباه بنسبة ٦٥%(٢٧)، وهذا يخلق اتصالا بصريا وذهنيًّا بين المرسل والمتلقي يجعله حريصا على استماع المناقشة والمشاركة فيها والتأثر بها، ويظهر ذلك بالردود التي يحدثها المتلقي ويعبر عنها بلغة الجسد دون المقاطعة كهز الرأس بالنفي أو التأكيد والموافقة، أو الابتسامة الساخرة أو إظهار عدم الاهتمام بالحديث الجانبي وما إلى ذلك.

٢- لغة الجسد تتلاءم مع نوع الفكرة وأهميتها، وتعدّ روافد دلالية ذات قيمة تأثيرية مهمة بالنسبة للمتكلم، تخدم فكرته وتقنع المتلقي وتجذبه لاستماع التفاصيل.

٣- لغة الجسد مؤشر على صدق تجربة المتكلم الوجدانية التي يعيشها، فهي تظهر مشاعر الغضب، والسخط، والرضا، والاتفاق، والإعجاب بالحديث، وما أكثر المناقشات التي تنتهي بتصفيق أعضاء البرلمان للمتحدث منهم تأكيدا لما قال واقتناعًا وتأييدًا للأفكار الشجاعة التي طرحها في مناقشته.

٤- لغة الجسد تخلق بين الطرفين حالة من التعايش الفكري والوجداني، وبه يستطيع الخطيب أن يقيس حالات الرضا وعدمه من تفحص لغة الوجوه، فإذا وجد علامات الرضا استرسل في عرض فكرته، وإذا أدرك تململا عرف أن هناك خطأ فيعدل في كلامه أو يعدل عنه، كما أنّ تحويل النظر مع الجسد يرمز إلى وجود حيوية وثقة بالنفس؛ لأن التخشب علامة على الخجل والتوتر والخوف، وهذا بحد ذاته يقلق الجمهور أيضا الاتصال البصري بتوزيع النظرات بين أفراد الجمهور؛ لأن الكلام موجه للجميع، وتوزيع النظر مع ميول الجسد يشعر المتلقين بأن الخطيب يقدر وجودهم معه من كونه يكلمهم لا يكلم نفسه، ينشد قناعاتهم لا يتفاعل فقط مع قناعاته(٢٨).

وكم من الأفكار التي ولدت ميّتة من فم المتحدث رغم أهميتها، لأن قائلها لا يمتلك موهبة في استخدام لغة الجسد أثناء طرحه ومناقشته، فليس الجميع قادر على تسخير لغة الجسد لدعم أفكاره، إنما هي موهبة يختص بها البعض ويستثمرها المحنكون منهم.

والخلاصة أنه أينما وجدت لغة الجسد وتوافقت مع المنطوق خرجت جلسات المناقشة البرلمانية من الرتابة وتفاعل المتلقي واهتمَّ بما يقال في الجلسة، وكلما احتدّ الصوت واشتدّ كُلَّما استمتع المتلقي وحرص على معرفة نتائج النقاش وكان أكثر تركيزًا.

ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه الآن بإلحاح هل هنالك ما يمكن تطويره في الجلسات البرلمانية لخلق عنصر الإمتاع إلى هدفها الأساسي وهو الإقناع؟

وللإجابة على هذا السؤال تتبعنا الجلسات الحديثة في مجلس الشورى العماني، ووجدنا عدّة عناصر حديثة تؤثر بشكل مباشر على شكل المناقشة ونسبة الإمتاع فيها وهي الآتي:

أ- وجود وسائل الإعلام المتنوعة والمختلفة لنقل الجلسة وتغطيتها الإعلاميّة، حيث ترتفع رغبة أعضاء المجلس في المناقشة عندما تكون الجلسة علنيّة، ويُعِدّون لضمان ظهورهم الإعلامي بشكل جيد أمام الناخبين، وكذلك بالنسبة للوزير فإن أداءه والردود التي يصرح بها في قبة الشورى محسوبة عليه أمام الحكومة، وعلى ضوئها ينال

الثقة أو يفقدها بشكل غير مباشر، وهذا لا ينطبق مع الجلسات السريّة لذلك تكون أكثر رتابة ويعزف الأعضاء عن المشاركة فيها.

ب- استخدام التقنيات الحديثة كالعروض المرئية والأنظمة الإلكترونية الأخرى تخلق عنصر الحماسة لدى المتلقين، لذلك يتوقع نتائج أفضل للجلسة في حال قام الوزير باستخدام التقنيات في عرض البيان بدلاً من قراءته الشفهية المعتادة، ولاسيما أن بيان الوزير قد تمّ إرساله للمجلس بما لا يقل عن أسبوعين قبل الجلسة، وقد تمت قراءته ودراسته والتحضير لمناقشته من قبل الأعضاء، فهم لا يستمعون لجديد أثناء الجلسة وهذا بالتأكيد يفقدهم التواصل الذهني مع ما يقوله الوزير أثناء تلاوته لبيانه الذي أشبع بالمناقشة فيما بينهم سابقًا، وهذا يخلق الرتابة في نفوسهم ولاسيما إن كانت قراءة البيان جافة تماما من لغة الجسد أو التجديد الذي يشدّ انتباههم.

ولكن إن غيّر الوزير طريقة عرضه للبيان باستخدام التقنية مثلاً، كأن يلخص البيان في أشكال وتصورات ذهنية بصرية يعرضها أمام المجلس، وابتكر في عرض الإحصاءات التي يقدمها ومقارناتها عبر الأعوام ونسب التغيّر ونوعه، فإنه بلا شكّ سيحظى بالقبول والمشاعر الإيجابية التي تحيي عنصريّ المتعة والإقناع عند المتلقين.

الخاتمة والنتائـج

من خلال هذه الورقة البحثية نتوصل إلى عدد من النتائج المتعلقة بعناصر الإمتاع في جلسات المناقشة البرلمانية وهي كالآتي:

١. من أهم العوامل التي تحافظ على عنصر الإمتاع في الجلسة: استخدام اللغة الفصيحة والأساليب البلاغية، وتنويع استراتيجيات الخطاب في المناقشات البرلمانية، واستخدام لغة الجسد في الخطاب البرلماني (سيميائية الخطاب).

٢. تحدث جمالية اللغة العربية بما فيها من بلاغة المنطق وحسن التصوير وبراعة اختيار اللفظ، والمحسنات البديعيّة تأثيرا إيجابيا مباشرًا عند المتلقي تجعله أثر استمتاعا بخطاب المناقشات البرلمانية.

٣. إن تنويع استراتيجيات الخطاب خلال جلسات المناقشة يخلق تواصلا ذهنيًّا بين المرسل والمتلقي، وهذا من شأنه الإطاحة برتابة الجلسة ويجعلها أكثر تشويقا ومتعة.

٤. إن تفعيل لغة الجسد في الخطاب يسهل نقل الأفكار فالتلقي البصري لا يقل أهمّيّة عن التلقّي السمعي، فأينما وجدت لغة الجسد وتوافقت مع المنطوق خرجت جلسات المناقشة البرلمانية من الرتابة وتفاعل المتلقي واهتمَّ بما يقال في الجلسة، وكلما احتدّ الصوت واشتدّ كُلّما استمتع المتلقي وحرص على معرفة نتائج النقاش وكان أكثر تركيزًا.

٥. وجود وسائل الإعلام المتنوعة والمختلفة لنقل الجلسة وتغطيتها الإعلاميّة، يؤثر على أداء الأعضاء بشكل إيجابي ويزين من عامل المتعة في الجلسة.

٦. استخدام التقنيات الحديثة كالعروض المرئية والأنظمة الإلكترونية الأخرى إن وجدت يحدث فارقًا إيجابيا في متعة المتلقي لاستماع المناقشة.

المراجع

١. إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية المجلد الثامن العدد ١٥مجلد٢ ،١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م.
٢. أرسطو، فن الخطابة ترجمة: عبد القادر قنيني ، الناشر : أفريقيا الشرق الدار البيضاء، الطبعة الأولى سنة النشر: ٢٠٠٨ .
٣. أسماء عبدالعال، من بلاغة الإقناع والإمتاع في رسالة تفضيل الصمت على النطق للجاحظ(٢٥٥هـ)، المجلة العلمية ، جامعة الأزهر، العدد ٤١، ج ٤ ، أكتوبر ٢٠٢٢م.
٤. بشير المساري، لغة الخطاب الدعوي، ط١. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الدوحة، ٢٠١١م .
٥. الجاحظ، البيان والتبيين،، تحقيق:عبدالسلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.
٦. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٤م.
٧. خالد ناصري، الخطاب النبوي الشريف في الأربعين النووية مقاربة تداولية في القصد والحمل والتقبل، اطروحة دكتوراه، إشراف د. جمال مجناح جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠١٩/٢٠٢٠.
٨. خولة العايب، استراتيجية الخطاب في الأربعين النووية "دراسة تداولية تحليلية" ، دراسة ماجستير لخولة العايب، جامعة غرادية.
٩. سفيان مطروش، استراتيجيات الخطاب عند الشيخ الابراهيمي، اطروحة دكتوراه، اشراف: سليمان بن سمعون، جامعة غرداية، ٢٠١٨/٢٠١٩.
١٠. عبد الله حسن عبد الله القايد، التحليل النقدي للخطاب: الخطاب الإعلامي للدول المحاصرة لقطر، مذكرة ماجستير، إشراف د حافظ إسماعيلي علوي جامعة قطر، ٢٠١٩.
١١. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب. دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠٠٤م.
١٢. العسكري، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية بيروت، ١٤١٩هـ .
١٣. عمر بلخير، إجراءات التحليل التداولي للخطاب، مجلة الثقافة، الجزائر: ع.١٩ ،إبريل ٢٠٠٩م.
١٤. غالم عبد الصمد، استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ، مذكرة ماجستر، إشراف بوجمعة عمارة، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، ٢٠١٦-٢٠١٧.
١٥. كامل سرمك حسن، لغة الجسد والاتكيت في العمل الإداري، اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٩.
١٦. ليلى شحرور، إسرار لغة الجسد ، الدار العربية ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨ .
١٧. محمد اعرابي، استراتيجية الإقناع في الخطاب اللغوي التواصلي، مجلة رفوف مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا،جامعة أدرار- الجزائر، العدد الرابع - ماي ٤١٠٢ .
١٨. مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع. دارالكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠١٥م.
١٩. معمر بن الغويني، استراتيجيات الخطاب في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة عمار ثليجي الأغواط، مجلد: ٠٩ عدد: ٠١ ، ٢٠٢٠.
٢٠. هشام مشبال، البلاغة والسرد والسلطة في (الإمتاع والمؤانسة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١، ٢٠١٥م.

الهوامش

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، تح:عبدالسلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٨٣.

(٢) انظر: مسعود بودوخة، البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع، ص ١٣، دارالكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١ ، ٢٠١٥م.

(٣) العسكري ، الصناعتين، ص(١٠) تحقيق: علي محمد البجاويومحمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العنصرية بيروت، ١٤١٩هـ

(٤) ولاسيما أعضاء محافظة الداخلية، ومحافظة شمال الشرقية، ومحافظة جنوب الباطنة ومحافظة شمال الباطنة.

(٤) هشام مشبال، البلاغة والسرد والسلطة في (الإمتاع والمؤانسة)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١، ٢٠١٥م، ص ١٠. بتصرف.

(٥) ينظر: أرسطو ، فن الخطابة ترجمة : عبد القادر قنيني ، الناشر : أفريقيا الشرق الدار البيضاء ، الطبعة الأولى سنة النشر: ٢٠٠٨ م ، (ص ١٦).

(٦) ينظر : حمداوي ، من الحجاج إلى البلاغة ، ص ٧٠.

(٧) أسماء عبدالعال، من بلاغة الإقناع والإمتاع في رسالة تفضيل الصمت على النطق للجاحظ(٢٥٥هـ)، المجلة العلمية ، جامعة الأزهر، العدد ٤١، ج ٤ ، أكتوبر ٢٠٢٢م، ص٣٣٠٩-٣٣١١ .

(٨) معمر بن الغويني، استراتيجيات الخطاب في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة عمار ثليجي الأغواط، مجلد: ٠٩ عدد: ٠١ ، ٢٠٢٠، ص ٥٩٢.

(٩) عبد الله حسن عبد الله القايد، التحليل النقدي للخطاب: الخطاب الإعلامي للدول المحاصرة لقطر، مذكرة ماجستير، إشراف د حافظ إسماعيلي علوي جامعة قطر، ٢٠١٩، ص٨٨.

(١٠) عمر بلخير، إجراءات التحليل التداولي للخطاب، مجلة الثقافة، الجزائر: ع.١٩ ،إبريل ٢٠٠٩م، ص١١٧.

(١١) إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مجلة كلية العلوم الإسلامية المجلد الثامن العدد ١٥مجلد١٤٣٥،٢ هـ - ٢٠١٤م، ص٥٤٣.

(١٢) إدريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٥.

(١٣) سفيان مطروش، ، استراتيجيات الخطاب عند الشيخ الابراهيمي، اطروحة دكتوراه، اشراف: د سليمان بن سمعون، جامعة غرداية، ٢٠١٨/٢٠١٩، ص ٦٨.

(١٤) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص ٣٢٧.

(١٥) خالد ناصري، الخطاب النبوي الشريف في الأربعين النووية مقاربة تداولية في القصد والحمل والتقبل، اطروحة دكتوراه، إشراف د. جمال مجناح جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ٢٠١٩/٢٠٢٠، ص٤٤.

(١٦) سفيان مطروش، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(١٧) ادريس مقبول، الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية ، مرجع سابق، ص ٥٥١.

(١٨) سفيان مطروش، مرجع سابق، ص ٢٦٩.

(١٩) غالم عبد الصمد، استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ، مذكرة ماجستر ، اشراف بوجمعة عمارة، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، ٢٠١٧-٢٠١٦، ص ٥٥.

(٢٠) محمد اعرابي، استراتيجية الإقناع في الخطاب اللغوي التواصلي، مجلة رفوف مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا،جامعة أدرار- الجزائر، العدد الرابع - ماي ٤١٠٢ ، ص. ١٥٢.

(٢١) سفيان مطروش، مرجع سابق، ص ٢١٥.

(٢٢) يمكن الاطلاع على المسوغات في استراتيجية الخطاب في الأربعين النووية "دراسة تداولية تحليلية" ، دراسة ماجستير لخولة العايب، جامعة غرادية، ص ٢٧ -٣٨ .

(٢٣) ليلى شحرور، إسرار لغة الجسد، ص ١١.

(٢٤) كامل سرمك حسن، لغة الجسد والاتكيت في العمل الإداري، ص ١٣.

(٢٥) انظر: ليلى شحرور، إسرار لغة الجسد، ص ١٣ — ١٧.

(٢٦) المرجع السابق، ص ١١.

(٢٧) بشير المساري، لغة الخطاب الدعوي، ط١. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الدوحة، ٢٠١١م ، ص ١٠٦، بتصرف.

(٢٨) المرجع السابق نفسه، ص ١٠٩ بتصرف.

علم الوضع أركانا

عبدالواحد عبدالحميد جبر الجبوري و د. محمد ذنون يونس،

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق و قسم اللغة العربية، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل، العراق

الملخص

إنّ الغرض من هذا البحث بيان أركان النظرية الوضعيّة وقضاياه التي لم يستغن عنها مبحثٌ من مباحث اللغة؛ لأنّ وجود الدلالة الوضعية يكشف لنا أنّ اللغة نظامٌ من الرموز والعلاقات قائمٌ على محاور أربعة تتواشج لتشكّل عمليّة لغويّة تفضي إلى تحديد الفئات اللغويّة المستعملة, وأمّا جدوى هذه الدراسة فنابعةٌ من أهميّة هذا العلم الذي يحدد الفئات اللغويّة وضعاً وكيفيّة التمييز بينها وهي محتاجةٌ إلى بيان الركائز التي يقوم عليها هذا العلم, وبيان الأركان التي يحتاج إليها في عملية التواصل ومعرفة دلالات الألفاظ حالة الوضع بغية التمييز بينها عند دخولها في سياقات تعبيرية متعددة, والوقوف على الحقيقة الوضعيّة والاستعمال المجازي من خلال التمييز بين ثنائيّتي الوضع والاستعمال, فهو يبحث في أصول الاستعمالات, ويضع لها قواعد ضابطة تحكمها, وتبيين درجة الانحراف في كل استعمالٍ مع وضع المقاييس الثابتة المراقبة حركة التراكيب في الاستعمالات الكلاميّة المختلفة؛ فالوضع جهاز مركزي ونظام سيطرة على الاستعمالات المختلفة مميّزاً بين صحيحها وسقيمها والمقبول منها والمردود.

الكلمات المفتاحية: علم الوضع، الالفاظ، اللغة العربية، الاركان.

المقدمة

إنّ مساءلة اللغة عن فلسفتها واستنطاق نظامها وقوانينها ليست سهلةً ويسيرةً, لكننا فضلنا سلوك هذا الطريق, الذي سعينا جاهدين من خلاله لإظهار الفلسفة التكوينيّة للغة, ومعرفة مقاصد الواضع الأوّل, أيّاً كان واضع اللغة, إذ الآراء التي نوردها في واضع اللغة نقيم بينها تعادلاً مفضياً إلى استواء الاعتبارات عندنا فيها, وكيف نظر لطرفي اللغة (الموضوع والموضوع له), ومسببات الاختلاف في التأويل الناشئ من فهم مدلولات الألفاظ الموضوعة, فضلاً عن المشاركة في خدمة هذ الحقل المعرفي التأصيلي من حقول المعرفة اللغويّة, ولهذا العلم ركائز يقوم عليها وتجمع طبيعة العملية اللغويّة نشأة واستعمالاً, وللوضع أربعة أركان يقوم عليها, هي:

الركن الأول: الواضع

حدد علماء الوضع عند الحديث عن (أركان العلمية الوضعيّة) ركن (الواضع), وأثبتوا أنّه أوّل الأركان ببيانٍ مؤدّاه: أنّ ابتداءَ الوضع فرع معرفة الواضع, ولما لم يكن بالإمكان معرفة تفاصيل معينة عن الوضع إلّا بمعرفة الواضع قُدّم هذا الرّكن على غيره, والبحث عن (الواضع) مبنيٌّ على أنّ دلالة الألفاظ على المعاني بالوضع لا بالذات, وهي النظرية المقابلة لنظرية الوضع, وتقوم في جوهرها على وجود المناسبة الذاتيّة الموجبة بين اللفظ والمعنى, وأنّ في الأشياء طبيعةً حاملة للواضع على أن يضع لفظا معيّنا لمعنى معيّن دون غيره, وإلّا كان اطلاق الاسم على المسمّى بدون مناسبة ترجيحٌ بدون مرجّح, جاء في البدائع: "والمناسبة الحقيقية معتبرةٌ بين اللفظ والمعنى طولاً وقصراً وخفةً وثقلاً وكثرةً وقلةً وحركةً وسكوناً وشدةً وليناً فإن كان المعنى مفرداً أفردوا لفظه وإن كان مركباً ركّبوا اللفظ وإن كان طويلا طولوه...ينشأ من جوهر الحرف, وصفته, واقترانه بما يناسبه وتكرره, وحركته, وسكونه, وتقديمه, وتأخيره, وإثباته, وحذفه, وقلبه, وإعلاله..."(١), وهذا التصوّر محالٌ للأسباب الآتية:

- إنّ دلالة الألفاظ على مدلولاتها تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة, ولو كانت ذاتيةً لما كانت كذلك.

- يعلم كلُّ واحد من البشر جميع اللغات لعدم انفكاك الدال عن المدلول.
- عدم وقوع الضّد في اللفظ الواحد لاستحالة أن يدلّ الشيء على مدلوله وضدّه.
- امتناع جعل اللفظ دالّاً بواسطة القرينة على المعنى المجازي دون الحقيقي؛ لأنّ الدّال بالذات لا يزول بالغير.
-امتناع أن ينقل اللفظ من معنىً إلى آخر, وهو منقوضٌ بالواقع الاستعمالي للغات.
- لو حصلت المناسبة بين بعض الألفاظ ومدلولاتها عن طريق المحاكاة فلا يلزم منه كونها مناسبةً ذاتيةً؛ لأنه إلزامٌ دون ملزم, وذلك لا يجري على جميع مفردات اللغة الواحدة فضلاً عن المناسبة بين جميع اللغات.
- انتفاء وجود المهمل والمستعمل من الألفاظ(٢).

إنّ الكلام في تعيين الواضع من القضايا العقلية(٣), وهي من المسائل التي طال الكلام والخلاف فيها بين العلماء, ولا يكاد يخلو منها كتاب من كتب (فقه العربيّة), ولا بأس من الإلمام إلمامةً سريعةً بأبرز النظريّات والآراء التي حاول العلماء بها تحديد الواضع من خلال البحث عمّا سمّي (نشأة اللغة), وهي كما يقول ماري باي (ت: ١٩٧٨ م): "فيما يختصّ بنشأة اللغة وطبيعتها لدينا مصادر, تعتمد على الأساطير والروايات المتناثرة والمناقشات الفلسفية, ولكن تنقصنا الحقائق العلميّة في هذا الصدد"(٤), ولذا كان العقلُ مجيزاً لها جميعها والكلّ في حيّز الإمكان, سواء كان الوضع من الله تعالى بالتوقيف والإلهام, سواء بالإلهام المباشر لهم أو بإيداع القدرة فيهم على إنشائها, وإلى هذا الرأي مال الفلاسفة وكثيرٌ من علماء الأصول, أو من الناس بالمواضعة والاصطلاح بحكم الاجتماع والتّمدّن, وعلماء اللغة والمتكلمون من المسلمين هم إليه أميل من غيره, وإذا أمكن كل واحد من القسمين أمكن التركيب منهما, ولكلٍ أدلّتهم المبثوثة في مضانِّ كتبهم, فهي احتمالات أربعة, وأما جمهور المحققين فقد اعترفوا بجواز هذه الأقسام وتوقّفوا عن الجزم بواحدٍ منها, وقيل هذا هو الصحيح لإمكان حصولها جميعاً(٥), قال الغزالي: "أما الواقع من هذه الأقسام فلا مطمع في معرفته يقيناً إلا ببرهان عقلي أو بتواتر خبر أو سمع قاطع، ولا مجال لبرهان العقل في هذا ولم ينقل تواترٌ, ولا فيه سمعٌ قاطعٌ؛ فلا يبقى إلا رجم الظن في أمر لا يرتبط به تعبدٌ عمليٌ ولا ترهق إلى اعتقاده حاجةٌ، فالخوض فيه إذاً فضولٌ لا أصل له"(٦).

وبما أننا ندرس رأي علماء الوضع فإننا في أكثر مباحثه نورد ما ينادي بأنّ الواضع تصوّرَ المعنى أوْ قامَ في ذهنه...وغيرها من العبارات التي لا يمكن إسناد الوضع فيها لله تعالى, ولذا فإنّ أغلب علماء هذا الفن يرون أنّ واضع اللغة هو (الإنسان) الذي منحه الله القدرة على وضع الألفاظ واختيارها من حيث العموم والخصوص, ولا يبعد أن يكون الواضع أو الواضعون حكماء وعقلاء يحددون مناسبات بين الألفاظ ومعانيها, ولا ينبغي أن نتصوّر أنّ الواضعين يجلسون في مكان ويضعون الألفاظ, بل التواضع يتم عند الحاجة إلى التعبير عن المعنى؛ لأنّ الحاجة أم الاختراع, وللتواضع أمارات يمكن أن نستدلَّ عليها, هي:

- المعنى المتبادر عند الإطلاق.
- كثرة التداول.
- حسّية المعنى غالبا إلا في الأمور العقليّة.
- أصول المعاني.

وللمُستزيد الرجوع إلى المصادر التي أفاضت في الحديث عن أصل اللغة(٧).

الركن الثاني: الوضع

الحاجة إلى التواصل أمرٌ لا بدّ منه بين بني النوع الإنساني, ولا يتصور هذا التواصل ولا يتحقق إلّا إن كانت ثمّة وسائل معرفية مشتركة بينهم تمثّل نتاجًا عقليًّا جماعيًّا تفاعليًّا تحاوريًّا(٨)؛ لأنّ الإنسان لا يستقلّ وحده بإصلاح جميع ما يحتاج إليه, فيوظّف الموضوعات التي تساهم في بقائه والتعبير عن احتياجاته, وهي إمّا حاضرة عنده فيشير إليها, أو غائبة عنه فيحتاج للدلالة عليها إلى توظيف ما يدلّ على محل حاجته, وقد تناول العلماء هذا الركن بعناية شديدة مقدمين المعنى اللغوي لإدراك روابطه بالمعنى الاصطلاحي, فالوضع لغةً تتعاوره معانٍ؛ فهو مِن: وَضعَه بمعنى: ألقاه, وضَربٌ من السّيرِ السّريعِ للإبل(٩), والوَضْعُ ضِدّ الرّفع, ومنه: الوَضِيعُ؛ وضدّه الشّريف, والخَسارة, يقال: وَضَعَ التّاجرُ في تجارته إذا خَسِر, ورَعْيُ الإبلِ الحمضَ, والوَدِيعَة, يقال: وَضَعْتُ عندَ فلانٍ وضِيعَةً, إذا استودَعتها(١٠), والحَطُّ مِن القَدْر, ووَضْعُ الحَمل -بفتح فاء مصدره-, يقال: وضَعت المرأةُ مولودَها, إذا أنجبَتْه, وبمعنى الحُمل – بضم فاء مصدره- في آخر الطُّهرِ مِن مُقْبِل الحيضة(١١), وبمعنى الكفّ, يقال: وضَعَ يده عن فلان إذا كفّ عنه, وبمعنى: اختَلَقَه واتَّفَقَ عليه, ويقال: وضَعَ الشيءَ وَضْعاً, أي: اخْتَلَقَه, وتَواضَعَ القومُ على الشيء بمعنى: اتَّفَقُوا عليه(١٢), والأخير هو أسّ الدّلالة الاصطلاحيّة.

وأمّا اصطلاحاً فله تعريفاتٌ عدّة تتفق في الإطار العام وتختلف في مفاهيمها وألفاظها؛ منها:
"تعيين اللفظة بإزاء معنىً بنفسها"(١٣), ونلحظ في هذا التعريف التركيز على وضع المفردات دون المركّبات, والاقتصار على الوضع التحقيقي دون الوضع التأويلي؛ لأنّ المجازات من الكلمات تدل على المعنى بواسطة القرينة, كما عرّف بأنّه: "تعيين الشيء للدلالة بنفسه على شيء كما في بعض الألفاظ ونقوش الكتابة وغير ذلك"(١٤), ونلحظ في هذا التّعريف الاستعاضة عن اللفظة (الشيء), وهذا الشيء قد يكون دالّا لفظيًّا أو غير لفظي, ولذا شمل الوضع كلّاً من الوضع اللفظي والوضع الكتابي وغيرهما من الدوال(١٥), وأمّا دلالة الشيء على المعنى فهي علّةٌ غائيّةٌ للوضع, واقتصر المعرّف هنا أيضاً على الوضع للحقائق دون المجازات؛ لأنّ تعيين الشيء إن كان لفظًا للدلالة بنفسه لا يشمل ما يدل بواسطة القرينة, ولا يسمى التعيين عندها وضعاً, واعترض على التّعريف نقضًا؛ لأنّ التزام دلالة اللفظ على الشيء بنفسه دون قرينة يلزم منه خروج الحرف عن أن يكون موضوعاً(١٦)؛ لأنّ الحرف إنّما يدلّ بالمتعلّق والضّميمة ولا يتحقق معناه إلّا به, ويمكن أن يجاب عنه بأنّ الحرف يدل على معناه الوضعي بلا قرينة إلّا إنّ الضميمة تكشف ذلك المعنى وتحققه بخلاف قرينة المجاز فإنّها مانعةٌ وليست معيّنة.

ويرى عصام الدين الأسفراييني (ت: ٨٧٣ هـ) أنّ مصطلح (الوضع) مشتركٌ بين معنيين: "أحدهما: تعيين الشيء بإزاء المعنى, وعلى هذا فالمجاز موضوعٌ لمعناه المجازي. وثانيهما: تعيين الشيء للدلالة على معنىً بنفسه, وعلى هذا فلا وضع للمجاز"(١٧), كما عُرّف الوضع بتعريف يقرب من تعريف علم الدلالة التي هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء آخر, إلّا إنّ الدلالة ناجمة عن التخصيص والتعيين ففيها سبق وتلازم؛ والوضع يسبق الدلالة وتلزم منه ومن ثمّ عرّفوا الوضع بأنّه: "تخصيص شيء بشيء متى أُطلق، أو أحِسَّ الشيءُ الأوّلُ، فُهِمَ منه الشيء الثاني"(١٨), والشيء الأوّل هو الدال والثاني هو المدلول.

ويلحظ على التعريف أنّه مسوّر بسور كلّيّ مما يدلّ على الارتباط بين الدّال والمدلول بسبب الوضع, فهنالك تخصيصٌ وتعيينٌ ووضعٌ لشيءٍ مقابل شيء آخر, سواء كان الشيء الأوّل لفظًا أو غير لفظٍ, وسواء كان الموضوع له المعنى كما هو المتبادر الذّهني, أو اللفظ, فيشمل وضع الالفاظ للألفاظ كما في (اسم الفعل) من أنّه موضوع للفظ الفعل, وقد أشار المعرّف إلى قضيّةٍ جوهريّةٍ في الوضع وهو التّلازم الوضعي والعرفي بين الموضوع والموضوع له؛ أي: أنّ سامع الألفاظ لمجرّد العلم بالتّخصيص والوضع ينتقل ذهنه من الدّال إلى المدلول, ويتوضّح هذا المعنى في قول المعرّف, والغرض من وضع اللفظ فهم المعنى من اللفظ, وقيد (الحسّيّة) أضافَهُ التّفتازاني كما صرّح به الحفناوي (ت:١٣٦٠هـ)(١٩), وفيه إشارة إلى أنّ الوضع غير

متوقّفٍ على الإطلاق والسماع؛ ليشمل الدوال الأخرى التي يستعملها المتكلّم في حيثيات خطابه من غير تلفّظ كالإشارة والعقد والعلامات وغيرها من الدوال غير اللفظيّة(٢٠), ويتوقّف فهم المعنى من اللفظ على العلم بوضع ذلك اللفظ لذلك المعنى, لأنّ الوضع نسبة بين الموضوع والموضوع له, والعلم بوضع اللفظ إنّما يكون بعد تصوّر المعنى, ولا دور "لأنّ الموقوف على العلم بالوضع هو فهم المعنى من اللفظ في الحال, والعلم بالوضع إنّما يتوقّف على فهم المعنى سابقاً وفي الجملة لا على فهمه من اللفظ في الحال"(٢١), وأورد الحرفوشي (ت: ١٠٥٩ هـ) على هذا التّعريف إشكالا مفاده أنّه إن "أُريد جعل اللفظ مخصوصا بالمعنى يخرج وضع المشترك, وإن أُريد جعل المعنى مخصوصا باللفظ يخرج وضع المرادف"(٢٢), يعني أنّه لو أُريد في تعريف الوضع أنّ اللفظ موضوع إزاء معنى واحد يخرج المشترك, ولو أُريد أنّ المعنى موضوع بإزائه لفظ واحد خرج المترادف.

وعرّف الدجوي الوضع أيضاً بأنّه: "تعيينُ الّلفظِ بإزاء المعنى بحيثُ يُفهمُ منه هذا المعنى عند العلم بذلك التّعيين"(٢٣), واشتمل التعريف على العلل الأربعة إذ اللفظ والمعنى بمنزلة (العلة الماديّة) للوضع, وارتباط اللفظ بالمعنى بمنزلة (العلّة الصورية) وفهم المعنى وحصول الإفادة علّة غائيّة, والمعيّن هو العلّة الفاعليّة(٢٤).

وقد أفاد المعاصرون من حواشي الدّسوقي (ت: ١٢٣٠ هـ) في تعريف الوضع بأنّه: "تعيينُ الشيءِ للدّلالةِ على معنىً بنفسه أو بالقرينة, ويسمّى الأوّل موضوعاً والثّاني موضوعاً له"(٢٥), وقوله: بالقرينة, ليشمل المجاز؛ فإنّه يدلُّ على معناه بواسطة القرينة.

وهكذا اتّضح أنّ الخلاف في كون المجاز من الموضوعات اللغوية, وليس أمرا يتعلّق بالاستعمال وحده قد انجرّ إلى التعريف؛ لأنّ التعاريف وسبكها الدقيقي يكشف عمّا يدور داخل المباحث العلميّة من اختلاف فيتأثّر التعريف به, ولذا تحتاج التعاريف إلى شرحٍ وتحليلٍ لإدراك مقاصد المعرّف ودقّة تكوينه له.

الركن الثالث: الموضوع (اللفظ)

اللفظ في اللغة الرمي(٢٦), قال ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ): "اللام والفاء والظاء كلمةٌ صحيحةٌ تدل على طرح الشيء, وغالب ذلك أن يكون من الفم"(٢٧), ومرادنا من الرمي الصادر من الفم باعتماده على المخرج سواء كان حرفاً واحداً أو أكثر, لا مطلق الرمي, وانتقل اللفظ إلى التلفّظ ثُمَّ خُصَّ بالحروف الملفوظة(٢٨), وأريد به اسم المفعول لا المصدر كالخلق بمعنى المخلوق.

وأمّا في الاصطلاح فهو: "ما من شأنه أن يصدر من الفم من الحرف واحداً كان أو أكثرَ, أو تجري عليه أحكام اللفظ كالعطف والإبدال"(٢٩), فيشمل بذلك ما صدر من الفم بالفعل أو القوة, أي: ما من شأنه الصدور مثل كلمات الله تعالى, كما يشمل (الضمائر المستترة) التي لا تصدر من الفم بالفعل, فهي ألفاظ حكماً لا حقيقةً(٣٠), واللفظ الموضوع عند علماء الوضع يشمل اللفظ التحقيقي مثل (زيد) والتقديري مثل (الضمائر المستترة والمحذوفة) وبهذا يكون الوضع عند علماء الوضع مساوياً للفظ عند النحويين.

إنّ للفارابي تصديراً جميلاً في الداعي إلى نشوء الألفاظ، وذلك بأن: "يستعمل الواحد منهم تصويتاً, أو لفظةً في الدلالة على شيء ما عندما يخاطب غيره فيحفظ السامع ذلك, فيستعمل السامع ذلك عندما يخاطب المنشئ الأوّل لتلك اللفظة, ويكون السامع الأول قد احتذى بذلك فيقع به, فيكونان قد اصطلحا وتواطآ على تلك اللفظة, فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند جماعة, ثم كلما حدث في ضمير إنسان منهم شيء احتاج أن يفهمه غيره ممن يجاوره, اخترع تصويتا فدل صاحبه عليه وسمعه منه فيحفظ كل واحد منهما ذلك وجعلاه تصويتاً دالاً على ذلك الشيء"(٣١), وهذه الدّوال والعلامات والرموز كثيرة, والألفاظ والخطوط والعقد والنصب والتصفيق باليد وسائر حركات الأعضاء, وإطلاق أيٍّ من هذه الدّوال

يستلزم استحضار ما يدل عليه حسّيّا مشاهدا وهي طريقة مكلفة, ومن ثَمَّ احتاج الإنسان أن ينشئ لنفسه طريقةً تجنّبه عناء إحضار المدلول الخارجي باستحضار ما يدل عليه في الذهن وهي المعاني, ولأنّه اجتماعيٌّ بالفطرة مال إلى إنشاء الرموز اللغوية (الحروف) مُركّباً منها الألفاظ؛ ليضعها أمام كلّ معنى يومئ إليه, وهي الوسيلة التّداولية الأكثر نفعا التي أنتجها العقل البشري, وحفظ بالكتابة والرموز الكتابية تلك الألفاظ الدّالة على المعاني حفاظا على ما أنتجه من خبرات وعلوم ومعارف؛ إذ المشافهة لا تغني في حفظ تاريخ الأمم, وكانت الألفاظ خير وسيلة للتفاهم بين بني الجنس الواحد, والتعبير عمّا في ضمائرهم, ونعني بها الألفاظ الموضوعة بإزاء معانٍ مخصوصة حاملةً لها ودالّةً عليها عند الإطلاق, وهذه المعاني حاصلة عند السامع من غير كُلفة ومعونةٍ على خلاف الدّوال الأخرى, وما يميز الألفاظ عن غيرها من الدّوال أنّها تحصل عند الحاجة إليها وتفنى عند زوالها, وهذه الألفاظ تكاد تكون لحركيّتها ومرونتها وسيلانها غير متناهية كالمعاني الدّالة عليها(٣٢).

أمّا كون اللفظ أفيدَ من غيره "فلعمومه من حيث إنّه يمكن التعبير به عن الذات والمعنى الموجود والمعدوم والحاضر والغائب والحادث والقديم كالبارئ سبحانه وتعالى, ولا يمكن الإشارة إلى المعنى، ولا إلى الغائب والمعدوم، ولا يمكن أيضا وضع مثال لدقائق العلوم، ولا للبارئ سبحانه وتعالى وغير ذلك"(٣٣).

يعدّ تقديم الموضوع (اللفظ) على الموضوع له (المعنى) أمراً جارياً على عادة العلماء في تقسيم أركان الوضع؛ لأنّ الألفاظ محسوسة والمعاني مجرّدة؛ والمحسوس مقدّم على المجرّد, ولأنّ "معرفة أقسام اللفظ باعتبار خصوص الوضع وعمومه, وتعقُّل الموضوع له كذلك, ممّا يتوقّف عليه المقصود"(٣٤), ولأنّ اللفظَ أقدم بالنّسبة للسامع قُدّم على الموضوع له, وهو متعلّق بالمتكلّم فقُدّم عليه, واللفظ والمعنى والوضع أقطاب اللغة التي عرّفها ابن جنّي بأنّها: "أصواتٌ يعبّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم"(٣٥), لا مطلقَ الأصوات؛ بل الصوت اللغوي الموضوع بالاختيار الإنساني للدلالة على أعيان الأشياء المعتمد على مخارج ومقاطع, سواء كانت الأشياء جواهر مثل (زيد) ويسمّى: اسم ذات, أو أعراضاً- معاني- مثل (العلم) ويسمّى: اسم معنى(٣٦), فهو نوعٌ من أنواع الأصوات بعامّة, ومن أصوات الإنسان بخاصّة بقيد الاعتماد على المقاطع والمخارج, فخرج بذلك ما يصدر منه أثناء التوجّع والسعال وغيرها(٣٧)؛ لأنّها دالّةٌ على المعنى بالطبع لا بالوضع(٣٨).

من المعلوم أنّ اللفظ في المعرفة الفلسفيّة كيفيّةٌ قائمة بالهواء المتموّج بالصوت يحملها إلى الصّماخ ليدكّ بها السامعة, وهو موجود في الخارج؛ لأنّ السامعة تُدرك الجهة التي يكون منها الصوت, ولأنّه يميل مع الريح, ويتأخر عن سببه زماناً وذلك أنّا نرى الحدث أولاً ثم ندرك صوته لسلوك الهواء الحامل له في الهواء احتاج لتلك المدّة الزمنيّة, معنى هذا أنّ الصوت إنّما يحصل خارج الصّماخ لا في داخله, إذ لو لم يكن خارجه لما أدركنا الجهة التي كان عليها ولما مال مع الريح قربا وبعدا, كما أنّ وجوده الخارجي يمكّن السامعة من التّمييز بين الصوت القريب والصوت البعيد(٣٩).

الركن الرابع: الموضوع له (المعنى)

الموضوع له أعمُّ من المعنى؛ فإنَّ هنالك ألفاظاً مدلولاتُها ألفاظ كـ(أسماء الأفعال)، لكن لما كان الموضوع له في الأعم الأغلب الصورةَ الذهنية المقصودةَ من اللفظ جاز لنا أن نحدّد الموضوع له بالمعنى، وهو في اللغة له أصولٌ ثلاثة: القصد للشيء والخضوع والذل, وظهور الشيء وبروزه, "والذي يدلّ عليه قياس اللغة أنّ المعنى هو القصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بُحِث عنه, يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر, أي: الذي يبرز من مكنون ما تضمّنه اللفظ"(٤٠).

وفي الاصطلاح: "ما يتعلّق به القصد باللفظ"(٤١), والتدقيق أن يقال: ما يصح أن يقصد به الشيء وضعاً أو غيره, وسواء كان الوضع صريحاً أو ضمناً؛ ليدخل فيه المعنى المطابقي والالتزامي والتضمّني(٤٢).

وعرّف بأنّه: "الصورة الذهنية من حيث إنّه وضع بإزائها اللفظ أي من حيث إنّها تقصد من اللفظ, وذلك إنّما يكون

بالوضع"(٤٣), وهذا التعريف يستلزم الوقوف عند الموضوع له, أهو الصورة الخارجيّة أم الصورة الذهنيّة؟

والدلالة الحاصلة من اللفظ إمّا قصديّة أو تصوّريّة, والأولى تابعة لقصد المتكلّم وإرادته وهي المعنيّة, والثانية معلولة للوضع غير تابعة لقصد المتكلّم(٤٤), وإنّما منشؤها من الدلالة الوضعيّة للفظ, وهي غير مرادة إن لم تكن مقصودةً من المتكلّم.

والرمز الدّال هو اللفظ, والمدلول هو المعنى, وتتحقق الدلالة من تآلف هذين العنصرين, الدال والمدلول(٤٥), والواسطة في ثبوت المعنى للفظ هو الوضع, وهذه المعاني غير متناهية, والعلاقة بينهما علاقة البدن بالروح إذ المعاني سبيلُها الألفاظ, ومتى ما عُبّر عنها بالألفاظ سمّيت: معنى(٤٦), سواء كان اللفظ مفرداً أم مركّباً, وسواء كان المعنى واحداً أم متعدداً, لتدخل فيه الحقيقة والألفاظ المشتركة, كلّيّاً أم جزئيّاً, خاصّاً أم عامّاً, مطلقاً أم مقيّداً, معلوماً أم مبهماً...وسواء كان المعنى معيّناً أو غير معيّن, لتدخل فيه المعارف والنّكرات, وهذا يدلّ على أنّ (علم الوضع) من مباحث علم اللغة والمعنيّة بالألفاظ والمعاني, وهو متّصلٌ اتصالاً معرفيّاً بالنظرية الدلالية عند العرب التي استقى منها تقسيماته وصوره وأنواعه ومباحثه(٤٧).

حين يقترن المعنى باللفظ فإنّه يأخذ مصطلحات عديدة يجب أن نلقي الضوء عليها لنبينها ونكشف عن أوجه العلاقة بينها, وهي: (المعنى, والمفهوم, والمقصود, والموضوع له, والمدلول), وقد فرّق القوشجيّ (ت:٨٧٩هـ) بينها, وجميعها صورٌ ذهنيّةٌ متّحدة ذاتا مختلفةٌ اعتباراً, لأنّها من حيث وضع اللفظ بإزاء المعنى يسمّى المعنى: (موضوعًا له), ومن حيث قصديّة الإفادة من اللفظ يسمّى معنىً و(مقصوداً)؛ لأنّهم إنّما يطلقون على الشيء (معنى) إذا كان مقصوداً, ومن حيث انفهامه لدى السامع مطلقا يسمّى: (مفهوماً)(٤٨) ، أو هو: "الصورة الذهنيّة سواء وضع بإزائها اللفظ أو لا"(٤٩), فهو علامة ضمنية ماثلة في ذهن المتلقّي, وقد أشار العطّار إلى طبيعة الدلالة المتحققة من المفهوم وأنّها ليست وضعية؛ بل انتقالية (٥٠), وهي الدلالة التي يُطلق عليها عند المعاصرين بالتداولية أو الاستعمالية, فما نبّه عليه اللفظ فهو فحوى الخطاب, أو الدلالة الوضعية, وما لاح في ثنايا اللفظ فهو لحن الخطاب, أو الدلالة التداولية(٥١), ومن حيث انفهامه بانفهام غيره يسمّى: (مدلولاً), وهو: "الذي يلزم من العلم بشيء آخر العلم به"(٥٢), كاللفظ الموضوع بإزاء المعنى, فذلك المعنى من حيث يدل عليه اللفظ يسمّى مدلولاً (٥٣), ومن حيث حصوله في العقل من اللفظ يُسمّى: (معنى)(٥٤), وهو: "الصورة الذهنية من حيث وضع بإزائها الألفاظ"(٥٥).

والذي استقرّ مصطلحًا عند علماء الوضع هو (الموضوع له), فإذا كان الدّالّ لفظًا فالموضوع له هو المعنى المراد في درسنا, وإن كان الدّالّ عقليّا أو طبعيّا فهو أمرٌ خارجٌ عن موضوعنا, ونعتقد أنّ مصطلح (الموضوع له) أعمّ من بقيّة المصطلحات وأنسب؛ لأننا ندرس (الموضوع له) سواء كان معنى أو مفهومًا أو ماهيّةً أو هويّة أو مدلولاً ـو مقصوداً.

وفي هذا الركن تثار قضيّة طالما بحث فيها العلماء قديمًا وحديثًا, وهي أنّ المعاني لما كانت سابقة للألفاظ في وجودها والألفاظ موضوعةٌ بإزائها, فهل وضعت الألفاظ بإزاء المعاني الموجودة وجوداً خارجيّاً؟ أم الموجودة وجوداً ذهنيّاً؟ أم أنّها موضوعةٌ للمعاني من حيث هي هي؟

وللإجابة على هذا التساؤل ينبغي أن نعلم المقصود بالوجود الخارجي والوجود الذهني, والخلاف في إثبات الوجود الذهني, وللعلماء فيه ثلاثة مذاهب:

- المذهب الأول

إن كان المعلوم بالذّات صورة الشيء في الذهن؛ فإنّ الألفاظ موضوعة للموجودات بالوجود الذهني, سواء كان المعنى المتصوّر ذواتاً أم معانيَ جواهراً أم أعراضاً, والقول بهذا الرأي مبنيٌّ على أنّ المعلوم قد لا يكون متحققاً في الخارج, وهو اختيار

الرازي ومن تبعه(٥٦), قال: "الألفاظ تدل على ما في الأذهان لا على ما في الأعيان, ولهذا السبب يقال: الألفاظ تدلُّ على المعاني؛ لأنّ المعاني هي التي عناها العاني, وهي أمورٌ ذهنيّةٌ, والدليل على ما ذكرناه من وجهين؛ الأوّل: أنّا إذا رأينا جسماً من البُعد وظنناه صخرةً قلنا: إنّه صخرة, فإذا قربنا منه وشاهدنا حركته وظنناه طيراً قلنا: إنّه طير, فإذا ازداد القرب علمنا أنه انسان فقلنا: إنّه إنسانٌ, فاختلاف الأسماء عند اختلاف الصور الذهنية يدل على أنّ مدلول الألفاظ هو الصور الذّهنيّة لا الأعيان الخارجيّة, الثاني: أنَّ اللَّفظ لو دلَّ على الموجود الخارجيّ لكان إِذَا قَالَ إِنسانٌ: العالم قديمٌ, وقال آخرُ: العالم حادثٌ لزمَ كون العالمِ قديماً حادثاً معاً, أمّا إذا قلنا: إنّها دالةٌ على المعاني الذّهنيّة كان هذان القولان دالّين على حصول هذين الحكمين من هذين الإنسانين, وذلك لا يتناقض"(٥٧), وحجتهم أنّ اللفظَ دائر مع المعاني الذّهنيّة لا الخارجيّة, ويتغيّر بحسب تغيّر الصورة في الذّهن؛ لأنّ معرفة الشيء فرع تصوّره, وعليه فإنّ (الممتنع) يتصوّره الذّهن وإلّا لما صحّ الحكم عليه بالامتناع, ولذا فهو أوسع من الوجود الخارجيّ؛ لأنّه يتصوّر كلّ شيء(٥٨), كما أنّ اللفظّ يدلُّ على المعنى والمعاني ممّا تحصل في الذّهن, والعلم بها لا يقتضي وجودها في الخارج(٥٩), ولأنّها لا تنحصر ولا تنضبط كثرةً, وكانت جهة الضّبط الذهن لا الخارج(٦٠).

– المذهب الثاني

إن كان المعلوم بالذات ذا الصورة وصاحبها الموجود في الخارج فإنّ المعاني موضوعة بإزاء الموجودات الخارجية, بناءً على أنّ الصور الذهنيّة متشخّصةٌ بتشخّصه, واختاره الشيرازي وتابع فيه الشافعي (ت: ٢٠٤ هـ)(٦١), وهو المختار عند علماء الأصول(٦٢), ورُدّ بأنّ بعض الموضوع له قد لا يوجد إلّا في الذّهن كالعلم والإرادة(٦٣), والقول بـ(الوجود الخارجي) يخرج المعقولات الذهنية ودوالّها من أن تكون موضوعة, قال البدخشي (ت: ٩٢٢ هـ): "القول بأنّ الالفاظ بأسرها موضوعةٌ للحقائق الخارجيّة على ما صرّح به بعض النّحويين, مما لا خفاء في بطلانه"(٦٤), وإن سلّمنا به جدلًا فيما تواضع عليه البشر فيما بينهم باستحضار ما يدلّ عليه الشيء في الخارج وملاحظة أفراده ثم وضع اللفظ بإزائه؛ فما نقول في صفات الله وذاته؟ وهذا ممتنعٌ في حقّه تعالى, وهذا بعض ما يُضعّف القولَ بأنّها موضوعة بإزاء الأمور الخارجية, ثم إنّ هذا يُسلّم به في الموضوع بالوضع الشخصي مثل (زيد ورجل) دون النّوعي مثل (كاتب وخير), ويقصُرُ عن اسم الجنس الموضوع للماهية وعن النّكرات التي لم تُستَحضر أفرادها؛ بل تصوّر الواضعُ حقيقتها ثم وضع لها لفظا بإزائها بقطع النظر عن كون أفرادها ملاحظةً في الخارج أم لا(٦٥).

– المذهب الثالث

إنّ الألفاظ موضوعةٌ للمعاني من حيث هي هي؛ لأنّ اللغة مفتقرةٌ في وضعها إلى الوجودين (الذّهني والخارجي), والعقل البشري يقصر عن إدراك كثير من الموجودات التي يحس بآثارها ولا يرى لأفرادها تحققًا في الخارج, وقد جرى خلافٌ في وضع النكرات, فقيل: هي موضوعةً للمعاني الذهنيّة, وقيل: موضوعةٌ للمعاني الخارجيّة, وقيل: موضوعة للمعنى الاعم, بمعنى أنّها موضوعةٌ للماهيّة من حيث هي هي, لا الماهيّة الذّهنيّة ولا الخارجيّة, وهو الراجح, فتشمل الوجودين (الذهني والخارجي)(٦٦), فالماهيّة الذهنيّة قد يوجد لها مطابق في الخارج وقد لا يوجد, فإن وُجد ما يطابقه في الخارج أيضا لحقته أحكام الماهيّة الذهنيّة, وإن جُعلت موضوعة للماهيّة الخارجيّة فلا تلحق أحكامُها ما موجودٌ في الذّهن, ومن حيث هي هي تشمل الوجودين الذهني والخارجي.

والقضية الأخرى التي دعت للقول بالماهيّة المطلقة في وضع (النكرة واسم الجنس) أنّها من حيث هي مطلقة وعارضة للوجودين صحّ ان يُحكم بها وعليها, أمّا الذهنيّة إذا أُخذت من حيث هي ذهنيّة امتنع حصولها في الخارج, فهي صالحة لأن

يحكم بها لا عليها لأنّها ملحوظةٌ في نفسها, والماهيّة الخارجيّة إن أُخذت من حيث وجودها في الخارج امتنع صدق الصور الذهنيّة عليها نحو (العنقاء وشريك الباري), وهي صالحة أن يحكم عليها لا بها, وأمّا من حيث هي هي فهي مأخوذٌ فيها المعنى الأعم الذي يشمل الأخصّين: الوجود الذهني والوجود الخارجي(٦٧).

ولما كانت اللغة مفتقرةً في وضعها إلى الوجودين الذهنيّ والخارجيّ فإنّ الأقرب للواقع اللغوي هو أنّ الألفاظ موضوعة بإزاء المعاني من حيث هي هي, وهو مذهب المحققين من علماء الوضع؛ لأنّ المعنى من حيث هو هو أعمُّ من أن يتحقق في الخارج أو الذّهن, و "لما أَنّ مناطَ التعليم والتعلّم المحتاج إليهما في التمدّن إنّما هو المعاني مطلقًا لا الخصوصيات الذهنية أو الخارجية، فإنّها ملغاةٌ, والحق هو هذا؛ لأنّ الموضوع له في الحقيقة نفس الشيء من حيث هو عينيا كان أو ذهنيا"(٦٨), وأن الوجود الذهني والخارجي أوصاف زائدةٌ على المعنى, فاللفظ موضوع للمعنى من غير تقييده بوصف زائد, واعتبار الوصف لا دخل له فيه(٦٩).

الخاتمة

نشأ الخلاف في أركان النظريّة الوضعيّة وهو خلافٌ يمكن تجاوزه إذ يقوم على اعتبارات المنظّرين لهذا العلم, غير أنّ ما استقرّ عليه أرباب هذا الفنّ هو أركان العمليّة التواصليّة بدءً بتخصيص الموضوع بإزاء الموضوع له ووجود واضع وعمليّة التخصيص, وإنّ الخلاف في واضع اللغة لم ينشأ عند العرب وحسب؛ بل بدأ مع الفلاسفة اليونانيين في بحثهم نشأة اللغة ومباحث الألفاظ, ولم يكن هذا الخلاف شكليّا؛ بل جوهريٌّ وإن كانت الآراء لم تصل فيه لبحثٍ قطعيٍّ؛ لأنّ البحث فيه ظنّيٌّ لا ينتج أمراً قطعيّاً, غير أنّ ثمرة الخلاف فيه عائدة إلى ثبوت الدلالات وتحديد العلاقة بين الموضوع والموضوع له, إذ لو كان واضع اللغة هو (الله تعالى)لكانت العلاقة بين الدال والمدلول قطعيّة, وإن كان الواضع البشر فالعلاقة اعتباطيّة تواضعيّة تزول بفعل الاستعمال.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

١- **العجالة الرحمية شرح الرسالة الوضعية**, محمد رحمي الأكيني, طبعة حجريّة, ١٣١١هـ.

ثانيا: الكتب:

١- **إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**, محمد بن علي الشوكاني, تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلّاق, دار ابن كثير- دمشق- بيروت, ط٥, ٢٠١٤م.

٢- **الأطول شرح تلخيص المفتاح**, العلامة ابراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي, تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي, دار الكتب العلميّة- بيروت, ط١, ٢٠٠١م.

٣- **البحث اللغوي عند إخوان الصفاء**, د. أبو السعود أحمد الفخراني, مطبعة الأمانة, مصر, ط١, ١٩٩١م.

٤- **بدائع الفوائد**, محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ابن قيم الجوزية, تحقيق: هشام عبد العزيز عطا, عادل عبد الحميد العدوي, أشرف أحمد الج, مكتبة نزار مصطفى الباز, مكة المكرمة, د.ط, ١٩٩٦م.

٥- **تاج اللغة وصحاح العربية**, أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي, تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار, دار العلم للملايين, بيروت, ط٤, ١٩٨٧م.

٦- **التّعريفات**, الشريف الجرجاني, وضع حواشيه وفهارسه: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلميّة- بيروت- لبنان, ط٣, ٢٠٠٩م.

٧- **تهذيب اللغة**, محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور, تحقيق: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط١, ٢٠٠١م.

٨- **جمهرة اللغة**, أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي, تحقيق: رمزي منير بعلبكي, دار العلم للملايين, بيروت, ط١, ١٩٨٧م.

٩- **حاشية الدسوقي على الوضعية شرح الرسالة العضديّة**, العلامة محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي, ومعه حاشية الحفناوي على الشرح المذكور, عني بهما: مرعي حسن الرشيد, دار نور الصباح, مديات- تركيا, ط١, ٢٠١٢م.

١٠- **حاشية العطار على شرح الجلال المحلّي على جمع الجوامع**, حسن بن محمد بن محمود العطّار الشافعي, دار الكتب العلميّة, د.ط, د.ت.

١١- **الخصائص**, أبي الفتح عثمان بن جنّي, تحقيق: محمد علي النّجّار, عالم الكتب- بيروت, د.ط, د.ت.

١٢- **خلاصة علم الوضع**, الشيخ يوسف الدجوي, مكتبة القاهرة, د.ط, د.ت.

١٣- **شرح التفتازاني على الشمسية في المنطق**, تحقيق: جاد الله بسام صالح, دار النور المبين للدراسات والنشر, عمان- الأردن, ط١, ٢٠١١م.

١٤- **شرح الرسالة العضدية في علم الوضع**, العلامة أبي القاسم علاء الدين علي بن محمد القوشجي, تحقيق: أ. د. محمد ذنون يونس الفتحي, دار الرياحين, ط١, ٢٠٢٣م.

١٥- **شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير في أصول الفقه**, الشيخ أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي المصري الحنبلي الشهير بابن النجار, تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, د.ط, د.ت.

١٦- **شرح كافية ابن الحاجب**, رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي, قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. إميل بديع يعقوب, دار الكتب العلميّة, بيروت- لبنان, ط٢, ٢٠٠٧م.

١٧- **شرح ملا جامي والعصام على الرسالة العضدية في علم الوضع**, نور الدين عبدالرحمن الجامي, عصام الدين إبراهيم الإسفراييني, حققه وضبطه وعلّق عليه: الشيخ الدكتور: ياسر داود آل عزير, دار الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي, دمشق- سوريا, ط١, ٢٠٢٣.

١٨- **عنقود الزواهر في الصرف**, علاء الدين علي بن محمد القوشجي, تحقيق: أ. د. أحمد عفيفي, دار الكتب والوثائق القوميّة, القاهرة, ط٣, ٢٠١٠م.

١٩- **كتاب الحروف**, أبو نصر الفارابي, حققه وقدّم له وعلّق عليه: محسن مهدي, دار المشرق, بيروت- لبنان, ط٢, ١٩٩٠م.

٢٠- **كشاف اصطلاحات الفنون**, محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي, تحقيق: د. علي دحروج, مكتبة لبنان, بيروت, ط١, ١٩٩٦م.

٢١- **الكلّيّات**, أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي, تحقيق: عدنان درويش, محمد المصري, د.ط, د.ت.

٢٢- **لسان العرب**, محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى, دار صادر- بيروت, ط٣, ١٤١٤هـ.

٢٣- **لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها**, ماريو باي, ترجمة: صلاح العربي, الجامعة الأمريكية, القاهرة, د.ط, ١٩٧٠م.

٢٤- **المجموعة النورية المشتملة على ستة كتب في النحو**, جمع وإعداد محمد نوري ناص, دار نور الصباح, ط٧, ٢٠١٠م.

٢٥- **محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة)**, أفلاطون, ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية: د. عزمي طه السيد أحمد, منشورات وزارة الثقافة- عمان- الأردن, د.ط, ١٩٩٥م.

٢٦- **المحصول**, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري, دراسة وتحقيق, د. طه جابر فياض العلواني, مؤسسة الرسالة, ط٣, ١٩٩٧م.

٢٧- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**, جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي, ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور, دار الكتب العلميّة, بيروت- لبنان, ط٣, ٢٠١٤م.

٢٨- **المستصفى من علم الأصول**, أبو حامد محمد بن محمد الغزالي, تحقيق وتعليق: د. محمد سليمان الأشقر, مؤسسة الرسالة, بيروت- لبنان, ط١, ٢٠١٢م.

٢٩- **مشكلة البنية**, زكريا ابراهيم, مكتبة مصر, د.ط, ١٩٩٠م.

٣٠- **مفاتيح الغيب**, أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط٣, ١٤٢٠هـ.

٣١- **مفتاح العلوم**, أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي, حققه وقدّم له وفهرسه: د. عبدالحميد هنداوي, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ط٣, ٢٠١٤م.

٣٢- **مقاييس اللغة**, أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين, تحقيق: عبدالسلام محمد هارون, دار الفكر, د.ط, ١٩٧٩م.

٣٣- **المقرر في شرح منطق المظفّر مع متنه المصحح**, السيد رائد الحيدري, مكتبة محدث, قم- إيران, ط١, ٢٠٢٠م.

٣٤- **المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**, أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي, تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي, الجفان والجابي, قبرص, ط١, ١٩٨٧م.

٣٥- **مناهج العقول في شرح منهاج الأصول**, محمد بن الحسن البدخشي, مطبعة محمد علي صبيح وأولاده, مصر, د.ط, ١٩٦٩م.

٣٦- **المواقف**, عضد الدين عبدالرحمن بن أحمد الإيجي, تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة, ط١, ١٩٩٧م.

٣٧- **نهاية السول شرح منهاج الأصول**, عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي, ضبطه وصححه ووضع حواشيه: عبدالقادر محمد علي, دار الكتب العلميّة, بيروت- لبنان, ط١, ١٩٩٩م.

٣٨- **نهاية الوسع شرح رسالة الوضع**, أبو بكر الميرروستمي, مخطوط, مكتبة السليمانيّة.

ثالثا: الرسائل والأطاريح

١- **درر الفرائد وغرر الفوائد على شرحَي القواعد (شرح الكافيجي وشرح الشيخ خالد) لمحمد بن علي الحرفوشي الحريري (ت١٠٥٩هـ)** دراسة وتحقيق, حسين علي ناصر, أطروحة دكتوراه- جامعة الأنبار- كلية التربية للعلوم الإنسانيّة, ٢٠٢٠م.

البحوث والمؤتمرات

١- **علم الوضع مرجعيّة التّبويب النّحوي**, د. محمد ذنّون يونس فتحي الراشدي, مجلة التربية والعلم, المجلد (١٧), العدد (٤), لسنة (٢٠١م).

الهوامش

(١) بدائع الفوائد, ابن قيم الجوزية, تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي- أشرف أحمد الج: ١٦٦/١.

(٢) ينظر: المحصول, الرازي, تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني: ١٨٠/١-١٨١.

(٣) ينظر: عنقود الزواهر في الصرف, علاء الدين علي بن محمد القوشجي, تحقيق: أ. د. احمد عفيفي: ١٨٠.

(٤) لغات البشر أصولها وطبيعتها وتطورها, ترجمة: صلاح العربي: ٣٧.

(٥) ينظر: المحصول: ١٨٠/١-١٨٨, والخصائص, ابن جنّي, تحقيق: محمد علي النّجّار: ٤١/١-٤٤.

(٦) المستصفى: ١٠/٢.

(٧) ينظر: محاورة كراتيليوس: ٤٢, وكتاب الحروف:١٣٧-١٤٠.

(٨) ينظر: شرح الكوكب المنير المسمى مختصر التحرير في أصول الفقه, ابن النجّار, تحقيق: محمد حسن محمد: ٢٩.

(٩) ينظر: جمهرة اللغة, ابن دريد, تحقيق: رمزي منير بعلبكي: ٩٠٥/٢.

(١٠) تهذيب اللغة, الأزهري, تحقيق: محمد عوض مرعب: ٤٨/٣-٤٩.

(١١) ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية, الجوهري, تحقيق: أحمد عبدالغفور عطّار: ١٣٠٠/٣.

(١٢) ينظر: لسان العرب, ابن منظور: ٤٨٥٨/٦, ٤٨٦٠.

(١٣) مفتاح العلوم, السكاكي, تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي: ٤٦٧.

(١٤) عنقود الزواهر في الصرف: ١٧٠.

(١٥) ينظر: الأطول شرح تلخيص المفتاح, عصام الدين الحنفي, تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي: ١١٣.

(١٦) ينظر: المصدر نفسه: ١١٣.

(١٧) شرح ملا جامي والعصام على الرسالة العضدية في علم الوضع, عبدالرحمن الجامي, عصام الدين الإسفراييني, حققه وضبطه وعلّق عليه: د. ياسر داود آل عزير: ٨٦.

(١٨) نهاية السول شرح منهاج الأصول: ٧٨.

(١٩) ينظر: حاشية الدسوقي على الوضعية: ٨٦.

(٢٠) ينظر: المجموعة النورية المشتملة على ستة كتب في النحو, جمع وإعداد: محمد نوري ناص: ٢٩, والبيان للشيخ عبدالغفور اللاري.

(٢١) شرح التفتازاني على الشمسية في المنطق, تحقيق: جاد الله بسام صالح: ١١٩-١٢٠.

(٢٢) درر الفرائد وغرر الفوائد على شرحَي القواعد (شرح الكافيجي وشرح الشيخ خالد) لمحمد بن علي الحرفوشي الحريري (ت١٠٥٩هـ) دراسة وتحقيق, حسين علي ناصر, أطروحة دكتوراه, جامعة الأنبار: ٢٣٥.

(٢٣) خلاصة علم الوضع: ٣.

(٢٤) ينظر: الأطول شرح تلخيص المفتاح: ١١٤.

(٢٥) نهاية الوسع شرح رسالة الوضع: ٢.

(٢٦) ينظر: تهذيب اللغة: ٢٧٣/١٤, والصحاح: ١١٧٩/٣.

(٢٧) مقاييس اللغة, تحقيق: عبدالسلام هارون: ٢٥٩/٥.

(٢٨) ينظر: حاشية الدسوقي على الوضعيّة: ٩١-٩٣.

(٢٩) شرح الرسالة العضدية في علم الوضع, أبو القاسم علاء الدين القوشجي, تحقيق: أ.د. محمد ذنون يونس: ٦٩.

(٣٠) ينظر: حاشية الدسوقي على الوضعية: ٩٢.

(٣١) كتاب الحروف: ١٣٧-١٣٨.

(٣٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٩/١.

(٣٣) نهاية السول: ٧٩.

(٣٤) شرح الرسالة العضدية في علم الوضع: ٦٨.

(٣٥) الخصائص: ٣٣/١.

(٣٦) ينظر: المقصد الأسنى, الغزالي, تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي: ٢٥.

(٣٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٦/١.

(٣٨) ينظر: شرح كافية ابن الحاجب, رضي الدين الأستراباذي, قدم له ووضع حواشيه وفهارسه: د. اميل بديع يعقوب: ٢٣/١.

(٣٩) ينظر: المواقف, عضد الدين الإيجي, تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة: ١٢/٢-١٧.

(٤٠) مقاييس اللغة: ١٤٨/٤.

(٤١) الكليات, الكفوي, تحقيق: عدنان درويش, محمد المصري: ٨٤٢.

(٤٢) ينظر: المجموعة النورية: ٢٩, والتعليق للشيخ عبدالغفور اللاري.

(٤٣) كشاف اصطلاحات الفنون, التهانوي, تحقيق: د. علي دحروج: ١٦٠٠/٢.

(٤٤) ينظر: المقرر في شرح منطق المظفّر: ٥٢.

(٤٥) ينظر: مشكلة البنية, زكريا ابراهيم: ٤٧-٤٩.

(٤٦) ينظر: البحث اللغوي عند إخوان الصفاء: ١٩٩.

(٤٧) ينظر: علم الوضع مرجعيّة التّبويب النّحوي, د. محمد ذنّون يونس فتحي الراشدي, مجلة التربية والعلم- مج:١٧, ع: ٤, لسنة: ٢٠١٠م: ٩٨, بتصرّف يسير.

(٤٨) ينظر: شرح الرسالة العضديّة في علم الوضع: ٨١.

(٤٩) الكليات: ٨٦٠.

(٥٠) ينظر: حاشية العطار على شرح الجلال المحلّي على جمع الجوامع: ٣١٧/١.

(٥١) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ٥٨٩.

(٥٢) التعريفات: ٢٠٦.

(٥٣) ينظر: الكليّات: ٨٤٢.

(٥٤) ينظر: شرح الرسالة العضدية في علم الوضع: ٨١.

(٥٥) الكليات: ٨٦٠.

(٥٦) ينظر: المحصول: ١/٢٠٠, والمزهر: ١/٣٦.

(٥٧) مفاتيح الغيب: ١/٣٧-٣٨.

(٥٨) ينظر: حاشية العطّار على شرح الجلال المحلّي على جمع الجوامع: ١/٣٥٨.

(٥٩) ينظر: المحصول: ١/ ٢٠٠.

(٦٠) ينظر: حاشية حسن العطّار على الخبيصي: ٤٥.

(٦١) ينظر: المزهر: ١/٣٦-٣٩.

(٦٢) ينظر: نهاية السول: ٧٩.

(٦٣) ينظر: المصدر نفسه: ٧٩.

(٦٤) مناهج العقول في شرح منهاج الأصول: ١/١٦٥.

(٦٥) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ٨٥-٨٦.

(٦٦) ينظر: خلاصة علم الوضع: ٣٩.

(٦٧) ينظر: المواقف: ٢/٤٩-٥٢.

(٦٨) حاشية العطّار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: ١/٣٤٩.

(٦٩) ينظر: العجالة الرحمية شرح الرسالة الوضعيّة: ٦٦.

الاستراتيجيات وإمكانيات وتحديات التسويق وريادة الأعمال في اللغات المتنوعة

مياسه ناظم عزيز محمد،
قسم الدراسات السياحية، كلية العلوم السياحية، جامعة كربلاء، العراق

الملخص

يتناول هذا البحث دور استراتيجيات التسويق وريادة الأعمال متعددة اللغات في التواصل مع الجمهور المتنوع في السوق العالمية. تسلط الدراسة الضوء على التحديات اللغوية والثقافية التي تواجه الشركات في التواصل عبر الحدود وتقديم الخدمات بلغات متعددة. يتم تحليل دور التكنولوجيا والترجمة وتعريب المحتوى في تيسير الاتصال بين الشركات والجمهور. كما يتم استعراض أمثلة نماذج ناجحة لشركات استخدمت استراتيجيات متعددة اللغات لتحقيق النجاح الدولي والابتكار. من المتوقع أن تساهم نتائج هذا البحث في توضيح أهمية اللغات المتنوعة في التسويق وريادة الأعمال وكيفية تحقيق تواصل فعال مع العملاء المتحدثين بلغات مختلفة. ستسلط النتائج الضوء على التحديات التي قد تواجه الشركات والمشاريع وكيفية التغلب عليها لتحقيق النجاح والنمو في أسواق متعددة الثقافات واللغات.

الكلمات المفتاحية: استراتيجيات التسويق متعددة اللغات، التحديات اللغوية والثقافية،التواصل العابر للحدود، الاحتياجات اللغوية للجمهور المستهدف.

١. المقدمه

يعتبر التسويق وريادة الأعمال من أهم المجالات الذي يلعب دوراً حاسماً في نجاح الشركات والمشاريع التجارية في سوق الأعمال المعاصر. في عالم متعدد الثقافات واللغات الذي نعيش فيه اليوم، أصبح التعامل مع اللغات المتنوعة والاحتياجات الثقافية للعملاء ضرورة لا غنى عنها لتحقيق النجاح والتميز التنافسي.

تنمية استراتيجيات التسويق وريادة الأعمال للعمل في بيئة متعددة اللغات تتطلب النظر إلى عوامل كثيرة تؤثر في تلك العمليات. يجب أن تكون الاستراتيجيات مرنة وقابلة للتكيف مع احتياجات المجتمعات المختلفة وفهم الثقافات المختلفة للعملاء المستهدفين. إضافة إلى ذلك، يجب أن تأخذ الشركات والمشاريع في اعتبارها التحديات التي تواجهها فيما يتعلق باللغة والتواصل والتسويق في بيئات مختلفة.

ولذلك فان هناك اختلاف في تعريف المصطلحين: التسويق وريادة الأعمال في اللغات المختلفه فمثلا في اللغه العربية:

التسويق: التسويق هو عملية تخطيط وتنفيذ الأنشطة المرتبطة بتصميم وتسويق المنتجات أو الخدمات للعملاء المستهدفين. تهدف عملية التسويق إلى جذب العملاء وتحفيزهم على شراء المنتجات أو الخدمات وبناء علاقات طويلة الأمد معهم.[١]

ريادة الأعمال: ريادة الأعمال هي عملية إنشاء وتطوير مشروع جديد أو فكرة مبتكرة تهدف إلى تحقيق ربح مالي واستدامة النشاط التجاري. يُعتبر رائد الأعمال شخصًا يتمتع بالرؤية والقدرة على تحويل الفرص والأفكار إلى عمليات تجارية ناجحة.[٢]

وفي اللغه الانجليزية:

Marketing: Marketing is the process of planning and executing activities related to the design and promotion of products or services to target customers. The purpose of

marketing is to attract customers, motivate them to purchase products or services, and build long-term relationships with them. [٣]
leading businesses: Entrepreneurship is the process of creating and developing a new venture or innovative idea with the aim of achieving financial profit and sustaining a business activity. An entrepreneur is considered as someone with vision and the ability to turn opportunities and ideas into successful business operations. [٤]

وتتمثل أهمية الاستراتيجيات المتعددة اللغات للأعمال الناشئة في عدة عوامل مؤثرة تسهم في نجاح هذه الأعمال وتطويرها على المستوى الدولي. إليك بعض الجوانب المهمة لهذه الاستراتيجيات:

١. الوصول إلى أسواق عالمية: تتيح الاستراتيجيات المتعددة اللغات للأعمال الناشئة فرصة الوصول إلى أسواق عالمية أكبر. بتوظيف اللغات المتعددة في التسويق والتواصل، يمكن للشركات الاستفادة من احتمالات النمو في مناطق جديدة والتفاعل مع جمهور عالمي.
٢. تحسين تجربة العملاء: من خلال الاستجابة للعملاء بلغتهم الأم، يمكن للأعمال الناشئة تحسين تجربة العملاء وبناء روابط قوية معهم. هذا يساهم في زيادة المسوقات الإيجابية والولاء للعلامة التجارية.
٣. التميز التنافسي: في سوق الأعمال المعاصر، تعتبر الاستراتيجيات المتعددة اللغات مصدرًا للتميز التنافسي. فعندما تتمكن الأعمال الناشئة من التحدث بلغة العميل، تكون قادرة على التواصل بشكل أكثر فاعلية وفعالية مما يعزز فرص النجاح.
٤. فهم السوق المحلية: تساعد الاستراتيجيات المتعددة اللغات الأعمال الناشئة على فهم السوق المحلية بشكل أفضل. عندما يتحدث الفريق التنفيذي للشركة بلغة العملاء المحليين، يصبح بإمكانهم التفاعل معهم وفهم احتياجاتهم وتطلعاتهم بشكل أفضل.
٥. تجاوز الحواجز الثقافية: اللغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي أيضًا عامل ثقافي مهم. باستخدام اللغات المتعددة، يمكن للأعمال الناشئة تجاوز الحواجز الثقافية وتبني قيم وعادات مختلفة في سوقها المستهدفة.
٦. تسهيل التوسع الدولي: عندما تكون الأعمال الناشئة متمركزة حول استراتيجيات متعددة اللغات، يمكنها بسهولة توسيع نطاق عملياتها إلى بلدان ومناطق جديدة دون صعوبات كبيرة في التواصل والتسويق.

١,١. هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الاستراتيجيات والإمكانيات والتحديات التي تواجه التسويق وريادة الأعمال في اللغات المتنوعة. سيتم التركيز على كيفية تطوير استراتيجيات فعالة للتسويق والتواصل مع العملاء المتحدثين بلغات مختلفة وما هي الفرص والتحديات التي يمكن أن تواجه الشركات والمشاريع في هذا السياق.

٢,١. أهمية البحث

تتناول هذه الدراسة موضوعاً حيوياً يتعلق بالتسويق والريادة في سياق اللغات المتنوعة، وهو موضوع لم يلق الاهتمام الكافي في البحوث السابقة. إن فهم التحديات والفرص التي يمكن أن تظهر في عمليات التسويق والريادة عبر اللغات المتعددة يمكن أن يساهم بشكل كبير في تحسين الأداء التجاري وتحقيق النمو والاستدامة.

٣,١. طريقة البحث

سيتم في هذا البحث استخدام المنهج الاستقرائي والتحليلي لفحص الأدبيات والدراسات السابقة المتعلقة بالتسويق وريادة الأعمال في اللغات المتنوعة. سيتم أيضاً إجراء مسح لشركه امازون والتي تعتبر شركه ناجحة تعمل عبر الحدود اللغوية وذالك للحصول على رؤى عميقة حول تجاربهم واستراتيجياتهم.

٢. الدراسات السابقة

تتناول هذه الدراسة دور التسويق وريادة الأعمال وتحدياتهما وفرصهما. يتم التركيز في الدراسة على العلاقة المتبادلة بين التسويق وريادة الأعمال، حيث يؤكد الباحثون أن التسويق الجيد يساهم في نجاح الشركات الناشئة والمبتكرة. ومن جانب آخر، يشير الباحثون إلى أن روح ريادة الأعمال والابتكار تمنح الشركات القدرة على تحقيق تفوق تنافسي في سوق الأعمال.

تعرض الدراسة أيضًا للتحديات التي تواجه التسويق وريادة الأعمال في الوقت الحاضر. من بين هذه التحديات، تشمل الابتكار التكنولوجي والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتنظيمية. يشير الباحثون إلى أن التكنولوجيا الحديثة والتطورات السريعة في وسائل الاتصال والتواصل قد أحدثت تحولات جذرية في مجال التسويق وريادة الأعمال. بالإضافة إلى ذلك، يواجه رواد الأعمال تحديات مثل الحصول على التمويل وإدارة المخاطر وبناء فرق عمل قوية.

فيما يتعلق بالفرص، يشير الباحثون إلى أن التطورات التكنولوجية والتغيرات في اهتمامات واحتياجات المستهلكين قد فتحت أبوابًا جديدة للتسويق وريادة الأعمال. على سبيل المثال، انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والتجارة الإلكترونية قد أتاح للشركات الناشئة والمبتكرة الوصول إلى جمهور أكبر وتوسيع نطاق عملياتها. كما يوفر التركيز المتزايد على التنمية المستدامة والمسؤولية الاجتماعية للشركات فرصًا للابتكار والتفوق التنافسي في سوق الأعمال.(٥)

بشكل عام، تشير الدراسة إلى أن التسويق وريادة الأعمال يمثلان جوانب مترابطة ومتراكبة في سياق الأعمال الحديث. فهم التحديات والفرص في هذا المجال يمكن أن يساعد الشركات ورواد الأعمال في اتخاذ القرارات الاستراتيجية الصائبة وتحقيق النجاح في بيئة الأعمال المتنوعة.

تتناول هذه الدراسة العلاقة بين تعلم اللغات وريادة الأعمال اللغوية، وتبحث في تأثير ذلك على التعليم اللغوي. يرتبط الباحثون بين القدرات والمهارات التي يكتسبها الأفراد أثناء تعلم اللغات وبين المهارات اللازمة لرواد الأعمال الناجحين. يقترحون أن تعلم اللغات يمكن أن يكون نوعًا من ريادة الأعمال اللغوية، حيث يتعين على المتعلمين استخدام مهاراتهم اللغوية لاكتشاف فرص جديدة وتطوير مشاريع وأفكار خاصة بهم في مجالات متنوعة.

تسلط الدراسة الضوء على بعض الاستراتيجيات والممارسات التي يمكن تبنيها في التعليم اللغوي لتعزيز روح ريادة الأعمال اللغوية. من بين هذه الاستراتيجيات، تشمل التركيز على تنمية المهارات العقلية والابتكارية للطلاب، وتشجيعهم على استكشاف فرص العمل اللغوية وتطبيق مهاراتهم اللغوية في سياقات حقيقية، وتعزيز التواصل والتعاون بين المتعلمين من خلال المشاريع الجماعية.

تشير الدراسة أيضًا إلى أهمية تطوير الوعي الثقافي والاقتصادي لدى المتعلمين، حيث يمكن لفهم الثقافات المختلفة والسياقات الاقتصادية أن يساعد على تفتح المنظور وتوسيع فرص العمل اللغوية. بالإضافة إلى ذلك، تشدد الدراسة على أهمية تطوير مهارات القيادة والإدارة لدى المتعلمين، حيث يمكن لهذه المهارات أن تدعمهم في بناء وإدارة مشاريعهم اللغوية الخاصة. (٦)

بشكل عام، تشير الدراسة إلى أن تعزيز روح ريادة الأعمال اللغوية في التعليم اللغوي يمكن أن يساهم في تطوير مهارات المتعلمين وتمكينهم من الاستفادة من فرص العمل اللغوية المتاحة. يعزز هذا النهج التفكير الابتكاري والاستقلالية والقدرة على التكيف في سياقات العمل المتعددة التي تتطلب الكفاءة اللغوية والثقافية.

تتناول هذه الدراسة كيفية تجاوز حواجز اللغة والثقافة من خلال استخدام استراتيجيات التسويق العالمية المعاصرة. تركز الدراسة على أهمية فهم الثقافات المختلفة وتحليل الاختلافات اللغوية في عمليات التسويق العابرة للحدود.

يشير الباحثون إلى أن التواصل الناجح مع الجمهور المستهدف في سوق عالمي يتطلب ليس فقط مهارات لغوية قوية، ولكن أيضًا فهما عميقًا للثقافة والقيم والاعتقادات المحلية. يحتاج المسوقون إلى تخصيص جهودهم لتخطي العوائق اللغوية من خلال ترجمة المحتوى التسويقي بدقة واستخدام لغة محلية صحيحة وملائمة. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن يكون هناك توجيهات واضحة للتسويق المحلي لضمان أن المبادئ والقواعد الثقافية المحلية محترمة ومدمجة في الحملات التسويقية.

تسلط الدراسة الضوء على بعض استراتيجيات التسويق العالمي المعاصرة التي يمكن استخدامها لتجاوز حواجز اللغة والثقافة. تشمل هذه الاستراتيجيات استخدام الترجمة المهنية والموثوقة، وتكييف العروض التسويقية والمحتوى ليلائم الثقافة المستهدفة، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتوفير تجارب تفاعلية وشخصية للعملاء عبر الحدود.

تشير الدراسة أيضًا إلى أهمية بناء فرق عمل متعددة الثقافات ولغات متعددة، حيث يمكن للتنوع الثقافي واللغوي في الفرق أن يساهم في تعزيز الابتكار وتوجيه الحملات التسويقية بطرق تناسب الجمهور المستهدف.(٧)

بشكل عام، تشدد الدراسة على أن التجاوز عن حواجز اللغة والثقافة يتطلب الاهتمام بتفاصيل دقيقة ومتنوعة في عمليات التسويق العابرة للحدود. يتعين على المسوقين أن يكونوا حساسين للثقافات المختلفة وأن يتبنوا استراتيجيات تسويقية ملائمة للهدف المحدد، وذلك لتحقيق النجاح في سوق عالمي متنوع وتنافسي.

٣. البيئة اللغوية والتحديات

٣,١. التحديات المتعلقة باللغات المتنوعة في السوق العالمية

تعد التحديات المتعلقة باللغات المتنوعة في السوق العالمية أحد الجوانب الرئيسية التي تؤثر على التسويق وريادة الأعمال في البيئة العالمية الحالية. من أجل تحقيق النجاح في الأسواق المتنوعة، يجب مواجهة وفهم هذه التحديات وتطوير استراتيجيات مناسبة للتعامل معهاومنها التي نقوم بتسليط الضوء عليها:

- تعدد اللغات والترجمة:

اللغات المتعددة في السوق العالمية تشكل تحديًا هامًا للشركات والأعمال الناشئة. يتعين على الشركات الاستثمار في الترجمة الفعالة والدقيقة للمحتوى التسويقي والمواقع الإلكترونية والوثائق المهمة. يجب أن تتمكن الشركات من التواصل بشكل فعال مع الجمهور المستهدف في لغتهم الأم لكسب ثقتهم وجذبهم نحو المنتجات والخدمات. [٨]

- تحديات الثقافة والتعامل الثقافي

الاختلافات الثقافية بين الشعوب والمجتمعات يمكن أن تؤثر بشكل كبير على فعالية استراتيجيات التسويق. على الشركات أن تتعامل بحساسية مع العادات والتقاليد والقيم المختلفة للجماهير المستهدفة في الأسواق المختلفة. تتطلب هذه التحديات التفكير بشكل عميق في تصميم الحملات التسويقية وتحديد المفاهيم الإبداعية التي تتناسب مع تلك الثقافات.[٩]

- تحديات التواصل والاتصال

الاتصال الفعال مع العملاء في الأسواق اللغوية المتنوعة يتطلب التفكير بشكل إبداعي في وسائل التواصل المستخدمة. بعض الشركات تواجه تحديات في التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي ومنصات البريد الإلكتروني، حيث يمكن أن تكون لغة الشركة ومحتواها غير مناسبة للجمهور المستهدف.[١٠]

- تحديات التحكم بالمحتوى

قد يتضمن التعامل مع اللغات المتنوعة أيضًا تحديات في التحكم بالمحتوى والمواد التسويقية. قد يحتاج المحتوى إلى تكييف مختلف بناءً على الثقافة واللغة، وهذا يتطلب تنظيم وتحسين العمليات الداخلية للشركة لضمان جودة واتساق المحتوى في جميع اللغات المستهدفة.[١١]

٢,٣. الاحتياجات اللغوية للجمهور المستهدف وتأثيرها على التسويق وريادة الأعمال

فهم احتياجات اللغة والتواصل للجمهور المستهدف هو أحد الأسس الأساسية لنجاح العمليات التسويقية وريادة الأعمال في سوق متنوعة من لغات وثقافات. اللغة تلعب دورًا حاسمًا في توصيل الرسائل الإعلانية والتسويقية بطريقة فعالة ومؤثرة للجمهور. وهذه بعض النقاط التي توضح أهمية الاستجابة لاحتياجات اللغة للجمهور المستهدف وتأثير ذلك على الأعمال:

- تكييف اللغة والمحتوى

يعتبر تكييف اللغة والمحتوى للجمهور المستهدف أمرًا أساسيًا في النجاح التسويقي في الأسواق المتنوعة. عندما تستخدم الشركات لغة محلية ومحتوى يلائم ثقافة الجمهور، تزداد فرصة التواصل بفعالية والتأثير على عملية اتخاذ القرار للمستهلكين. توفير محتوى مترجم ومتعدد اللغات يعكس التزام الشركات بالتواصل مع الجمهور في مستوى شخصي واحترافي.[١٢]

- التواصل مع الجمهور المتعدد اللغات

قد تتواجه الشركات بالتحدي في التواصل مع جمهور متعدد اللغات داخل نفس السوق. يمكن أن تتكون مجتمعات متعددة اللغات في سوق واحد بسبب تنوع الثقافات واللغات. لذلك، يجب على الشركات الحصول على فهم دقيق لتوزيع اللغات بين الجمهور المستهدف والاستفادة من قوى العمل متعددة اللغات أو الحلول التقنية للتواصل بلغات متعددة.[١٣]

- تأثير اللغة على اتخاذ القرارات

تُظهِر الأبحاث أن استخدام اللغة بشكل غير دقيق أو واضح يمكن أن يؤثر سلبًا على اتخاذ القرارات للمستهلكين. الترجمة الغير دقيقة أو الاستخدام الخاطئ للغة قد يؤدي إلى عدم الثقة في المنتج أو الخدمة المعروضة. من الضروري للشركات الحفاظ على الجودة والدقة في استخدام اللغة، والتأكد من أن الرسائل والمعلومات يتم تقديمها بشكل واضح وفعّال. [١٤]

- اللغة وتجربة العملاء

ترتبط تجربة العملاء بشكل وثيق باللغة المستخدمة. قد تؤثر تجربة العملاء مع اللغة المستخدمة في الموقع الإلكتروني أو خدمة العملاء على ولاء العملاء واحتمالية عودتهم للشراء مجددًا. لذلك، يجب على الشركات تقديم تجربة لغوية ممتازة وسهلة الاستخدام للجمهور لتحسين تجربة العملاء.[١٥]

الاستجابة لاحتياجات اللغة للجمهور المستهدف هو جزء أساسي من استراتيجية التسويق الناجحة في السوق العالمية. يجب على الشركات الاستناد إلى أبحاث أكاديمية ومراجع موثوقة لتحسين جودة اللغة وتوجيه رسائلها بشكل فعال لكسب ولاء العملاء وتحقيق النجاح في الأعمال.

٤ . استراتيجيات التسويق متعددة اللغات

تعد استراتيجيات التسويق متعددة اللغات أحد الجوانب الحيوية في النجاح التسويقي للشركات والمؤسسات في السوق العالمية المتنوعة. في زمن العولمة والتكنولوجيا، انتشار الاتصالات والتجارة عبر الحدود أصبح أمرًا لا يمكن تجاهله. تزايد الحاجة إلى التفاعل مع الجمهور المستهدف بلغتهم الأم وتقديم المحتوى الملائم لثقافاتهم يشكل تحديًا أساسيًا يواجه الشركات والعلامات التجارية.

تعتبر اللغة عنصرًا حاسمًا في العلاقات التجارية والتسويقية. فهي الوسيلة التي يتواصل بها الناس ويفهمون بها الرسائل والإعلانات. تمثل اللغة أكثر من مجرد مجموعة من الكلمات، فهي تحمل معاني ثقافية واجتماعية تترجم إلى اتجاهات الاستهلاك واختيارات الشراء. تبدأ استراتيجيات التسويق متعددة اللغات في فهم هذا الدور المهم الذي تلعبه اللغة في تحديد سلوك المستهلك وتشكيل قراراته.

من المهم أن نلاحظ أن تعدد اللغات ليس مجرد ترجمة النصوص فقط، بل هو استراتيجية شاملة لتلبية احتياجات الجمهور المستهدف بشكل أكثر شمولًا. إن عالم التسويق متعدد اللغات يتضمن التفكير بشكل استراتيجي حول الفرص المتاحة والتحديات المحتملة واستخدام اللغة كأداة تسويقية قوية.

من هذا المنطلق، ستتناول هذه الدراسة أهمية استراتيجيات التسويق متعددة اللغات وتحليل تأثيرها على العلامات التجارية والشركات في السوق العالمية. سنسلط الضوء على بعض النقاط الحاسمة التي تحتاج إلى النظر فيها عند تطوير استراتيجيات تسويقية متعددة اللغات:

- تفهم الجمهور المستهدف

يبدأ نجاح استراتيجيات التسويق متعددة اللغات من فهم الجمهور المستهدف بشكل دقيق. يجب أن يتم تحديد اللغات الرئيسية للجمهور المستهدف وفهم احتياجاتهم وتوقعاتهم الثقافية. قد تختلف تفضيلات اللغة والأسلوب بين ثقافات ولغات مختلفة، ولذلك فإن البحث والاستطلاعات هي أدوات هامة لفهم هذه الاحتياجات بدقة.

- ترجمة ذات جودة عالية

الترجمة تمثل عملية حساسة، فلا يمكن التساهل فيها. يجب أن تكون الترجمة ذات جودة عالية وتعبر عن المعاني بشكل دقيق. إن الأخطاء في الترجمة يمكن أن تؤدي إلى سوء الفهم أو إلى خسارة الثقة لدى الجمهور المستهدف.

- تصميم الحملات التسويقية متعددة اللغات

يجب تصميم الحملات التسويقية بطريقة تأخذ بعين الاعتبار التنوع اللغوي للجمهور. يمكن أن تكون الرسائل والإعلانات متماثلة في المفاهيم، ولكنها معدة بلغات مختلفة لتكون أكثر فعالية في التواصل مع الجمهور المتعدد اللغات.

- استخدام الثقافة بشكل حساس:

تلعب الثقافة دورًا هامًا في تفسير الرسائل والإعلانات التسويقية. يجب أن يتم توظيف الثقافة بشكل حساس في تصميم الحملات واختيار الصور والرموز التي تتناسب مع توجهات الثقافة المستهدفة.

- الاستفادة من الأدوات التقنية:

يمكن استخدام التكنولوجيا لتسهيل العمليات الترجمة والتواصل مع الجمهور المتعدد اللغات. يوجد العديد من الأدوات والبرمجيات التي تسهل الترجمة وتحسين تجربة الجمهور عبر الحدود.

١,٤. الترجمة والتعريب ودورهما في التسويق الفعال

الترجمة والتعريب هما جزء أساسي من استراتيجيات التسويق متعددة اللغات في السوق العالمية. يعد تحويل المحتوى من لغة إلى أخرى وتعريبه لاحتياجات الجمهور المحلي عملية حيوية تساعد على الوصول إلى المستهلكين بفعالية وبناء الثقة والولاء للعلامة التجارية. في هذا السياق، سنناقش دور الترجمة والتعريب في التسويق الفعال وأهمية الاستثمار في هاتين العمليتين:

١. الترجمة:

- أهمية الترجمة في التسويق

الترجمة تعد جسرًا للتواصل مع الجمهور المتحدث بلغات مختلفة. من خلال تحويل المحتوى الإعلاني والتسويقي للعلامة التجارية إلى لغات متعددة، يمكن للشركات الوصول إلى جمهور أوسع وزيادة فرص النمو والتوسع في أسواق جديدة. تُعَدُّ الترجمة الاحترافية واستخدام مترجمين ذوي خبرة ضروريًا للحفاظ على دقة المعاني والتعبير بأسلوب لغوي ملائم.[١٦]

- الترجمة الإبداعية والإعلانية

تختلف الترجمة الإعلانية عن الترجمة العادية، إذ تتطلب ترجمة مبدعة تحافظ على الأهداف الإعلانية وتلفت انتباه المستهلكين بشكل فعال. يجب على المترجم أن يكون قادرًا على إيصال رسالة العلامة التجارية بشكل إبداعي يناسب ثقافة الجمهور المستهدف.[١٧]

٢. التعريب

- أهمية التعريب في التسويق

التعريب يشير إلى تكييف المحتوى والرسائل التسويقية لتتناسب مع الثقافة والتوجهات اللغوية للجمهور المستهدف. بدلاً من ترجمة النصوص فقط، يتطلب التعريب فهم العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية في السوق المستهدف لتحقيق التأثير المرجو.[١٨]

- تكييف الصور والشعارات

يمكن أن يكون التعريب أكثر من ترجمة النصوص. يجب تكييف الصور والشعارات والإعلانات بأسلوب يعبر عن الثقافة المحلية للجمهور. يساعد هذا التكييف على بناء روابط عاطفية مع الجمهور وتعزيز التعرف على العلامة التجارية.[١٩]

٢,٤. تطوير محتوى إبداعي متعدد اللغات للتفاعل مع الجمهور

تعد إبداعية المحتوى وتنوعه لغويًا من أهم أساليب التفاعل مع الجمهور المتعدد اللغات. من خلال تقديم محتوى متنوع وإبداعي بلغات متعددة، يمكن للشركات والعلامات التجارية تعزيز التفاعل والارتباط بالجمهور على مستوى عالمي. وفيما يلي أهمية اتطوير محتوى إبداعي متعدد اللغات وتأثيره على التفاعل مع الجمهور بالتفصيل:

- جذب الانتباه وتحفيز التفاعل

يعد الإبداع جزءًا أساسيًا من جذب انتباه الجمهور وتحفيزه للتفاعل مع المحتوى التسويقي. من خلال استخدام الصور والرسوم المتحركة والتصميم الجذاب، يمكن للشركات إلقاء الضوء على منتجاتها وخدماتها بطريقة تجذب الاهتمام وتحفز الجمهور للتفاعل والمشاركة.

- التأثير العاطفي والثقافي

يمكن للمحتوى الإبداعي متعدد اللغات أن يتأثر على المشاعر الثقافية للجمهور. من خلال استخدام أساليب الرواية والقصص المفهومة في ثقافة الجمهور المستهدف، يمكن للشركات تحقيق ربط عاطفي أعمق مع الجمهور وتعزيز التفاعل مع المحتوى.

- تجنب الترجمة الحرفية وتكييف المحتوى

من الضروري أن يتجنب الشركات الترجمة الحرفية للمحتوى، حيث قد يؤدي ذلك إلى فقدان المعاني وتشويش الرسالة. بدلاً من ذلك، يجب تكييف المحتوى ليناسب لغة وثقافة الجمهور المستهدف. يمكن استخدام الألفاظ والمصطلحات المألوفة والمحببة للجمهور لتحقيق فهم أفضل وتعزيز التفاعل.

- توظيف الفن والإبداع في القصص التسويقية

يمكن استخدام الفن والإبداع في صناعة قصص تسويقية مثيرة للاهتمام تعبر عن رؤية الشركة وقيمها. القصص التسويقية الملهمة تحقق تأثيرًا أكبر وتجعل الجمهور يشعر بالانجذاب نحو المنتج أو الخدمة المعرضة.

٥. استراتيجيات ريادة الأعمال متعددة اللغات

تعتبر ريادة الأعمال وتطوير المشاريع الجديدة من أهم العوامل التي تدفع بالاقتصاد نحو التقدم والنمو في زمن العولمة والتكنولوجيا، أصبحت الفرص التجارية تتجاوز الحدود الوطنية وتتطلب الوصول إلى جمهور متعدد اللغات ومتنوع الثقافات. لذلك، أصبحت استراتيجيات ريادة الأعمال متعددة اللغات ضرورة حاسمة لنجاح المشاريع والشركات في السوق العالمية المتنوعة.[۲۰]

أهمية استراتيجيات ريادة الأعمال متعددة اللغات:

- استهداف الجمهور المحلي والعالمي:

يتيح التركيز على استراتيجيات ريادة الأعمال متعددة اللغات للشركات والرياديين استهداف الجمهور المحلي والعالمي على حد سواء. يمكن للمشروعات التواصل بشكل فعال مع الجمهور المتعدد اللغات والتفاعل معهم باللغات التي يتحدثون بها بطلاقة.

- استيعاب الاختلافات الثقافية

تمثل الاختلافات الثقافية تحديًا في ريادة الأعمال الدولية. باستخدام استراتيجيات متعددة اللغات، يمكن للرياديين تجاوز حواجز الثقافة وتجنب السقوط في الاحتكامات الثقافية غير المناسبة التي قد تضر بالعلاقات التجارية.

- تحسين التواصل والانسجام التنظيمي

يعتبر التواصل الفعال بلغات متعددة عنصرًا حاسمًا لتحسين انسجام التنظيم والعمليات الداخلية. يمكن للشركات توفير بيئة عمل متعددة اللغات وتعزيز التعاون والتفاعل بين الموظفين من خلفيات ولغات مختلفة.

- استغلال الفرص التجارية الناشئة

يمكن لاستراتيجيات ريادة الأعمال متعددة اللغات أن تساعد الشركات على استغلال الفرص التجارية الناشئة في أسواق متنوعة حول العالم. باستخدام اللغات المحلية والتواصل بفاعلية مع العملاء المحتملين، يمكن للرياديين فتح آفاق جديدة للنمو والتوسع.

١,٥. التوسع الدولي والتحديات اللغوية المرتبطة به

يعد التوسع الدولي خطوة استراتيجية هامة للشركات والمؤسسات التي تهدف إلى تحقيق النمو والاستدامة. إن الوصول إلى أسواق جديدة يمثل فرصة مهمة لتوسيع قاعدة العملاء وزيادة الإيرادات. ومع ذلك، فإن التوسع الدولي يترتب عليه تحديات لغوية تعتبر أحد العوامل المؤثرة في نجاح العمليات الدولية. دعنا نلقي نظرة على بعض التحديات اللغوية المرتبطة بالتوسع الدولي:

- احترام الثقافات المختلفة

التوسع الدولي يعني التعامل مع ثقافات متنوعة ومختلفة. يجب أن تكون الشركات حساسة للاختلافات الثقافية وتضمن احترامها في جميع جوانب التسويق والتواصل. قد تكون بعض الرسائل والإعلانات المقبولة في بلد معين غير مقبولة في بلد آخر، وقد تحتاج الشركات إلى تعديل استراتيجياتها وتوجيهاتها لتناسب الثقافات المحلية.

- التعدد اللغوي والتنظيمي:

يمكن أن يتسبب التوسع الدولي في وجود التعدد اللغوي داخل المؤسسة نفسها. يمكن أن تكون هناك تحديات في التواصل بين الموظفين الذين يتحدثون لغات مختلفة وفهم الأهداف والمبادئ التنظيمية بشكل صحيح. يتطلب التعدد اللغوي التنظيمي تنفيذ استراتيجيات تعزز التواصل والتفاعل بين الموظفين من خلفيات لغوية مختلفة.

- تعامل مع اللغات النادرة:

في بعض الحالات، يمكن أن يكون التعامل مع اللغات النادرة أمرًا صعبًا. قد تكون هذه اللغات غير مألوفة للمترجمين ويمكن أن تستدعي استخدام خدمات متخصصة ومكلفة. تتطلب اللغات النادرة تخطيطًا واهتمامًا إضافيًا للتعامل معها بنجاح.

٢,٥. بناء فرق عمل متعددة اللغات وتأثيرها على الإبداع والابتكار

تعتبر بناء فرق عمل متعددة اللغات أمرًا حيويًا في عصر التواصل العالمي والتوسع الدولي. فرق العمل المتعددة اللغات تتألف من أفراد ينتمون لثقافات ولغات مختلفة، ويعتبر هذا التنوع مصدرًا هامًا للإبداع والابتكار وهناك تأثير كبير بناء فرق عمل متعددة اللغات على الإبداع والابتكار:

- تعزيز التفكير الإبداعي

يعزز التنوع اللغوي والثقافي في فرق العمل قدرة الأفراد على التفكير بأنماط مختلفة. تمتلك كل لغة وثقافة طريقة فريدة للتعبير والتفكير، وهذا يسمح للفريق بالتفكير بأفكار مبتكرة ومختلفة التوجهات. يمكن أن يحفز هذا التبادل الإبداعي على اكتشاف حلول جديدة للتحديات المختلفة.

- التغلب على الانغلاق الثقافي

يمكن أن يحدث الانغلاق الثقافي عندما يكون الفريق عمل من نفس اللغة والثقافة، حيث ينحصر التفكير والإبداع في إطار محدد. بناء فرق عمل متعددة اللغات يمكن أن يساهم في تجاوز هذا الانغلاق وتوسيع أفق الأفراد والفريق للتعامل مع التحديات بطرق جديدة.

- تحسين عمليات التواصل

تشكل فرق العمل متعددة اللغات تحديًا في التواصل، ولكنها تحفز أيضًا تحسين هذه العمليات. عندما يتم تجاوز حواجز اللغة والثقافة، يتيح ذلك للفريق التواصل بشكل فعال ومباشر. يمكن أن يترجم التواصل الجيد إلى زيادة التفاعل وتبادل الأفكار بين الأعضاء وتحقيق الابتكار.

- التحفيز للتعلم المستمر

تواجه فرق العمل متعددة اللغات تحديات في تحقيق التواصل الفعال. تحفز هذه التحديات الفريق على التعلم المستمر وتحسين مهاراتهم اللغوية والتواصلية. يعزز التعلم المستمر من تطور الفريق ويجعله أكثر قدرة على مواجهة التحديات المختلفة.

٦. التكنولوجيا والأدوات اللغوية

تعد التكنولوجيا والأدوات اللغوية من أهم العوامل التي تسهم في تيسير عمليات التسويق وريادة الأعمال في اللغات المتنوعة. تقدم التكنولوجيا الحديثة مجموعة من الأدوات التي تساعد الشركات والرياديين في تجاوز تحديات اللغة والثقافة والتواصل بفعالية مع الجمهور المستهدف في أسواق متعددة. دعنا نلقِ نظرة على دور التكنولوجيا والأدوات اللغوية في تحقيق التسويق والريادة في اللغات المتنوعة:

دور التكنولوجيا في تسهيل التسويق وريادة الأعمال:

- التسويق الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي

تتيح التكنولوجيا الرقمية الوصول إلى جمهور واسع عبر الإنترنت، بما في ذلك الجمهور المتحدث بلغات متعددة. يمكن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والإعلانات الرقمية للتواصل بشكل فعال مع الجمهور المستهدف وتسويق المنتجات والخدمات بلغات مختلفة.

- الترجمة الآلية:

تقدم التكنولوجيا الحديثة أدوات الترجمة الآلية التي تمكن من تحويل المحتوى من لغة إلى أخرى بشكل سريع وسهل. تساعد هذه الأدوات الشركات على تحويل مواقعها الإلكترونية والمحتوى التسويقي بسهولة للوصول إلى جمهور متعدد اللغات.

- تحليل البيانات والاستهداف الجغرافي

يمكن استخدام التكنولوجيا لتحليل البيانات وفهم سلوك العملاء واهتماماتهم بشكل أفضل. يمكن استخدام هذه المعلومات لتحديد الأسواق الهدف وتوجيه الجهود التسويقية بشكل أكثر فعالية لجذب الجمهور في اللغات المستهدفة.

الأدوات اللغوية المتاحة وكيفية استخدامها بشكل فعال:

- أدوات الترجمة الآلية

تتوفر العديد من أدوات الترجمة الآلية عبر الإنترنت مثل Google Translate وMicrosoft Translator وغيرها. يمكن استخدام هذه الأدوات لتحويل النصوص والمحتوى إلى لغات مختلفة. ومع ذلك، يجب مراقبة دقة الترجمة وضمان أنها لا تؤثر سلبًا على فهم الرسالة.

- منصات الاجتماعات والتعاون العالمي

يمكن استخدام منصات الاجتماعات الافتراضية مثل Zoom وMicrosoft Teams وSlack للتواصل والتعاون مع فرق العمل المتعددة اللغات بشكل فعال. تسهل هذه المنصات التواصل وتحقيق التنسيق بين أعضاء الفريق من خلفيات لغوية مختلفة.

- أدوات إدارة المحتوى متعددة اللغات

تتوفر أدوات إدارة المحتوى متعددة اللغات التي تسمح للشركات بإدارة وتحرير المحتوى بلغات مختلفة بسهولة. يمكن استخدام هذه الأدوات لتحديث المواقع الإلكترونية والمدونات بشكل منتظم لتلبية احتياجات الجمهور المتعدد اللغات.

٧. دراسة حالة

تُعد شركة أمازون (Amazon) أحدى كبرى الشركات التجارية الإلكترونية في العالم وتتمتع بنجاح عالمي. تقدم أمازون موقعها وخدماتها بالعديد من اللغات المختلفة، مما يسمح للعملاء من جميع أنحاء العالم بالتسوق والتفاعل بلغاتهم المفضلة. تعتمد أمازون أيضًا على الترجمة الآلية لتحويل المحتوى والإعلانات إلى لغات مختلفة.

شركة أمازون هي واحدة من كبرى وأنجح الشركات التجارية الإلكترونية في العالم، وقد نجحت في استخدام استراتيجيات متعددة اللغات بشكل فعال لتوسيع نطاق أعمالها وتحقيق نجاح عالمي. لنلقي نظرة على كيفية استخدام أمازون للاستراتيجيات المتعددة اللغات والفروق التي حققتها الشركة:[٢١]

١. توفير الموقع بلغات مختلفة:

أمازون توفر موقعها بالعديد من اللغات المختلفة لتحقيق تجربة تسوق محسّنة للعملاء في جميع أنحاء العالم. يمكن للمستخدمين تحويل الموقع إلى لغتهم المفضلة والتصفح والتسوق بسهولة. هذا يسمح لأمازون بالتواصل بفعالية مع الجمهور المتعدد اللغات وتقديم الخدمات والمنتجات بشكل محسن لكل فرد.

٢. الإعلان والتسويق متعدد اللغات:

تستخدم أمازون استراتيجية التسويق والإعلان متعدد اللغات للتواصل مع الجمهور المستهدف في أسواق مختلفة. تقدم الشركة الإعلانات والحملات التسويقية بلغات مختلفة للوصول إلى العملاء بشكل فعال وتحقيق تفاعل أفضل معهم. هذا يسمح لأمازون بإظهار التزامها تجاه تقديم تجربة تسوق محدّثة وشخصية لكل مجتمع.

٣. دعم عملاء متعدد اللغات:

تقدم أمازون خدمات دعم العملاء بالعديد من اللغات المختلفة. يمكن للعملاء التواصل مع فريق دعم العملاء بلغتهم المفضلة والحصول على المساعدة اللازمة. يساعد ذلك في تحسين تجربة العملاء وبناء علاقات طويلة الأمد معهم.

٤. التكيف مع الثقافات المحلية:

تقدم أمازون منتجات محلية وتكيف عروضها وخدماتها لتناسب الثقافات المحلية. تحاول الشركة فهم احتياجات العملاء في كل سوق وتقديم المنتجات المناسبة والحلول التي تتوافق مع تلك الثقافات.

٥. الترجمة والتعريب:

تعتمد أمازون على الترجمة والتعريب المهني للمحتوى والمواد التسويقية لضمان تقديمها بشكل دقيق وملائم في اللغات المستهدفة. تسهم هذه الخطوة في تحقيق فهم أفضل للمنتجات والخدمات التي تقدمها. [٢٢]

الفروق التي حققتها الشركة:

استخدام أمازون للاستراتيجيات المتعددة اللغات ساهم في تحقيق العديد من الفروق التنافسية:

- زيادة الوصول إلى الجمهور العالمي.
- تحسين تجربة العملاء وتعزيز الولاء للعلامة التجارية.
- توفير خدمات محسّنة ومتخصصة للمستخدمين في أسواق مختلفة.

- تحقيق نمو عالمي للشركة وتوسيع حصتها السوقية في أسواق متعددة.

باستخدام استراتيجيات متعددة اللغات، استطاعت أمازون الوصول إلى جمهور عالمي والتفاعل بفعالية معهم، مما أدى إلى تحقيق نجاح كبير ونمو مستدام في الأسواق المختلفة حول العالم. تُعتبر أمازون نموذجًا ملهمًا للشركات الأخرى لاستخدام استراتيجيات متعددة اللغات لتحقيق التوسع العالمي والنجاح في التسويق وريادة الأعمال.

٨. الاستنتاجات

- الاستراتيجيات متعددة اللغات أساسية للنجاح في السوق العالمية: أثبتت الشركات الناجحة مثل جوجل وأمازون أن استخدام استراتيجيات متعددة اللغات يعد أمرًا أساسيًا للنجاح في التسويق وريادة الأعمال عبر الحدود. تسهم هذه الاستراتيجيات في تحسين التواصل مع الجمهور المتنوع وزيادة الوصول إلى الأسواق المختلفة.
- التحديات اللغوية تتطلب حلولًا إبداعية: يواجه المسوقون ورواد الأعمال التحديات اللغوية في الأسواق المتعددة. يحتاجون إلى اعتماد حلول إبداعية مثل الترجمة المهنية واستخدام التكنولوجيا لتسهيل التواصل بشكل فعال مع الجمهور.
- الاحتياجات اللغوية للجمهور المستهدف أمر بالغ الأهمية: يجب على الشركات الاهتمام بفهم الاحتياجات اللغوية للجمهور المستهدف وتقديم المحتوى والخدمات بلغات ملائمة لهم. هذا يساهم في تحسين تجربة العملاء وزيادة الولاء للعلامة التجارية.

٩. التوصيات

- دراسة تأثير الترجمة الآلية على فهم الرسائل التسويقية: ينصح الباحثون بدراسة تأثير استخدام الترجمة الآلية في التسويق على فهم الرسائل التسويقية واستجابة العملاء. يمكن أن توفر هذه الدراسات نظرة أفضل حول فعالية هذه الأدوات ومدى تأثيرها على التواصل اللغوي.
- دراسة استخدام التكنولوجيا الرقمية في التسويق الدولي: يمكن أن تكون دراسات حول كيفية استخدام التكنولوجيا الرقمية في التسويق الدولي ذات أهمية كبيرة. يمكن للباحثين دراسة أفضل الأدوات والممارسات في هذا الصدد وتقديم توصيات لتحسين استخدام التكنولوجيا في التسويق عبر الحدود.
- تحليل تأثير التواصل مع الجمهور بلغاتهم الأم: ينصح الباحثون بتحليل تأثير التواصل مع الجمهور بلغاتهم الأم على مستوى الارتباط والانخراط مع المحتوى التسويقي والعلامة التجارية. يمكن أن تساهم هذه الدراسات في فهم أفضل لتأثير الثقافة واللغة على سلوك المستهلكين.
- دراسة تأثير التكيف مع الثقافات المحلية على النجاح الدولي: يمكن أن تقدم دراسات حول كيفية تكيف الشركات مع الثقافات المحلية وتأثير ذلك على نجاحها في الأسواق العالمية. تساهم هذه الدراسات في تحديد أفضل الممارسات لتحقيق التفوق التنافسي عبر الحدود.

١٠. الخاتمه

يمكن القول إن استراتيجيات التسويق وريادة الأعمال متعددة اللغات تعد أمرًا حيويًا للشركات ورواد الأعمال في العصر الحديث. يتطلب السوق العالمي المتنوع تفاعلًا فعّالًا مع الجمهور المتعدد الثقافات واللغات. يساهم استخدام اللغات المتعددة في تحسين تجربة العملاء وتوفير خدمات متميزة وتحقيق النجاح العالمي.

على الرغم من التحديات اللغوية والثقافية، يمكن للشركات الاستفادة من التكنولوجيا والأدوات اللغوية الحديثة لتحقيق التواصل الفعال وبناء علاقات قوية مع الجمهور المستهدف. من خلال فهم الاحتياجات اللغوية للجمهور وتحسين العرض التسويقي والابتكار في الاستراتيجيات، يمكن للشركات تحقيق النمو والتفوق في السوق العالمية المتنوعة.

ننصح الباحثين المستقبليين بمواصلة دراسة أثر اللغات والترجمة في المجالات التسويقية وريادة الأعمال. يمكن أن تساهم الدراسات المستقبلية في تطوير أفضل الممارسات والحلول الإبداعية لتحقيق التواصل المؤثر والنجاح الدولي في عالم متنوع ومتغير باستمرار.

المراجع

[١]. حمزة, & مي إبراهيم. (٢٠١٩). أساليب التسويق الإلكتروني لدور النشر المصرية. المجلة المصرية لبحوث الرأى العام, ١٨(٤), ٥٥٩-٦٠٤.

[٢]. محمد الغامدي, ع. (٢٠٢٠). تعليم ريادة الأعمال لمرحلة قبل التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية. المجلة التربوية لتعليم الكبار, ٢(١), ٢٣٧-٢٧٨.

[٣].Baltes, L. P. (٢٠١٥). Content marketing-the fundamental tool of digital marketing. Bulletin of the Transilvania University of Brasov. Series V: Economic Sciences, ١١١-١١٨.

[٤].Thitthongkam, T., Walsh, J., & Bunchapattanasakda, C. (٢٠١١). The roles of foreign language in business administration. Journal of Management research, ٣(١), ١.

[٥].Alareeni, B., Hamdan, A., Hamdan, R., & Shoaib, H. M. (٢٠٢٢). Marketing and entrepreneurship: challenges and opportunities. Journal of Strategic Marketing

[٦].De Costa, P., Park, J., & Wee, L. (٢٠١٦). Language learning as linguistic entrepreneurship: Implications for language education. The Asia-Pacific Education Researcher

[٧].Khosrow-Pour, D. B. A. (Ed.). (٢٠١٩). Breaking Down Language and Cultural Barriers Through Contemporary Global Marketing Strategies. IGI Global.

[٨].Sussulini, L., & Tiscornia, D. (٢٠٢٠). Translating Digital Marketing and E-commerce: New Challenges for a Globalized World. In Translation and Global Spaces of Power (pp. ٢١١-٢٣٠). Palgrave Macmillan, Cham.

[٩].Yulianti, L. M., & Abdullah, M. (٢٠٢١). Cultural Sensitivity in Global Marketing Strategy: Challenges and Solutions. Journal of Intercultural Management, ١٣(١), ٧٧-٩٤.

[١٠]. Choi, Y., & Lin, C. A. (٢٠٢٠). Engaging Global Customers through Multilingual Social Media Communication. International Journal of Hospitality Management, ٨٨, ١٠٢٥٢٩.

[١١]. Cernea, D., & Holzmüller, H. H. (٢٠٢٠). Managing Multilingual Marketing Content: A Comprehensive Model for Content Creation and Translation. Journal of International Marketing, ٢٨(٣), ٤٢-٦٣.

[۱۲]. Pan, Y., & Hackley, C. (۲۰۱٤). Language and Image in the Age of Globalization: The Case of Advertising in China. International Journal of Advertising, ۳۳(۳), ٥۷۹-٦۰٥.
[۱۳]. Liao, S. S., & Chou, T. C. (۲۰۱٦). Multilingual Branding: The Challenges and Opportunities of Multilingual Content Marketing. Journal of Promotion Management, ۲۲(۱), ٤٥-٦٤.
[۱٤]. Usunier, J. C., Lee, J. A., & Lee, J. (۲۰۰٥). Marketing across cultures. Pearson Education.
[۱٥]. Gustafsson, A., Kristensson, P., & Witell, L. (۲۰۱۲). Customer co- creation in service innovation: a matter of communication?. Journal of service management, ۲۳(۳), ۳۱۱-۳۲۷.
[۱٦]. Álvarez-Carmona, M. A., Cuadrado-García, M., & Dafonte-Gómez, A. (۲۰۲۰). Translation in Digital Marketing Communication: An Exploratory Study of Multinational Companies. Languages, ٥(۳), ۳٦.
[۱۷]. Seraj, Z. M. (۲۰۱۲). Impact of Advertising Creativity on Sales Effectiveness: A Study of Automobile Sector in Pakistan. Interdisciplinary Journal of Contemporary Research in Business, ٤(۹), ٥۲۸-٥۳۸.
[۱۸]. Huang, L., & Kandampully, J. (۲۰۱۹). The Impact of Language on Service Experience in an Emerging Market: The Moderating Role of Language Congruity. Journal of Business Research, ۱۰٤, ٤۹٥-٥۰٦
[۱۹]. Cherian, J., & Jacob, J. (۲۰۱۹). Role of Cultural Congruence in Advertisements and Language Translation: A Study of Multinational Brands in India. Indian Journal of Marketing, ٤۹(۱۰), ۷-۱۸.
[۲۰]. Pellegrini, M. M., & Ciappei, C. (۲۰۱۸). Linguistic Diversity and Entrepreneurial Internationalization. Journal of Business Research, ۸٥, ۳۸۱-۳۹۰.
[۲۱]. Johnsen, M. (۲۰۱۷). Multilingual Digital Marketing: Managing for Excellence in Online Marketing. Maria Johnsen.
[۲۲]. Zhang, B., Walter, S., Birari, S. C., & Eren, O. (۲۰۲۳). Brand consistency for multilingual e-commerce machine translation.

سورة الكوثر -دِراسة أسلوبية تطبيقيّة-

د. ايمان غازي احمد محمد الناصر،
قسم اللغة العربية، كلية الاداب، جامعة البصرة، العراق

الملخص

شغلت الدراسات الأسلوبية مكانة مهمة في عالم اللسانيات الحديثة، بل تربعت الدراسة الأسلوبية على عرش الدراسات اللغوية في الوقت الراهن وذلك عندما تخطت النظريات السابقة لها، نحو النظرية البنيوية والنظرية التوليدية التحويلية و ... فهي تعنى بفن التعبير في الكلام الأدبي وتبحث عن الجمال في القصد والتعبير. فقد خصص البحث باستقراء كل من مفهومي الأسلوب والأسلوبية في اللغة والاصطلاح مع بيان المقاربات والتباينات بينهما، ومن ثم الاشارة الى رؤية القدماء لمفهوم الأسلوب، كما عرج البحث بشكل اجمالي الى رؤية المحدثين من العرب وغير العرب لهذا المفهوم. تناول هذا المبحث الأسلوبية الصوتية في سورة الكوثر، من قبيل الموسيقى الداخلية والتنغيم والتكرار. ثم تمَّ التركيز في هذا البحث على الأسلوبية النحوية ، أي المنحى الأسلوبي في الظواهر النحوية – التركيبية الواردة في سورة الكوثر. و في النهاية قامنا بدراسة المستوى الدلالي لهذا البحث من خلال تحليل السمات الدلالية في سورة الكوثر، من قبيل دلالات كل من أسلوب التقديم والتأخير وأسلوب الحذف وأسلوب التوكيد ونحو ذلك.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، الأسلوبية، سورة الكوثر، الأصوات، النحو، الدلالة.

المقدمة

منذ أن نزل القرآن الكريم أصبحت اللغة العربية في أعالي درجات الإعجاز، وأصبح فهم النص القرآني أمراً مقدساً لا يُستهان به ، وهذا الفهم لا يتحقق إلاّ بفهم العربية نفسها، الأمر الذي أدى الى حفظها واستقرارها، وكان لنزول القرآن بالعربية سببا وجيها بالغ الأثر في صونها من الضياع والنسيان وتثبيت القواعد والبنيان الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، فهي استقرت خدمة للقرآن الكريم، وتقربا لفهمه، وصونا للسان العربي من اللحن والخطأ، من هنا استقر الرأي للبحث في مجال لغوي- لساني في رحاب المقدس القرآني، فكان الأمر قد وقع وقعه في اختيار سورة الكوثر ودراستها دراسة أسلوبية، لسببين اثنين:-

الأول: أنَّها من السور القصار، مما يسهل الدراسة في ميدان الأسلوبية التطبيقية.

ثانياً: أنَّ سورة الكوثر من السور المكية، ذات خصائص تمس الدراسة الأسلوبية بالمستويات الصوتية، والتركيبية، والدلالية، فهي على قصرها تحتوي أساليب ومضامين وعبر تغني موضوع الدراسة الأسلوبية.

استوى البحث الذي عُنيَّ بالدراسة الأسلوبية التطبيقية على سوقه على النحو الآتي:-

-التمهيد: وقد بُنيَّ على استقراء المفاهيم الأساسية لكل من الأسلوب والأسلوبية، والتصدي لبيان المقاربات والفروقات بينهما.

-المبحث الأول: تناول الأسلوبية الصوتية، وتضمن بعض جوانب المستوى الصوتي، التي شكلت ميزة أسلوبية في سورة الكوثر في الجواني : التكرار، والتنغيم، والإيقاع.

-المبحث الثاني: وعنوانه الأسلوبية النحوية، وفيه بعض المظاهر التركيبية – النحوية التي وردت في سورة الكوثر، منها: الحذف ، والإضمار، والنسق الجملي.

-المبحث الثالث: وقد اختص بالأسلوبية الدلالية التي تمثلت بدراسة جوانب المستوى الدلالي، واختار البحث نموذجين منها – حسب ورودهما في ثنايا سورة الكوثر المباركة ، وهما : الدلالة التضمينية، والدلالة الإيحائيّة.

ـ الخاتمة : سجل فيها البحث أهم ما توصل اليه من نتائج وملاحظات.

التمهيد

بين الأسلوب والأسلوبية: مقاربات ومفارقات

أولاً: الأسلوب

في المنظور اللغوي يرد الأسلوب بمعانٍ عدة، أجملها ابن منظور(ت٩١١هـ) بقوله:((يقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، ويُجمع على أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه))(١).

وفي المنظور الاصطلاحي :((هو فن من الكلام يكون قصصاً أو حواراً، تشبيهاً أو مجازاً أو كناية، تقريراً أو حكماً أو مثالاً، فإذا صح الاستنباط كان للأسلوب معنى أوسع إذ يتجاوز هذا العنصر اللفظي فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للأقناع أو التأثير))(٢) ،ورأى بيير جيرو الأسلوب بأنَّه: ((طريقة في الكتابة، وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية))(٣).

وقد نشأتَ وتبلورت اتجاهات عدة في علم الأسلوب، فهو يمثل فنون القول المختلفة، إذ يتمثل في طريقة التعبير عن الأشياء، فهو يدرس العلاقة بين الصيغ والأفكار، وهو بذلك مما يقابل بلاغة القدماء، فهو عمل فردي يحاكي تفكير الكاتب/المبدع(٤)، وقد ارتبط الأسلوب ارتباطاً وثيقاً بالدراسات اللغوية الحديثة، بدأً بما قام به العالم السويسري دي سوسير، حيث أفصح عن الفرق بين اللغة والكلام، فإذا كانت الدراسات اللغوية تركز على اللغة، فإنَّ علم الأسلوب يركز على استعمال اللغة(الكلام) وادائها، فالكاتب يوظف اللغة على أساس على عامل الانتقاء والاختيار، فيركب جمله ويؤلف نصه بالطريقة التي يراها مناسبة(٥).

إنَّ الاسلوب في النصوص الابداعية والفنية يحتوي على ظاهرتين، الأولى: الظاهرة اللفظية، والأخرى الظاهرة المعنوية معنوية، الظاهرة اللفظية تتخصص بالكلمات والجمل والعبارات ،أما الظاهرة المعنوية فهي تتألف في فكر الكاتب، لذلك يشمل مختلف الفنون، ويعني هذا أنَّ الأسلوب في بنائه الأول معنوي قبل أن يكون لفظياً، فهو يتكّون في العقل والفكر قبل أن ينطق به اللسان أو يكتب به القلم(٦).

ثانياً : الأسلوبية

لم يظهر مصطلح الأسلوبية إلا في بداية القرن العشرين مع ظهور اللسانيات الحديثة، التي تتخذ من الأسلوب علما مستقلاً يدرس العمل الأدبي لذاته بعيدا عن العلوم الأخرى، ويوظفها في خدمة التحليل الأدبي(٧)،وقد عُرفت الأسلوبية بتخصصها بتحليل تفصيلات الأساليب الأدبية، حيث تسلط ضوئها على الاختيارات اللغوية التي ينتقيها الكاتب أو مبدع النص، للكشف عن جمالية النصوص في ضوء السياقات الأدبية وغير الأدبية(٨)، ومع هذا اختلفت منطلقات الدارسين في تعريفهم الأسلوبية، انطلاقا من تباين وجهات نظرهم، فقال بعضهم أنَّ الأسلوبية تتمثل في((البحث عن الأسس الموضوعية لإرساءعلم الأسلوب))(٩)، وأرسى بعضهم تعريفه للأسلوبية بوصفها ((طريقة في تحليل شكل النص مع الافادة من معطيات علم اللغة– اللسانيات))(١٠)، ورآها بعضهم((أنّها نوع من الحوار الدائم بين القارئ والكاتب من خلال نص معين))(١١)، وعرفها جاكوبسن بأنَّها((بحث عمّا يتميز به الكلام الفني عن باقي مستويات الخطاب أولا، وعن أصناف الفنون الإنسانية

ثانيا))(١٢)، وقاربها بعضهم بالبلاغة، فقال أنَّها ((بلاغةحديثة ذات شكل مضاعف))(١٣)، وفصل آخر في تعريفها بأنَّها ((مجموعة من الطرق المتميزة التي لا ترى الأسلوب إلا من خلال مظاهر خاصة، وهي دراسة العلاقات بين الشكل وبين مجموع الأسباب الإخبارية))(١٤)، ويمكن أن تكون((دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي))(١٥).

وهكذا تكون الأسلوبية في أبسط معانيها وتوجهاتها مختصة بالدراسة الأدبية للأسلوب، وبهذا يكون الأسلوب ميداناً خصباً لها ، إذ تحلل ما يتفرد به الأسلوب في الكشف عن خصائصه المميزة بالاعتماد على جملة من الأدوات الإجرائية في تحديد الظواهر الأسلوبية(١٦)، لذلك تُعدّ اللغة الأداة الأولى التي تعتمد عليها الأسلوبية في تحليل معظم النصوص الأدبية الإبداعية، والكشف عن مظاهر الجمال فيها، وعلى الرغم من وجود علاقات قوية ومتينة بين علمَ اللغة والأسلوبية إلّا أنَّ هناك اختلافات ملموسة بينهما من حيث مادة الدراسة وهدفها، فعلم اللغة يهتم بدراسة اللغة القواعدية واللغة المنطوقة، بوصفهما أداةً للتواصل بين المتكلمين، بينما الأسلوبية تتعدى اللغة المجتمعية إلى الأنماط اللغوية الفردية المتميزة بما فيها من انحرافات لغوية لافتة ومبهرة على المستوى الفردي(١٧).

ومع كل ذلك فإنَّ الأسلوبية لم يحسم أمرها عند الدارسين لسبب واضح؛ وهو أنّها نشأت مرتبطة بالدراسات اللغوية، ثمّ استفاد منها النقاد في دراسة النصّوص وتحليلها، وبناء على ذلك فإنّ الأسلوبية تجمع بين المنهج العلمي في دراسة اللغة، والمنهج النقدي في دراسة النصّ الأدبي، أي أنَّها تجمع بين العلم والمنهج، وبهذا يكونَ الأسلوب طريقة الكاتب في تشكيل المادة اللغوية، أما الأسلوبية فهي منهج نقدي حديث يتناول أساليب النصوص الأدبية بالدراسة وتحليل الظواهر اللغوية فيها لكشف المظاهر الجمالية وتقصيها في هذه النصوص، وتقيّم لغة مبدعها وأسلوبه بتسليط الضوء على الميزات الأسلوبية لصاحب الأسلوب(١٨).

وإذا كانت أهمّ سمات المنهج الأسلوبي:((استكشاف العلاقات اللغوية القائمة في النص، والظواهر المميزة التي تشكل سمات خاصة فيه، ثمّ محاولة التعرّف على العلاقات القائمة بينها وبين شخصية الكاتب الذي يشكل مادته اللغوية وفق أحاسيسه ومشاعره التي تجعله يلحّ على أساليب معينة ويستخدم صيغاً لغوية تشكل في مجملها ظواهر أسلوبية لها دلالتها في النصّ الأدبي))(١٩)، فإنَّ أولى اهتمامات الأسلوبية الجانب الجمالي والعاطفي للظاهرة اللغوية، إذ تسعى إلى تتبع الكثافة الشعورية التي تميّز النص الأدبي، فالأسلوبية تدرس((وقائع التعبير في اللغة المنظمة من ناحية محتواها العاطفي،أي التعبير عن وقائع الإحساس عبر اللغة، وفعل اللغة في الإحساس))(٢٠)، ويحسن التنويه ههنا الى أنَّه يجب ملاحظة الفرق بين المشتغل على الأسلوب والمشتغل على الأسلوبية، فإذا قام الباحث أو الدارس بتحليل النص دون التطرق الى جمالياته، فإنه يبحث في الأسلوب فقط، وليس معنياً بالأسلوبية، لأنَّ مصطلح الأسلوب يتمحور حول تحليل النص وتحديد أساليبه، بينما تتجاوز الأسلوبية هذا النص المحلل وتنتقل إلى النقد بتوظيف منهجيات تجمع بين التعبير والنقد والجمال الأدبي(٢١).

المبحث الأول: الأسلوبية الصوتية

مدخل

من الثابت اهتمام العرب منذ نشأة اللغة بموسيقى الألفاظ نظماً ونثراً، لأنَّ بنية اللغة – خاصة الأدبية والبلاغية– اتسمت بالتلاؤم الصوتي(٢٢)، ولأنَّ الصوت متعلق بالمعنى، كما أنَّ القوة التعبيرية للكلمة المفردة تتأتى من معناها ومن طبيعة تشكلها الصوتي(٢٣). لذا ظهرت بواكير الأسلوبية الصوتية بوصفها فرعا من علم الأسلوبيّة تختصّ بالكشف عن جمالية المنحى الصوتي في النصوص الأدبية، ليساعد هذا التوظيف الصوتي على كشف جمالية الصور، خاصة عند تجسيد الخيال، كما في التكرار على مستوى الأصوات المفردة، وعلى مستوى السياق الصوتي التنغيم والموسيقى الداخلية(٢٤)، وتعتمد الأسلوبية

الصوتية على مفهوم المتغيرات التي تَطال الأصوات بمقدار ما يكون للغة حرية التصرف ببعض العناصر الصوتية في السلسلة الكلامية(٢٥) ((ونظرا لكون الصوت هو الصورة المنطوقة للرمز المكتوب ولتلازم العلاقة بين الجانبين فقد تؤدي وسائل الكتابة والخط وطرقهما وظائف أسلوبية تأخذ شكل التنبيه والإثارة والتنظيم))(٢٦) وتجسدت الأسلوبية الصوتية في سورة الكوثر بما يأتي:-

أولا: التنغيم

التنغيم لغةً: لفظ مشتق من النغمة التي يعبر بها عن((جرس الكلام وحسن الصوت من القراءة))(٢٧)، والنغمة صوت ((قد نغمتُ أنغَم وأنغِم نغماً، وهو الكلام الخفي))(٢٨)، ومن ذلك((تنغم الإنسان بالغناء ونحوه))(٢٩)، إذن ((النغمة: الكلام الحسن، وفلان حسن النغمة، اذا كان حسن الصوت في القراءة))(٣٠)، والتنغيم اصطلاحاً هو:((موسيقى الكلام، فالكلام عند القائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن الموسيقى الا في درجة التواؤم والتوافق بين النغمات الداخلية التي تصنع كلا متناغما للوحدات والجنبات))(٣١).

ويُعد التنغيم مصطلحا صوتيا لسانيا يختص بدراسة مستوى الأداء في الكلام المنطوق فحسب(٣٢)، وفي ضوء ذلك لا تكاد اللغة- أية لغة - تخلو من التباين في نغمات الكلام وتقلباته سواء ارتفاعا وصعوداً أم هبوطا ونزولاً، وهذا يعني أنَّ الكلام في طبيعته ((لا يجري على طبقة صوتية واحدة، بل يرتفع الصوت عند بعض مقاطع الكلام أكثر مما يرتفع عند غيره، وذلك ما يعرف باسم التنغيم))(٣٣)، ولا شك أنَّ لكل لغة لها تنغيمها الخاص بها التي تتميز بها عن غيرها من اللغات، وقد تميزت العربية بأنَّها لغة تنغيمية من الطراز الأول(٣٤).

كما يُعد التنغيم((قيمة خلافية وسمة تمييزية، لاتقف عند الأداء اللغوي فقط، وإنما تتعداه الى التحكم القصدي الظاهر في صبغة الأداء بنغم معين، يلائم الغرض الذي سبق الكلام من أجله، ومن هنا نرى أنَّ التنغيم هو أداة تحليلية يتعدى الجملة بوصفها نظاماً الى الخطاب بوصفه محوراً دلالياً متحكماً لا يمكن الوصول الى ماهيتهُ عن طريق النظام اللغوي وحده، بل لا بد من دخول عناصر المقام بتفرعاتها المختلفة من أجل الكشف عن مستويات التنغيم، ومما يمكن أن نستدل به عن التحولات الأسلوبية بين الخبر والإنشاء))(٣٥).

إذن تكمن أهمية ظاهرة التنغيم بوصفها ظاهرة صوتية تساند تحديد المعنى الدقيق؛ لأنَّ تغير التنغيم قد يتبعه تغيير في المعنى والدلالة معا، مثال ذلك سورة الكوثر حيث قوله تعالى:(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ! فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ !إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)(٣٦)، في هذا النص القرآني تتباين التنغيمات، فتارة يجتاح مسامع المتلقي تنغيم هادئ، وتارة يتلقاه تنغيما قويا، والآية فيها تسلية واطمئنان من المولى عزَّ وجلَّ إلى نبيه محمد(ص) حين كذبه قومه وعيروه بأنَّه منقطع النسل، فالنصّ الأول ورد بتنغيم يكاد يكون هادئا:(إِنَّا أَعَطيناكَ الكُوثرَ)ثم يبلغ التنغيم أقصاه مع اجتماع الكلمات القوية في قوله تعالى:(إنَّ شانئك هو الأبتر)(٣٧)، فالنبرة علت مع التقرير والإخبار المرفق بالتوكيد بـ(إنَّ) والمعنى: ((أنَّ مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأذل المنقطع ذكره))(٣٨).

ثانيا: الإيقاع

الإيقاع كلمة تستعمل كثيرا في مجال الموسيقى والشعر، ومعناها اللغوي((من إيقاع اللّحن والغناء، وهو أنْ يوقع الألحان ويبينها))(٣٩)، ويقرن ابن منظور الايقاع((بالغناء والألحان، لما للغناء واللّحن من علاقة وثيقة بالشعر))(٤٠)، ولكن هذا لا ينفي أنَّ الايقاع مسلوب عن النثر، بل العكس صحيح أيضاً، لأنَّ الايقاع ((هو انسجام الصورة مع الصوت الذي يحدث في النفس اهتزازا وشعورا بالمتعة، هذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدية بين الصوت والصورة، فالجذب من قبل النظر

للصورة يقابله الوقع في السمع من قبل الكلمة، ونقطة التقاطع بينهما هي إحداث الأثر في النفس والإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع ويصيران كلا واحدا))(٤١).

هذا التحديد لمصطلح الايقاع تعمه البساطة والوضوح، ولا يختلف كثيرا عن رأي محمود المسعدي الذي عدَّ الإيقاع ((صيغة معينة من النظم يصوغها صانع الإيقاع بعملية أساسها هيكلة وهندسة تتألف وفقها عناصره المادية في هيئة متماسكة تتعلق أجزاؤها بعضها ببعض، وبعضها بالكل))(٤٢).وعند محمد العياشي الايقاع مقترن بالتتابع الناتج عن المعاودة والتنظيم، إذ يقول عنه :((هو ما توحي به حركة الفَرس في سيرِه وعدوِه، وخطوة الناقة، وما شاكل ذلك، لخضوع تلك الحركة في سيرها إلى مبادئ لا تفريط فيها هي: النسبية في الكميات، والتناسب في الكيفيات والنظام، والمعاودة الدورية، وتلك هي لوازم الإيقاع))(٤٣).

يتأسس الإيقاع استناداً الى لوازمه، ومنها: الحركة، والتناسب، والنظام، والمعاودة، فالإيقاع متصل بالحركة غير منفصل عنها، لأنَّها منتظمة وليست عبثية أو عشوائية، وهناك التناسب المعني بتحقيق علاقة توافقية بين أمرين متناسقين في الحركة والزمان، أما النظام فهو الترتيب مع التناسق، الذي يتعزز بالمعاودة والتكرار لكي يتحقّق الإيقاع(٤٤)، والخلاصة أنَّ((الإيقاع نظام معين يتوفر في كل الفنون مع اختلاف في درجة اهمية الإيقاع من فن إلى فن آخر))(٤٥)، فهو يكسو الفنون الكفاءة الجمالية، ويكسب المتلقي التأثير والاحساس بالمتعة الفنية الأخاذة(٤٦)، والايقاع في سورة الكوثر متأتٍ من الموسيقى الداخلية التي تسللت في نصوص السورة المفعمة بالحركة والنظام من التوافق اللفظي والترابط المعنوي بين فقراتها، فتساوت آياتها وترتيبها وانتظامها على فاصلة واحدة صوت (الراء)فعزز من إيقاع السورة :-

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ

ثالثا: التكرار

في اللغة ((الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمع وترديد، من ذلك كررتُ وذلك رجوعك اليه بعد المرة الأولى، فهو الترديد... والكَرّ: حبل سُميَّ بذلك لتجمع قواه... والكركرة الجماعة من الناس))(٤٧)، وفي الاصطلاح:((هو إعادة اللّفظ نفسه في سياق واحد))(٤٧٨)، والتكرار أسلوب من أساليب العربية الذي ورد بكثافة في القرآن الكريم ليحقّق أغراضا تثري المعنى، فالتكرار ظاهرة بلاغية غايتها الابداع والامتاع(٤٩)، وسبق أن تنبه ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ) الى أنّ تكرار القصص في القرآن الكريم هدفه تجديد الموعظة وتنبيه الغافلين؛ عندما كانت وفود العرب ترِد على النبي(ص)فيقرئهم سورا من القرآن، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، ولو لم تكن القصص مكررة لوقعت قصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم آخرين، وقصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم(٥٠).

وقد قسم الخطابي(ت٣٨٨هـ) التكرار إلى قسمين: ممدوح ومذموم، فأما الممدوح فيشترط فيه الحاجة إليه، وأن يضم زيادة في المعنى، وأن يكون المكرر مما يُعتنى به لأهميته، أما المذموم فهو مما يُستغنى عنه في الكلام؛ لخلوه من الفائدة، وقد خلا القرآن الكريم منه، ونوه الى فوائد وغايات التكرار، منها: هو أحد أساليب الفصاحة والبيان لإبرازه الكلام الواحد في أساليب وفنون مختلفة، فضلا عن أنَّ تكرار القصة الواحدة في مواضع مختلفة حجة تثبت أنَّ فصحاء العرب يعجزون عن مجاراة أسلوب القرآن أو الإتيان بمثله، كما أنَّ تكرار القصة فيه زيادة في المعنى، نحو ذكر الحية في عصا موسى(ع)، وورودها في موضع آخر ثعبانا، فالمعنى المستفاد من ذلك هو اختلاف اللفظين وتباينهما في المعنى، فليست كلُّ حية ثعبانا(٥١)، واختصر الزمخشري(ت٥٣٨هـ) فائدة التكرار بقوله:((فائدته أنْ يجددوا عند استماع كلّ نبا منها اتعاظا وتنبيها، وأنّ كلا من تلك

الأنباء مستحق لاعتبار يختص به))(٥٢)، يُفهم مما سبق أنَّ التكرار المستقبح يُستغنى عنه؛ لأنَّه غير مستفاد به فلا يعلو به الكلام وليس في القرآن مورد منه، لأنه يُعدّ حشوا من القول(٥٣).

ولا شك أنَّ للتكرار دورا مهما في تحقيق انسجام وحدة النصوص، خاصة على مستوى الإيقاع، وكلام المولى عز وجلّ حافل بالمكررات ذات الدلالات والإيحاءات، وعادة ما يكون هذا التكرار على شاكلة ألحان عذبة مطّردة الإيقاع قوية التنظيم، تقرع الآذان وتحرك القلوب، فهو تكرار مقصود وجميل يقرع الأسماع، فعندما يكرر القرآن أمرا فلحكمة ولتحقيق هدف بلاغي أو واعز ديني، أو ليضيف في كل موضع معنى أو معلومة أو فكرة تناسب السياق(٥٤).

وقد حظيت سورة الكوثر بسلسلة من المكررات، منها تكرار الصوت الواحد، كما في تكرار صوت(الراء)في ثلاثة مواضع،هي:(الكوثر) و(انحر)و(الأبتر) الذي شكل متوالية صوتية عززت من ايقاع الكلمات ومنح النصوص جمالية الوقع الموسيقي ،فضلا عن أنَّ صوت(الراء) مثّل بدوره فاصلة قرآنية تنبئ عن نهاية نص وبداية آخر، وكما في تكرار صوت (الكاف) في ثلاثة مواضع أيضا في قوله تعالى(اعطيناك) و(الكوثر) و(لربك)، وكذلك الحال في تكرار ومعاودة صوت(النون)الذي تكرر ثلاث مرات في المواضع: (إنَّا) و(أعطيناك) و(انحر)، هذه السلاسل الصوتية عززت الآثار الجمالية في سورة الكوثر، إذ يُرصد منها الايقاعات الجميلة ذات الوقع المحبب الى أُذن السامع والمؤثر في وجدانه.

المبحث الثاني: الأسلوبية النحوية

مدخل

يُقصد بالأسلوبية التركيبية اختبار المحلل الأسلوبي القيم التعبيرية للتراكيب النحوية لبيان مدى دقتها في التعبير عن المعاني والدلالات، عبر تقصي مواقع الكلمات وترتيبها وتنظيمها، والكشف عن مواقع النفي والاثبات، والإخبار والإنشاء وتنظيم علاقات التراكيب داخل النص الأدبي(٥٥)، لذا فهي تقوم على مجموعة من العلاقات المنتظمة في بنية التركيب النحوي، سواء أكانت وحدات معنوية صغرى، تبنى على(علاقات توزيعية)، أم على وحدات كبرى تُبنى على(علاقات الانسجام)عبر التماسك المعنوي بين الجمل، فهي تتخذ من النص مركزاً لتحليل القيم التعبيرية ورصد التركيب وحركته ومتغيراته، ويتم هذا في ضوء اختيارات المتكلم لأدواته التعبيرية المحصنة برصيده المعجمي للغة، ليتم تركيبه تركيبا ينتهج قوانين النحو، مع السماح له بفسحة من العدول والانحراف والتصرف في التراكيب لمقتضيات سياقية- جمالية(٥٦).

إذن تستند دراسة النص في ضوء الأسلوبية التركيبية الى البحث عن القيم التعبيرية ذات السمات الأسلوبية المتميزة وتحليلها لإظهار آثارها الجمالية، فالتركيب النحوي قد يفقد سماته الأسلوبية عندما يفقد قيمه التعبيرية(٥٧) ((لذلك يجب أنْ تُبحث التراكيب ضمن السياق العام للقواعد النحوية))(٥٨)، وفي ضوء الاحتمالات النحوية المتاحة للمتكلم ينتج عن ذلك أنماط تركيبية مختلفة التي ترتبط بالسياق وتدل عليه، وعادة ما يتميز ويتفاضل مبدع عن آخر بقدرته على الاختيار لبعض الامكانات التعبيرية دون الأخرى، فالجمل في نهاية المطاف ليست خيوطاً متراصة ومتشابكة من الكلمات المتتالية من غير معنى يربط هيكلة الكلمات فيها(٥٩).

إنَّ كل وحدة تركيبة لا بد أن تؤدي وظائفها النحوية، بيد أنَّه لا يعني انتماؤها الى الأسلوبية التركيبية؛ لأنَّ التعبير المألوف العادي في التركيب النحوي يخلو من أي مسلك أسلوبي أو قيمة أسلوبية، وهو ما يمثله الوضع الأول للتركيب، الذي تخضع فيه الكلمات المترابطة الى القواعد النحوية وثوابتها، في حين أنَّ التعبير الذي يُبنى على أُسس المتغيرات الأسلوبية الخارجة عن القواعدية المعيارية، كما في تغيير مواقع الكلمات في بنية التركيب النحوي، أو استبدال صيغة بأخرى، أو في الخروج عن

الأساليب المألوفة والمكررة فإنَّه يكون ضامن للسمات الأسلوبية ذات القيم التعبيرية التي تميز تركيب عن آخر(٦٠)، وقد تركزت السمات الأسلوبية التركيبية في سورة الكوثر في الزوايا الآتية:-

أولا: أسلوب الحذف

معنى الحذف في اللغة الاسقاط والقطع، و((حذف الشيء إسقاطهُ... وحذفت رأسه بالسيف: إذا ضربته فقطعت منه قطعة))(٦١)، وجاء في القاموس المحيط:((حَذفه يَحْذِفُه: أسقطَه، ومِنْ شَعْرِهِ: أخذه))(٦٢)، وفي اللسان ((حَذّفَ الشّيءَ يَحْذِفه حَذفا: قطعه من طرفه، والحجام يحذف الشعر من ذلك، والحذافة ما حُذف من شيء فطُرِحَ، وأذُنٌ حَذّفاءُ كأنها حذفت أي قطعت))(٦٣)، وقال التهانوي((الحذف، بالفتح وسكون الدال المعجمة في اللغة هو الإسقاط))(٦٤)، وفي الاصطلاح هو((إسقاط كلمة والاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال وفحوى الكلام))(٦٥)، أو((هو إسقاط جزء من الكلام لدليل))(٦٦) وأكثر تفصيلا هو:((إسقاط خاص، والأنسب باصطلاح النحاة وأهل المعاني والبيان: أنَّه إسقاط حركة أو كلمة أو أكثر أو أقل...ويكثر في جواب الاستفهام، ومنه حذف الفعل وحده أو مع مضمر مرفوع أو منصوب أو معهما، ومنه حذف الكلام في الجملة))(٦٧)، واختصر بعضهم تعريفه بقوله:(والحذف إسقاط الشيء لفظاً ومعنى)(٦٨)، وهناك من عرفه بأنَّه((ترك ذكره في اللفظ والنية لاستقلال الكلام بدونه، كقولك: أعطيت زيدا، يقتصر على المفعول الأول ويحذف الثاني))(٦٩)، ويبدو أنَّ المتكلم عندما يحذف، فهو لا يلتفت وغير مبالٍ إلى تقدير ذلك المحذوف في ذهنه، لأنّه ليس له أثر في الكلام، فعبارة(الحذف)تشعر بالإسقاط والطرح والرمي، مما يعني أنَّ المتكلم ليس بحاجة الى المحذوف لفظا ومعنى، لأنَّه يستند إلى الكفاءة اللغوية عند المتلقي(٧٠).

وفي علوم البلاغة((هو صورة بناء تقتضي إضمار دال أو دالات على المحور النظمي، ويلجأ المتلقي لتعويض النقص وفهم المراسلة اللغوية بطريقة عفوية أو إرادية إلى كفايته اللغوية وإلى سياق الكلام وإلى معطيات موقف التكلم وشروطه، وبذلك يمكن أن يكون الحذف صورة بناء لغوي تلقائي، أو استعمالا أسلوبيا بلاغيا أو الاثنين معا))(٧١) ، وورد الحذف في سورة الكوثر على شاكلتين، الأولى: الحذف الواجب، والثانية: الإضمار، وكلٌّ له أغراضه وغاياته.

الحذف الواجب: يخضع هذا النمط من الحذف الى احتكام قواعد النحو العربي وقوانينه، ولا يسع المتكلم الى مخالفته بالإظهار؛ لأنَّه سوف يشوه ترتيب الكلام وتنظيمه، وفي سورة الكوثر ورد الحذف الواجب على نوعين، الأول: حذف الحرف والثاني: حذف الاسم، فأما حذف الحرف فورد في حذف حرف العلة(الياء) من فعل الأمر(صلِ) والأصل فيه: صلي، وهو حذف واجب مراعاة لقواعد الصنعة النحوية في بناء فعل الأمر.

وورد حذف الاسم في ثلاثة مواضع، منها موضعان في حذف فاعل فعلي الأمر في قوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)(٧٢)، فاعل فعلي الأمر(صلِ) و(وانحر) محذوف وجوبا تقديره في الموضعين(أنتَ) العائد الى الرسول الكريم(ص)، والموضع الثالث حذف مفعول الفعل(انحر) والتقدير: انحر يا محمد البدن .

ثانيا: أسلوب الإضمار

هو خلاف الاظهار، ومعناه امساك في كلام أو شيء، ومنه الضامر أي الساكت، ويأتي بمعنى اللزوم، ومنه قولهم: ضمر فلان على مالي ، أي: لزمه(٧٣)، والاضمار يختلف عن الحذف اختلافا بيناً، فالأخير متعلق بالملفوظ من القول ثم يُقطع تخفيفا أو لغرض ما ، بينما الإضمار فمتعلق بالمنطوق ثم سُكت عنه وخُفيَّ(٧٤).

ورد الإضمار في سورة الكوثرفي موضع واحد هو اضمار حرف النون في قوله: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)(٧٥)، فالأصل في(إنّا) إننا ثم أضمرت احدى النونين للتخفيف ولكراهية اجتماع الأمثال.

ثالثا: النسق الجملي

الجملة في اللغة: بضم الجيم والميم هي الجماعة من الناس، ومنه جمل الشيء جمعه، وقيل لكل جماعة غير منفصلة جملة، والجملة واحدة جمعها الجمل، والجملة: جماعة الشيء، وأجمل الشيء أي جمعه بعد تفرقه، والجملة: جماعة لكل شيء من الحساب وغيره، ويقال أجملت له الحساب والكلام(٧٦).

واصطلاحا: انقسم النحاة قسمين في تحديد مصطلح الجملة، الأول: رأى أنَّها مرادفة للكلام ، ومثل هذا الاتجاه ابن جني(ت٣٩٢هـ)، فقد عرف الكلام بأنَّه:((كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه،وهو الذي يسميه النحويون الجمل))(٧٧)، الثاني: رأى الفرق بين الجملة والكلام، فشرط الكلام الافادة ،وشرط الجملة صحة الإسناد، ومثل هذا الاتجاه الرضى(ت٦٨٨هـ)، الذي فصل القول فيهما فصرح بـ((أنَّ الجملة التي هي خبر ومبتدأ وسائر ما ذكر من الجمل، فيخرج المصدر، وأسماء الفاعل والمفعول به والصفة المشبهة، والظروف مع ما أسندت إليه، والكلام ما تضمنه الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام جملة ولا ينعكس، وقد قسموا الجملة إلى إسميه وفعلية))(٧٨)، وقد عرفهما ابن هشام بقوله:((الجملة الإسمية التي يكون صدرها اسم، كزيد قائم، وهيهات العقيق، وقائم الزيدان [والجملة الفعلية] هي التي صدرها الفعل، قام زيد، ضرب اللص، كان زيد قائما، يقوم زيد))(٧٩)، وأكد ابن مالك ذلك بقوله(٨٠):

كلامنا لفظ مفيد كاستقم   اسم وفعل ثم حرف الكلم

وتحظى الجملة الاسمية بركنين أساسيين مترابطين ومتلازمين تلازما مطلقا، ولشدة هذا التلازم والترابط عدّا كأنهما كلمة واحدة، هما المبتدأ والخبر(٨١)، فالمبتدأ هو الاسم الذي يقع في أول الجملة، المحكوم عليه بحكم يمثله الخبر الذي يكمل الجملة مع المبتدأ ويتمم معناها(٨٢)، وفيما يخص مستويات الجملة في سورة الكوثر فقد تميزت بتعددها وتنوعها، لكنها لم تتجاوز الجملتين الإسمية والفعلية، وقد حظيت الجملة الإسمية بأنواع منها الجملة الإسمية المنسوخة بـ(إنَّ)، نحو قوله تعالى:(إِنَّا أَعْطَيْنَاك الْكَوْثَر)(٨٣)،ونحوها قولة تعالى(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرَ)(٨٤)، وتقابلها الجملة الإسمية غير المنسوخة نحو قوله تعالى: (هو الأبتر)(٨٥).

إما الجملة الفعلية فتتميز بأن يكون المسند فيها فعلا، يُسند الى فاعل في حال البناء للمعلوم، وإلى نائب الفاعل في حال بنائه للمجهول، فهو أساس البنية في الجملة الفعلية، الموضوعة لبيان علاقة الإسناد، وتحديد الدلالة الزمنية، فالحدث فيها يدل على الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وهي بذلك تشير الى التجدد السابق أو التجدد في الحال أو تشير الى استمرار دون تجدّد(٨٦)، إذن الجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد في الحدث، لأن الدلالة في ذلك تُستمد فقط من الأفعال(٨٧).

في سورة الكوثر وردت الجملة الفعلية المثبتة في قوله تعالى:(فَصَلْ لِرَبْك وَانْحَر)(٨٨)، بينما غابت الجملة الفعلية منفية الدالة السلب، كما غاب الفعل المبني للمجهول، بينما وردت الجملة الفعلية بأنواع عدة، منها الجملة الفعلية التي فعلها لازم، نحو قوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ)(٨٩)، وتقابلها الجملة الفعلية التي فعلها متعدٍ، سواء المتعدي الى مفعول واحد نحو قوله:(وَانْحَرْ)(٩٠)، أي : انحر البدن، أو المتعدي الى مفعولين نحو(إِنَّا أعْطَيْنَاك الْكَوْثَر)(٩١)، فالفعل (أعطى) تعدى الى مفعولين، الأول ضمير(الكاف) والثاني الاسم (الكوثر).

ووردت في السورة الكريمة النسق الجملي المؤكد بموكدات عدة، منها الحرف المشبه بالفعل(إنَّ) في موضعين، الأول في مستهل السورة (إِنَّا أَعْطَيْنَاك الْكَوْثَر) والآخر في خاتمتها(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ)، والمراد التأكيد بالحرف الناسخ لتأكيد شأن العطاء للنبي (ص) وتأكيد أمر القطع لعدوه ومبغضه، وكذلك التأكيد مطروح في ورود الخطاب المباشر بكاف الخطاب في قوله(أعطيناك) و(شانئك)، ومن الموكدات أيضا التوكيد بضمير الفصل(هو)، وأفاد الى جانب التوكيد الاختصاص، أي اختصاص المبغض للرسول(ص)بانقطاع نسله فهو الأبتر.

فضلا عن ذلك ورود النسق الجملي الدال على التعظيم والتوقير، كما في الاستهلال بالضمير الجمعي الدال على المفرد(إنا) في الجملة الفعلية(أعطينا)حيث تعود مرجعية الضمير(نا) في الموضعين الى المتكلم الله جلَّ وعلا، ويدل السياق المقامي ههنا على عظمة المتكلم/ القائل فضلا عن عظمة العطاء المتمثل بالخير الكثير.

المبحث الثالث: الأسلوبية الدلالية

مدخل

الدلالة لغة هي((إبانة الشيء بأمارة نتعلمها ...دللت فلانا على الطريق، والدليل: الأمارة في الشيء وهو بيّن الدَّلالة والدِّلالة))(٩٢)، وقيل:((الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب...أصل الدلالة مصدر كالكناية والأمارة...يُسمى الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره))(٩٣)، واصطلاحا:((هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول))(٩٤)، أوهي((كَون الشَّيْء بِحَيْثُ يُفِيد الْغَيْر علما إذا لم يكن فِي الْغَيْر مَانع...وَالدّلَالَة أَعم من الْإِرْشَاد والْهِدَايَة))(٩٥)، وقيل((الدَّلالَةُ: كونُ اللَّفظِ متى أُطْلِقَ أو أُحِسَّ فُهِم منْهُ مَعْنَاهُ للعِلْم بوَضْعِه))(٩٦).

أما الأسلوبية الدلالية فهي ((نظرية أدبية تركز على الدراسة الشاملة للأسلوب في النص الأدبي، والتي تعتبر أنَّ الأسلوب يحمل دلالات ومعانٍ إضافيةعلى مستوى المضمون والمعنى، وتعني هذه النظرية أنَّ الأسلوب والمضمون لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، وأنَّهما يتفاعلان بشكل وثيق في إنشاء النص الأدبي وتحقيق معانيه))(٩٧)، وترجع أصول الأسلوبية الدلالية إلى ستينيات القرن العشرين، وتركز هذه النظرية على تحليل الدلالات الإضافية في النصوص الأدبية بما في ذلك الدلالات اللغوية خاصة الضمنية والايحائية، فضلا عن الدلالات السياقية والثقافية والفلسفية والنفسية التي تعزز فهم مضمون النصوص(٩٨)،((وقد ظهرت فكرة الأسلوبية الدلالية في القرن العشرين، حيث عمل عدد من العلماء والمفكرين على تطوير هذا المفهوم وتحديد طرق دراسته وتحليله))(٩٩)، وتشتغل الأسلوبية الدلالية في دراسة النصوص الأدبية والابداعية، وتحليل الدلالات الدقيقة للأسلوب فيها وبيان انعكاساتها في فهم المضامين، وتنتمي الأسلوبية الدلالية الى فرع من فروع علم اللغة الذي يُعنى بدراسة العلاقة المنسجمة بين الشكل اللغوي للنص الأدبي والدلالة التي يعكسها مع تسليط الضوء على كيفية استعمال الكاتب أو المبدع لمختلف الأساليب الدلالية للتعبير عن المعاني المتعالية عن الأسلوب العادي لإيصالها الى المتلقي بشكل جذاب وراقٍ(١٠٠)، وتبرز الأسلوبية الدلالية في سورة الكوثر على نحو متميز، حيث الأساليب اللغوية المتنوعة التي تستظهر المعاني الكامنة في النص، ويمكن تشخيص مكامنها في السورة عبر فسحتين من الدلالة، هما:-

أولا: الدلالة التضمينية

التضمين : أن يدل اللفظ على جزء معناه الموضوع له داخل ذلك الجزء في ضمنه ومحتواه الداخلي، كما في دلالة لفظ الكتاب على الورق أو الغلاف، أو دلالة لفظ الإنسان على الحيوان الناطق، وتسمى (الدلالة التضمينية)، فهي فرع من دلالة

المطابقة؛ فدلالة الجزء على الكل تحصل ضمنا(١٠١)، ويرد التضمين في القرآن الكريم بإدراج معنى معين في نص أو كلمة ضمنا، دون الإشارة مباشرة إليه بل عبر استعمال كلمات أخرى غير صريحة للتدليل على قصدية المتكلم، بعيدا عن التصريح والمباشرة، بناءً على سياق النص المقامي، مما يعكس ذلك عمق الدلالات والمفاهيم التي تحملها النصوص القرآنية .

أما الدلالة التضمينية(Implicature) فهي دلالة لغوية تنتج عندما يستعمل المتكلم عبارة ما بمعنى مختلف عن المعنى الحرفي المتوقع، بناءً على السياق والظروف المحيطة بالكلام، فهي تشير إلى المعاني المفهومة في الكلام عند التمكن من استخلاصها منه، فوجودها في النصوص متخفٍ وغير صريح، وانما يستشفه المحلل الأسلوبي من النص بمعيه السياق فيه، لذا يُعّد المفهوم الأساس للدلالة التضمينية مرتبطاً بمفهوم الدلالة اللغوية الذي يشير إلى العلاقة بين العبارة والمعنى ضمناً، وتُعدّ الدلالة التضمينية عاملاً مهماً في فهم المعنى الحقيقي للكلام والوقوف على نية المتكلم المتضمنة فيه(١٠٢).

ونجد الدلالة التضمينية في سورة الكوثر واضحة في استهلال السورة المفعم بظلال الوعد الطيب والعطاء غير المتناهٍ، قال تعالى(إنا أعطيناك)(١٠٣)، والمعنى قد عَظُمَتْ بركات الله بإنزاله الكوثر(١٠٤)، و(الكوثر) كلمة واحدة تستوعب في جعبتها مضامين كثيرة، فالكوثر الخير اللامتناهي، وفي اللغة الكوثر من الفعل(كثر) ومنه يكثر كثرة وهو ضد القلة وخلافها، ومعناه الزيادة في الوصف أو العدد أو الفضل أو الزيادة في البيان، والكوثر على زنة فوعل من الكثرة ويرد لمعنى الرجل المعطاء أو الرجل السخي(١٠٥).

كما تنطلق الدلالة التضمينية من زنة(الكوثر)التي هي على فوعل، وهي صيغة مبالغة، وتتضمن الدلالة على المبالغة في الكثرة على عادة العرب في تسمية الشيء الكثير في العدد والقدر والخطر كوثراً، واللفظة بدورها متعددة المضامين في هذا السياق، فالمراد أنَّ الله أعطاك يا محمد الخير الكثير البالغ في كثرته الى الغاية، وقيل الكوثر نهر في الجنة أو هو الخير العظيم ، وقيل الكوثر حوض النبي (ص) في الموقف، أو هو تفسير القرآن وتخفيف الشرائع والاسلام، وقيل الكوثر الشفاعة أو نور القلب ورفعة الذكر والمعجزات واجابة الدعوات(١٠٦).

ثانيا: الدلالة الإيحائية

الايحاء لغة: ((من أوحى، وأوحى الله اليه: بعثه، وقيل: الهَمه. ويقال أوحَى لها...[و]الايحاء: الإيمَاءُ والاشارةُ، ووحيت لك بِخَيرٍ كذا: أي أخبرت))(١٠٧)، وذكر ابن فارس(ت٣٩٥هـ):(الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره الى غيرك، فالوحي الإشارة، والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما القيته الى غيرك حتى علمهُ فهو وحي، كيف كان، وأوحى الله تعالى ووحى... وكل ما في باب الوحي فراجع الى هذا الأصل الذي ذكرناه، والوحي، السريع :والوحى :الصوت)(١٠٨) ، وفي التنزيل:(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى الْنَحْلِ)(١٠٩)، ومنه: (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)(١١٠)، ((وأوحى: كلمه بكلام يخفيه من غيره))(١١١)، واصطلاحا: يراد به((المعنى العاطفي المصاحب للمعنى الإدراكي، ولما كان المعنى الإدراكي مختلفا من شخص لآخر، فإذن تأثر الأفراد به مختلف))(١١٢)، أو هو (الإعلام للشيء في خفية ولذا تطلقه العرب على الإشارة، وعلى الكتابة وعلى الإلهام)(١١٣).

وردت الدلالة الايحائية في سورة الكوثر في دلالة العلاقة المعنوية بين مستهل السورة وخاتمتها، هذه العلاقة انبثقت من الارتباط الدلالي بين لفظة العطاء ولفظة البتر، بمعنى وجود التقارب الدلالي- الايحائي بين (أعطيناك) و(الأبتر)، فما هي هذه العلاقة؟. هي علاقة السبب بالنتيجة، أو العلة بالمعلول، فهي إذن علاقة تناسبية أو توافقية، بين العطاء ونقيضه البتر والقطع، مما يُبرر هذا ورودهما في سياق واحد، فالله تعالى أعطى الرسول الكريم (ص) الخير الكثير بشرط أن يكون غير منقطع بل هو مستمر ودائم.

وتستوقفنا أسباب نزول السورة لتبين لنا علاقة التناسب بين مطلع السورة وختامُها، إذ نزلت السورة بسبب قول قريش وقيل بل القائل العاص بن وائل أنَّ محمدا أبتر، عندما مات ابنه إبراهيم وقيل هو عبد الله من خديجة(ع)، والعرب تُسمي من لا عقبة له أبتراً، فنزلت السورة تسليةً للرسول وردا على مقالة قريش أو العاص بن وائل وممن يمثلون أعداء الرسول(ص)ومبغضيه، فالمعنى أنَّ (شانك) ومبغضك وعدوك هو من يكون أبترا حيث ينقطع نسله ولا يبقى له معقب يعقبه في الدنيا(١١٤) نستشف من ذلك أنَّ هذا العطاء الإلهي – عطاء السماء- له علاقة بدوام النسل أو انقطاعه، وهو عطاء خاص بالنبي محمد (ص) ويمثل له الخير الكثير غير المنقطع، وله علاقة بنسل الرسول نفسه، ولو كان الأمر خلاف ذلك فما علاقة العطاء بالبتر وانقطاع النسل لمبغض الرسول ومن يكن له العداوة والبغضاء؟

لقد وقف السيد الطباطبائي على هذه العلاقة وبينها بتصريحه أنَّ السورة الكريمة مثلت((امتنان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإعطائه الكوثر وتطييب لنفسه الشريفة بأنَّ شانئه هو الأبتر... إنَّ كثرة ذريته صلى الله عليه وآله وسلم هي المرادة وحدها بالكوثر الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المراد بها الخير الكثير، وكثرة الذرية مرادة في ضمن الخير الكثير، ولولا ذلك لكان تحقيق الكلام بقوله:((إنَّ شانئك هو الأبتر))(١١٥) ، خاليا عن الفائدة))(١١٦).

لقد شكل نصّ الاستهلال مع نص خاتمة السورة معادلا موضوعيا ودلاليا في الوقت نفسه، فقد تقابل النصان في البنية الظاهرية لينعكس هذا تقابلهما بالضد في دلالتهما، فكلا النصين بدأ بالتوكيد ب(إنَّ)،ثم أعقب ذلك ورود الخطاب المباشر بضمير الكاف في(أعطيناك) و(شانئك) العائد في الموضعين الى الرسول محمد(ص)، وأيضا انتهاء كل منهما بفاصلة متماثلة، صوت (الراء)، كل هذا أفضى الى أنَّ يكون العطاء مقابلا موضوعيا تأسس بعلاقة التضاد مع البغض ومعاداة الرسول(ص)، وكذلك الحال مع دلالة الكوثر التي تقابلت بالضد مع دلالة الانقطاع والبتر.

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة المضنية الماتعة في الوقت نفسه في رحاب المقدس الأزلي القرآن الكريم وصلت الرحلة الى محطتها الأخيرة، لتسجل أهم ما حققته من نتائج وملاحظات، وهي:-

ـ تميزت الأسلوبية الصوتية في سورة الكوثر بمحطات تنبئ عن كثافة الحضور فيها ، من ذلك ورود تنغيمات عززت الموسيقى الداخلية في نصوص السورة، فضلا عن استمالة القارئ/ المتلقي بهذه الموسيقى عند الانتقال من تنغيم هابط الى آخر صاعد، ليشد هذا انتباه المتلقي الى آفاق السورة لفظيا ومعنويا.

ـ مثل أسلوب التكرار منحى أسلوبياً حيث اشتغل في سورة الكوثر بوصفه منبها أسلوبيا يطرح نمطا من الأسلوبية الصوتية التي تعضدها الدلالات والمعاني التي تفضي الى خلق جمالية في المضمون التي تتعالق مع جمالية الظاهر المكرر.

ـ فيما يخص الأسلوبية التركيبية وردت في سورة الكوثر الجمل بنمطيها الاسمي بسياق المبتدأ والخبر، والفعلي بسياق الفعل الماضي وفعل الأمر، وغاب الفعل المضارع عن الساحة.

ـ ورد أسلوب الحذف في السورة في مواضع معينة ، وقد أسهم في التواصل مع المتلقي عند تقدير المحذوف، كما ورد أسلوب الإضمار فيها في موضع واحد عزز من أسلوبية النصّ.

ـ تنوعت أساليب النسق الجملي في السورة بين الجمل الاسمية والفعلية المثبتة والجمل المؤكدة، في حين غابت الجمل المنفية، وقد أفصحت الجمل المثبتة عن الثبات والاستمرار في الحدث والصورة.

ـ أفضت الأسلوبية الدلالية الى الكشف عن المضامين المضمرة في الفاظ السورة ، كما في دلالة وزن لفظة الكوثر، ومضامين لفظة الكوثر نفسها.

ـ إنَّ تحليل مواضع الأسلوبية الدلالية في سورة الكوثر أسهم في استخلاص العبر والدلالات التي تعلقت باستهلال السورة مع خاتمتها، وأهمها أنَّ مطلع السورة شكل معادلا موضوعيا مع آخرها، وتمخض عن ذلك بيان ارتباطهما بعلاقة التقابل بالتضاد بينهما.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-أساس البلاغة، أبو القاسم الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط۱، ۲۰۰۱م.

-الأساليب والاطلاقات العربية، أبو منذر بن محمد المنياوي، المكتبة الشاملة، مصر،ط۱،۱٤۳۲ه-۲۰۱۱م.

-أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تخريج وتدقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الاصلاح الدمام- السعودية، ط۲ ۱٤۱۲ه — ۱۹۹۲م.

-أسُسُ عِلم اللغَة, مَاريو باي, ترجمة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة, ط۸، ۱٤۱۹ه-۱۹۹۸م.

-الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية – دراسة صوتية مخبرية ، خير الدين محي الدين سيبي، جامعة الامام سطام بن عبد العزيز، السعودية.

- الأسلوب والأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، ط۱، حلب —بيروت، ۱۹۹٤م.

-الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الأدبية د. أحمد الشايب، المطبعة الفاروقية ، الاسكندرية، ط۱ ، ۱۹۳۹م.

-الأسلوبية الرؤية والتطبيق، أ. د يوسف أبو العدوس، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط۱، ۱۹۹۹م.

-الأسلوبية اللسانية، فيلي سانديرس ، ت. خالد محمود جمعة، دار الفكر دمشق، ط۱، ۱٤۲٤ه-۲۰۰۳م.

-الأسلوبية والاسلوب، عبد السلام المسدّي، طبع الدار العربية للكتاب ، ليبيا ط۱ ، ۱۹۷۷م.

-الأسلوبية ومفاهيمها وتعليماتها، د. موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط۱ ، ۲۰۱٤م.

-الأفكار والأسلوب دراسة في النقد الروائي ولغته، أ. ف. تشيتشترين — ترجمة: حياة شرارة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد- العراق، ط۱، (د.ت).

-شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، بهاء الدين عبدالله بن عقيل ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب للطباعة والنشر، مصر، ط۲ ، ۱۹۹۹م. الصاحب اسماعيل بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت، ط۱، ۱٤۱٤ه-۱۹۹٤م.

-الإيقاع في السجع العربي محاولة تحليل وتحديد ، محمود المسعدي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس،ط۱، ۱۹۹٦م.

-البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ،ط۱ ، ۱۳۷٦ ه- ۱۹٥۷ م.

-البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر، عبد الرحمن تبرماسين، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، ۲۰۰۳م.

-البنية اللغوية في سورة الكهف دراسة لسانية تطبيقية، صباح دالي، تحقيق عبد الحليم بن عيسى، الناشر جامعة وهران، ۱٤۳٥ه-۲۰۱٤م.

-البيان في روائع القرآن(دِراسة لغويّة وأسلوبيّة للنص القرآني)، د. تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط۱, ۱٤۱۳ه-۱۹۹۳م.

-تاج العرُوس من جواهر القامُوس, مُحب الدِّين أَبو فَيض السيد محَّمد مُرتضى الحسيني الواسطي الزبَيدي الحَنَفي, دراسة وتحقيق: د. علي شيري، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط۱، ۱٤۲٥ه،۱٤۲٦ه-۲۰۰٥م.

-التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط۱، ۱٤۲۰ه- ۱۹۹۹م.

-التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط۱، ۲۰۰۳م.

-تفسير غريب القرآن، محمد بن اسماعيل الأمير الصغاني، حققه وعلق عليه وضبطه: محمد بن حسن ، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط۱، ۲۰۰۰م.

-التفسير الميسر، نخبة من اساتذة التفسير ، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ط۲، ۱٤۳۰ه-۲۰۰۹م.

-تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق محمد عوض المرعب، دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان، ط۱، ۲۰۰۱م.

-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف تمصر ط۳، ، ۱۹۷٦م.

-الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الناشر عالم الكتب ، بيروت- لبنان، (د.ط)(د.ت).

- شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قازيونس، بنغازي، ط۲، ۱۹۹٦م.

-الصّحاح تَاج اللغة وصحاح العربيّة، اسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، عنى بنشره: السيِّد حسن شربتلي، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت.

-علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط۲، ۱۹۸٥م.

- علم الأصوات , د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، د.ت.

-العين ، ابو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفَراهيدي, تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. ابراهيم السّامرائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط۱، ۱٤۰۸هـ-۱۹۸۸م.

-الكُليّات(مُعجم في المصطلحات والفُروق اللغويَّة)، أبو البَقاء أيّوب بن مُوسى الحُسيني الكَفوي(ت۱۰۹٤هـ)، قابله على نسخة خطية وأعدهُ للطبع ووضع فهارسه: د. عَدنان درويش، و محمّد المصري، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ۱۹۷٥م.

-الكشاف عن حقائق التنزيل الأقاويل عن وجوه التأويل، أبو القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط۱، (د.ت).

-فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، قوم له واعتنى به: محمد رياض الأحمد، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط۱، ۲۰۰۲م.

- في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط۱۹۷۲،۱م.

-في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط۲، ۱٤۰٦هـ-۱۹۸٦م.

-القاموس المحيط، الفيروز آبادي، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط۲، ۲۰۰۳م.

-قاموس المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، ۱۹۸٤م.

- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط۱، ۱٤۲۲هـ-۲۰۰۲م.

-لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الانصاري، حققه وعلق عليه عامر أحمد حيدر، راجعه عبدالمنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العربية، بيروت، ط ۱، ۲۰۰ م.

-المحيط في اللغة، الصاحب اسماعيل بن عباد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت، ط۱، ۱٤٤۱٤هـ-۱۹۹٤م.

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي، المؤسسة الحديثة للكتاب، د.ط، د.ت.

المصطلحات في كتاب العقائد، محمد بن إبراهيم الحمد : ۱٥۸.

- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ط۲، (د.ت).

-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: الإمام محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د.ط)، ۲۰۰۹م.

-المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط۳، ۲۰۰۱م.

-مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب، وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط۱، ۲۰۰۸م.

-المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر، دار المعارف للمطبوعات، مؤسسة النشر الاسلامي قم ، (د. ط)(د. ت)

-الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة دار المجتبى، ايران-قم، (د.ط)، (د،ت).

-النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، روز غريب، دار العلم للملايين ، بيروت، ط۱، ۱۹٥۲م.

الرسائل والأطاريح

-الاتساق الصوتي والانسجام الدلالي في تحليل أهل البيت(عليهم السلام) للخطاب القرآني(التنغيم مثالاً)،عمار حسن عبد الزهرة، (رسالة ماجستير)۲۰۲۰م، جامعة كربلاء.

-الأسلوبية الصوتية وأثرها في دلالة النص وفك شفراته (مثل تطبيقي من الشعر والقرآن الكريم)، د. عثمان حسين ابو زنيد، (اطروحة دكتوراه)، جامعة حائل — السعودية،۲۰۱٥م.

-الاسلوبية في دراسات الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، عواطف كنوش (اطروحة الدكتوراه) جامعة البصرة ،كلية الآداب١٩٩٥م.
-البنيات الأسلوبية في الخطاب الشعري عند إيليا أبي ماضي، قرفي السعيد، (رسالة ماجستير) الجمهورية الجزائرية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٠ م .
-التراكيب في سورة الفرقان/ دراسة نحوية وبلاغية، دالية قطر الندى حشرون وبلقاسم حشروف(رسالة ماجستير)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م
-جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، محمد الصغير(رسالة ماجستير)، جامعة محمد خيضر- الجزائر، ٢٠١٢م.
-دراسة اسلوبية في سورة محمد (صل الله عليه وآله)، د. نصرالله شاملي (رسالة ماجستير) ، جامعة اهل البيت (عليهم السلام) ، العراق — كربلاء، ٢٠١٠ م.
- الدلالة الايحائية لصيغ الفعل الثلاثي ومزيده في القصص القرآني، قصة سيدنا نوح (عليه السلام)، م. د. إسراء محمود عباس و م. م. شيماء محمد عبد الله، (رسالة ماجستير)٢٠١٨م.

المجلات العلمية المحكمة

-الأسلوبية الحديثة، د. خليل عودة (بحث) ، مجلة فصول ، المجلد الأول ، العدد ٢ ، يناير ١٩٨١م.
-تقدير الحذف والإضمار في ضوء نظرية العامل، الاستاذ ملاوي صلاح الدين(بحث)مجلة المخبر،أبحاث في اللغة ولأدب الجزائري.
- علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ، د. صلاح فضل(بحث)، مجلة فصول مجلة النقد الأدبي ، المجلد الخامس ، العدد١، اكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٤م.
- النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، محمد عبد المطلب(بحث)، مجلة النقد الأدبي ، المجلد الخامس ، العدد١، اكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٤م.
-نظرة في الأسلوب والأسلوبية، محمد حسين عبد الله المهداوي (بحث) ، مجلة جامعة أهل البيت (عليهم السلام) العراق —كربلاء ، ٢٠٠٥م.
- النقد والحداثة مع دليل بيلوجرافي، محمود الربعي(بحث) مجلة فصول مجلة النقد الأدبي ، المجلد الخامس ، العدد١، اكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٤م.

هوامش البحث

(١) لسان العرب :١١ /٢٤٠ (م : سلب)، وينظر: المصباح المنير: ٣٠٩ (م: سلب) ، والمعجم الوسيط: ٤٤١ (م: سلب).
(٢) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية :٤١.
(٣) الأسلوبية ، بير جيرو، ترجمة منذر عياشي: ١٧.
(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن : ٢٤٤ ، وعلم الأسلوب مبادئه وإجراءاته : ١٥.
(٥) ينظر: الأسلوبية مفاهيمها وتعليماتها : ٩.
(٦) ينظر: الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الاساليب الأدبية : ٤٠.
(٧) ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق : ٣٩.
(٨) ينظر: المصدر نفسه : ٣٥.
(٩) الأسلوبية والاسلوب : ٣٠.
(١٠) نظرة في الأسلوب والأسلوبية، محمد حسين عبد الله المهداوي (بحث) ، مجلة جامعة أهل البيت (عليهم السلام) العراق —كربلاء ، ٢٠٠٥م : ١٥٢.
(١١) المصدر نفسه: ١٥٠.
(١٢) الأسلوبية والأسلوب:٣٣.
(١٣) الأسلوبية : ٥.
(١٤) المصدر نفسه:٦.

(١٥) الأسلوبية : ١٠٠.

(١٦) ينظر: البنيات الأسلوبية في الخطاب الشعري عند إيليا أبي ماضي، قرفي السعيد، (رسالة ماجستير) الجمهورية الجزائرية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٠ م : ٢٠١.

(١٧) ينظر: الأسلوبية والأسلوب : ٨.

(١٨) ينظر: الأسلوبية الحديثة : ٩٩.

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) دراسة اسلوبية في سورة محمد (صل الله عليه وآله)، د. نصرالله شاملي (رسالة ماجستير) ، جامعة اهل البيت (عليهم السلام) ، العراق – كربلاء، ٢٠١٠ م : ١٣٦.

(٢١) ينظر: الأسلوبية الرؤية والتطبيق: ٣٧.

(٢٢) ينظر : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي : ٨٣٣.

(٢٣) ينظر : الأفكار والأسلوب: ٤٥ .

(٢٤) ينظر: الأسلوبية الصوتية وأثرها في دلالة النص وفك شفراته (مثل تطبيقي من الشعر والقرآن الكريم)، د. عثمان حسين ابو زنيد، (اطروحة دكتوراه)، جامعة حائل – السعودية،٢٠١٥م : ٤٥.

(٢٥) الأسلوب والأسلوبية : ٦٠.

(٢٦) الأسلوبية اللسانية : ١٣٧.

(٢٧) العين :٢٦٤/٤(م : نغم).

(٢٨) تهذيب اللغة : ١٤٢/٨(م: نغم).

(٢٩) مقاييس اللغة : ٤٥٢/٥ (م: نغم).

(٣٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٢٠٤٥/٥(م: نغم).

(٣١) علم الأصوات : ٥٣٣.

(٣٢) ينظر: الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية - دراسة صوتية تباينية، :١٧٤.

(٣٣) البيان في روائع القرآن : ١ /١٧٩.

(٣٤) ينظر: أسس علم اللغة : ٢٧٤.

(٣٥) الاتساق الصوتي والانسجام الدلالي في تحليل اهل البيت(عليهم السلام) للخطاب القرآني(التنغيم مثالاً)،عمار حسن عبد الزهرة، (رسالة ماجستير)٢٠٢٠م، جامعة كربلاء: ٢٨.

(٣٦) سورة الكوثر: ١-٣.

(٣٧) سورة الكوثر: ٣.

(٣٨) تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٢٣٢٢.

(٣٩) لسان العرب: ١٥ / ٢٦٣(م: وقع).

(٤٠) جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، محمد الصغير(رسالة ماجستير)، جامعة محمد خيضر- الجزائر، ٢٠١٢م: ١٥.

(٤١) البنية الإيقاعية للقصيدة المعاصرة في الجزائر :٩٤.

(٤٢) الإيقاع في السجع العربي :٥-٦.

(٤٣) نظرية إيقاع الشعر العرب :٤٢.

(٤٤) ينظر: البنية الإيقاعية القصيدة المعاصرة في الجزائر: ١٠.

(٤٥) المصدر نفسه.

(٤٦) في ظلال القرآن : ٢٤٥١/١٨ .

(٤٧) معجم مقاييس اللغة: ٨٧٢(م: كر)، وينظر: لسان العرب :٤٦/١٣. (م: كر)

(٤٨) القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته: ١٩ .

(٤٩) المصدر نفسه.

(٥٠) ينظر : تأويل مشكل القرآن: ١٨٠.

(٥١) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ٣٥ .

(٥٢) الكشاف: ٤/٤٣٥.

(٥٣) إحياء علوم الدين :٤/ ٥٤٩.

(٥٤) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني :٣١١.

(٥٥) ينظر: علم الاسلوب وصلته بعلم اللغة: ٥٦.

(٥٦) ينظر: النقد والحداثة: ٤٠.

(٥٧) ينظر: الاسلوبية في دراسات الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري، عواطف كنوش (اطروحة الدكتوراه) جامعة البصرة ،كلية الآداب١٩٩٥م: ١١٣.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) ينظر: النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، محمد عبد المطلب(بحث)، مجلة النقد الأدبي ، المجلد الخامس ، العدد١، اكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٤م،: ٣٢.

(٦٠) ينظر: الاسلوبية في دراسات الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ، عواطف كنوش (اطروحة الدكتوراه) جامعة البصرة ،كلية الآداب١٩٩٥م، : ١١٣ – ١١٧.

(٦١) الصحاح :٤ /٩٥٠(م :حذف).

(٦٢) القاموس المحيط: ، ٣ / ١٢٦ (م: حذف).

(٦٣) لسان العرب: ٤/ ٦٤، (م حذف).

(٦٤) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي:١/ ٦٣١.

(٦٥) مقدمة آمالي ابن الشجري : ٨٣.

(٦٦) البرهان في علوم القرآن : ٣ / ١٠٢.

(٦٧) كشف اصطلاحات الفنون: ١ /٦٢١ – ٦٣٢ .

(٦٨) الكليات : ٣٤٨.

(٦٩) كشاف اصطلاحات الفنون : ١ / ٢١٩ – ٢٢٠.

(٧٠) ينظر: التراكيب في سورة الفرقان/ دراسة نحوية بلاغية ، دالية قطر الندى حشرون وبلقاسم حشروف(رسالة ماجستير)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م :٣١.

(٧١) قاموس المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٨٣ .

(٧٢) سورة الكوثر: ٣.

(٧٣) ينظر: مقاييس اللغة: ٥٧٨-٥٧٩ (م: ضمر)، وأساس البلاغة: ٤٥٠ (م: ضمر).

(٧٤) ينظر: تقدير الحذف والإضمار في ضوء نظرية العامل، الاستاذ ملاوي صلاح الدين(بحث)مجلة المخبر، أبحاث في اللغة ولأدب الجزائري: ٣٤.

(٧٥) سورة الكوثر:١.

(٧٦) لسان العرب : ١١/١٢٣(م: جمل).

(٧٧) الخصائص : ١ /١٧.

(٧٨) شرح الرضي لكافية أبن الحاجب : ١٨.

(٧٩) مغني اللبيب : ١/ ٤٢٠.

(٨٠) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : ١ / ١٤.

(٨١) ينظر : التطبيق النحوي : ٨٢.

(٨٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٥.

(٨٣) سورة الكوثر : ١.

(٨٤) سورة الكوثر : ٣.

(٨٥) سورة الكوثر :٣.

(٨٦) ينظر: البنية اللغوية في سورة الكهف : ١٢٣.

(٨٧) ينظر: في النحو العربي نقده وتوجيه : ٤٢.

(٨٧) سورة الكوثر : ٣.

(٨٩) سورة الكوثر: ٢.

(٩٠) سورة الكوثر:٢.

(٩١) سورة الكوثر:١.

(٩٢) مقاييس اللغة : ٣٣٠ (م: دلّ)، وينظر: أساس البلاغة: ٢٢٦ (م: دلل).

(٩٣) المفردات: ١٧٧-١٧٨ (م: دل).

(٩٤) التعريفات : ١ /١٠٤.

(٩٥) الكليات :٤٣٩.

(٩٦) تاج العروس :٢٨ /٤٩.

(٩٧) علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة ، د. صلاح فضل(بحث)، مجلة فصول مجلة النقد الأدبي ، المجلد الخامس ، العدد١، اكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٤م. : ٤٨.

(٩٨) المصدر نفسه :٤٩.

(٩٩) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته(بحث سابق) :١٥.

(١٠٠) علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة : ٤٨.

(١٠١) ينظر: المنطق : ٤٣ — ٤٤.

(١٠٢) ينظر: المصطلحات في كتاب العقائد : ١٥٨.

(١٠٣) سورة الكوثر : ١.

(١٠٤) التفسير الميسر، نخبة من العلماء، ٣٦٧.

(١٠٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٨٨٦ (م: كثر) ، والمفردات: ٤٢٨(م: كثر) ، والمصباح المنير: ٥٧٠ (م: كثر)، وتفسير غريب القرآن : ٢٦٥ ، والمعجم الوسيط: ٧٧٧(م: كثره)، والميزان : ٢٠ / ٣٤٤.

(١٠٦) ينظر: الكشاف : ٢/ ١٣٨٢ ، وتفسير القرآن العظيم : ٤/ ٢٣١٩ وما بعدها، وفتح القدير: ٢/ ١٧٠٢- ١٧٠٣ . والميزان : ٢٠ / ٣٤٤.

(١٠٧) المحيط في اللغة : ١ /٢٥٨ م: (وحى).

(١٠٨) مقاييس اللغة :١٠٤٦ (م: وحى).

(١٠٩) سورة النحل : ٦٨.

(١١٠) سورة الزلزلة: ٥.

(١١١) الدلالة الايحائية لصيغ الفعل الثلاثي ومزيده في القصص القرآني، قصة سيدنا نوح (عليه السلام)، م. د. إسراء محمود عباس و م. م. شيماء محمد عبد الله، (رسالة ماجستير)٢٠١٨م: ٢٨٥.

(١١٢) الأساليب والاطلاقات العربية : ٢٠١١.

(١١٣) الدلالة الايحائية لصيغ الفعل الثلاثي ومزيده في القصص القرآني قصة سيدنا نوح (عليه السلام)، (رسالة ماجستير سابقة) : ٢٨٥.

(١١٤) ينظر: أسباب النزول: ٤٦٦ ، ولباب النقول في أسباب النزول: ٣٠٨.

(١١٥) سورة الكوثر: ٣ .

(١١٦) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٣٧٠.

القصص القرآنية مؤشرات للتطور البشري نحو الانسانية

ياسمين حاتم بديد و محمد راضي هلول،

مكتب مساعد رئيس الجامعة للشؤون الادارية، رئاسة الجامعة كربلاء، جامعة كربلاء، العراق و قسم الدراسات و التخطيط، رئاسة الجامعة، جامعة كربلاء، العراق

الملخص

تعتبر القصة من اكثر المواضيع التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وتكررت هذه القصص بشكل تفصيلي او مقتضب مبينة احوال الامم سابقاً ولاحقاً ومستقبلاً مع انبيائها ورسلها مع عرض واف للكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم وما تحمله من بشارات وتصديق للرسول محمد(صل الله عليه و آله وسلم) مع تصحيح ما نحرف من تلك الديانات. ان القصة القرآنية هي ليست للتسلية بل هي انارة الطريق للإنسانية وهدايتهم الى السنن الالهية للوصول والترقي الانساني الى الخلافة الالهية، فالقصة ليست قواعد للتشريع بل هي للتطور وزيادة الوعي، وذلك ان القصة القرآنية ليست كتاباً تاريخياً او فلسفةً فتتم قراءته وفق معطيات تلك الكتب ولكنها اي القصة هي مفاتيح للتطور التاريخي للإنسان وفق تراكم للقيم والتشريع وهو ما اطلق عليه(العبرة) وهذه العبرة تعبر من مجتمع الى اخر ومن زمان الى زمان اخر على اعتبار انها مؤشرات لابد من دراستها واليات حركتها لننطلق الى قراءة جديدة في التاريخ وفلسفته، لأنها ليست دراسة لفترة زمنية محددة خاصة بالمؤرخين بل هي عملية تطور للأحداث التاريخية مع الزمن للوصول الى السنن التي تحكم هذه المؤشرات، ان القرآن الكريم قد طرح ووضح الجدليات داخل حركة التاريخ بين الانسان والطبيعة، ومفاتيح هذا الجدل وتطوره هي عمليات التحول من البشرية الى الانسانية وتطور الدين الاسلامي الى شرائع من خلال الكم التراكمي من القيم والتشريعات بل وحتى الشعائر، وبذلك نستطيع ان نفصل وفق هذه الرؤيا الحديثة للقصة القرآنية بينها وبين قصص الانبياء والسيرة النبوية ورفع الاساطير والخرافات عنها.

الكلمات المفتاحية: القصص القرآنية، الانباء، الاخبار، الاساطير، الخرافات.

المقدمة

ان الباحث التاريخي عندما يحاول دراسة القصص القرآني باعتبارها احداث تاريخية حركية ينصدم بكم الاساطير والخرافات الموجودة في كتب التاريخ والتفاسير والتي بدورها جعلت روايات الديانات السابقة أساسا معرفياً لها فحاولوا ان يكملوا ما لم يفهموه من القرآن الكريم او لم يستطيعوا ان يستدلوا عليه فلجؤا (بقصد أو بدون قصد) الى ما تسمى الاسرائيليات فاخذوا منها ما روي غليلهم ولكنه مع كل الاسف كان تراثاً سقيماً، ومن هنا انطلقنا من اعادة قراءة القصص القرآنية وفق مؤشرات قرآنية ارادها لنا سبحانه وتعالى، ومن هذه المؤشرات ننطلق في بحثنا لكي نفهم الحركة البشرية في تطورها و تكاملها نحو الانسانية (الخلافة الالهية) في هذا التاريخ الموغل في القدم، فالباحث التاريخي من خلال القصة القرآنية يستطيع ان يبحث في فترة زمنية محددة من التاريخ وكذلك بإمكانه ان يبحث في تطور تلك الاحداث التاريخية عبر التاريخ ويستطيع ان يجعل لهذه الاحداث تسلسلا زمنياً محدداً وان يستنتج القوانين والسنن الحاكمة عليه.

ان القرآن الكريم في طرحه لحركة الانسان في التاريخ الذي يشغله زمانا و مكانا لإيجاد تلك الجدليات والصراعات في سير التاريخ وصيرورته، فلابد لنا ان نبني علاقة واعية بين الانسان الخليفة وبين الطبيعة التي يعيش فيها وفق نظام معرفي قرآني فلابد لنا ان نقرأ القصة القرآنية تحت ضوء العلم والمعرفة و في الموضوعات المختلفة واليات تطور البشر الى الانسان او ما تسمى ب(الانسنه)(كحيل، ٢٠٠١م، ص١١) واليات تطور الاسلام كدين منذ بداية نزول الرسالات (من آدم أو من نوح) ولحد الان وفق تراكم لقيم تلك الديانات السابقة بعد رفع الاساطير والخرافات عنها وكيف ساهمت القصة في تطوير الشريعة.

ان من اهم ما يلتزم الباحث به حين قراءة القصة القرآنية هو تفكيكها و رفع اي التباس او شبهه ايدلوجية موضوعة ويراد بها ان تحسب على النص لابد ان نقرأ القصة بعقل مجرد لا بخلفيات ما تعلمناه في سنين الدراسة فكان لزاماً علينا ان ننفتح على العلوم والحضارات والثقافات المختلفة وان تكون القصة القرآنية لها بعد عالمي انساني وغير محصور في مكان نزوله او على في من نزل (اسباب النزول)فعالمية الاسلام ورسالته هي التي تحدد لنا هذا الانفتاح، كذلك التمييز بين القصص القرآنية والسيرة النبوية لكي لا ندخل في منزلقات دخلها كتاب السير والتفسير، فالقصة القرآنية حق لاشك فيه ولا باطل فيها بينما السيرة النبوية كتب روايات تاريخية اختلط فيها التاريخ الاسطوري مع التاريخ الديني فأنغلق على نفسه واتخذ السلاطين هذه السيرة النبوية منطلق لتشريعاتهم الدينية والسياسية لبقاء دوام حكمهم.

في بحثنا المتواضع استطعنا ان نربط بين القصص القرآنية والكم المعرفي المتراكم و التي جعلت البشرية ترتقي بقيمها الاخلاقية الى الانسانية، دفعات تراكمت وفق تتابعها زمني متطاول في القدم، حتى وصلت الى مقام الخاتمية فكانت المحور الرئيسي لصراعات ثقافية لان البيئة والوسط الذي نزل فيه القرآن الكريم كان شديد التأثر بتراكم تلك الخرافات والاساطير من الرسالات السابقة حتى بلغت الحالة ان الرسول الاعظم قد عانى ما عانى لهدم تلك الخرافات والاساطير وقلعها من جذورها والبدء ببناء قواعد اخلاقية للإنسان جديد.

المبحث الاول:- القصة وتراكم الوعي الانساني

قيل عنها في معاجم اللغة انها الاخبار المقصوصة ويعني التتبع او الحفظ وقد فهموا هذا المعنى" فَارتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا"(سورة الكهف، اية: ٦٤)، و هذا هو التتبع والتقصي(ابن سيده، ١٤٢١هـ، ج٢، ص٤٦٥)، وتقصى الخبر او اقتص الحديث والامر اي تتبع اثره ونقله وقص الرؤيا على فلان يعني اخبره بخبرها و بيانها وايضاً تأتي على معنى التتبع للمعاني والالفاظ وتفسيرها لأخبار الناس بالعضة ليعتبروا بما يقصه القاص عليهم من اخبار الامم السابقة (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٧، ص٧٣).

والقص هو الفعل الذي يقوم به فرد ويسمى بالقاص ولذلك يقال في رأسه قصة يعني جمل مرتبة من كلام ذي معنى وهدف قال تعالى: "الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْءَانٍ مُّبِين"(سورة يوسف، اية: ١) وذلك يعني ان الله سبحانه وتعالى قد بين ذلك لنا بأحسن التبيان.

وقيل قص الشيء وهو تتبع الاثر بعد الاثر للوصول الى حقيقته ومكانه(الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ص٧٧٠-٧٧١) مثل قوله تعالى: "وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لايَشْعُرُونَ"(سورة القصص، اية: ١١)، والقصص بالقاف المكسورة هو جمعاً للقصة التي تكتب واقتص الحديث رواه على احد الوجوه(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٧، ص٧٤).

فالقصة على انواع عديده منها قصة الفلسفة و قصة الحضارة و قصة العلوم الى غير ذلك من القصص المتخصصة موضوعاتها و هي في دلالاتها الواسعة عبارة عن اعمال فنية ذو بناء هندسي يتم تشكيلها من قبل صانعها او كاتبها من احداث او مواقف لأبطال في بيئات وظروف خاصة بتلك القصة، تحمل هذه القصة على لغة وفق نوعين من الطرح اما تكون حوارية او سردية او بالجمع بينهما، وتحمل بين طياتها هدفاً او عدة اهداف فكرية يتم تحديدها من قبل القاص نفسه وقد يكون هذا الهدف سلوكي او اخلاقي(محمود، ١٩٤٨م، ص٤٤).

انما يهمنا في بحثنا هذا هو القصص القرآنية التاريخية والتي تهتم بنقل وتتبع الواقعة التاريخية دون ان تخضعها لما هو اسطوري وخرافي من الوقائع التاريخية وبذلك تخرج من حيز الاحتمال او الامكان كما في آيات السجود لادم "وَإِذ قُلنَا

لِلمَلَائِكَةِ اسجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبلِيسَ قَالَ أَأَسجُدُ لِمَن خَلَقتَ طِينًا"(سورة الاسراء، اية: ٦١) في محلها ولكنها اي القصة تكون خاضعة لعناصرها فلابد ان تكون محبوكة بصيغ ملفته للنظر وموصله لفكرتها الى العقول وشارحه للمواقف والبيئات التي حدثت فيها تلك الوقائع والاحداث وابطالها الذين خاضوا تلك القصة(سبحاني، ١٤٢٧هـ،ج١ ،ص١٧)، فلو طرحنا سؤالاً:- هل امر السجود كان امراً تكوينياً ام شرعياً؟ وللإجابة على هذا التساؤل نحتاج الى بحث كامل وذلك لان امر السجود اذا كان تكوينياً فليس للشيطان الا يسجد اما اذا امر السجود تشريعياً فلا توجد معلومات لدينا بأن للملائكة شريعة خاصة بهم، وعليه فندخل في منزلقات فهم اساس القصة هل هي من باب المثال "وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ"(سورة العنكبوت، اية: ٤٣) ام من باب الحقيقة الواقعة بمصاديقها، ولا يمكن ان نحيل هكذا قصص الى الاساطير حاشا كلام الله.

في بحثنا هذا سنضيف الى هذه القصة التاريخية قصة قرآنية لها خصائص القصة ولكنها تختلف عن هذه القصة التاريخية في انها قصة عملية تحملها الحكمة والارادة الالهية ضمن اصطفاء الهي لإيصال فكرة ما الى هدف سامي يحمله النص القرآني، وأن من اهم الفروق بين القصة القرآنية و القصة المختلقة تتركز في ان القصة المصطنعة ترتكز على تضخيم احجام الابطال او البيئات او الاهداف بينما القصة العملية تأتي بالقياسات ذاتها بل ان استخدام الاثارة في القصة المصطنعة تضخم ايضاً لشد القارئ وابقاء انفعاله مرتفعاً لتحفيز وجدان القارئ او المستمع وهذه الاوهام توضع من قبل القاص لإيصال معلومة على ان القصة مفتعلة خيالية ليست حدثا واقعياً(عبد النور، ١٩٨٤م، ص١٥).

وهذا هو بيت القصيد والنقطة الفاصلة بين القصص القرآني والقصص الخيالي فان الواقع القرآني هو الحق في الارادة والحدوث والتبسيط اما القصة المختلقة ان كانت تاريخية او غيرها يكون وقوعها محتمل فتكون النتائج في اقناع القارئ بالهدف المرجو في القصة القرآنية اكثر اقناعاً من القصة المفتعلة، وقد يكون الانفعال والتفاعل مع هذه القصة الواقعية القرآنية بسيط جداً على اعتبار انه مجرد سرد لأحداث ولكنها ترتفع الى الاثارة والدهشة والنكت الطريفة من خلال الارتكاز على اللغة الفنية الخاصة لإظهار وقائع وابطال ومواقف وظروف محدودة، هذا التوظيف الرائع للغة بمثابة النور الذي يشير الى الهدف من هذه القصة وان كانت هذه القصة تمثل زمناً بعينه فنخضعها للزمن النفسي عوضاً عن الزمن الموضوعي لذلك نرى ان بداية القصة القرآنية ونهايتها واليات السرد واختلاف الضمائر يتشكل حوار ذو اشكال متنوعة خارجي كان او داخلي بل حتى الابطال لا يفرق في القصة بين الرئيسي او الثانوي افرادا كانوا او جماعات(الزحيلي، ١٤١١هـ، ص٢٧٠)، هذه الطرق الفنية المتبعة في ايصال الاحداث الواقعية هو بحد ذاته يعتبر اعجاز قصصي قرآني وهذا البحث يتناول هذه الاعجازية بلغة يسيره وليس تقويم فني بل ايصالاً لحقائق فنية وفق امثلة من الآيات القرآنية القصد منها اثراء معرفي ومن بعد ذلك التعديل السلوكي للإنسان وفق اهداف قرآنية.

ان القصة القرآنية تمثل ركناً اساسياً في فهم النظم المعرفية للدين عموماً و خاصةً الدين الاسلامي لذلك نرى ان هناك ثلاث مدارس لفهم القصة القرآنية فالمدرسة الاولى هي مدرسة المثل والتي تؤمن بأن القصة القرآنية تأتي من باب ‘‘وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ" (سورة العنكبوت، اية: ٤٣) والمدرسة الثانية هي السردية التي تنقل الانباء والاخبار مثل (كتاب الطبري ‘‘تاريخ الرسل والملوك"، قصص الانبياء) وهي نفسها الواقعية والتي تؤمن بواقعية القصة وحدوثها بوجود الشاهد والمدرسة الثالثة الاسطورية" وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكتَتَبَهَا فَهِيَ تُملَىٰ عَلَيهِ بُكرَةً وَأَصِيلًا "(سورة الفرقان، اية: ٥) التي لاوجود لها ضمن القصص القرآنية" نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوحَينَا إِلَيكَ هَٰذَا القُرآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ"(سورة يوسف، اية: ٣).

ان المشكلة التي وقع فيها المفسر والمؤرخ العربي والاسلامي انه قد شغل عقله بالقياس فخرجت احكامه مطابقة لأحكام من سبقه من الديانات السابقة في اخطاء قراءة النصوص التاريخية والدينية وتطبيقها على الشريعة وبالتالي على المجتمع، فالعبرة والعضة لها فلسفة قرآنية خاصة ويجب ان نتجاوز القياسات التاريخية ونعلل بها ما حدث وما كان لكي نصل الى نتائج تاريخية، لقد لجأ اصحاب الشأن الى القياس مجبرين لوجود النقص في المعلومات لديهم ولكي يقاربوا بين المعاني وبين القياس والقصص، لكنهم وقعوا في المحذور ونقلوا لنا ما لا يجب نقله وادخلوا في الاسلام ما لا يجب ادخاله، فلا يمكن في اي حال من الاحوال ان نحمل الفروع على الاصول في الاحكام الجامعة بينهما(ابن قدامه، ١٣٩٩هـ ، ص٢٧٥).

ان السؤال الذي يطرح لكي نكشف المشكلة العويصة التي وقعوا فيها هو ماهي العلة الجامعة بين كل القصص القرآنية؟ والسؤال الفرعي وهل هذه العلة تشتمل بين طياتها الامر او النهي؟ ويقيناً بأن الجواب سيكون بالنفي على اعتبار ان الاوامر والنواهي تكون في الاحكام الشرعية وليس في الانباء والاخبار، لان الاحداث التاريخية تحدث وفق صراع المصالح بين الناس ولا توجد علاقة لها بالاوامر والنواهي، ولكن علماؤنا الافاضل جعلوا الحدث التاريخي السابق على رسالة النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) اصلاً من اصول العلة الشرعية فوضعوا لها امراً ونهياً وفق ايدولوجيات اوجدوها "هُوَ ٱلَّذِيٓ أخرج ٱلَّذِينَ كَفَرُوا من أهل ٱلكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِم لِأَوَّلِ ٱلحَشرِ .... يُخرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيدِيهِم وَأَيدِي ٱلمُؤمِنِينَ فَٱعتَبِرُوا يَٰٓأُولِي ٱلأَبصَٰرِ "(سورة الحشر، اية: ٢) فارتكزوا باستنباطهم على احكامهم وفق فهمهم للفظة (فاعتبروا) فعندما قاسوا جعلوا فعلهم كفعل النبي محمد(صل الله عليه واله وسلم) من بني النضير(خلاف، ١٩٤٧م، ص٥٧)، هنا تكمن المفاصل الخطرة في هذه المطابقة بين الحوادث الماضية والحوادث التي نقع فيها لاحقاً، وهذا خطر جداً وغير صحيح فيجب عند المطابقة هذه يجب توافر كل شروط الواقعة التاريخية الاصلية على ما يحدث الان وتعتبر واقعة فرعية لكي يتم القياس فيما بينهما والعقل السليم يستحيل ان يوافق على توفر وتطابق تلك الشروط في الواقعتين المقاستين، فضلاً عن عدم توفرها كلها او معظمها اذا اضفنا اليهما ان علماؤنا الافاضل يقرون بأن السواد الاكثر مما يحصلون عليه من ادلة على احكامهم هي ادلة ضنية(المصدر نفسه، ١٩٤٧م، ص٦٥) وباعترافهم هذا يجعلون احكام تاريخية وفقهية مقدسة لا يمكن الخروج عنها واعتبروها سنن تاريخية مقدسة حسب ظنهم.

تعتبر القصة القرآنية هي جزء مهم من القرآن ولكنها ليست من الرسالة بل من النبوة فلا يمكن ان نعتمد عليها في استخراج الاحكام الشرعية منها، نعم هي موعظة للناس عامة وللمؤمنين خاصة فهي لم تأتي بشكل قسري التطبيق او قسري الترك لذلك نرى ان في كل اية قصصية نجد قوله تعالى:"فَاعتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبصَارِ" فهنا عبرة ولا حكم وكذلك قوله تعالى:" لَقَد كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبرَةٌ لِّأُولِي ٱلأَلبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفتَرَىٰ وَ لَٰكِن تَصدِيقَ ٱلَّذِي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصِيلَ كُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحمَةً لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ"(سورة يوسف، اية: ١١١) فالعبرة هي المحور التي تدور عليه القصص القرآنية، لو راجعنا معاجم اللغة وفي الفصل الخاص(ع، ب، ر) وهو يعني النفوذ والمضي في الشيء وهو النظر الى فعل ما فتمت المعاقبة على هذا الفعل او نجاة المرء من خطر(ابن فارس، ١٣٩٩هـ، ج٤، ٢٠٧) ومن هنا نجد ان الاشتقاق اللفظي للعبرة هو الاعتبار وهذا ما جعل القصص القرآني احسن القصص فهي تشتمل بين آياتها والفاظها الحكم، وهذه الحكم تفتح للإنسان افاق واسعة للتطور وفق حرية واسعة لفهم القصة القرآنية وفق ارادة واعية لتاريخه فهذا التطور من البشرية الى الانسانية اصله الحرية في فهم القصص القرآنية وما تحمله من حكمة وعضة وما يحدد تطور الانسان في معيشته وقتل روح الابداع والتغير لواقعه المعاش هو الاحكام الشرعية الصادرة من آيات غير معدة للحكم الشرعي وهذا بالضبط ما نجده في الآية الكريمة" وَ قالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُوني في رُؤْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ"(سورة يوسف، اية: ٤٣).

المصطلح الاخر الذي اشتملت عليه الآيات الكريمة المؤلفة للقصة هو"أولوا الألباب" هذه الصفة التي يحملها المفكرون والمبدعون هم الذين يستمعون الى كلام الله فيتبعوه"الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللهُ وَ أُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ"(سورة الزمر، اية: ١٨) فهذه الآية الكريمة لا تشمل الذين يتتبعون جمع الرواية بلا دراية فهؤلاء غير مشمولين بصفة "أولوا الألباب" لأننا لم نجدهم ان يضعوا العبرة المراد منها في القصة نصب اعينهم او في كتبهم لتفعيل السنن التاريخية في المجتمع وعدم وقوع هذه المجتمعات فيما وقعت فيه الامم السابقة، على هذا التأسيس والفهم للقصص القرآنية فلابد لنا ان نتناول القصص القرآنية ليس بالطرق الموروثة فلابد من توفر مناهج وتحديد ادوات واليات البحث العلمي التاريخي لكي نصل الى العبر للقصص القرآنية للوصول الى السنن التاريخية المراد لنا ان نتبعها للوصول الى الخلافة القرآنية للإنسان.

المبحث الثاني:– الانباء والاخبار

ان الاحداث التاريخية التي تنقلها القصص القرآنية بلغتها القوية المتسلسلة تجعل الانسان الواعي الحر القارئ لهذه القصة مشدود اليها وجدانياً وذلك لان الانسان في جدل دائم مع ذاته داخلياً وخارجياً مع البيئة التي يعيش فيها والمجتمع، فاذا لم يمارس هذا الانسان الحر الواعي جدله مع بيئته ومجتمعه بصورة صحيحة تدخل هذه القصة القرآنية عنده في حيز القصص التاريخية الحادثة ولكنها مبهمة وغامضة، فيلجأ حين إذ الى خياله ليفسر هذه الحوادث مضيفاً اليها من خياله الواسع خرافات واساطير من الارث الذي ورثه من الروايات السابقة التي ذكرت عند اهل الملل السابقة للإسلام لفك الغموض الوارد في القصص القرآنية، لذلك وجدنا الكثير من الخرافات والاساطير المنقولة من التوراة والانجيل والتي اعتمد عليها مفسرو القرآن ومؤرخو السنن التي نقلوها واعتمدوا عليها في تفسير القصص القرآنية(الطبطبائي، ١٤١٧هـ، ج١٢، ص٥٦).

نحن نعلم ان القرآن الكريم هو المهيمن على الكتب السماوية السابقة "وَالمهَيمِن عَلى ذلكَ كُلِّهِ"(الكليني، ١٣٦٣هـ، ص٥٧٢) وما حصل من اعتماد المفسرين والمؤرخين على روايات اليهود والنصارى قد اذهب هذه الهيمنة لان القرآن المجيد اصبح محتاجاً لإيضاح آياته الى روايات اسرائيلية تشرح بدء الخلق والنزول وما الى ذلك من القصص القرآنية المنقولة عبر التوراة والانجيل(الحكيم، ١٤١٧هـ، ج٥، ص٦)، فأصبحت القصة القرآنية مشوهة بهذا الارث الاسرائيلي المشوه اصلاً بموروثات اليهود البابلية واساطير وخرافات الديانات السابقة المنحرفة من قصص الخليقة والسماء والارض والجنة والنار(شاهين، ٢٠٠٣م، ص٢٠)، فأحاطوا القصة القرآنية بسور عالي ومنيع للحد من عدم تحقيق الاهداف الالهية المرجوة والتي تحملها القصة القرآنية في الفاظها ونسقها، فكان لزاماً علينا ان نعمل على رفع هذه الاسوار واعادة قراءة القصة القرآنية بالقرآن نفسه وليس بالموروث الروائي للوصول الى الاهداف الحقيقية التي اعدها الله سبحانه وتعالى لتطور البشرية وتقدمها.

لقد تظافرت جهود الخلفاء و السلاطين مع فقهاء السلطة ورواة الحديث لزرع بذور الاساطير والخيالات الروائية وبالارتكاز على الاسرائيليات الغرض منها خلق مجتمع مؤدلج فأصبح ثلاثتهم محاطين بقدسية تمنعهم من النقد بل حتى انهم تجاوزوا الجرح والتعديل على رواياتهم واحاديثهم، لقد حجموا الحرية التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان من خلال اقناعه بأنه يعيش الخطيئة الاولى جراء شهوته ورغبته التي اخرجت ابواه من الجنة فعاش هذا الانسان في سجن يحتاج للخروج منه الى فتوى لتحليل حياته وتحريمها، فاصبح التاريخ مقدس وتقسم الاسلام الى مذاهب كل يوثق الرواية التي تدعم رواه وايدولوجية المذهب(الفخر الرازي، ١٤٠١هـ، ج٣، ص٢٤٥).

مناهج البحث العلمي التاريخي ركيزة اساسية وضعها القرآن الكريم للوصول الى حقيقة القصة القرآنية موضوع البحث فعندما نحلل النص القرآني فلا نكتفي باستدعاء الروايات والاحاديث وتدقيقها رجالياً بل يجب ان نقرأ نص المتن وعرضه على القرآن نفسه اولاً لإثبات صحة الحديث او الرواية ثانياً لاستنباط الاهداف الالهية المراد تحقيقها من قبل الانسان،

بغض النظر عن المصدر الناقل للرواية والحديث وقدسيته فالدليل التاريخي يحمل مصداقيته بذاته ونستطيع ان نكشف كمية التزييف في الرواية او دليلها التاريخي من خلال عرضها على القرآن الكريم.

ان القصة القرآنية بالنسبة للباحث تحتاج الى دليل تاريخي من ارض الواقع لكي يثبت حدوثه ولا نكتفي بالوحي الذي انزله على صدر النبي (صل الله عليه واله وسلم) وهذا لا يعني ان نعطل عمل القصة القرآنية لحين ثبوتها تاريخياً بأن القرآن الكريم ليس كتاباً تاريخياً محصوراً للتحقيق بواقعه بعينها بل لكي يعمل الانسان عقله في اكتشاف قوانين وسنن الكون والطبيعة التي تحيط به لكي يأخذ العبرة من الاقوام الذين سلكوا طريق الفساد وماذا حل بهم؟.

كما اسلفنا سابقاً ان القرآن الكريم يختلف عن باقي الكتب بأنه من الله العلي الحكيم فهو المهيمن على باقي الكتب السماوية وكتب التاريخ على الاطلاق فنصوصه متحركة نابضة بالحياة زمانياً ومكانياً، وان قصصه لها وجود متحقق واقعي موضوعي في زمان ما ومكان ما "نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ"(سورة يوسف، اية: ٣) وهذا هو الاتجاه الاول الذي يسمى بالاتجاه الواقعي للقصة القرآنية ومن خلاله نستطيع ان نكشف ما تتضمنه القصص وما تحمله من غايات وشروط تحققها لبناء الانسان الذي اراده الله سبحانه وتعالى ان يكون وتحت اي سقف من المعرفة يعيش تحته واليات تشكل الحركة التاريخية وفق العلوم والمفاهيم التي استنبطها من تلك القصص حيث يتفاعل الانسان الواعي مع واقعه لبناء مستقبل سعيد.

لابد للباحث ان يضع اسس للمنهج البحثي القرآني للقصة التاريخية ومنها :-

١- لابد من ايجاد ماهي العلاقة التي تربط الانسان الواعي بالله سبحانه وتعالى وبالقرآن لكي يكون دقيقاً باستنباط الاحكام الشرعية المراد اتباعها او تجنبها.

٢- ان مرحلة خاتمية النبوة هذا يعني ان الانسان قد بلغ قمة كماله العقلي لكي يرتقي سلم التكامل الانساني فيكون بذلك خليفة لله سبحانه وتعالى.

٣- ان الغرض من القصة هو اخذ العضة والعبرة من الاخرين فلابد من بيان ذلك وفق فلسفة قرآنية تاريخية.

٤- هناك خطوتان لوضع اسس بناء الوعي التاريخي لتصحيح المفاهيم التي عشنا معها على مر الدهور، الخطوة الاولى هي المراجعة المجردة والنقدية للتاريخ الانساني ككل ومن ثم تأتي الخطوة الثانية تعتمد على رفع قدسية النصوص وناقلي النصوص للوصول الى اليات ربط بين الوعي الانساني ذاتاً وما نقله لنا التاريخ من تشريعات ونظم، والبدء بتصحيح الانحرافات وفق علاقات منطقية وعقلية، لنطلق عدة اسئلة لإعادة انتاج السنن و النظم ومنها، ماهي العبرة من ادراج هذه القصة في القرآن الكريم؟.... وماهي المرحلة التي نصل بها الى الرشد الانساني الذي يطلبه الانبياء والمصلحون او ما يسمى بالإنسان الكامل؟ و غيرها من الاسئلة.

٥- ان القصة القرآنية تعتبر قمة ما وصل اليه الانسان من معرفة وقيمة بدليل ان سبحانه وتعالى قد ادرجها للنظر فيها لتكون عبرة لباقي البشرية لتطوير نفسها.

٦- تحمل القصة بين طياتها نوعاً من الآيات سميت عند الفقهاء والمؤرخين (المعجزة) وتعتبر نقطة انقلاب في المسيرة الانسانية وحركته التاريخية وبذلك كانت احد الركائز المهمة في ثقافة الانسان.

٧- القصة القرآنية كما فهمها الفقهاء للدين والتاريخ هي عبرة لانتصار الحق على الباطل بينما نستطيع ان نستخرج منها اليات بناء الدولة وادارة المجتمع وهذا ما نراه واضحاً عند علي بن ابي طالب(عليه السلام) في عهده لمالك بن الاشتر حين ولاه على مصر(الثقفي، ١٤١٠هـ، ج٢ص١٦).

ان اهم المحاور التي تناولتها القصة القرآنية بالإضافة الى العبرة هي الانباء والاخبار وحملت هذه على نوعين من القصة طويلة مثل قصة يوسف وقصيرة مثل باقي قصص الانبياء المختصرة، ونفس هذه القصص هي تحمل بين طياتها اشارات لسنن تاريخية وقوانين كونية محفوظة "إِنّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى‏ وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ"(سورة يس، اية: ١٢).

ان للفظة القرآن جذران في اللغة اعتمد علماء النحو على جذر واحد وهو (قرأ) اما الجذر الاخر فقد تركوه، اما في بحثنا هذا فسوف نعتمد على الجذر اللغوي الثاني للقرآن وهو (ق، ر، ن)(الزبيدي، ١٤١٤ھ، ج١، ص١٣٨) وهو يعني في بحثنا ان هناك علاقة اقتران بين اللوح المحفوظ" فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ "(سورة الواقعة، اية: ٧٨) والامام المبين"إِنّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى‏ وَ نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَ آثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْ‏ءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ"(سورة يس، اية: ١٢).

وهذا الاقتران له امثلة قرآنية لاتعد ولا تحصى ومنها ما جاء في الآية الكريمة "وَمَا أَهلَكنَا مِن قَريَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعلُوم"(سورة الحجر، اية: ٤)" وَإِذَا أَرَدنَا أَن نُّهلِكَ قَريَةً أَمَرنَا مُترَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمَّرنَاهَا تَدمِيرًا"(سورة والاسراء، اية: ١٦)، ان القصة القرآنية ليست خبراً نسمعه ونتجاوزه بل هي نبأ عظيم للعبرة وزيادة الرصيد المعرفي التراكمي للإنسان والذي من خلاله يتكامل نحو مرتبة الانسان الكامل، لان الخبر يحتمل الصدق والكذب كما عند اهل المنطق اما النبأ فلا كذب فيه، لذلك سمي النبي نبياً لأنه يحمل الينا الحقيقة "وَ الَّذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبادِهِ لَخَبيرٌ بَصيرٌ"(سورة فاطر، اية: ٣١) بالإضافة الى ذلك ان النبأ ماضياً كان او حاضراً او مستقبلاً هو من الغيب بالنسبة لنا فقصص الامم السابقة وما نحفظه في بيوتنا وما يكون مستقبلاً من حوادث انبأنا بها النبي(صل الله عليه واله وسلم) بحقيقتها "تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقينَ"(سورة هود، اية: ٤٩) و " وَنَبِّئْهُم عَن ضَيفِ إِبرَاهِيمَ "(سورة الحجر، اية: ٥١) و "هَل أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ"(سورة الغاشية، اية: ١) و "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ "(سورة النبأ، اية: ١-٢).

ان ناقل الخبر يجب ان يكون حاضراً شاهدا اما النبي فتأتيه الانباء من الله سبحانه وتعالى: "ذالِكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحيهِ إِلَيْكَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ"(سورة آل عمران، اية: ٤٤)، اذا اضفنا اليه ان النبأ في القصة القرآنية علمه اجمالي وليس مفصلاً مثلما موجود في كتب التاريخ فنستطيع ان نقول ان ما موجود في كتب التاريخ هو الخبر بالتفصيل ويحتمل فيه الصدق والكذب والاضافة والحذف(ابن منظور، ١٤١٤ھ، ج١٤: ص٨).

لقد نقلت لنا القصة القرآنية وقائع حدثت في زمن النبوة وكان النبي حاضراً وكذلك الصحابة والمسلمين وثق فيها معارك بدر و احد وباقي المعارك وعندما ذكرت في القرآن الكريم ذكرت على شكل نبأ وليس خبر تحولت قصصها القرآنية الحضورية بالنسبة للنبي ومن فيها من المسلمين الى نبأ مثل انباء قصص الانبياء السابقين، وهي عبرة للحاضر و المستقبل.
قال تعالى:"لَقَدْ كانَ في‏ قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ ما كانَ حَديثاً يُفْتَرى‏ وَ لكِنْ تَصْديقَ الَّذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصيلَ كُلِّ شَيْ‏ءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(سورة يوسف، اية: ١١١) هذه الآية تدل على بيان الفائدة الرئيسية للقصة القرآنية وهي العبرة ولكن ما دمر وضرب قواعد ومرتكزات هذه العبرة هو القياس في قراءة وتحليل النصوص التاريخية، فالقياس بأصله يوقف عمل العقل التحليلي العلمي للواقعة او الحدث التاريخي، فجعلوا من التتبع التاريخي للقصة تتبع للأحكام الشرعية، وهنا لب المأساة فالقصة تتبع لآثار مادية بينما القياس عمل مخبري تجريبي(الفراهيدي، ١٤٢٤ھ، ج٨، ص٢٦٣) واين هذه من تلك ومع هذا خلطوا ائمة الفقه ودخلنا في حيص بيص من التشريعات الخاضعة للقياس من سفك دماء وهتك اعراض باسم الدين.

المبحث الثالث: الاساطير والخرافات

ان كلمة اسطورة قديمة جداً(عبد الرحمن، ٢٠٠٨م، ص١١) ولقد عرفها علماء اللغة والمعاجم في باب (س، ط، ر)(الزمخشري ، ١٤١٩هـ، ج١، ص٢١٧) وهذا الجذر اللفظي يدل على اي شيء يتخذ اصطفافاً معيناً كسطر الكلمات والاشجار وهكذا، فتكون النتيجة ان الاسطورة هي عملية صف ورص الالفاظ اللغوية وتركيبها بصورة محبوكة لتفاصيل دقيقة وجمالها ومقبوليتها على قدر نسق الخيال فيها فضلاً عن الفكرة الجوهرية التي تحمل جزء بسيط من حقيقة مشوشة وغير واضحة المعاني، هذه الدلالة ادت الى وصول الباحثين في الاساطير الى القول ان الاسطورة هي رموز مقدسة الدلالة متولدة من اساسين هما اللفظة ودلالتها مؤطرة بل لاعقلانية (ماجدي، ١٩٨٨م، ص٥٨).

ان اليات الاتصال بين بني الانسان هي اللغة المبنية على الفاظ صوتية واحرف كتابية تدل على فكرة ما في الذهن وعلى المتكلم ان يوصل هذه الفكرة الى جماعة او شخص محدد وتطورت هذه اللغة من الاصوات الى الكتابة حاملة معها المعتقدات والطقوس والاخلاق والعادات التي تشكلت في الفكر المجتمعي(جلال الدين السيوطي، ١٤١٨هـ، ج١، ص١)، وتشكلت فيما بين هذه الطقوس والمعتقدات والاخلاق علاقة مع اللغة تشكل على اثرها التراث والفكر في تلك الشعوب ونقل لنا عبر التاريخ في المسيرة التاريخية للإنسان.

ان للأسطورة ركنان مهمان هما: المعجزة والاشياء الخارقة للعادة والقوانين المادية في الوجود وهذا مانحن عليه اما لو رجعنا الى الانسان البدائي فتراكيب هذه المعجزات والخوارق ووفق تفكير ووعي بالطبيعة البسيطين تكون دلالتهما على قدر مستوى الذهني ووفق معتقداته(خورشيد، ٢٠٠٢م ،ص ١٩)، لذلك لم يكن باستطاعة الانسان الكريم ان يربط بين معتقداته وما توصل اليه من فهم في وقت واحد الا من خلال فهمه للرمزية التي تحملها الاسطورة لذلك نجد ان الرمزية تمكنت من ادخاله في ساحات الادب والخطابة ومعتقداته الدينية التي يؤمن بها، من هنا نجد ان وظيفة الاسطورة الرئيسية هي جعل ما هو مادي ومرئي الى مجردة وغير مرئية مثل مواضيع بدء الخلق ومراحل خلق الانسان وكذلك القضايا والمواضيع المرتبطة بالوجود الانساني والطبيعي فهذه المواضيع كلها بالنسبة لنا غيب ومن العوامل المجهولة ومازال الغالبية العظمى من البشرية يقف وعيها حائراً امام هذا الفهم، وبما ان الاسطورة تحمل وجه حقيقة واحد بنيت عليه الخيالات والخرافات فهي من المحركات المهمة للمشاعر الانسانية من خلال قدسية الرمز (فيشر، د.ت، ص١١٧).

عند مراجعة المعاجم اللغوية نجد ان الاسطورة كتبت واساسها الباطل(الزمخشري، ١٩٨٩م ، ص١٥)، فمن جاء بالباطل فهو يسطر علينا تسطيرا، وبهذا التسطير فقد سيطرت على الوعي الانساني بحيث لا يستطيع ان يمارس ضدها النقد او على اقل التقادير دراستها وتحليلها فهي في الغالب تكون بيد السلطات الحاكمة، وهم بهذه الاسطورة المحاطة بقدسية كاذبة شوهوا الحقيقة التي يحملها الانبياء "وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ في‏ آذانِهِمْ وَقْراً وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلاَّ أَساطيرُ الْأَوَّلينَ"(سورة الانعام، اية: ٢٥)" تفسير وَ إِذا تُتْلى‏ عَلَيْهِمْ آياتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطيرُ الْأَوَّلينَ، وَ إِذْ قالُوا اللهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذابٍ أَليمٍ"(سورة الانفال، اية: ٣١-٣٢)، نجد ان من احتلت الاسطورة عقله ووعيه هومن اشد الرافضين لهذا الوحي فهم وجدوا ان هناك تشابه في بعض المواضيع ولكنها تخلو من الاساطير التي يحملونها عن السابقين كالخلق والحياة بعد الموت والبعث والنشور وكل هذه المفاهيم قد حملوها في وعيهم من خلال الديانات السابقة على الاسلام فصعب عليهم تقبل هذه الحقيقة البسيطة بالأساطير المضخمة بالأباطيل.

ان القرآن العظيم نزل على قلب الخاتم النبي محمد(صل الله عليه وآله وسلم) لتصحيح ما نحرف من الديانات السابقة واحيطت بأساطير لا تمت الى العبادة الحقيقة بشيء، فكان الاعتراض الجوهري على هذه الاساطير لا على الحقائق التي تحملها بل على الهالة التي تحيط بها من الوهم والخيال والتدليس وخاصة في الامور الغيبية مثل الموت والبعث والنشور قال تعالى:" لَقَد وُعِدنا هذا نَحنُ وَآباؤُنا مِن قَبلُ إِن هذا إِلاَّ أَساطِيرُ الأَوَّلِينَ "(سورة النمل، اية: ٦٨)" وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَن أُخرَجَ وَقَد خَلَتِ القُرُونُ مِن قَبلِي وَهُمَا يَستَغِيثَانِ اللَّهَ وَيلَكَ آمِن إِنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ"(سورة الاحقاف، اية: ١٧)، ان هذا التركيز من قبل القرآن الكريم وعلى هذه المفاهيم بالذات لأنه اراد ان يفتح باباً فكرياً للسجال الواعي مع اهل الكتاب لكي يصححوا المغلوط مما يحملوه من أساطير "إِنَّ هَٰذَا القُرآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسرَائِيلَ أَكثَرَ الَّذِي هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ" (سورة النمل، اية: ٧٦) وبذلك يتم التنقيح والتصفية والالتباس من اي وهم وخرافة بواسطة القصة القرآنية، فهنا نلاحظ ان الاستخدام الحكيم للقصة القرآنية في النقد والتقييم والتنقية والتحرير للحقيقة من كل اسطورة وخرافة.

ان جذر الخرافة هو(خ، ر، ف) وحسب معاجم اللغة فأن لهذا الجذر مفهومان الاول بمعنى الطريق والثاني هو الاجتناء فنحن نجني الثمر ونسلك الطريق(ابن دريد، ١٩٨٧م، ج١، ص٣٠٨)، اما الخريف فهو الزمان وهناك معنى شاذ هو فساد العقل عندما يبلغ الانسان من العمر عتيا(عمر، ١٤٢٩هـ، ج١، ص٦٣٣)، من هنا نجد ان التخاريف هي مجموعة من الافكار والرؤى الخيالية وتكون ثمرة للوعي الانساني البسيط من خلال ما يتأمله في الكون والطبيعة فيتكون فساد لهذا الخيال المنتج من الجهل البشري او خبث هذا البشر فيدس افكار مغلوطة في ثقافة المجتمعات لغرض استعبادها والسيطرة عليها.

فالخرافة تختلف عن الاسطورة بأنها لا تحمل القدسية بين ثناياها بل ان المرتكز الذي تدور حوله هو عنصر تاريخي خيالي(ابن سيده، ١٤٢١هـ، ج٢، ص٣٢٩) مضافاً اليه اعمال بطولية خارقة للتمجيد وجعل هذا البطل غير مساوي لباقي الناس وبالمزج بين الاسطورة والخرافة في الديانات المنحرفة السابقة للإسلام تم ايجاد ثقافة شعبية مليئة بالأساطير ترسخت في العقل والوعي العربي فأنطلق هذا الخيال يقود هذا العقل ليضيف قدسية لهذه الاساطير والشخصيات لكي لا يتم مسها بسوء فلم يفهم ولم يناقش بل اخذها وامن بها حتى سيطرت عليه.

من هنا نجد ان الفرق الرئيسي والجوهري هو ان القصة لها شاهد ينقلها ويحكيها لنا بتفاصيلها وحقيقتها باعتباره حاضراً في الزمان والمكان وكذلك يوجد لها عالم يستطيع بعلمه ان يتتبع ويتقصى حقيقة ما جرى، فالباحث يجب عليه ان يتقصى في اثر القصة من خلال منهج دراسة التاريخ مع فحص هذه المناهج المختلفة(هيجل، ٢٠٠٧م، ج١، ص٣٢)، فيكون الباحث التاريخي امام تاريخ اصلي وتاريخ سمعي نقلي وهذا ما نجده في كافة الكتب والابحاث التاريخية والقصة القرآنية تمتاز عن ما تحمله هذه الكتب التاريخية ان اي زمن اتت به القصة القرآنية يكون دليلها معها والآيات الدالة على هذا الشيء كثيرة مثل "نحن نقص" و "يقص الحق" و "قصصنا عليك" و "لم نقصص عليك"، فالقصة القرآنية هي حق وتكون بذلك ضد الوهم والخرافة وهذا الحق يمثل في الواقع القوانين الكونية المنضمة لهذا الوجود الانساني والطبيعي.

وبهذه القصص القرآنية التي تحمل الحق قدم الله سبحانه وتعالى افكاراً جوهرية مجردة ترتكز عليها الاساطير ولكنه اعاد صياغتها وفق احداث رئيسية مؤثرة على حركة التاريخ" فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيهِم بِعِلم وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ"(سورة الاعراف، اية: ٧)، وهكذا عندما نسمع قوله تعالى يقول ما كان حديث يفترى يريد ان ينفي الأنساق والاساليب التي نقلت بها وحيك بها الاساطير الملغمة بالخرافات" لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ"(سورة يوسف، اية: ١١١)، واي متتبع للقصص القرآنية يصل الى نتيجة مهمة

جدا ان العناية الالهية للإنسان في حركته نحو الله هو وفق ارادته وعلمه مهما كانت هذه الاحتمالات الممكنة لحركة التاريخ الانساني.

وبذلك ترك لنا سبحانه وتعالى الحرية في التصرف بهذه السنن التاريخية وذلك من خلال النمط الجديد للقصة القرآنية المغاير للنمط الاسطوري من كل الجوانب فالقصة القرآنية علمية تماما في الطرح التاريخي الانساني فوفق هذا القصص القرآني وقيمه العملية تم تصحيح العقائد والافكار وصار بإمكاننا الدراسة العلمية والعقلانية وفق الغاية والهدف من القصص القرآنية لتصحيح السلوك الانساني الذي يعيشه وتطوير وعيه الى يوم القيامة.

الخاتمة

توصلنا في بحثنا ان القصة هي عملية تتبع الاثر مع ربط الاحداث فيكون هذا المتتبع لآثار القصة وشخوصها محيطاً عالماً بما ينقله في قصته على اعتبار انه حاضر زماناً ومكاناً وفاعلاً فيها، فهي بالنسبة للقاص اخبار ينقلها بشهادته اما بالنسبة الى المستمع هي انباء غيبية تنقل اليه.

وجدنا في بحثنا ان القصة القرآنية تحتوي على احداث مرتبطة فيما بينها ومن خلال هذا الربط نستطيع ان نصل الى حقائق وسنن تاريخية افضل كثيراً من الاثار واللقى التي نستنبط منها موضوعاً جامداً بعد كثير تدبر ونظر فبالرغم من هذه الاثار والشواهد المادية فأن شهادتها تكون على جزء بسيط من المعرفة على احداث ذلك الزمان، اما القصص القرآنية والتي وصفها سبحانه وتعالى بأحسن القصص فأن لها شاهد ناطقاً وشهيداً حاضراً وهو العالم بالخفيات والاسرار بل حتى تفاصيل الامور التاريخية التي حدثت لذلك فأننا نرى ان القصص القرآنية قد حملت الاحداث التاريخية والوقائع ظاهراً وباطناً لذلك نحن فرقنا في بحثنا بينها وبين القصة التاريخية او ما تسمى بالرواية التاريخية فقد تتعارض شهادتها مع شهادة رواية اخرى بالضد منها، وكذلك نستطيع ان نفرق بين التاريخ الحضوري او السردي الناقل للوقائع التاريخية انه لا يحمل قيم اخلاقية مثلما تحمله القصص القرآنية بين جنباتها.

المصادر

-القرآن الكريم

- محمود، تيمور، فن القصص، القاهرة: مطبعة دار الهلال، ط٣، ١٩٤٨م.

- الثقفي، إبراهيم بن محمد (ت٢٨٣هـ)، الغارات، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، قم: دار الكتاب الاسلامي، ١٤١٠هـ.

- جبور، عبد النور، المعجم الادبي ، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ط٢.

- جعفر، سبحاني، القصص القرآنية، قم: مؤسسة الامام الصادق، ط١، ١٤٢٧هـ..

- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وانواعها، تحقيق: علي فؤاد منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

- الحكيم، محمد باقر،علوم القران، قم: مؤسسة الهادي، ط٣، ١٤١٧هـ.

- خلاف، عبد الوهاب خلاف(ت١٣٧٥هـ)، علم اصول الفقه، القاهرة: دار القلم، ط٨، ١٩٤٧م.

- خورشيد، فاروق، أديب الأسطورة عند العرب، الكويت: عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، ٢٠٠٢م.

- ابن دريد ، ابو بكر محمد بن حسن ، جمهرة اللغة ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت :نشر دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.

- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: عبد الستار احمد، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ.

- الزحيلي، وهبه، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ.

- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد(ت٥٣٨هـ)، اساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل(٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٢١هـ.

- شاهين ، عبد الصبور، أبي آدم قصة الخليقة بين الاسطورة والحقيقة، القاهرة: دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

- الطبطبائي، محمد حسين(ت ١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤١٧هـ.

- عبد الرحمن، عبد الهادي، لعبة الترميز: دراسات في الرموز واللغة والأسطورة، بيروت: الانتشار العربي، ٢٠٠٨م.

- عمر، أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ،

- ابن فارس، احمد(٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن(٦٠٦هـ)، تفسير الرازي، بيروت: دار الفكر،١٤٠١هـ.

- الفراهيدي، الخليل بن احمد(١٧٠هـ)، العين ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ.

- فيشر، إرنست، ضرورة الفن، ترجمة: ميشال سليمان، بيروت: دار الحقيقة، د.ت.

- ابن قدامه، عبد الله بن محمد(٦٢٠هـ)، روضة الناضر وجنة المناظر، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل، بيروت: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ.

- كحيل، مصطفى، الأنسنة و التأويل في فكر محمد أركون، المغرب: دار الامان للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١م.

- الكليني، محمد بن يعقوب(٣٢٩هـ)، اصول الكافي ، تحقيق: علي اكبر الغفاري، بيروت: دار المرتضى، ١٣٦٣هـ.

- ماجدي، خزعل، بخور الالهة دراسة في الطب والسحر والاسطورة والدين، عمان: الاهلية والنشر والتوزيع، ١٩٨٨م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم(٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

- هيجل، العقل في التاريخ، ترجمة: امام عبد الفتاح امام، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ط٣، ٢٠٠٧م.

اللغة العربية في الهند – كيرلا أنموذجاً–

د. أحمد بن عبدالرحمن سالم بالخير،
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم التطبيقية، جامعة ظفار، سلطنة عمان

الملخص

تشتهر ولاية كيرلا في الهند بتعدد اللغات التي تتحدث فيها، وتشمل هذه اللغات العربية التي تستخدم بشكل واسع في المجتمع الإسلامي الذي يشكل نحو ٢٧٪ من سكان الولاية. ويتم استخدام اللغة العربية في كثير من الأحيان في الصلوات والأحتفالات الدينية والأنشطة التجارية والتواصل مع الدول العربية. كما توجد في ولاية كيرلا العديد من المدارس والمؤسسات التعليمية التي تدرس اللغة العربية، وهناك أيضًا جامعات تقدم برامج دراسية في اللغة العربية. ويعود تاريخ استخدام اللغة العربية في كيرلا إلى الفترة الإسلامية الأولى، وتعتبر اللغة العربية جزءًا من الهوية الثقافية والدينية للمسلمين في الولاية. ويوجد في كيرلا العديد من النصب التذكارية والمباني الإسلامية التي تحتوي على نصوص عربية. وبالمجمل، فإن اللغة العربية تحتل مكانة هامة في كيرلا وتستخدم بشكل واسع في الحياة اليومية للمجتمع الإسلامي في الولاية، كما توجد فيها مؤسسات تعليمية وثقافية تهتم بتعليم اللغة العربية وتعزيزها كجزء من الهوية الثقافية والدينية للمجتمع المسلم في الولاية. إن هذه المداخلة تحتوي على ثلاثة مباحث، يتحدث المبحث الأول عن تاريخ العلاقات التجارية بين العرب و شبه القارة الهندية، والمبحث الثاني يبين تاريخ العلاقات الثقافية والحضارية بين الهند والعرب، والمبحث الثالث يبحث عن عوامل و مراحل إنتشار اللغة العربية و العلوم الإسلامية في شبه القارة الهندية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الهند، كيرلا، المؤسسات التعليمية.

التمهيد

يتأثر شعب بشعب آخر وخاصة عندما تحصل بينهما احتكاكات وارتباطات أو يحدث أي نوع من الروابط والأواصر أو تكون بينهما علاقات سواء أكانت تجارية أو اجتماعية أو ثقافية وذلك لأنه لايوجد في العالم أي شعب لم يتأثر بغيره من ناحية لغوية أو ناحية أخرى وتكون هذه التأثيرات و الانفعالات عميقة و وثيقة بقدر ما تكون العلاقات وطيدة وراسخة؛ فعلى سبيل المثال نرى التأثير اليوناني على تلك الأمم ولغاتهم الذين احتكوا باليونانيين ومنهم العرب والفرس والترك وغيرهم وهكذا تخالط العرب مع المصريين القدامى والفينقيين ومازجوا مع الفرس والهنود وغيرهم من الأمم فدخلت ألفاظ كثيرة من معظم هذه اللغات إلى اللغة العربية .

كما أثرت العربية على اللغات الأوروبية إلا أن التأثير الأكبر كان من نصيب اللغات الشرقية، كما نلاحظ ذلك في اللغة الأردية مثلاً، فقد أثرت فيها العربية مباشرة من خلال سماع المولود للأذان، وتسمية المواليد بالأسماء العربية، والتعليم الابتدائي باللغة العربية؛ فكل عائلة مسلمة في شبه القارة الهندية لا بد أن تعلم أطفالها القرآن الكريم، كذلك استخدام الناس الأدعية في حياتهم اليومية من الآداب النبوية، وأداء الفرائض اليومية، وقد كانت هناك صلات تجارية قديمة بين العرب وشبه القارة الهندية، كما أن الفتح الإسلام للسند ترك آثاره العميقة. إن هذه المداخلة تحتوي على ثلاثة مباحث، يتحدث المبحث الأول عن تاريخ العلاقات التجارية بين العرب وشبه القارة الهندية، والمبحث الثاني يبين تاريخ العلاقات الثقافية والحضارية بين الهند والعرب، والمبحث الثالث يبحث عن عوامل ومراحل إنتشار اللغة العربية والعلوم الإسلامية في شبه القارة الهندية.

لقد كان أول عهدي بالهند عامة وكيرلا خاصة تلك الرواية المتوارثة لدينا في الجزء الجنوبي من سلطنة عمان _ أعني محافظة ظفار _ التي تدور حول قبر السامري _ كما يسمى في المحافظة _ ذلك الرجل الهندي الجليل الذي دفن في ظفار .

تحكي لنا تلك الرواية(١) أن ملك مليبار جاكرواني فارماس ــ على اختلاف الروايات في ذكر اسمه فهو يرد مرة باسم شورامان بورومال ، وأحيانا باسم سرباتك ــ قد رأى القمر منشقا من على شرفة قصره في إحدى الليالي المقمرة في وقت متأخر من الليل، وقد أفزعه الأمر فاستدعى كهنته ومنجّميه وحاشيته صباح اليوم التالي وسألهم عن الأمر فأخبروه أن لا علم لهم بالأمر ، وأمر هذا الملك أن يُسأل كل وافد على مملكته عن الأمر حتى صادف مرور بعض التجار العرب بعد تلك الحادثة بسنين، فلما سألهم أخبروه عن ظهور نبي في مكة يدعو العرب وغيرهم إلى ترك الأوثان. وقرر الملك حينها تعيين ابنه خليفة له وانطلق لملاقاته ، وأسلم الملك على يد النبي صلى الله عليه وسلم . وفي طريق العودة مرض مرضا شديدا أدّى بهم إلى النزول بساحل ظفار حيث توفي ودفن .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه قد جاء ذكر الملك الهندي الذي وصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ففي كتاب المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري المتوفى في ٤٠٥هـ (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرّة فيه زنجبيل ، فأطعم أصحابه قطعة قطعة ، وأطعمني منه قطعة)(٢).

كما أن هناك صورة تتمثّل في مخيلتي مذ كنت صغيرا ، تلك الصورة تعكس لنا المثاقفة بين الهند وعمان من خلال ما تضعه النساء في محافظة ظفار قديما على جباههن فالنقطة الحمراء كانت في ظفار إلى عهد قريب رمزا يعرف من خلاله المرأة المتزوجة من غيرها ، إضافة إلى حليّ الأنف التي كانت ترتديها النساء في ظفار . هذه الصور كلها كشفت لي لاحقا مدى التثاقف بين هذين البلدين اللذين تربطهما الكثير من المصالح المشتركة منذ القدم .

كما تبدو شهرة السيف الهندي والمهند في الأدب العربي وإطلاق اسم هند على حرائر النساء العربيات، واسعة عند العرب مما يعكس لنا الصلات الاجتماعية والتجارية العريقة بين العرب والهنود .

تعد الهند واحدة من البقاع المتسعة التي وصلها الإسلام ، سواء عبر الفتوحات الإسلامية الأولى على يد محمد بن القاسم الثقفي في عام ٩٢هـ ، أو العلاقات التجارية التي كان لسكان جنوب الجزيرة العربية الدور الواسع فيها. إلا أن هذا لا يعني حصر العلاقة العربية الهندية بتلك الفتوحات فالثابت أن علاقة العرب بالهند كانت منذ فجر التاريخ وقبل الإسلام بقرون.

وليس ثمة شك أن اللغة العربية موضع احترام وتقدير لدى مسلمي الهند ، كما أنهم تأثروا تأثرا بالغا بأنماط الحياة العربية ، فهم يشكلون وحدة حضارية لها شخصية مستقلة تستمد مكوناتها من التراث العربي الأصيل ومن الحضارة الهندية العتيقة . والهند اليوم من المراكز الرئيسة للثقافة الإسلامية في العالم ، إذ تضم مئات المعاهد والمدارس ، التي تقوم بتعليم اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية وتراثها ، هذا إلى جانب الجامعات الحكومية والمؤسسات الرسمية العديدة التي تعنى بالبحوث الإسلامية في شتى جوانبها . وما وجودنا اليوم معاً إلا تجسيد لما قلته سلفاً .

لقد كان الباعث الأول على تعلّم اللغة العربية من غير العرب قراءة القرآن الكريم قراءة جيدة ، وفهم معانيه بصورة صائبة ، حيث إنها قد انتشرت في كل مكان رحلت إليه أنوار الإسلام وأشعة القرآن الكريم ، ولولاه لما حفظت اللغة العربية . ونظرا لهذه الأهمية اعتنى المسلمون في جميع أقطار العالم باللغة العربية عناية فائقة ، وبذلوا جهودا مضنية في تعلمها وتدريسها ، وهكذا بدأت اللغة العربية تكتسب صبغة عالمية منذ القرون الأولى(٣).

إنّ للغة العربية وثقافتها لشأناً رفيعاً ، ومكانة مرموقة ومنزلة ممتازة في الجزء الجنوبي من الهند (كيرلا) . التي يقول البعض أنّ اسمها محرّف عن العربية (خير الله) . قلّما حظيت بمثلها في أي بلد من بلاد العالم خارج الأقطار العربية . وكفى أهل

كيرلا فخراً أن دراسة هذه اللغة المباركة الطيبة قد صارت جزءا لا يتجزأ من النظام التربوي في هذه الولاية ، فهي تدرّس من المستوى الابتدائي إلى مستوى الدكتوراه.

وإن هذا التقدم العجيب الباهر في مجال دراسة اللغة العربية في كيرلا لم ينجز في يوم واحد ، بل جاء نتيجة تطور طويل مستمر تم خلال القرون .

أول عهد كيرلا باللغة العربية

من الحقائق التاريخية التي لا غبار عليها أن كيرلا كانت لها علاقات تجارية بالبلاد العربية من قديم الزمان ، ونقرأ في كتب التاريخ أن اليمن القديمة والجزء الجنوبي من عمان (ظفار) كانت لهما صلات تجارية مع مليبار ، وكانت سفنهما تحمل المتاجر الثمينة من مليبار إلى مصر والروم وغيرها من البلاد البعيدة. لا سيما أن أهل عمان معروف عنهم منذ القدم إتقان ركوب البحر ، وتنظيم الرحلات البحرية إلى الهند والشرق الأقصى وشرق أفريقيا ، فالموقع الجغرافي المتميّز لعمان جعل لها دورا كبيرا في ممارسة الملاحة البحرية ، كما أن الظروف الطبيعية للسواحل العمانية بكثرة تعرجاتها وخلجانها هيأت ظروفا طبيعية جيدة للملاحة ، فضلا عن توافر المياه العذبة وضرورات الحياة الأخرى(٤).

فيستنتج من هذا أن كيرلا كانت قد اتصلت باللغة العربية منذ عهد قديم جدا قبل قرون لدخول الإسلام كيرلا . ومن المحتمل أن يكون أهل مليبار خصوصا الساحليين منهم ، في ذلك العهد البعيد، قد أخذوا شيئا من اللغة العربية عند معاملاتهم التجارية مع العرب .

بعد الإسلام

ثم جاء الإسلام في كيرلا وأخذ نوره يسطع في آفاقها ، فزاد أهل كيرلا معرفة باللغة العربية ورغبة فيها وارتباطا بها . ولا ندري متى دخل الإسلام إلى كيرلا على وجه الدقة ، هل وصل إليها في مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم نفسها أو بعد ذلك؟. فهناك اختلاف بين العلماء والمؤرخين في هذا الأمر، على أنهم لا يشكون في أن المسلمين قد صاروا أمة مستقلة بذاتها في كيرلا ، في القرن التاسع الميلادي(٥). ومن ثَم نرى أن للعناية باللغة العربية وتطورها في كيرلا تاريخا طويلا لا يقل عن ألف سنة ، فضلا عن مدة عهد كيرلا بها قبل الإسلام .

وكلما زاد الإسلام انتشارا في كيرلا وزاد عدد الذين اعتنقوه من أهلها ازدادت اللغة العربية رواجا وشيوعا في أرجائها ؛ لأن اللغة العربية هي لغة الإسلام والقرآن الكريم ، ولا يستطيع مسلم أن يستغني عنها إذا أراد أن يعيش مسلما . فلذلك أقبل المسلمون الأولون في كيرلا وغيرها على أن يتعلموا لغة دينهم بمزيد من الاهتمام والرغبة ، فلهجت ألسنتهم بها كلما لهِجت بآيات القرآن الكريم ، حتى نزلت عندهم بمكان كريم لم تحظ به لغاتهم التي أحسوا بقصورها عن باع العربية الفصحى في الدلالة والتعبير عن أعمق المعاني وأدق المشاعر . فأقبل أبناء تلك الشعوب غير العربية يغرِفون من معين لغة القرآن الكريم ، يعِلُّون منها وينهلون ، بل يتضلَّعون من سلسالها العذب النمير بشغف الظامئ ، حتى أضحوا عاشقين لها متيَّمين ببيانها ، وانطلقوا يُعلنون على الملأ مدى حبهم لها وإجلالهم لمقامها، حتى قال البيروني ، وهو واحد منهم : والله لأن أهجى بالعربية أحب إلي من أن أمدح بالفارسية .

وكان هناك عامل قوي آخر ساعد على نفاق سوق اللغة العربية في كيرلا . وهو أن كثيرا من العرب وأسرهم نزلوا مواضع مختلفة من سواحل كيرلا واستوطنوها واتخذوها دارا لهم وأسسوا فيها الجاليات والأسواق والمساجد كما يخبرنا به الرحالون المشاهير الذين زاروا كيرلا وجالوا فيها منذ قديم الزمان كابن بطوطة(٦).

ولعل هذا الاستيطان العربي قد بدأ منذ أول دخول الإسلام في كيرلا إن لم يكن قبل ذلك ؛ لأنا نقرأ في كتب التاريخ أن بعض الرجال كمالك بن حبيب وأبنائه من أوائل دعاة الإسلام الذين جاءوا إلى كيرلا من العرب تحت رئاسة مالك ابن دينار لم يرجعوا إلى أوطانهم ، بل بقوا في كيرلا واتخذوها دارا لهم(٧). وحذا حذوهم آخرون من العرب . وشهدت القرون مزيدا من استيطان العرب في أرجاء كيرلا. وبعض هذه الأسر العربية المستوطنة لا تزال باقية في كيرلا إلى الآن منها البافقيه بكويلاندي والأسرة المخدومية بفنان وآل الجفري وغيرهم من الحضارم.

ونال هؤلاء العرب المستوطنون حظوة عظيمة عند أهل كيرلا وملوكها . إن العلاقة الودية العميقة التي كانت قائمة بين ساموترى ملك كاليكوت والعرب في مليبار أشهر من أن تذكر ومما يدل على المكانة الممتازة التي تمتع بها العرب في كيرلا القديمة تلك الصفيحة النحاسية التي تسمى بالصفيحة النحاسية بترسفلّي التي أصدرها ملك كيرلا ستهانروي في سنة ٨٤٩م وهي تتعلق بهبة قطعة من الأرض لترسفلي ، أي كنيسة نريسا بكولم . وهذه الصفيحة تشتمل على أسماء أحد عشر رجلا من العرب وتوقيعاتهم بالخط العربي الكوفي كانوا شهودا على هذه الهبة(٨). وهذا هو أول نقش عربي اكتشف في كيرلا . وإنه لا يثبت وجود العرب في كولم بكيرلا في القرن التاسع الميلادي فحسب بل يدل أيضا على المنزلة العالية الممتازة التي حظي بها العرب في كيرلا في ذلك العهد البعيد .

كان من نتيجة وجود هؤلاء العرب المستوطنين في كيرلا واختلاطهم بالسكان المحليين أن انتشرت العربية انتشارا واسعا في أنحاء كيرلا وتغلغلت في حياة أهلها الثقافية والاجتماعية .

ومن الشواهد التي تدل على رسوخ قدم اللغة العربية في كيرلا ومكانتها الرفيعة عند أهلها وملوكها في القرون الوسطى ما يقال من أن الرسالة التي أرسلها ملك البرتغال إلى ساموترى ملك كاليكوت وسلّمها فاسكو دي جاما إليه كانت مكتوبة باللغة العربية. ويلاحظ بهذه المناسبة أن الذي أرشد سفينة فاسكو دي جاما البرتغالي ورفاقه إلى كاليكوت بكيرلا في سنة ١٨٤٩م هو الملاح العربي العماني الشهير شهاب الدين أحمد بن ماجد.

دراسة اللغة العربية في كيرلا وتطوّرها

وفي أغلب الظن أن دراسة اللغة العربية في كيرلا بدأت منذ أوائل انتشار الإسلام فيها . حيث كانت المساجد تدرس فيها اللغة العربية والعلوم الإسلامية . وكانت تعقد فيها حلقات التعليم التي تسمى (درس) في لغة المليالم (وهي عربية كما ترى). و درس المساجد هذا ظاهرة خاصة بكيرلا لا توجد في سائر أقطار الهند . وأكثر المساجد في كيرلا كانت تقيم الدروس ولا تزال . وطريق الدرس هو أن يجلس الأستاذ في زاوية من زوايا المسجد ويجلس حوله الطلاب في شكل نصف دائرة أو شبه دائرة ويقرأ الأستاذ الكتب الدراسية العربية وينقلها إلى اللغة المحلية ، أي المليالم ، ويكرر التلاميذ كالببغاء ما يلقى عليهم من الدروس حتى يحفظوها عن ظهر قلب ، والله وحده يعلم أيفهمون ماذا قال الأستاذ أم لا ؟. ولا يكون منهج خاص للتعليم ولا صفوف معيّنة للطلاب ، ولا كتب دراسيّة مقرّرة . ولا تستعمل الأدوات والوسائل التعليميّة الحديثة . وهكذا نرى أن هذا التعليم منهجه ناقص لا يتّفق مع الأساليب العلميّة الحديثة . ويتبيّن لكم من هذا لِمَ سُمّي هذا النوع من التعليم في المساجد درساً لا مدرسة .

من أشهر الدروس في كيرلا ما كان قائماً في المسجد الجامع بفناني . وهي مدينة صغيرة في مليبار تُعدّ من أشهر المراكز الإسلامية في كيرلا . . والعلماء الكبار كالمخدوم زين الدين الكبير وزين الدين الصغير كانوا يُعلّمون في هذا الدرس. وانتشر صيته في طول البلاد الهندية وعرضها ، بل في خارج الهند أيضاً. وكان يتعلّم فيه إلى جانب طلاب من أقطار الهند المختلفة أجانب من الملايو ، وأندونيسيا ، وجاوا(٩).

ويبدو أن دروس المساجد في أول عهدها كانت ذات منهج دراسيّ شامل يحتوي جميع العلوم والفنون كالقرآن الكريم ، والحديث ، والفقه ، والتصوّف ، والأدب العربي ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، وعلم الهندسة ، وعلم النجوم ، وعلم الحساب ، وعلم المنطق ، والفلسفة ، والطب ، والتاريخ ، ولكن بمرور الزمان تقلّص هذا المنهج الواسع وعاد مقصوراً على بعض العلوم اللغوية والدينية كالنحو والصرف ، والفقه . والكتب الدراسية التي تستعمل فيه لا تتعدى عادة ألفية ابن مالك ، وتفسير الجلالين ، ومجموعة من الرسائل الصغيرة التي تُسمى بالكتب العشرة .

ومهما كانت عيوب منهج (درس) المساجد ، فلا نستطيع أن ننكر ما كان له من الفضل الكبير في إشاعة العلوم الإسلامية واللغة العربية بين مسلمي كيرلا ، وإبقاء الوعي الإسلامي والحماسة الدينية في قلوبهم .

لم يزل التعليم الإسلامي والعربي في كيرلا على هذه الحالة ، حتى جاء في أوائل القرن العشرين ذلك العالم النابغ والمصلح الكبير المرحوم الحاج كُنج أحمد الشالِّكَتّي (١٢٨٣– ١٣٣٨هـ) ، وقام بانقلاب جذري في منهج التعليم الديني والعربي في كيرلا. فبدأ أعماله التجديدية في (مدرسة تنمية العلوم) بوازّكّاد حيث عين رئيس معلميها في سنة ١٩٠٩م(١٠)، وافتتح فيها صفوفاً عليا وأخذ يدرّس موضوعات جديدة على منهج دراسي علمي حديث فسمى المدرسة من جديد بكلية دار العلوم . ومن الموضوعات الجديدة التي أدخلها الحاج كنج أحمد في دار العلوم ، علم المنطق ، وعلم النجوم ، والجغرافيا ، والعلوم الرياضية ، والعلوم الطبيعية ، إلى جانب ما كان فيها قبلُ من العلوم الدينية المتعارفة كالتفسير ، والحديث النبوي ، والفقه ، والتصوف ، وعلم المعاني والبديع ، واستخدم لتعليم هذه المواضيع الجديدة أدوات ووسائل مستحدثة كالكرة الجغرافية والخرائط ، والأطلس ، والجداول البيانية ، والصور الشمسية ، والمعاجم الحديثة .

وفي نفس الوقت الذي حاول فيه إصلاح دروس المساجد على هذا النحو ، كان يصرف اهتمامه إلى تجديد منهاج التعليم في المدارس الدينية الابتدائية أيضاً . ولتحقيق هذه الغاية أسّس مدرسة عربية ابتدائية في وازّكّاد على منوال حديث جذاب فاستخدم فيها الأدوات والعُدد كالسبورة والمقاعد والمناضد والكراريس ودفاتر الحضور وألّف ونشر للاستعمال في المدارس الابتدائية كتباً مدرسية ذات مناهج علمية مستحدثة .

وقد ساعد كُنج أحمد الشاللكتي بوازّكّاد في جميع هذه الإصلاحات التعليمية التي قام بها الشيخ المرحوم كي.ام. المولوي زعيم الحركة السلفية في كيرلا في عصره.

لقد أتت تلك الإصلاحيات التعليمية أكلها في وقت قصير فبلغت أصداؤها آفاق كيرلا فأقبل الناس على تأسيس المدارس الإسلامية في أصقاعها على المنهج الحديث الذي اختطّه كنج أحمد ، على الرغم من المعارضات الشديدة التي واجهته من قبل أولئك المثبّطين بحجة أن التعليم على ذلك المنهاج بدعة منكرة لا سيما ما يتعلّق بكتابة الآيات القرآنية على السبورة ثم مسحها مما ينجم عنه تساقط ذرات الطباشير التي كتب بها القرآن الكريم فيدوسوها الناس وفي هذا . حسب زعمهم . إهانة لكتاب الله تعالى . إلا أن هذه الحركة التصحيحيّة استمرت في المضي قدما مكونة ما يمكن أن نسمّيه بحركة المدارس .

تكاثر المدارس العربية

قبل استقلال الهند كانت الحكومة البريطانية تُجيز التعليم الديني للطلاب المسلمين في المدارس العامة في مليبار . ولكن لما حصلت الهند على الاستقلال في سنة ١٩٤٧ وأُعلن بأنها دولة علمانية ألغت الحكومة الهندية التعليم الديني في المدارس العامة ، وعزلت منها معلمي الدين . على أن هذه الخطة الحكومية كان ظاهرها العذاب وباطنها الرحمة . وبدلاً من أن تكون آفة تقضي على التعليم الديني صارت قوة دافعة نشّطت المسلمين ليُرتّبوا بأنفسهم ترتيبات لتعليم الإسلام واللغة

العربية لأطفالهم وأولادهم . ولذا أقبلت الأمة المسلمة على إنشاء المدارس العربية في كل زاوية من زوايا كيرلا ، فتكاثرت وتعدّدت المدارس والكليات العربية في هذه الولاية .

والفضل الأكبر في قيام هذه النهضة المباركة في مجال التعليم الإسلامي والعربي يعود إلى المنظمات السلفية كندوة المجاهدين بكيرلا وجمعية العلماء بكيرلا . وقد بلغت عدد المدارس السلفية في كيرلا نحو خمس مِئة مدرسة سلفية ، ونحو عشر كليات عربية سلفية . ومن الكليات العربية السلفية ما ينتسب إلى الجامعة ككلية مدينة العلوم ببُلِكّل ، وكلية سُلّم السلام بأريكوت ، وكلية روضة العلوم بفيروق ، وكلية أنصار الإسلام بولَوَنّور . وتقوم هذه المدارس والكليات بتقديم خدمات جليلة في سبيل دعوة الناس إلى التعاليم الإسلامية السمحة الطاهرة ، ونشر اللغة العربية وثقافتها في أرجاء كيرلا .

دراسة اللغة العربية في المدارس العلمانية :

قبل الاستقلال

قد تقدّم أن الحكومة البريطانية كانت تجيز التعليم الديني في المدارس العامة في مليبار التي كانت حينئذ جزءاً من ولاية مدراس . وعيّنت المعلمين لذلك في بعض مدارسها العامة من سنة ١٩٠٤م . وهؤلاء المعلمون كانوا يُعرفون بمعلمي القرآن . ولم يعلموا اللغة العربية لذاتها ، بل علموها للطلاب كجزء من تعليمهم القرآن . وبعدئذ أخذت الحكومة تُعيّن معلمي اللغة العربية في المدارس الثانوية. أما المدارس الابتدائية في مليبار فلم يكن يُعيّن فيها معلمو اللغة العربية إلا بعد تكوين ولاية كيرلا في سنة ١٩٥٦م .

وأما تراونكور التي كانت ولاية مستقلة حينئذ فأُدخلت اللغة العربية كموضوع دراسي في مدارسها العامة في أوائل القرن العشرين . فأخذت الحكومة تعيّن في مدارس تراونكور معلمي اللغة العربية من سنة ١٩١٤م . وعيّنت أيضاً مفتشاً للإشراف على الدراسة العربية في المدارس العامة باسم المفتش المحمدي ذلك بجهود حثيثة من قبل الشيخ المرحوم وكّم محمد عبدالقادر المولوي (١٨٧٣-١٩٣٢م) .

وأما كوشن التي كانت ولاية مستقلة بذاتها فقد أدخلت اللغة العربية كموضوع دراسي في مدارسها العامة في سنة ١٩٣٠م . وهذا كان نتيجة عن الجهود التي بذلها الزعماء و المصلحون كالشيخ سيتي محمد والشيخ الحاج منقّاذ كنج محمد والشيخ أى .كي . المولوي وهو أول معلم عربي في الخدمة الحكومية بولاية كوشن(١١).

بعد تكوين كيرلا الحالية

وفي سنة ١٩٥٦م جُمعت الوحدات الثلاث ، أي مليبار ، وتراونكور ، وكوشن ، وكوّنت ولاية كيرلا الحالية . ومن ذلك الحين أخذت دراسة اللغة العربية تنشر بمزيد من السرعة في المدارس الابتدائية والثانوية في كيرلا .

وقد تقدّم أن المدارس الابتدائية في منطقة مليبار لم يُعيّن فيها معلمو اللغة العربية في حين أنهم كانوا يوظّفون في مدارس تراونكور وكوشن . وبعد تكوين ولاية كيرلا أجازت الحكومة تعيين معلمي اللغة العربية في المدارس الابتدائية في مليبار أيضا ، فضلا عن المدارس الثانوية التي لم يزل فيها معلمو العربية . فأخذت الحكومة تعيّن معلمي اللغة العربية في كل مدرسة من المدارس الابتدائية والثانوية إذا كان فيها عدد معيّن من الطلاب الذين يرغبون في دراستها . ولا بدّ من أن نذكر هنا أن جميع الحكومات التي تعاقبت على كيرلا من حين إلى حين ، مهما كان لونها السياسي ، قد اعتنت بترقية دراسة اللغة العربية أشد الاعتناء ولا تزال . وهناك في كيرلا آلاف من المدارس الابتدائية والثانوية منها حكومية وغير حكومية ، تُدرّس فيها اللغة العربية كموضوع دراسي مقرر .

دراسة اللغة العربية في الكليات والجامعات

لا تزال اللغة العربية وآدابها تدرّس في كثير من كليات الفنون والعلوم في كيرلا منذ مدة لا تقل عن نصف قرن . ومن أوائل الكليات التي قررت اللغة العربية وآدابها كمادة دراسية فيها كلية الفاروق بفروق ، وكلية مهراجا إفَنْكَلَمْ بكوشن ، وكلية يونيفر سيتي بترافندرم . وجعل عدد الكليات التي تُدرّس فيها اللغة العربية وآدابها يزيد كل سنة . وتُعلّم اللغة العربية في هذه الكليات كلغة ثانية أو كموضوع رئيسي لمقرر البكالوريوس أو الماجستير .

وقد بلغت دراسة اللغة العربية وآدابها غاية تطوّرها لما افتتح قسم خاص لها في جامعة كاليكوت في سنة ١٩٤٧م. ويتناول هذا القسم الجامعي تدريس اللغة العربية في مستوى الماجستير والدكتوراه .

ومما تقدّم يتّضح لكم أن للغة العربية وآدابها مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة في كيرلا ، وأن دراستها جزء لا يتجزأ من نظامها التربوي من المستوى الابتدائي إلى مستوى الدكتوراه . وليس أدل على انتشار اللغة العربية وتطوّر دراستها في كيرلا من أن عدد معلمي اللغة العربية وآدابها في مدارسها وكلياتها العامة يزيد على سبعة آلاف ، وعدد متعلميها فيها يجاوز خمس مئة ألف ، فضلا عن آلاف من المعلمين والمتعلمين في المدارس والكليات العربية غير الرسمية.

أدباء العربية وكتّابها في كيرلا

لقد أنجبت كيرلا خلال القرون كثيراً من علماء العربية وأدبائها وكتّابها، منهم من نال شهرة عالمية كالمخدوم زين الدين الكبير ، وزين الدين الصغير . ويضيق بنا المقام عن ذكر جميع هؤلاء العلماء المؤلفين ومصنّفاتهم ، وإنما نورد هنا أسماء أهم الأعلام ومؤلّفاتهم(١٢):

١. الفقيه حسين أحمد دَهْفَتَني :
وقد ورد في رحلة ابن بطوطة أنه لما زار مليبار في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي (من ١٣٤٢ إلى ١٣٤٧) لقي بدهفتن . (دَهرْمَدَم) الحالية القريبة من مدينة تَلَشّيري . رجلاً اسمه الفقيه حسين بن أحمد الذي كلّمه باللغة العربية(١٣). وفي كيرلا كتاب متداول بين العلماء يبحث مسائل النكاح وأحكامه وهو مطبوع بكيرلا مراراً اسمه (القيد الجامع)واسم مصنفه الفقيه حسين بن أحمد. ومن المحتمل أن يكون هذا الرجل هو الفقيه حسين بن أحمد الذي لقيه ابن بطوطة قبل ما يزيد عن ست مئة سنة . وعليه يكون كتاب القيد الجامع أقدم كتاب عربي صنّفه رجل كيرليّ .

٢. الشيخ الإمام فخر الدين أبوبكر بن رمضان :
قاضي كاليكوت المتوفى سنة ٨٨٥هـ . وله كتابان : تخميس البردة ، وتخميس بانت سعاد(١٤).

٣. الشيخ المخدوم الكبير أبو يحيى زين الدين بن علي بن أحمد المعبري الفناني (٨٧٢-٩٢٨هـ)(١٥):
من مصنفاته:
أ . مُرْشد الطلاب ، وهو كتاب مفيد جدا في التصوّف وطبع في مليبار.
ب . سراج القلوب وعلاج الذنوب ، وهو في التصوف والوعظ وطبع في فنان .
ج . تسهيل الكافية في شرح الكافية لابن الحاجب .
د . حاشية مختصرة على الخلاصة على ألفية ابن مالك .

٤. الشيخ المخدوم الصغير أحمد زين الدين بن الشيخ محمد الغزالي المعبري الفناني(١٦):

من مصنفاته :

أ . قُرّة العين بمُهمّات الدين ، وهو مختصر في المسائل الفقهية على المذهب الشافعي.

ب . تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتكاليين ، وهذا كتاب جليل عديم المثال ذو شهرة عالمية يذكر أخبار انتشار الإسلام في ديار مليبار والأحداث بعد دخول البرتغاليين وترجم إلى عدة لغات .

٥. الشيخ العلامة عثمان بن جمال الدين المعبري الفناني:

من مؤلفاته شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام.

وأما في العصر الحديث فهناك كثيرون يكتبون باللغة العربية ، منهم المرحوم الشيخ كي أم المولوي، والشيخ كي بي محمد المولوي ، والمرحوم الشيخ المولوي وكّم محمد عبد القادر ، والمرحوم الشيخ محمد المولوي ، والقاضي الكبير السيد شهاب الدين امْبشي كويا ، والشيخ عمر أحمد المليباري ، والشيخ محيي الدين الآلوائي الأزهري ، والشيخ محمد الكتشيري ، والشيخ عبد الحميد المديني ، والدكتور عبد الله الأزهري ، والشيخ عبد العزيز المنقادي .

إن كيرلا قد أنجبت شعراء في العربية مفلقين كثيرين منهم الشيخ المخدوم زين الدين الكبير ، والمولوي محمد ابن القاضي عبد العزيز الكاليكوتي ، والقاضي عمر بن علي البلنكوتي .

ومن شعراء الجيل الحديث المولوي عبد القادر الغَضْفَري ، وكُنْجي أحمد مُيليار الفروري ، والمولوي كنج أحمد الكَدَوتوري ، والمولوي أبو سلمى كي كي ام جمال الدين ، والمولوي محمد الفلكي ، والمولوي علي بن فريد الكوشنوري ، والمولوي أبو بكر سي في ، والمولوي محمد أبو الصلاح يم ، وغيرهم .

هكذا رأينا كيف أسهم علماء كيرلا في نشر اللغة العربية من خلال التدريس والتأليف ، فالله نسأل أن يثيبهم على حملهم مشعل اللغة العربية لغة القرآن الكريم .

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً : الكتب العربية

١. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٣م.

٢. اللغة العربية في الهند عبر العصور ، خورشيد أشرف إقبال الندوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م.

٣. المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٤. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ، طبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

ثانياً : المقالات العربية

١. مقال: النشاط التجاري القديم في الخليج وآثاره الحضارية ، رضا جواد الهاشمي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٢ ، بغداد ، ١٩٨٠م.

٢. مجلة المعلم العربية ، جمعية العلماء بكيرلا ،العدد الأول، المجلد الخامس.

ثالثاً : الكتب الأجنبية

١- ISLAM IN KERALA BY SYED MOHIDEEN SHAHA.
٢- KERALA MUSLIM DIRECTORY – KERALA PUBLICATIONS, COCRIN ١٩٦٠.
٣- KERALA SOCIETY PAPERS – PUBLISHED BY KERALA SOCIETY, TRIVANDRUM.

الهوامش

(١) ينظر: اللغة العربية في الهند عبر العصور ، خورشيد أشرف إقبال الندوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م.

(٢) ينظر: المستدرك على الصحيحين للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ، كتاب الأطعمة .

(٣) ينظر: اللغة العربية في الهند عبر العصور ، خورشيد أشرف إقبال الندوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م.

(٤) انظر: مقال (النشاط التجاري القديم في الخليج وآثاره الحضارية) ، رضا جواد الهاشمي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد١٢ ، بغداد ، ١٩٨٠م ، ص ٦٩.

(٥) انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة عبدالحي بن فخر الدين الحسيني ، طبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، الهند ، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ/١٩٦٢، ١١٥-٣/١١٦.

(٦) ينظر: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ٥٦١ و٥٦٤ و٥٦٦ و٥٦٨.

(٧) انظر KERALA MUSLIM DIRECTORY – KERALA PUBLICATIONS,COCRIN ١٩٦٠ PP –١٢٨،١٢٧.

(٨) ينظر KERALA SOCIETY PAPERS – PUBLISHED BY KERALA SOCIETY,TRIVANDRUM, SERIES.٦ P.٣٢٣

(٩) ينظر KERALA MUSLIM DIRECTORY – KERALA PUBLICATIONS,COCRIN ١٩٦٠ .p–٣٠٥.

(١٠) ينظر ISLAM IN KERALA BY SYED MOHIDEEN SHAHA,P.٥١

(١١) ينظر KERALA MUSLIM DIRECTORY ,P٣١٥،٣١٤.

(١٢) ينظر: مجلة (المعلّم) العربية التي تصدرها سَمَسْت كيرلا ، جمعية العلماء ، مجلد ٥ العدد ١.

(١٣) ينظر: ينظر: رحلة ابن بطوطة ، دار صادر بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ٥٧٠.

(١٤) ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة عبد الحي الحسيني ٣/ ١١٥-١١٦.

(١٥) ينظر: نزهة الخواطر ٤/١١٨-١١٩.

(١٦) ينظر : نزهة النواظر ٤/ ١٢٠-١٢٥.

الترجمة الآلية إلى العربية وتحدياتها

د. زبير ب الرحماني،
قسم العربية، كلية PSMO ترورنغادي، جامعة كاليكوت، الهند

الملخص

للترجمة العربية دور بارز في أداء المعنى والمحتوى لدى الناطقين بها وبغيرها. وقد ساعدت الترجمة في هذه اللغة على تبادل الثقافات والحضارات العربية العريقة إلى العالم. وعندما وصل إلينا التكنولوجيا في الأيام الراهنة مكنت للغة الضاد على التركيز في هذا الأعمال العلمية والمعرفية بكل سرعة ممكنة. كثر مستخدمو الترجمة المكنية في الأوساط العلمية والتجارية والميادين الدولية. وطبعا يكون لكل حداثة فنٍ أو ابتكارٍ سلبيات وإيجابيات. وهنا يشمر الباحث لإجابات عن أسئلة مثل متى ظهرت الترجمة المكنية؟ وكيف توافق اللغة برامج الحاسبات؟ وما هي مشكلات الترجمة والتدقيق الإملائي في التطبيقات؟ ويظهر الباحثُ هنا تاريخَ الترجمة المكنية والنشاطات الجديدة فيها والمعوقات التي يتلقاها المستخدم عند استخدام الترجمة على الآلات والشبكات ويقدم حلولا ممكنا للأوضاع التقنية واللغوية في بحثه.

الكلمات المفتاحية: الترجمة المكنية العربية، ترجمة غوغل، مرفق التدقيق الإملائي، تطبيقات الترجمة.

التمهيد

تحاول هذه الورقة دراسة بعض التقنيات اللغوية الهامة التي تستحق دراسة خاصة. وعالم اليوم هو عالم الذكاء الاصطناعي. يحتل استخدام الروبوتات محل تفكير الإنساني وتعقله. يمكن له أداء فكره قبل بدأها في رأس الإنسان. والترجمة الآلية وخدمات أخرى تتعلق باللغة معظمها معمولة بهذه التقنية الفذة. و الترجمة الآلية نتيجة حركة بدأت مسيرها من عهد الإسلام إلى عهدنا هذا وتلاقت مع موجات قوية في أوساط التقانة والفن. ولها ميزاتها ومشاكلها بالنسبة إلى عملية الإنسان.

الترجمة وتاريخها

الترجمة هي نقل رسالة من لغة المصدر إلى لغة المنقولة. وجدت الترجمة منذ نشوء الإنسان على الأرض. وإذا احتاج الإنسان إلى معيشة يومية ونفذ ما عنده من القوت خرج يطلب قوته فوصل إلى أطراف الأرض المنتشرة وتمكن من الحصول على زاده من موارد الأرض شربا وأكلا. وأقام في البقع التي بوركت حولها ووصل إليه غيره من الأفراد حتى صار كل من اجتمعوا حول البقعة أمة تليق بها ثم استوطنوها وعمّروها. ولم يكن القادمون آتين من جهة واحدة بل من شتى جهات الكرة. ولم يعرفوا ما يتحدث الآخر لما أن بينهم فرق لغوي فوجب لهم القهر على عسر اللغة. فجعل يتعلم كل منهم لغة الآخر. وملكوا القدرة على الترجمة. فصارت الترجمة سارية في حياة الإنسان. ثم تطورت الترجمة فنا وعلما وعنصرا هاما في يوميات الإنسان. وكاد هو يستفيد من الصغير إلى الكبير والشريف والرذيل والقوي والضعيف. وقامت الدول بترقية حضارتها ومعرفتها بنقل المعرفة من الدول الأجانب.

ويجدر القول في أن العرب قد أدوا خدمات جليلة في فن الترجمة خاصة في عصر الإسلام. يؤكد ذلك د/ وليد العناتي "وعلم الحكماء حين استقرار الدولة الإسلامية أهمية الترجمة في تحصيل معارف علمية القادرة على بنيان الدولة ولا يمكن إدراك هذه الغاية إلا بنقل منجزات الشعوب الأخرى العلمية مثل الفرس واليونان والرومان. وكان خالد بن يزيد بن معاوية الأموي الرائد والمنشئ لنزعة الترجمة في عصر الإسلام."(١) ثم ازدهرت عملية الترجمة في خلافة العباسيين. خاصة في عهد الخليفة المأمون. (المتوفي ٢١٨هـ)

وشيد المأمون لذلك مركزا يسمى ببيت الحكمة وهي أول مركز علمي أقيم في الإسلام وحضارته. وكان البيت من إرشادات الخليفة هارون الرشيد. "كان الخلفاء يحضرون العلماء في قصورهم ويأمرونهم بنقل الأفكار من الكتب الأجنبية إلى العربية. ويوزع لهم الأجرة ذهبا أو فضة حسب ثقل الكتاب المنقول. فنقلت الكتب من اليونان والفرس والرومان حتى ملأ قصر المأمون بالكتب وضاق قصره عن هذه الكتب. فلما تولى هارون أخرج منه الكتب."(٢) ثم توالت الأزمان وازدهرت الترجمة من لغة إلى أخرى ومن العربية إلى لغات العالم وعكسها. وخلال ذلك سيطرت التكنولوجيا جميع جوانب الحياة ولم يترك باب الترجمة كما طرقت باب الطباعة والنشر والكتابة والتدوين. ثم شاهد العالم فترة الترجمة المكنية أو الآلية.

الترجمة المكنية ومراحل تطورها

الترجمة الآلية أو المكنية تعرف بأنها ترجمة نص في لغة إلى لغة آخر بمساعدة الآلات. الإنسان يستعمل الآلة للترجمة أو الآلات نفسها تترجم النصوص عندها من غير مساعدة إنسان. تزيد استعمال الترجمة الآلية في الأيام الراهنة. لأن بعض الشركات تستخدم هذه الطريقة في الترجمة لتقليل عدد المترجمين ونفقاتهم ولجعل الترجمة في أسرع وقت من الإنسان. يمكن اليوم للآلات ترجمة عشرين في المائة نصوصا زائدة حينما يترجم الإنسان أقل منها.

يقال "إن أول من قام بالترجمة الآلية هو الحسن الكندي كاتب تشفير عربي (Cryptographer) في القرن التاسع عشر. قد طوّر الكندي تقنية ترجمة اللغة النظامية. ثم لاحقه في القرن السابع عشرRené Descartes رنين ديكارت حيث قدم مشروعا بلغة عالمية كافية بلغات مختلفة حيث تشارك رمزا واحدا. وكان ذلك في سنة ١٩٢٩م. وقدم وارن ويفر الباحث في مؤسسة روكفلر أول مجموعة من المقترحات للترجمة الآلية المعتمدة على الكمبيوتر في عام ١٩٤٩م. واعتمدت هذه الترجمة النصوص النظرية التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية. وفي سنة ١٩٥٤م عرض ويفر ترجمته الآلية في مقر IBM الرئيسي فصار أول ترجمة آلية عرضت بين أشهد الناس."(٣)

هناك في العالم خمس وأربعون شركة تهتم بالترجمة المكنية. منها الجوجل وبابليون وبنج وغيرها. هناك من عد تطور الترجمة على الآلة بمراحل. ولكل من المراحل ميزات تنفرد بها. وبالتالي يريد الباحث سرد بعض النكات عنها.

المراحل للترجمة الآلية

المرحلة الأولى: هذه المرحلة للترجمة الآلية تمتد من سنة ١٩٤٠م إلى ١٩٥٥م حيث تعد هذه الفترة. الفترة الأولى الأساسية للترجمة الآلية وهو عصر وضع فيه بناء هذا النوع من الترجمة. وترجمت فيها المستندات الروسية إلى الإنجليزية تحت رعاية الأمريكية. واعتمد المترجمون هنا على القاموس الإلكتروني باللغة الثنائية. ومكن لهم ترتيب الكلمات عند الترجمة. ولم يحللوا دلالية في تطبيقات الترجمة ولم تهم البرمجة على القواعد النحوية.

المرحلة الثانية: ويمتد هذا الطور من الترجمة الآلية من سنة ١٩٥٦م إلى سنة ١٩٧٥م. واستطاعت هذه المرحلة الحل من معضلات الترجمة على الآلة حيث يمكن استخدام الكلمات في المعجم حسب السياق واستطاعت أيضا في حفظ المعلومات على الآلة.

المرحلة الثالثة: هذه هي المرحلة التي نحن فيها وبدأ من سنة ١٩٧٦م ولا تزال تمر حتى الآن. ونشطت الترجمة بوجود نظام التشغيل الحاسوبي فندوز والتطبيقات المتابعة له في هذه المرحلة. ولما تيسر للإنسان التكنولوجيا، أمكن له إضافة كلمات تتعلق بالعلوم والتكنولوجيا أكثر في هذه الفترة الأخيرة. ولذا كان من الممكن أيضا إيجاد معاجم برمجية كثيرة في هذه الآونة الأخيرة. ومن الممكن أيضا ترجمة النصوص الأصلية حسب السياق التي وردت فيها.

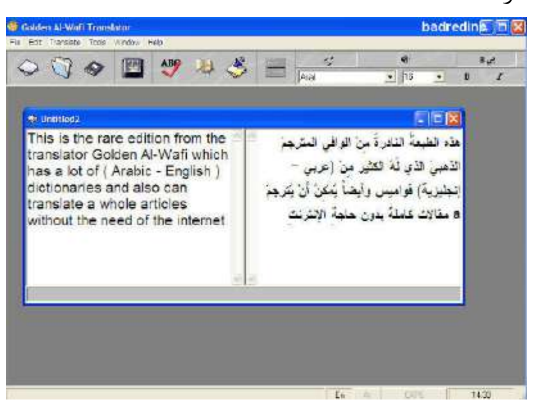
الترجمة العربية الآلية ومشكلاتها

قد تم بحوث كثيرة عن جعل العربية قابلة للترجمة الآلية خاصة في بلاد الأمركة ولكن الترجمة الآلية في العربية لم تتطور إلا قليلا. لأن العربية أصعب لغة في هذا الصدد وذلك أن شكلها وقواعد النحو والصرف لها مختلفة جدا عن سائر اللغات العالمية. يقول محمد زغلول وغيره "وُجدتْ العربية اعتبارا هاما من الباحثين نظرًا لخواصها المورفولوجيا والنحوية واللفظية والفونولوجية ولكونها واحدة من أصعب اللغات في معالجة اللغة المكتوبة والمنطوقة"(٤) .

وأثرا لتلك البحوث التي قام بها الخبراء والعلماء ولدت في ميدان اللغة العربية برامج مختلفة. وكثرة البرمجة تنبأ سعة اللغة وتقنياتها. ويرى هناك عدة برمجيات في اللغة العربية. ومن الأفضل بيان بعض البرمجيات:

شركة الصخر: هي شركة تقوم بالبرمجيات العربية. تأسست الشركة سنة ١٩٨٢م كموزع لإلكترونيات الأسرة وخلال ثمانية وعشرين سنة الخدمات والبحوث والتطوير في اللغويات الحاسوبية العربية تم إنتاج برمجيات وحلول تجارية سابقة الصناعة في العالم. وقد حصلت الشركة على جوائز ممتازة في الحقل دولية كانت أو محلية ومنها جائزة الشرق الأوسط للإنترنت لأفضل موقع حكومي عربي ٢٠١٢م. وجائزة الأمم المتحدة للخدمة العامة في عام ٢٠١١م وتعد هي الرائدة في حقل الحاسوبية العربية.

مترجم الوافي: مترجم الوافي برنامج لشركة أي تي أي بلندن. برنامج المترجم العربي (ATA) للترجمة من اللغة الإنجليزية صدرت أول إصداره في سنة ١٩٩٦م. وهو تطبيق حاسوبي يعمل على نظام ويندوز الذي يدعم العربية. ولا يدعم هو سائر برامج التشغيل. وهو يحتوي على قواميس مثل القاموس العام الذي يتضمن أكثر من مليون كلمة عربية وإنجليزية وقاموس اللغتين العربية والإنجليزية والقواميس العلمية التخصصية الثمانية لأن تستعمل هي عند الحاجة. ومن ميزة هذا البرنامج أنه يسمح للمستعمل إدخال الكلمات بواسطة الملف الرقمي أو بواسطة الماسح الضوئي أو لوحة المفاتيح. يمكن ترجمة الملفات بدون حاجة إلى الإنترنت. وكذا تحرير الكلمات والجمل قبل الترجمة أو بعدها من عند المستخدم أحد خصوصية وسهولة البرنامج. ولكنها برنامج تجاري يحتاج إلى المال للشراء.



صورة ١. واجهة المترجم الوافي

دار حوسبة النص العربي (Arabic Textware): هذه الشركة صدرت برامج تتعلق بالعربية الرقمية منها برنامج القلم الضوئي العربي التي تساعد على التعرف على النصوص العربية آليا. والبرنامج تهتم بالدقة والسرعة عند المعالجة والتطبيق العربي.

ترجمة بابليون: هي برنامج تساعد على الترجمة في اللغات العالمية، أحدثها شركة بابلون للبرمجيات المحدودة الإسرائيلية سنة ١٩٩٧م. وفي هذا البرنامج يستخدم بابلون القواميس الداخلية والمعاجم التي أنشأها المجتمع. إذا أتاحت الحاسوب لترجمة بابلون يمكن عملية الترجمة بنقرة واحدة على النص فتظهر نافذة توفير الترجمة.

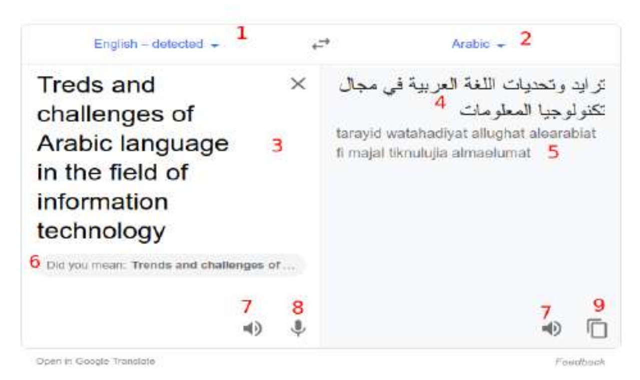
ترجمة جوجل: جوجل شركة كبيرة في العالم في الإنتاجات الرقمية. ولها دور كبير في تيسير وتسهيل الترجمة الآلية. وحاليا هي تدعم ١٠٩ لغات في العالم في تطبيقاتها للترجمة. ظهرت أولا لجمع البيانات اللغوية سنة ٢٠٠٦م واستخدمت في ترجمة النصوص الإحصائية. ثم تلاقت فوزا باهرا في تنشيط الترجمة الآلية حتى لا يمكن لأي واحد من مقدمي الخدمة توفير الخدمات التي تبثها الشركة في العالم.

خلافا لسائر التطبيقات في هذا الفن، "جوجل تترجم النصوص أولا إلى الإنجليزية ثم إلى اللغات المستهدفة. وكذا هي تبحث عند الترجمة أكثر من مليون مستندات، لها علاقة بالنصوص في الإنترنت وبذلك توفر للمستخدم أدق الترجمة وأصحها."(٥) وترعرعت الترجمة لدى جوجل إلى أن يمكن ترجمة النصوص في فوتوغراف (سنة ٢٠١٤م) وترجمة الأصوات عن طريق الكاميرا والميكروفون في أجهزة المحمولة الذكية وترجمة المخطوطات (٢٠١٩م).

ومن الغرابة، أن برمجة جوجل كانت من استطاعته ترجمة كائن متحرك يحتوي على نص مكتوب عليه كما يرى في موقع(٦). ولها ثلاث منصات في توفير خدمات الترجمة وهي تطبيق هاتفي في كلي آن رويد وiOS (بدأت في سنة ٢٠١٠م وواجهة الموقع ثم واجهة التطبيقات للمتطورين في تخليق البرامج الترجمة (API). ومن قدرة هذا التطبيق "ترجمة مائة بليون كلمة في يوم واحد كما أقر به الإحصائيات".(٧) يدور البحث الدائم حول تطوير ترجمة العصبي الآلي عند جوجل. وبه يمكن (أو أمكن سنة ٢٠١٦م) لها ترجمة النصوص كما يتكلم الإنسان بكل صراحة القواعد والنحو والصرف وبعد وقت قصير من إطلاق خدمة الترجمة لأول مرة، فازت جوجل بمسابقة دولية للترجمة الآلية الإنجليزية والعربية ولكن تستمر العربية لدى هذه الشركة لغة مربكة لما أن لها خصوصياتها الصرفية والشكلية والنحوية.

ولهذه الشركة منتدى الترجمة لمستخدمي خدمتها الترجمة الآلية في الشبكة الدولية المسماة بجوجل كميونتي. وذلك لتحسين الترجمة ودقتها يوما فيوما ولا يوجد مثل ذلك في سائر البرمجيات والشركات ولكنهم عينوا عُمالهم في تلك المهمة. ومستخدمو هذه الخدمة عند جوجل لهم عضوية المجتمع. فيرى العضو المستخدم عبارة ثم تظهر كل من العبارات الممكنة الصحيحة لتكوين الترجمة أصح وأتم واختيارها إذا تم تعيين العبارة المظهرة أمامه. وبهذا كثير من المستخدمين صاروا جزءا من عمال الشركة على سبيل المساهمة المطاوعة.

عملية الترجمة عند جوجل: يمكن بيان عملية الترجمة في صورة مقطوعة من الحاسوب وهي بالتالي:



صورة ٢ . صورة لنافذة جوجل للترجمة الآلية

١. كشف لغة الإدخال
٢. إقرار المستخدم اللغة المستهدفة
٣. النص الأصلي المدخل
٤. ترجمة النص الأصلي إلى اللغة المستهدفة (هنا العربية)

٥. نطق النص المستهدف

٦. خيار تصحيح الإملاء

٧. إخراج الصوت للغة المكتشفة أو المستهدفة (قراءة)

٨. مدخل الصوت بدل الكتابة على الآلة

٩. نسخ النص المترجم حيث يلصق بعدُ في مستندات أو غيرها.

قضية الترجمة الآلية

من الممكن قول إن مجال الترجمة الآلية سيحتاج إلى توسعة كبيرة بالرغم من أنها قد تطورت تطورا كثيرا في العصور الماضية. ولا فرق بين ترجمة العربية أو غيرها من اللغات العالمية. وهناك بعض اللغات التي لم تبل ساقها في بحور الترجمات الآلية. هنا يبحث عن بعض المشكلات التي تعرض عند معالجة الترجمة النصوص خاصة النصوص العربية.

مشكلة ترجمة المصطلح

البرامج للترجمة منظمة حسب اللسانيات الحاسوبية. والتطبيقات في أوائل التكنولوجيا مهيمنة على بعض المصطلحات التجارية والسياحية وبعض الكلمات للأماكن والسعر والزمن وغيرها. ثم تطورت البرامج حسب وجود التكنولوجيا الحالية احتاجت إلى ترجمة كتلة من النصوص مصطلحا كان أو غيره. ولكن اللغة الطبيعية يعاني من مشاكل حين ما يترجم إلى اللسانيات الحاسوبية.

وتناول اللغة الطبيعية عبر اللغة الحاسوب يحتاج إلى معرفة ذات صلة بمفهوم الخوارزمية. والفاهم العربي والعالم الخوارزمي سوف لا يتحدان غالبا. فإذا وجد اللغوي والمترجم فلا يتفقان بمهندس عالم بالعربية ودلائلها وإذا اتفق المهندس والمترجم فلا يتفقان بعالم في اللغة ووظيفتها خاصة في الدول التي تطورت في علم الحاسوب وتقنياته الحديثة. وعدم العلم في كلا الطرفين يخلق البعد المعرفي. والباحثون والدارسون في دمج اللغة الطبيعة باللغة الحاسوبية يرون كثيرا من التعقيد. ومن حل هذه المشكلة مثل ما أوجدت شركة جوجل تخليق مجتمع المترجمين حيث يمكن لهم إهداء الترجمة الصحيحة للنصوص التي حصلوا على موقعها الترجمة أو سائر التطبيقات.

ومن المشاكل التي واجهت التطبيقات في هذا الأمر هي أنها لا تسيطر على قضية اللغة الدلالية والتداولية والتأويلية. ولمعاينة هذه المشاكل تم تقديم اقتراحات من قبل الباحثين ولم تنجح تاما لأن الحاسوب له الفهم الاصطناعي ولا يساير مع الفهم الإنسان الطبيعي.

فهْمُ تجزئة الكلمات العربية عند آلات الترجمة لها دور مهم في أداء الترجمة الصحيحة على التطبيقات اللغة العربية الطبيعية. وكذلك المشاكل المعجمية والنحوية. والتطبيقات لا تحدث معجمها ولا هي كافية للغة المستهدفة إما إن كانت اللغة المستهدفة أقوى من الأصلية في الآلات كما يترجم من العربية إلى الإنجليزية. "وإذا كان لكلمة تفسيران مختلفان غير متفقان فهذه النزعة يقال لها الغموض Ambiguity وهو نوعان، الأول الغموض الهيكلي والثاني الغموض المعجمي، إذا كان بسبب الكلمات فهو المعجمية وإذا كان بسبب بنية الجملة فهو الهيكلي."(٨)

حلول :يمكن حل هذه المشكلة بأعمال شتى. أولا بناء بنك المصطلحات المعربة والمترجمة. تعميم معاجم إلكترونية علمية خاصة للطلبة. وتدريبهم عليها واستثمار هذه المصطلحات في الآليات. ويمكن للدول والمجتمع الذي يدعم العربية بناء

مجموعة الدارسين على الترجمة الآلية. يتدربون على النصوص الصغيرة ثم الكبيرة تدريجيا حتى يتاح لهم الممارسة على الترجمة عبر الإنترنت وآليا .

نتائج البحث

وختاما يلخص هنا الباحث ما حصل له من النتائج خلال هذا البحث القصير. سيطرت التكنولوجيا مجال الترجمة والتعريب. وتقدمت الترجمة الآلية بثلاث مراحل خاصة. وترجمة اليوم في مرحلتها الثالثة حتى صارت من استطاعتها إيجاد معاجم إلكترونية تعمل وراء الحجاب للتطبيقات. ومن الممكن للترجمة المكنية استنباط مقتضى الحال وإنتاج ترجمة حسب النصوص الأصلية أو الأصوات والصور. ويمكن لجوجل القيام بالترجمة من فيديو وهذا أقدم خطة خرقها الترجمة الآلية خلال الأيام الماضية. تقدمت جوجل والتطبيقات الأخرى تعمل على الذكاء الاصطناعي القيام بعمل الترجمة كما يقوم به الإنسان. ولكن جميع الترجمة الآلية تحتاج إلى توسعة تطبيقية وحل مشكلات تعاني منها اليوم. هذا المجال يحتاج إلى توسعة وترقية كثيرة للبلوغ إلى وجود انتاجات الترجمة الصحيحة.

المراجع والمصادر

- الدكتور وليد العناني والدكتور عيسى برهومة: اللغة العربية وأسئلة العصر، دار الشروق للنشر والتوزيع. الأردن، ط: ١. ٢٠٠٧ م
- موقع ويكي https://ar.wikipedia.org/ تم الوصول عليه مارس ٢٠١٩م
- موقع ويكي بيدياء. الإنجليزية تم التصفح عليه مارس ٢٠٢٠م.
- محمد زغلول وعواطف أبو الشهر "الترجمة الإنجليزية / العربية / الإنجليزية: منظور تاريخي". مجلة المترجمين. ٥٠ (٣): ١٠٢٢-١٠٤١. (ترجمة)
- موقع ويكي الإنجليزية. تصحف في نوفمبر ٢٠١٩م
- يراجع لذلك موقع:https://www.groovypost.com/howto/translate-video-text-images-websites-google-translate/
- موقع ويكي الإنجليزية. تصحف في نوفمبر ٢٠١٩م
- ياسين طه علي الزيبري. Lexical and Structural Ambiguity in Machine Translation - Sudan University of Science & Technology. صفحة ٢١

الهوامش

(١) الدكتور وليد العناني وغيره: اللغة العربية وأسئلة العصر. دار الشروق ٢٠٠٧م. ص: ٢١٧

(٢) موقع ويكي https://ar.wikipedia.org/ تم الوصول عليه مارس ٢٠١٩م

(٣) موقع ويكي بيدياء. الإنجليزية تم التصفح عليه مارس ٢٠٢٠م.

(٤) محمد زغلول وعواطف أبو الشهر "الترجمة الإنجليزية / العربية / الإنجليزية: منظور تاريخي". مجلة المترجمين. ٥٠ (٣): ١٠٢٢-١٠٤١. (ترجمة)

(٥) موقع ويكي الإنجليزية. تصحف في نوفمبر ٢٠٢٢م

(٦) يراجع لذلك موقع:https://www.groovypost.com/howto/translate-video-text-images-websites-google-translate/

(٧) موقع ويكي الإنجليزية. تصحف في نوفمبر ٢٠١٩م.

(٨) ياسين طه علي الزيبري. Lexical and Structural Ambiguity in Machine Translation - Sudan University of Science & Technology. صفحة: ٢١

هواجس الخوف في رواية المجوس لإبراهيم الكوني -دراسة نقدية في أثر البيئة في الرواية-

د. جاسم شاهين كاظم عباس المنتفكي،

قسم الدراسات القرانية واللغوية، كلية العلوم الاسلامية، الجامعة الاسلامية في الديوانية، العراق

الملخص

تعد بيئة الصحراء واحدة من موضوعات الأدب الشائعة، وهي رمزٌ للعزلة والوحدة والموت والتيه والضياع، وكانت الصحراء فضاء روائيا للكثير من الروايات والقصص، وهواجس الخوف في الصحراء متعددة، هاجس التيه وهاجس العطش وهاجس قطاع الطرق وهاجس الحيوانات المفترسة وهاجس الغزو، وهاجس الظلام، وهاجس الغربة والاغتراب، وهاجس الموت. ورواية المجوس للكاتب إبراهيم الكوني، صدرت في جزئين، تدور أحداث الرواية في الصحراء للبحث عن مدينة (واو) التي تشبه الفردوس المفقود. ويسعى البحث الى دراسة هذه الرواية والوصول الى اثر البيئة الصحراوية القاسية على الكاتب وانعكاسها على أدبه الروائي من خلال أحداث الرواية. ويمكن تصنيف رواية المجوس على انها رواية هواجس الخوف المتعدد. ويقف البحث عند هواجس الخوف في هذه الرواية. ليصل الى ذلك الاثر في الرواية.

الكلمات المفتاحية: هواجس الخوف، رواية المجوس، ابراهيم الكوني، الصحراء.

التعريف بالرواية

رواية المجوس للكاتب الروائي الليبي ابراهيم الكوني هي واحدة من الروايات العربية الطويلة كونها تقع في ٨٦٨ صفحة من القطع المتوسط ، مكونة من جزئين ومن اربعة اقسام ، وكل قسم فيه فصول عدة ، يبلغ اجمالي عدد الفصول في الرواية ثمانية وعشرين فصلا.والتناظر واضح في الجزئين حيث نجد الجزء الاول مكون من قسمين القسم الاول مكون من احد عشر فصلا والثاني ثلاثة فصول ويقابلهما في الجزء الثاني القسم الثالث باحد عشر فصلا والرابع بثلاثة فصول

من هم المجوس الذين سميت باسمهم الرواية ؟

ولأن عالم الرواية عالم خاص بكل مفاهيمه ، لهذا نجد ان مفهوم المجوس في الرواية هو(انهم عبدة الذهب)، وقد ورد على لسان بطل الرواية توصيفا للمجوسي :

(المجوسي ليس من سجد للحجر لان الله موجود اينما وليتم وجوهكم بما في ذلك الحجر ايضاً . و لكن المجوسي الحقيقي هو من باع الله مقابل المال و استبدله في قلبه بحب الذهب) (١)

نحن نعرف ان كل من عبد الذهب اقام في قلبه معبداً لشعائر المجوس هذا انطبق على شيخ الطريقة القادرية المزيف كما ينطبق على ضيفك المجوسي (أناي) اليوم .

– مرحى مرحى اذا تكلم الحكيم فلا بد ان يحتكم الى (انهى) كل من عبد الذهب اقام في قلبه معبداً لشعائر المجوس و الشيطان

– لن اخالفك ابداً . (٢)

ــ من هو المجوسي في رأي شيخنا الجليل ؟

– و لم أمّل من ان اردد دائماً ان المجوسي ليس من سجد للحجر لان الله موجود اينما وليتم وجوهكم بما في ذلك الحجر ايضاً . و لكن المجوسي الحقيقي هو من باع الله مقابل المال و استبدله في قلبه بحب الذهب

هتف الضيف مقاطعاً احسنت احسنت (٣)

وبهذا فاسم الرواية يشي بمفهوم مغاير للمفهوم الحقيقي للمصطلح المعروف. لان المجوس في مفهومنا هم عبدة النار. وليسوا عبدة الحجر او عبدة الذهب .

مكان الرواية وزمانها

تقع احداث الرواية في صحراء ازجر الممتدة بين ليبيا والجزائر فهي الفضاء الروائي لهذه الرواية وفيها تصوير اختلط به الخيالي بالواقعي لأحوال الطوارق وشكل معيشتهم وهم يكابدون غضب الطبيعة في حرارة قاتلة في النهار وبرودة قارصة في الليل وهم بدو هذه الصحراء و في معيشتهم اليومية ومايحيط بها من ظروف البيئة الصحراوية وانعكاساتها على ملابس الناس وبيوتهم وهواجس الخوف لديهم .

وزمن الرواية هو اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث تنتهي الرواية في عام ١٩١٣عندما اجتاح الطوفان مدينة (واو) ومحا ما بقي من آثارها .

أما أسلوب السرد في رواية المجوس فهو يتسم بالتعقيد حيث يتفاجأ القارئ بشخصيات متعددة مع وقائع واحداث عديدة واماكن مختلفة تصيبه بالدوار ويتملكه هاجس الخوف من الضياع وسط تراكم الاحداث ، دون ان يجد مايربط بينها ، ولكن كلما تقدم بالرواية ستتجمع عنده المشاهد ويتلاشى الغموض وتتضح الرؤية ، واسلوب الكوني في روايته منفر للقارئ اذ يحتاج الى صبر ايوب حتى يهضم اكثر من ٨٠٠ صفحة مكتوبة بهذه الطريقة ، ويتساوق هذا الاسلوب مع الصبر على عنت الصحراء وصعوبة العيش فيها ، فعليك ان تكون صحراويا حتى تستطيع ان تلج الى عالم الكوني الصحراوي.اما لغة الرواية فهي مكتوبة بلغة شعرية عذبة في كثير من فصولها.

بطل الرواية

بطل الرواية اسمه ّ(اده) يعيش هموم ابناء قبيلته ويريد ان يجنبهم كلماينغص حياتهم وان يجعلهم يعيشون متمسكين بتقاليد البدو(الطوارق) . يسيطر عليه هاجس الخوف من التمدن ، لذا فهو يريد ان يعيش في خيمة ويريد لقومه ان يبتعدوا عن التمدن ومظاهره ، واولها بناء البيوت من الطابوق والحجر والاستقرار في مدينة فيها شوارع ومحلات تبيع البضائع ، ولديه هواجس اخرى منها الخوف من الجن والخوف من رياح القبلي ، وهو يخاف من اقتناء الذهب الذي حرمته الجن على البشر بحسب مايؤمن به ،وهاجس الخوف هذا من المعدن الاصفر جعله يحظر التعامل به بين ابناء قبيلته .

ويقوم التحدي الكبير للزعيم آّده في هواجسه عندما ينزل جواره زعيم قبيلة اخرى اسمه (أناي) هو وقبيلته . ويشرع ببناء مدينة اطلق عليها مدينة (واو) يجعل منها واقعا بعد ان كانت مدينة اسطورية، تروي العطشان وتكسو العريان وتطعم الجيعان (الجائعين) وتنقذ التائه من الضياع. (٤)

واكبر هواجس اده هو ان يسعى غريمه أناي عندما بدأ يحيط مدينة (واو) بسور كبير ان يضم البئر الرئيسية في الصحراء(وتسمى حلمة الارض) لمدينته ، والهاجس الاخر ان اناي كان يدعو افراد قبيلة اده الى الانتقال الى مدينته الجديدة التي اصبحت مزدهرة متطورة في وسط الصحراء لكونها صارت ممرا للقوافل التجارية التي تعبر الى تمبكتو.

لقد تحققت كل تلك الهواجس التي كان يحذر منها الزعيم اده ، فقد جلبت لهم مدينة واو وماحصل فيها من اكتناز الذهب تلك النهاية الكارثية التي حلت بكل سكان ازجر ولم تقتصر على واو واهلها ممن يتاجرون بالمعدن الملعون

في عتمة الفجر تحركت القافلة ، سار الرجال في طابور طويل مقيدي الايدي مشدودين بعضهم الى بعض بحبال المسد ، خلفهم سارت النساء في صف اخر ، اما الصبيان والفتيان فمشوا في الخلف مقيدين ايضا، يهشهم وحوش ابن اوى

كقطيع من الاغنام ، الذين ادعوا انهم شاهدوا المسيرة قالوا ان جل السبايا كانت من القبيلة ، وارجع الرواة سر ذلك الى ما تعرضت له واو من تخريب وتقتيل ونهب بسبب احتوائها للذهب وتمسك اهلها بمعدنهم، اما القبيلة فنالت تنكيلا اقل برغم ضراوة رجالها في مقاومة الاعداء ، اما واحة المجوس تعرضت للزوال والإبادة لان عتاة الجن هم الذين تولوا امرها ولكن العقلاء يرون ان في الغزوة كما في الخرافة يبقى سر تظل الأجيال طويلا تبحث فيه عن تفسير مقنع .(٥)

ان (واو) الفردوس الاسطوري وسط الصحراء لم تهدم وتخرب على يد اعدائها فحسب بل محيت كل اثارها ولم يبق منها شي ، لقد محيت أثارها المتبقية بفعل السيول العارمة، وقوة الفيضانات الطوفانية الشهيرة التي اجتاحت تلك المنطقة الصحراوية عام ١٩١٣. (٦)

هكذا تصل الرواية الى ان تلك المخاوف في اذهان الصحراويين الطوارق لم تكن هواجسا خيالية بل هي من صلب التجارب التي ورثها الابناء من ابائهم.

لقد بنيت الرواية على ثيمة المدينة التي تنهض وسط المخاوف بعد ان كانت مجرد رؤيا من الاساطير القديمة ينهض بها واحد من ابناء الطوارق ، ولعل الكاتب وجد في خماسية مدن الملح للروائي عبد الرحمن منيف التي صدرت في الثمانينات مثالا يحتذى في تصوير جانب من تاريخ الصحراء ، واذا كانت رواية مدن الملح نحت منحى سياسيا فان الكوني نحا منحى تعريفيا بالطوارق مستشهدا باكثر من مكان في الرواية بمقاطع من شعر وادب اللغة الامازيغية وقد نجد هذا في اغلب اعماله التي من خلالها حاول ان يبعث أمة اسمها الأمازيغ.

المؤلف :ابراهيم الكوني

كاتب ليبي أمازيغي، مواليد سنة ١٩٤٨، ولد بواحة غدامس في ليبيا، درس الآداب في معهد جوركي للآداب بموسكو، أصدر حتى الآن ٨١ نصاً، وترجمت أعماله إلى أكثر من ٤٠ لغة، وفاز بعضها بعدة جوائز عالمية، تنوعت بين السويسرية واليابانية والفرنسية والأمريكية والعربية، وأشادت به الأوساط الثقافية والنقدية والأكاديمية والرسمية فى أوروبا وأمريكا واليابان، ورشحته لجائزة نوبل مراراً .

من اهم رواياته (التبر، ونزيف الحجر، والفم، و واو الصغرى، وعشب الليل، والدمية، والفزاعة، والدنيا أيام ثلاثة، وبيت فى الدنيا وبيت فى الحنين، البحث عن المكان الضائع، وأنوبيس، ومراثي أوليس)، وسبع روايات ملحمية (سداسية الأسلاف والأخلاف، وخماسية الناموس، وثلاثية سأسري بأمري لخلاني، ورباعية الخسوف، وثنائية المجوس، وثنائية السحرة، وثنائية خضراء الـدِّمن). أضف إلى هذا "سيرته الذاتية" الصادرة فى أربعة أجزاء تحت عنوان "عَدوس السُّرى.. روح أمم في نزيف ذاكرة" ورواية ناقة الله الصادرة عام ٢٠١٥، معزوفة الأوتار المزمومة ٢٠١٦، وأهل السرى ٢٠١٦. (٧)

هواجس الخوف

تسمي العرب الصحراء بال ''مفازة '' تفاؤلا بالفوز ، والظفر بالخير بعد اجتيازها ، وهذا نقيض ما يرجى من الصحراء اذ أنها مظنة الهلكة لمن ولج فيها ثم نفد زاده وماؤه ، هذا ان لم تنله سباعها ووحوشها الضارية .قالت العرب عنها أنها موطن الجن والغول والعنقاء.

والصحراء عالم شرس لا يرحم ابدا لذلك فالانسان فيه يشعر بالضياع يشعر بالقلق يشعر بانه مهدد بالموت والفناء لا يرى اي بوادر للربح والاقامة الدائمة لان سبل العيش في هذه البيئة منعدمة ولذلك يظل في افق البدوي الساكن في الصحراء الامل بان يجد الارض الموعودة ، الارض التي يحس بها بالالفة والامن والامان وهي ارض زرعتها في ذاكرته قصص الليالي الطويلة وسط الظلام والبرد والخيم المهلهلة التي تحيط بها مصادر القلق من حيوانات مفترسة ورياح باردة وغبار خانق ،

وانسان غازي قاتل ملثم مجهول الهوية ، يتهدده هذا الرعب في كل لحظاته.ولكون هذه التهديدات مجهولة لا يدري من اين جاءت بهذه السرعة ، ولذا فهي تشكل لدى الصحراوي الايمان بان الجن هو من يتقمص اجسام هؤلاء الاعداء المرعبين.

ويمكن القول ان هواجس الخوف المزروعة في شخصيات رواية المجوس قد جاءت من الهاجس الذي يسكن الكوني كاتب الرواية الذي تأصل في داخله من معيشته في الصحراء .وعنده هاجس اخر يرتبط ايضا بالبيئة التي عاش وترعرع بها ، وهو(البحث عن هوية قومه (الامازيغ) الثقافية واستعادة ذاكرة التاريخ المجهول من النسيان والمحو ، تلك الذاكرة الموغلة بالقدم والمرتبطة في الوقت نفسه بالمأثور الشعبي وبتراث الأسلاف المتناثر عبر الصحراء والمتمثل في كتاب انهى الضائع) . (٨)

١-هواجس الخوف من الماورائيات

هواجس الخوف من الجن والسحر والشيطان من اكثر الموضوعات حضورا في عقل ووجدان الانسان الصحراوي ، وهو مؤمن بان كل ما يصيبه من اضرار في المرض وشدة الرياح و العواصف وحتى حراره الشمس القوية هي من تاثيرات الجن وتاثيرات السحر، وهذا ما نراه في نماذج من المجوس:

١-١-هاجس الخوف من الجن

الجن عالم خفي ، يتحاشى اهل الصحراء حتى ذكره خوفا من عقوبته وخوفا من حضوره ،وحفظوا التعاويذ في لغات متعددة ليطردوا بها هذا الكائن المرعب .

بلغ الحادي عشرة فقبل الامام و اعطى الاشارة اعدوا العدة و جهزوا الخيمة صنعوا له عرشاً من الرمال كالذي يبنونه للعرسان ، غرسوا حول العرش المدى و السكاكين و السيوف كي يرهبوا الجن و يجبروهم على التراجع عن نيتهم في الاختطاف ... و اقتربت من عرشه عجوز تباوية ترطن بالتعاويذ الوثنية بلغتي التبو و الهوسا ثم طوقت معصمه بسوار من الجلد علقت فيه صرة من الشيخ لارهاب اهل الخفاء ايضاً .(٩)

(فلترحمنا الالهه ولتكفنا شرهم العظيم) (١٠)

كانت العجوز البائسة تخاف الجن و تعاني من مطاردة الاشباح و كثيرا ما تأتي الى خبائهم في قلب الليل و توقظ امه (ادة الطفل) طالبة منها ان تسمح لها باستعادة الحفيد الولد سيؤنس وحدتها و يفزع الاشباح .(١١)

الجدة اسعد الناس بالتنقل و تقول ان الترحال يرهق الجن فيتخلف و يعسكر في رماد النجع المهاجر و حذرته من رماد النجوع المهاجرة و قالت انها الوطن المفضل لقبائل الجن . (١٢)

كانت على يقين ان الجن يخشى الرجال حتى لو كانوا اطفالاً يكفي ان يكون ذكراً ، الجن يفزعون من رائحة الذكور (١٣).

١-٢-الخوف من ابليس

امن الصحرائيون بقوة ابليس في الغواية ، وقدرته على ملاحقتهم في كل مكان فلذا وجدوه مرة يستوطن السهل ووجدوه اخرى في الجبل

الجادون لقمة اسهل على ابليس . ما الجبل محراب الالهة فأن السهل مملكة الأبالسة . (١٤)

همست ببعض التعاويذ وقالت بصوت عال هل انت ابليس اجاب لا انا الملاك قالت لا يطلع من الجبل الا شبح او ابليس رجيم. (١٥)

١-٣-هاجس الخوف من السحر

كل امر فيه ضرر هو بفعل السحر وبمعونة الجن ، هكذا هي نظرة اهل الصحراء لما يصيبهم , لقد سحروا حتى الشمس فصارت حرارتها تحرق كل شيء.

قلت له ان اهل البر اسرع الناس في تعاطي السحر وهم الذين ادخلوا هذا الوباء المخيف الى الصحراء مستخفين تحت ستار العرافين والفقهاء المزيفين ،وقد أيقنت انهم ادهى من الجن في هذه الحرفة الكريهة بعد ما فعلوه بك وبسهلنا المسكين

والا هل يمكن ان يصدق عاقل انما حدث يمكن ان يحدث لو لم تكن لأصابع السحر دور ؟ هل ينزل مهاجر على قبيلة ولا يطلب سوى رقعة ارض بحجم جلد جاموس ثم يستولي على ثلاثة ارباع السهل ليبني واوا المزعومة.

يدفعنا بعيدا عن حلمة الارض ، يبتلع مزيدا من العراء وها هو يبني اسوارا شيطانية تنوي ابتلاع البئر نفسه هل ثمة عاقل يشك في ان هذا الشيطان لا ينوي السيطرة على القبيلة اليوم ، وغدا على ازجر كله ، اعترف اليوم امامكم ان الحرص على القبيلة هو الذي دفعني للبحث عن ساحر عابر او فقيه عالم كي يبطل المكيدة. (١٦)

السهل مسه السحر و تغيرت طبيعته في شهور .(١٧)

اورغ تحالف مع السحرة ليجبر عمه المسكين عن التنازل عن عرشه و الهجرة الى المنفى. (١٨)

نوبة مفاجئة شبيهة بنوبات الوجد ... من قبل شيطان الجن و الطرب سقط كالمصروع تلوى طويلاً .... وقف اورغ على رأس عمه تصحبه جماعة مخيفة من السحرة المجوس .(١٩)

٢-الخوف من قوى الطبيعة

٢-١-الخوف من الريح

هاجس الخوف من الريح يبدأ من سماع صوتها ، صوت يثير الخوف .

تعوي في الخلاء بفجيعة الذئاب الجائعة لانها ايضاً جائعة تتحرق للنيل من ضحايا المجهول. (٢٠)

قدر الصحراء الريح تمحو الاثر و تحجب واحات النجاة فيضيع المهاجر و يموت بالعطش هو يعوم في ماء السراب (٢١).

الريح رسول القدر الى صحراء البشر تختار منهم قرابين تقدمهم طعاماً للألهة. (٢٢)

جئت ابحث عن ماوى يحميني من الريح. (٢٣)

٢-٢-الخوف من الحيوانات

قطعة من نسيج محاك من الشعر ، منه تتكون الخيمة ، هو وحده يحجز بين الحيوانات الجائعة المتوثبة للافتراس وبين من يقبعون تحت ظلها.

٢-٢-١-هاجس الخوف من الحية

اخطر الافاعي والحيات هي افاعي الصحراء ، ربما لانها عطشى فسمها مركز لم يخففه الماء ، ولهذا فهي مرعبة لان لدغتها تعني الموت المحقق ، فصارت هاجسا للقلق وصار الحجاب يوضع في الثياب ليدفع غائلة هذا الخطر .

الحجاب مسخر ضد وسواس الحية كانت تنتابه و تقلق نومه في الماضي

مسحَ شبح الافاعي من رأسه و مد يده و لعب بالعصي و الحبال و كف عن أن يرى فيها ثعابين شعر و افاعي رقطاء

في اول ليلة قضاها بدون حرز عادت له الافعى استيقظ في قلب الليل مفزوعاً و زعق بأعلى صوته (الحية الحية لدغتني الحية)

هرعت اليه الام و ازاحت عنه الفراش، هب الأب من مضجعه و أوقد النار ، بحثوا عن الحية فلم يجدوها بدأ الوسواس من جديد. (٢٤)

٢-٢-٢-هاجس الخوف من الذئاب

للذئب سجية عرف بها هي الافتراس، وهو اخطر الحيوانات الصحراوية . وللذئب هجمات يقضي بها على قطيع كامل من الاغنام .

عووو نداء فاجع غامض تجفل له الابل و يستولي عليها الوجوم و الجلال و تصاب قطعان المعيز عند سماعه بالشلل ، نداء تقشعر له ابدان الرعاة ، و تلقن العجائز اطفالهن بحيله و طباعه منذ السنوات الاولى ، و يحظى بين الشيوخ بتبجيل لا يلقاه عندهم الا هذا الحيوان الوحيد الذي يستولى على حصة الاسد في روايات اهل الصحراء و قصصهم ينادونه بألف اسم بألف كنية بالف لقب الا اسمه الحقيقي لان النطق بأسمه على اللسان دعوة له ، و كل لفظة (ايبجّي = الذئب) في فم طفل او عجوز او رجل تقربه من القطيع الف خطوة ، يكفي ان ينطق غلام شقي بالاسم الحرام ليفسخ الحجاب و يدخل الحيوان في القطيع ، و اذا دخل في القطيع فان النار اشتعلت في القش يقضي على القطيع كله قبل ان ينتهي الراعي من اتمام الشطر الاول من اغاني (أساهغ) .(٢٥)

اما ابن اوى

ان ابن اوى يتحفز اذا التقى بآخر حتى لو كان اخاً او اباً و يستعد للعراك ولا يوليه ظهره مهما اضطرته الاسباب و هذه الطبيعة الشكاكة التي ترى عدوا في كل مخلوق شجعت اهل الصحراء فسموه (بني أوى) (٢٦)

٣-هواجس المرض

خطر اخر يتهدد حياة الانسان الصحراوي في المجوس هو المرض ، ويتحول الى هاجس يظهر في مشاهد الرواية ، ويتمثل في :

٣-١-هاجس الاختناق

الحر حرق حتى الهواء تناول نعله ملوح به امام وجهه ليحرك الهواء ، الميت فتح فمه و شهق بصوت عال كي يلتقط نفساً (هواء) (٢٧)

٣-٢-هاجس الارق في الليل

اما الجبال المعزولة فسكنها الاجداد القدامى و حفروا في قلبها الكهوف ثم احسوا بالوحشة و خامرهم الحنين الى المجهول فرسموا على صدر صخورهم الاشكال و الالوان و الخيالات .

عانو من الارق في الليل فسلوا انفسهم بالخرافات .

(واو) المدينة الفاضلة التي تقضي على الهواجس .(٢٨)

انا زائر من زويله ابحث عن واو ،اصابني الارق وطالت الليالي فهل سيأتي يوم و ستبعث فيه واو من الزوال و الخرافة و تنهض مدينة من الاساطير تروي العطشان و تكسو العريان و تطعم الجيعان و تنقذ التائه من الضياع .(٢٩)

٣-٣-الخوف من النزيف

الختان / انجبته امه معلولاً نحيلاً ذابلاً كبرت معه العلة و رافقته في السنوات الاولى فرفض الامام اجراء عملية الختان خوفاً عليه من النزيف .(٣٠)

٤-هواجس اخرى

٤-١-هاجس الخوف من السرقة

وجدها مطمورة تحت الركيزة يتميط لا تختلف عن عجائز القبيلة في هذه الحيلة . العجائز يدفن اشياءهن الخفية تحت الركيزة حتى لا تصلها ايدي الصغار . العرافة اخفت اخطر سلاح تحت الركيزة كي لا يقع في يد الاعداء .(٣١)

٤-٢-هاجس الاحلام

الاحلام هي وسائط أساسية للاستبصارات الحدسية الكلية للوجود الانساني. وقد نظر الى الاحلام على انها حياة ثانية تكشف مجموعة الصور المختلطة فيها عن شيء ما ، من الاسرار التي يحاول الحلم ان يصل اليها .

ان حاجة الانسان الى الاحلام مثل حاجته الى الاوكسجين ، والحلم مؤلف من مجموعة رموز وهو نوع من سلسلة دالات، انه لغة لها قوانينها والياتها الخاصة التي تؤدي مباشرة الى الوظيفة الرمزية ، اما وظيفة الاحلام العامة هي اعاده اتزاننا السيكولوجي عن طريق انتاج مادة حلم يعيد بطريقة حاذقة تأسيس التوازن النفسي الكلي. (٣٢)

ترد الاحلام المفزعة والكوابيس في الرواية والتي هي انعكاس لهواجس الخوف والقلق ، لان الكابوس هو حلم مزعج يرتبط بمشاعر سلبية، مثل القلق أو الخوف الذي يوقظ النائم ، ويصيبه بالصداع

(ارسله جده لاقتفاء اثر جمل مفقود ، لكنه تاه في الصحراء ، عطش فطارد السراب ،.... هام في الخلاء حتى وقع وغاب عن الوعي، لا يعرف كم مضى من الزمن لكنه وجد نفسه ينتصب عاريا على فم بئر قديم مطوق برقبة مرمرية ، وينهمك في سحب الدلو بحبل الليف ظل يسحب الحبل الخشن حتى يئس وخار وهّم بان يرخي قبضته عن الحبل في تلك اللحظة برز راس تنيري من البئر كانت تبتسم ، شعرها مظفور في جدائل رقيقة ، وجهها طري مغسول بالماء، فمها يفتر بتلك الابتسامة الغامضة

فزع وقفز الى الوراء وتخلى عن الحبل فاختفت الفتاة في ظلمات الهاوية سمعها تصرخ صرخة استغاثة طويلة اليمة فاجعة ، وحتى عندما استيقظ مفزوعا كانت الاستغاثة تطن في اذنيه وتقرع راسه والحسرة والخوف والصداع). (٣٣)

٤-٣-الخوف على الاشجار من الشمس

من اغرب الهواجس التي تنشأ من الحب المفرط لعناصر البيئة الصحراوية هو هاجس الخوف على الاشجار من حرارة الشمس المحرقة ومن حر العواصف الرملية الحارة المسماة برياح القبلي ، وفي مشهد يتسم بالغرابة يتم كسوة الاشجار بثياب لتقيها الحر والبرد ،

طاف على البيوت وجمع ما استطاع الحصول عليه من الكتان والخرق وبقايا القماش وكسا كل الاشجار وصنع لها اللباس ليحميها من نار الشمس ومن صهد القبلي في الصيف .

لا يكفيها شرا انها تعاني من العطش عشرات السنين قلبي يتقلص عندما اراها على هذه الحال كم هي صبوره انا لا استطيع ان انزل لها الماء من السماء لكن استطيع ان اقيها البرد والحر والقبلي . (٣٤)

٤-٤-هاجس ضياع وقت الصلاة بسبب الرياح المتربة

هاجس اخر من هواجس المجوس كما ورد في الرواية هاجس ضياع وقت الصلاة ان الرياح التي تعصف بهم اول شروق نهارهم الى غروب ليلهم انها العواصف التي يسميها اهل ازجر برياح القبلي ،هذه الرياح اضاعت اوقات الصلاة فصاروا لا يعرفون وقت صلاتهم وهذا ما جعل امامهم في الصلاة يؤذن للمغرب ثم تطل الشمس بعد ذلك، تظهر جليه فيقع الامام في حرج امام الناس الذين دعاهم لصلاة المغرب، وبعدها افتى لهم انكم في حل في معرفة صلاتكم ، صلوا متى ما شعرتم بان الوقت قد حان انه هاجس كان يقع في قلوب كل المؤمنين الحريصين على صلاتهم.

واصل المسير في الممر المتعرج المترب توغل فتحولت العتمة الى ظلمات ارتفع صوت المؤذن في الماذنة المعلقة في السماوات فسال نفسه : هل يرفع الامام الاذان لصلاة المغرب ام العشاء؟

فالقبلي المستمر سوى الليل بالنهار وافقد اهل الصحراء الاحساس بالوقت حتى الامام فقد فراسته الدينية وضلل المؤمنين اكثر من مرة.

يروي عن موسى وهو احد شخصيات الرواية :

اخر ورطة حضرها موسى بنفسه نادى الامام لصلاة المغرب الوجهاء والمجتمعين في بيت الزعيم ، توضا اغلب الحاضرين تيمما واصطفوا في طابور طويل تقدمهم الامام وكبر لم يكد يفرغ من الركعة الاولى قرر القدر ان يسخر منه انقشعت غيمة الغبار واطل قرص الشمس مائلا في رحلة الغروب فانفجر موسى ضاحكا . (٣٥)

(ابتدع الامام فتوى ان بوسع المسلم ان يجمع الاوقات الخمس و يؤديها في ساعة واحدة اذا فرضت الطبيعة ذلك و عجز عن تمييز الوقت).(٣٦)

٤-٥-هواجس النساء من المراة السبية

ان الغيره في مغزاها مشاعر انسانية , تتحول الى هاجس بالتهديد سواء كان حقيقيا او متخيلا ، بعدم الامن والامان وبخوف ضياع ما تملك المرأة ، ولذلك فمشاعر الغيره تجتاح المرأة على شيء تحبه او مكان تنتمي اليه.

عدم الشعور بالامان والثقة وراء مشاعر الغيرة ، عند وصول مجموعة من النساء الاسيرات التي يتم إهداءهن الى الرجال ، بكثير من مشاعر القلق و الخوف لدى النساء من ان تلكم النسوة سيشاركنهن في أزواجهن ، وتنتاب النساء في كل مرة تصل بها مجموعة من الاسيرات ، مشاعر الغيرة وقد وصف ذلك بقوله :

(حصيلة الغنائم قطعان الابل والابقارو الاغنام وقطيع من الزنوج والزنجيات في طابور طويل استيقظ وحش الغيرة اذ ليس صعبا على أمراة ترى حتى في ظل الرجل ضرة تنافسها على امتلاكه .) (٣٧)

(هكذا شق الشقاء طريقه في نفوس النساء) (٣٨)

اما الرجال فكان بعضهم يتخوف من اثارة الخلاف مع زوجه بسبب سبية يدخلها الى بيته ، فيمتنع عن اخذ حصته من الغنائم اذا وقعت له سبية ، وهكذا يقع الرجل القوي من اعين الاخرين ويوصف بانه مقيد من زوجه .

(المراة تقيد اقوى الرجال بسلسلة طولها سبعون ذراعا) (٣٩)

٤-٦-هاجس الخوف من البرتوكول السلطاني

بين ليلة وضحاها نودي به سلطانا ،اصبح فجأة امام التزامات تحد من حريته ، هاجس الخوف من البروتوكولات السلطانية دعاه ان يطلب اعفاءه من المنصب (مضى وقت قصير فنادى المنادي ناعيا السلطان)

ثم وجد نفسه مكبلا باصفاد اخرى يحسب عليه الشيوخ حتى الانفاس يتكلم بحساب ويسكت في اللحظة المناسبة ، اذا رغب في قضاء حاجته امتنع ، واذا هاجمت حشره مقززه تظاهره بانه لم يرها ، واذا اصابه التعب واراد ان يغفو تكبر على سلطان النوم ، واذا سعل او تجشا فقد ختمت الجلسة بالعار.

قتلته قسوة الشعائر حتى ايقن ان الشيوخ هم السلاطين و ليس هو.... زار الزاوية القادرية وشاهد حفلات الذكر ثلاث مرات واقام في القصر ثلاث امسيات ، فتعرض لاستنكار الشيوخ واتهموه بالاستهتار والصبينة ، فاتح كبيرهم بنيته في التنحي فنظر في عينيه نظرة طويلة غامضة، قال بعدها انت لا تعرف ما تقول ، الله العظيم هو الذي وضع السلطنة في رقبتك وجعلها قدرك فاين ستهرب انت سلطاننا الابدي .

-ولكن سأموت يوما حتى اذا لم اتركها اليوم .

-هذا ليس شانك امر الموت في يده تعالى مهمتك ان تقبل بالقدر اليوم وتسلم بالمكتوب

.... اصبحت الاغلال تضيق عليه و احس بالاختناق .)(٤٠)

٤-٧-هاجس التطرف الديني

ربما تكون الظاهرة المتمثلة في الموجة الدينية الصاعدة وانحسار الاعتدال من أهم وأكثر مؤشرات الخوف وضوحا في الرواية ؛ التطرف يبدأ بعد غياب الوعي بالأسئلة الكبرى للكون والحياة،

استنكر احدهم مايحصل في القبيلة :

- اعطيناه اولادنا ليعلمهم القران واصول الدين فصنع من هم اتباعا له ومريدين

وافقه ثاني :

-صنع منهم جيش الانصار ليحاربونا

هتف الثالث :

- ألب علينا العبيد و اجبرنا على تطليق زوجات غنمناها بحد السيف

تشجع المتطرفون فهتفوا

- لن يقف في وجه الدعي الا السيف . لن يمحو هذا العار الا الدم .

تكلم احد الوجهاء قائلا:

- بل غفلتم افعالا اكثر خزيا ، نسيتم انه ينوي نهب اموالنا

عم صمت طويل ثم اندفع شاب يتوج راسه بعمامة فخمة من عمائم الطوارق

- واسوء من كل هذا انه يريد ان يجرد رؤوسنا من الاقنعة بدعوى محاربة التكبر والمكابرين . افضل الموت على ان اسير في النجع حاسر الراس كعبيد الادغال.(٤١)

مكناهم من انفسنا وسمحنا له بان يرينا اصول الدين ففسد وافسد انحرف واستعبد لماذا ينتهي كل شيء الى الضد الاصالة الى زيف والعدالة إلى فساد

الخير ينحرف عن الطريق ما ان يتحول الى طريقه ، السر في تلك الثمرة كانت سببا في اخراجنا من فردوس واو. (٤٢)

٥-هاجس الموت

لم يلهب الانسان شيء كما الهبته فكرة الموت ، ولم يثر عقله من افكار كفكرة انعدام العقل ذاته، فما الذي سيكون عليه الحال عندما يمضي الى النوم ولا يفيق ابدا كيف كانت حاله قبل ان يحل ضيفا على العالم ، دورة الحياة والموت والبحث هي الفكرة المركزية في الدين والاسطورة والفكرة الاساسية التي يتمركز حولها شعور الفرد في الماضي والحاضر (٤٣)

الموت رفيق الصحراويين، سرّ الصحراويّ أنه لا يخاف الموت. يقال إنّه نزل إلى الحياة بصحبة الموت، وعندما استنشق الهواء وأخذ أوّل نفس من فتحتي الأنف، توقّف الموت ورفض أن يدخل إلى الجوف. قال للإنسان: أنا افضّل أن أمكث هنا وأنتظر. حفر مأوى بين فتحتي الأنف والشفة العليا، في هذا الضريح يرقد الموت (٤٤)

هاجس الموت

نقر بأصبعه على حجر القبر وقال هذا مأوانا كلنا لا اعرف من اين نأتي و لكن اعرف اننا نذهب جميعاً الى هذا المأوى هذا مصيري و مصيرك ايضاً .

ويرتبط بالموت بهاجس العطش ،ولعل الحرص على البئر تنبع من هذا الهاجس. (٤٥)

٥-١-هاجس اخفاء مكان البئر

القبائل الصحراوية القديمة تسن تقليداً ما زال الاحفاد يحرصون عليه يقضي بالابقاء على مواقع الابار سرية بعيدة عن عيون الرحل و الفضوليين و عابري السبيل اذا جاء المهاجر استقبلوه بالحفاوة و نال الترحيب و نحروا له الذبائح محاذرين ان يهتذى الى موقع البئر .(٤٦)

اذا كان البئر يقع في الصحاري الجنوبية فان مراسيم التمويه تقتضي ان يتوجهوا بالقافلة الى الشمال حتى يغيبوا عن انظار الغريب و في العودة لابد ان يعودوا من جهة الشرق و الشمال امعاناً في البلبلة و زيادة في اخفاء معالم الطريق . (٤٧)

٥-٢-هاجس العطش

اشتعل اللهب دس رأسه في ظل صخرة رفعت رأساً مدبباً نزع نعليه البائسين و نثر على قدميه ماء من الزمزمية ماء يغلي شرب من فم الزمزمية مباشرة فنزل في جوفه سائلاً فائراً .(٤٨)

٥-٣-هاجس الماء المسموم

ارتكبوا اثماً خطراً لم يغفره القدر لمخلوق في القارة الصحراوية (و هو) تسميم مياه الابار .(٤٩)

لماذا يتعبون انفسهم ؟ انهم مقتنعون اننا سنموت في كل الاحوال . ان لم يكن بالعطش فبالماء المسموم .(٥٠)

٥-٤-هاجس الغزو

في مجنمع الصحراء يزدهر الغزو فهوق فانون الربح الوحيد ، في مجتمع يخلو من الزراعة والصناعة ، وقد يكون الغزو رد فعل انتقامي

احتلو مرزق و زويله و نزلوا الى وادي الآجال ، قتلوا الرجال و الاطفال و اغتصبوا النساء و حرقوا الاكواخ ، نهبوا الممتلكات و اضرموا النيران في اشجار النخيل ثم تدفقوا في الصحراء كالوباء .

وضمهم اهل الصحراء الى الاعداء الخالدين: الذئاب و الافاعي و ريح القبلي . (٥١)

٦-هاجس الحنين الى الصحراء

في قلبه حنين للصحراء ظن أن الأيام ستشفيه منه ولكن الزمان غذاه ورعاه فنما و كبر حتى اصبح هاجساً .(٥٢)

٧-القرابين

هواجس الخوف تنمي لدى الافراد الطريقة التي يدفعون بها ما يستشعرونه من الخطر وذلك بتقديم القرابين التي يمنعون بها القدر، ولكن المفارقة ان هذه القرابين لم تكن ذات نفع وفائدة ، لقد وقع المحظور وامن هؤلاء بان هواجسهم قد تحقق ما جاء فيها

(قام العقلاء فنحروا قرابين سخية و لكن ذلك لم يخفف من قساوة الشمس فأزدادت تسلطاً و شراسة مع سكون الهواء و استمرت تلهب الجسر الصحراوي البتول بسياط النار) (٥٣)

لكن حتى القرابين لا تنفع في وقوع المكتوب اذا سطره القدر في لوحه المجهول ، فما ان تمكن من الاستيلاء على الصحراء واخضع القبائل وغزا الادغال حتى دفع السهل بل الصحراء كلها ثمنا قاسيا لدموع الدرويش . (٥٤)

(بعضهم يذبح القرابين كي يخلص الصحراء الجنوبية من الميثاق الظالم الذي حرمهم الحياة وسحاب المطر ولكن قلبي الالهة في السماوات لا يرقى ولعنة العطش ابدية حتى في المرات القليلة البعيدة التي يورخ بها الاهالي حياتهم وجادت فيها السماوات بالمطر فان ذلك حدث اما عن خطا ارتكبت الاقدار واما بسبب نزاع عابر بين الصحراوين الرملية والجبلية.) (٥٥)

٧-١القضاء على الهواجس بالتمائم و الاحراز

بدأ اهل السهل الطقوس و سفحوا دم القرابين قبل ان ينتصف الشهر بثلاثة ايام جاءت العرافة و استولت على عظم الكتف في كل حيوان ذبيح ثم اخذتها و دفنتها بعد ان وشمتها بالتمائم الخضبة ، جاء دور الفقهاء فأستعانوا بالقرآن و سطروا الاحجبة و التعاويذ ودسوها في جلود الغزلان .(٥٦)

نتائج

اذا كانت هذه هي هواجس الخوف في مضامين رواية المجوس، فأن هواجس الخوف في اسلوبها ، يظهر من خلال الاسلوب الصعب والملتوي والذي يدع القارئ يعيش الصعوبة في الاستمرار لاكمال الرواية ،انه هاجس ضياع الوقت في قراءة مالا يفهم ، او مالايتجمع في الذاكرة ليرسم صورة الحدث الروائي.

طبيعة الخطاب في الرواية يتسم بالصعوبة والإغراق في تصوير احداث متداخلة لشخصيات متعددة في اوقات مختلفة أحياناً، تشعر انك في صحراء ليس فيها نقاط دالة تستدل منها على طريقك الذي تسير فيه.

الرواية فيها مجموعة من الأحداث المتداخلة التي يمكن أن تتواصل فيما بينها بطريقة غير مباشرة، ولكنها تظل منفصلة عن بعضها من حيث البناء والزمن والسرد والشخصيات، وهو ما يجعل بناءها بناء مفتوحاً أو نصاً سردياً مفتوحاً. إذ أن اللجوء إلى مثل هذا الخطاب يمكن أن يعكس الرغبة في النأي عن المباشرة والتقريرية .

ويمكن القول ان هواجس الخوف المزروعة في شخصيات رواية المجوس قد جاءت من الهاجس الذي يسكن الكوني كاتب الرواية الذي تأصل في داخله من معيشته في الصحراء .وعنده هاجس اخر يرتبط ايضا بالبيئة التي عاش وترعرع بها ، وهو(البحث عن هوية قومه (الامازيغ) الثقافية.

كانت الرواية تبحث عن الرغبة في الحفاظ على طقوس الصحراء، انها لحظة مواجهة هواجس الموت الموجودة فيها ، والتغلب على قساوتها والوصول الى اليقين بان الابتعاد عن قيم الصحراء لا يجلب الا الموت والخراب والفناء ، انها رواية البحث عن حلم ضاع او فردوس مفقود ، تدريب قاسي لتحمل كل المخاطر انها صورة لمظاهر الشقاء والتعاسة التي تعم بيئة الصحراء.

ان هذه الهواجس المتعددة التي ظهرت في الرواية تشكل انعكاسا لاثر البيئة الصحراوية القاسية في حياة المؤلف والتي ظهرت واضحة متجلية في هذا الكم الكبير من هواجس الخوف في هذا النص الروائي.

المصادر

الحلم والرمز والاسطورة : الدكتور شاكر عبد الحميد الهيئة المصرية ألعامه للكتاب ١٩٩٨

المجوس : ابراهيم الكوني . ط١/١٩٩١ / الدار الجماهيرية للنشر ودار الافاق الجديدة . مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء

مغامرة العقل الاولى/ فراس السواح .دار الكلمة بيروت ط١١

الدوريات

بحث (العابر وهاجس البحث عن المكان الضائع قراءة اولية لاعمال الكوني) دكتور لحسن كرومي جامعة بشار / مجلة الخطاب ع٤ يناير جانفي ٢٠٠٩

الشبكة العنكبوتية

مقالة /ابراهيم الكوني وريث الصحراء يروي اساطير الامازيغ باللغة العربية متاح على الشبكة موقع رصيف ٢٢بهذا الرابط https://raseef٢٢.net/article/١٣١٤٢٦-

الهوامش

(١) ينظر:المجوس ١/٤٠٩

(٢) ينظر:المجوس ١/٣٤٥

(٣) ينظر:المجوس ١/٤٠٨ – ٤٠٩

(٤) ينظر المجوس ١/٢٣٤

(٥) ينظر:المجوس٢/٣٩٠

(٦) ينظر:المجوس ٢/ ٣٩٠

(٧) . ينظر :مقالة /ابراهيم الكوني وريث الصحراء يروي اساطير الامازيغ باللغة العربية متاح على الشبكة موقع رصيف ٢٢بهذا الرابط https://raseef٢٢.net/article/١٣١٤٢٦-

(٨) بحث (العابر وهاجس البحث عن المكان الضائع قراءة اولية لاعمال الكوني) دكتور لحسن كرومي جامعه بشار / مجلة الخطاب ع٤ يناير جانفي ٢٠٠٩ / ص١٤٣

(٩) المجوس ١/٢٤٦

(١٠)المجوس ١/٦٢

(١١)ظ:المجوس ١/١٢

(١٢)ظ:المجوس ١/١٤

(١٣)ظ:المجوس ١/٢٥

(١٤)ظ:المجوس ١/١٠

(١٥)ظ:المجوس ١/١١

(١٦)ظ:المجوس ١/٣٣٦

(١٧)ظ:المجوس ١/١٥٠

(١٨)ظ:المجوس ١/٨٨

(١٩)ظ:المجوس ١/١٩

(٢٠)ظ:المجوس ١/٢٦٠

(٢١)ظ:المجوس ١/٢٦١

(٢٢)ظ:المجوس ١/٢٦٢

(٢٣)ظ:المجوس ١/ ١٤
(٢٤)ظ:المجوس ٢/ ١٥٧
(٢٥)ظ:المجوس ١/ ٣٧٣
(٢٦)ظ:المجوس ١/ ١٣٤
(٢٧)ظ:المجوس ١/ ٢٢١
(٢٨)ظ:المجوس ١/ ٢٢٢
(٢٩)ظ:المجوس ١/ ٢٣٤
(٣٠)ظ:المجوس ١/ ٢٤٥
(٣١)ظ:المجوس ١/ ٢٣٤
(٣٢)ظ: الحلم والرمز والاسطورة دكتور شاكر عبد الحميد الهيئه المصريه العامه للكتاب ١٩٩٨ . ص/١٤٧
(٣٣)ظ:المجوس ١/ ١٧٤
(٣٤)ظ:المجوس ١/ ١٩٦
(٣٥)ظ:المجوس ١/ ٢١٢
(٣٦)ظ:المجوس ١/ ٢١٣
(٣٧)ظ:المجوس ١/ ٢٩
(٣٨)ظ:المجوس ١/ ٣٠
(٣٩)ظ:المجوس ١/ ١٨
(٤٠) المجوس ١/ ٩٨–٩٩
(٤١)ظ:المجوس ١/ ٣٦–٣٧
(٤٢)ظ:المجوس ١/ ٥٠
(٤٣)ظ: مغامرة العقل الاولى/ فراس السواح/ ١٠
(٤٤)ظ:المجوس ٢/ ١٨٢
(٤٥)ظ: المجوس ١/ ٢١٤
(٤٦)ظ:المجوس ١/ ٣٢٨
(٤٧) ظ:المجوس ١/ ٣٢٨
(٤٨) ظ:المجوس ١/ ٢٢١
(٤٩) ظ:المجوس ١/ ١٣٦
(٥٠) ظ:المجوس ١/ ١٤٢
(٥١) ظ:المجوس ١/ ١٣٥_١٣٦
(٥٢) ظ:المجوس ١/ ٩٦
(٥٣) ظ:المجوس ١/ ٣٠٦
(٥٤) ظ:المجوس ١/ ١٩٣
(٥٥) المجوس ١/ ١٦
(٥٦) ظ:المجوس ١/ ١٤٩

تنمية مهارة التحدث عند الطالب الجامعي

د. عبدالله بن خميس بن عبدالله المانعي،
قسم اللغة العربية، كلية التربية والآداب، جامعة صحار، سلطنة عمان

الملخص

غالبًا ما تأتي مهارة التحدث بعد مهارة الاستماع وخاصّةً في المحادثة؛ لأنّ المواقف التي تستدعي أن تكون مهارة الكلام لاحقة لمهارة الاستماع أكثر في الحياة من المواقف التي تكون فيها مهارة الكتابة أو القراءة لاحقة لمهارة الاستماع؛ لذلك فإن مهارة التحدث تمثل أهمية كبيرة في التعليم وخاصة الطالب الجامعي الذي ينبغي أن يكون على درجة عالية من حسن المنطق، وقوة الشخصية، والجرأة في التحدث وكسر حاجز الخوف والرهبة وبناء الثقة في داخله بدرجة تمكنه من التحدث أمام زملائه في القاعة الصفية، أو وأقرانه، أو أبناء مجتمعه.

الكلمات المفتاحية: المهارة، التحدث، اللغة، التفكير، الاستراتيجية.

المقدمة

التحدث مهارة لغوية مهمة في كل مجالات الحياة، وهي تعكس إمكانات المتحدث العلمية والثقافية، وتحدد هوية الخطاب ومدى إجادته، ومدى القدرة على نقل الأفكار والمعلومات بوضوح وفاعلية، وهي مهارة حيوية في الحياة إذ تساعد على نقل الأفكار وبناء العلاقات، وتحقيق النجاحات في الحياة.

إن تحسين الحديث وتجميله مطلوب بل قد يكون أساسا في التفهيم والارتقاء بالمستوى المعرفي؛ لذلك حينما وصف الله كتابه قال: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (الزمر: ٢٣)

ومن الحكم السائدة قول أحد الشعراء: لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ **** فلمْ يبقَ إلاّ صورةُ اللحمِ والدَّمِ

لقد اهتم علماؤنا من حُكماء، وعُلماء، وأُدباء ومُربّين، بمهارة التحدث، وجعلوها عنواناً على المروءة، ودليلا على حسن المنظر وبهائه، وقيمة لمجالسة الآخرين، قال يونس بن حبيب: (ليس لعَيي مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولو حكَّ بيافوخه أعنان السماء)، بل لقد جعلوا اللسان دليلاً كاشفاً عن طبيعة الإنسان وشخصيته، فقالوا: (المرءُ مخبوءٌ تحتَ لسانه).

إن أهمية التحدث وقيمته المعرفية والتواصلية تزداد في المجال التعليمي، وفي مجال نقل المعرفة وإيصال المعلومة والفائدة إلى المتعلمين، وإذا أمعنا النظر في مهارة التحدث لوجدناها من اهم غايات التعليم؛ لأن تعليم اللغة يهدف إلى إخراج فرد قادر على التواصل مع الآخرين، ومن ثم عنده المهارة التي تمكنه من ممارسة حياته العملية والوظيفية بلغة صحيحة، وبطريقة مهذبة معبرة.

ومن خلال التجربة العملية في المجال التعليمي على المستوى الجامعي فإن هناك ضعف ظاهر وبين عند الطلاب في استخدام هذه المهارة بشكل صحيح؛ لذلك جاء هذا البحث ليساهم في معالجة هذه المهارة عند الطالب الجامعي، ووضع أفكارا، واقترح حلولا لعلها تكون سبيلا لتصحيح المسار ومعالجة المشكلة.

واقتضت منهجية البحث أن يأخذ بالمنهج الوصفي التحليلي.

وقد انتظم البحث في هيكلته الفنية التنظيمية تحت العناوين التالية:

أولا: تعريف المهارة لغة واصطلاحا. ثانيا: تعريف التحدث لغة واصطلاحا. ثالثا: أهمية التحدث. رابعا: عناصر مهارة التحدث. خامسا: مقومات نجاح مهارة التحدث. سادسا: أنواع التحدث. سابعا: مقومات نجاح مهارة التحدث. ثامنا: أهداف مهارة التحدث. تاسعا: طرق تعليم مهارة التحدث. عاشرا: استراتيجيات تنمية مهارة المحادثة.

تنمية مهارة التحدث عند الطالب الجامعي

أولا: تعريف المهارة: لغة: عرّفها الرازي بقوله: الْمَهَارَةُ، بِالْفَتْحِ الْحِذْقُ فِي الشَّيْءِ، وَقَدْ مَهَرْتُ الشَّيْءَ أَمْهَرُهُ بِالْفَتْحِ مَهَارَةً بِالْفَتْحِ أَيْضًا(١). وقال الهروي: الماهر، الحاذق بكلّ عمل، ويقال: مَهَرتُ بِهَذَا الْأَمر أمهَرُ بِهِ مهارةً: إذا صرتَ بِهِ حاذِقاً(٢). ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «**الْماهِرُ بالقُرْآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ**»(٣).

اصطلاحا: هناك عدة تعريفات للمهارة منها:

١) تُعرّفُ المهارة على أنها «القدرة على القيام بعمل ما بشكل يحدده مقياس مطور لهذا الغرض، وذلك على أساس من الفهم والسرعة والدقة»(٤).

٢) ويعرفها مان Munn أنها «الكفاءة في أداء مهمة ما. ويميز بين نوعين من المهام: الأول: حركي، والثاني: لغوي. ويضيف بأن المهارة الحركية هي: إلى حد ما لفظية، وأن المهارات اللفظية تعتبر في جزء منها حركية»(٥).

ويمكن القول أن المهارة: نشاط جسدي، يقوم به عضو من أعضاء الجسد؛ كالعقل، أو العين، أو اللسان، أو اليد، وهو شيء يمكن أن يكتسبه الإنسان، أو يتعلمه عن طريق الممارسة والتدريب، ويبدأ بالمهارات الصغرى، ثم الكبرى حتى يصل إلى الجودة والاتقان، وهو أمر يمكن قياسه من خلال أداء الفرد، والممارسة العملية له، ويختلف الأفراد في إتقانه بحسب مستوى الأداء، وما يملكه الفرد من معلومات، ومفاهيم، ورصيد معرفي.

ثانيا: تعريف اللغة: لغة: من لغا يلغو، قال ابن سيده: واللغة: اللسن، وهي فُعْلة من لَغَوْت: أي تكلَّمت، وأصلها لُغوة، ككُرَة وقُلَة وثُبَة، كلها لاماتها واوات، والجمع لغات ولغون(٦).

اصطلاحا: قال ابن جني: هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم(٧). وقال ابن الحاجب: حدُّ اللغةِ كلُّ لفظٍ وُضِعَ لمعنى(٨).

وعرفها دوسيسير: كل ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي، من رمز صوتي، أو كتابي، أو إشارة، أي أن اللغة تعني الكيان العام الذي يضم النشاط اللغوي الإنساني في صورة ثقافية؛ منطوقة، أو مكتوبة، معاصرة أو متوارثة(٩).

ثالثا: مهارات اللغة: اللغة ظاهرة بشرية يمتاز بها الإنسان عن غيره، فهي وسيلة من وسائل التواصل والتعايش بين البشر، فعن طريق اللغة يحدث التفاهم، ويتم نقل الأفكار، وهي مفتاح التبادل المعرفي بين الإنسانية، والترابط بين البشرية.

وبما أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل؛ فإن التواصل اللغوي ما هو إلا عملية إجرائية، أو طريقة يتم من خلالها، نقل الأفكار، والمعلومات، والمعارف من شخص لآخر، وتبادل المشاعر والأحاسيس بين شخصين، أو أكثر، وبذلك يصبح لعملية الاتصال مكونات، وعناصر، وأركان لا بد من وجودها في عملية التواصل حتى تتحقق الغاية، ويحصل الهدف المنشود من التواصل.

مهارة التحدث

غالبًا ما تأتي مهارة التحدث أو الكلام بعد مهارة الاستماع وخاصّةً في المحادثة؛ لأنّ المواقف التي تستدعي أن تكون مهارة الكلام لاحقة لمهارة الاستماع أكثر في الحياة، من المواقف التي تكون فيها مهارة الكتابة أو القراءة لاحقة لمهارة الاستماع.

أولاً: تعريف التحدث: لغة: التحدث من المحادثة، وَحَدَّثَ تَكَلَّمَ وأَخْبَرَ، ومصدره التحديث، قال ابن منظور: «والحديثُ: مَا يُحَدِّثُ بِهِ المحَدِّثُ تَحْديثاً؛ وَقَدْ حَدَّثه الحديثَ وحَدَّثَه بِهِ. الجْوْهَرِيُّ: المحادثة والتَّحادُث والتَّحَدُّثُ والتَّحْديثُ: مَعْرُوفَاتٌ... ومَصْدَرَ حَدَّث إنما هُوَ التحديثُ»(١٠).

اصطلاحا: التحدث «مهارة إبداعية إنتاجية تعتمد على إخراج الأصوات اللغوية وفهمها، ويتصل ذلك بعدة عمليات فسيولوجية، كالتنفس، وتذبذب أو سكون الثنايا الصوتية الموجودة في الحنجرة، كما تعتمد على حركة اللسان الذي يشكل مع الأسنان والشفاه وسقف الحلق الصوت في صورته النهائية»(١١).

وعرفه آخرون بأنه «عملية معقدة، تؤثِّرُ فيها عوامل كثيرة منها: الحالة النفسية للمتحدث، والموقف الاجتماعي في أثناء عملية الإرسال، يزاد على ذلك أن التعبير الشفوي هو الحصيلة النهائية لتعليم اللغة العربية، فجميع فنون اللغة وفروعها، وسائل تعين على إتقان عملية التعبير ببعديْها الشفوي والكتابي»(١٢).

وقيل: «هو عملية يتم من خلالها إنتاج الأصوات مضافًا إلى هذا الإنتاج، تعبيرات الوجه المصاحبة للصوت والتي تسهم في عملية التفاعل مع المستمعين، وهذه العملية عملية مركبة تتضمن العديد من الأنظمة منها: النظام الصوتي، والدلالي، والنحوي؛ بقصد نقل الفكرة أو المشاعر من المتحدث إلى الآخرين»(١٣).

ويمكن القول إن مهارة التحدث: ما هي إلا كلام متبادل بين شخصين أو أكثر، الغاية منه إيصال الأفكار، ونقل المشاعر، والأحاسيس عن طريق وسيلة النطق بحروف اللغة المستخدمة. وبذلك تكون مهارة التحدث أداءً شفويًا غير مقروء، تنمو بشكل تدريجي عن طريق التعلم والممارسة.

بعد العرض السابق لتعريفات التحدث يمكن القول:

- التحدث عملية عقلية مركبة من عمليات فسيولوجية، ونفسية، وصوتية، وحركية ورغبة كاملة لإنتاج مادة مفهومة ومعبرة.
- التحدث مهارة معرفية تعتمد على الخبرات الذهنية التي يمتلكها المتحدث.
- التحدث مهارة لغوية مهمة يشترط فيها سلامة النطق، وينبغي أن تحمل درجة عالية من الإتقان للتأثير في الآخرين.

ثانيا: أهمية التحدث: مصدر التحدث عند الإنسان لسانه، فلولا هذه الجارحة التي خلقها الله Δ للإنسان لما استطاع مخلوق على وجه الأرض أن ينطق بحرف واحد، ولكن من فضل الله وكرمه جعل للإنسان آلةً يستطيع أن ينطق بها، ويتحدث عن طريقها، قال الراغب الأصفهاني: النطق أشرف ما خُصَّ به الإنسان، فإنه صورته المعقولة التي بها باين سائر الحيوان، ولهذا قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن، الآية: ٣، ٤] ولم يقل: وعلمه البيان، إذ جعل قوله: ﴿ عَلَّمَهُ ﴾ تفسيرًا لقوله: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ تنبيهًا أن خَلْقَهُ تعالى إيَّاه هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهم مرتفعًا عنه لكانت الإنسانية مرتفعة، ولذلك قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة، وقيل: المرء مخبوء تحت لسانه(١٤). وقد ذكر القرآن أهمية هذه الجارحة وقيمتها، فقال الله عزوجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد، الآية: ٨، ٩].

وبين النبي صلى الله عليه وسلم أهمية جارحة اللسان وخطورته على الإنسان، فقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ»؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»(١٥). وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ»(١٦). وَقَالَ ابْنُ بُرَيْدَةَ: رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ آخِذٌ بِلِسَانِهِ وَهُوَ يَقُولُ: وَيْحَكَ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ، أَوِ اسْكُتْ عَنْ سُوءٍ تَسْلَمْ،

وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَتَنْدَمُ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، لِمَ تَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ الْإِنْسَانَ - أَرَاهُ قَالَ - لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ أَشَدُّ حَنَقًا أَوْ غَيْظًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُ عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا مَا قَالَ بِهِ خَيْرًا، أَوْ أَمْلَى بِهِ خَيْرًا(١٧).

وَقَالَ الْحَسَنُ: اللِّسَانُ أَمِيرُ الْبَدَنِ، فَإِذَا جَنَى عَلَى الْأَعْضَاءِ شَيْئًا، جَنَتْ، وَإِذَا عَفَّ عَفَّتْ(١٨).

وقد ذكر الأدباء والشعراء محاسن اللسان وأهميته، فمن ذلك ما ذكره الثعالبي، قال: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَادَّ اللِّسانِ قادِرًا عَلَى الكَلَامِ فَهُوَ ذَرِبُ اللّسانِ وفَتِيقُ اللِّسانِ. فإذا كَانَ جَيِّدَ اللِّسانِ فَهُوَ لَسِن. فإذا كان يَضَعُ لسانَهُ حيثُ أَرَادَ فَهُوَ ذليق. فإذا كانَ فَصِيحًا بَيِّنَ اللَّهْجَةِ فَهُوَ حُذَاقِي عَنْ أبي زَيْدٍ. فإذا كَانَ مَعَ حِدَّةِ لِسَانِهِ بَلِيغًا فَهُوَ مِسْلاق. فإذا كَانَ لا تَعتَرِضُ لِسَانَه عُقْدَة ولا يَتَحَيَّفُ بَيَانَهُ عُجْمَة فَهُوَ مِصْقَعٌ. فإذا كَانَ لِسَانَ القَوْمِ والمتَكَلِّمَ عَنْهُمْ فَهُوَ مِدْرَه(١٩).

ومن الأبيات السائرة قول أحد الشعراء:

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبًا ** زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ** فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ

ولذلك فإنّ العلماء قديما وحديثا اهتموا بمهارة التحدث، وجعلوها من الوسائل المهمة في عملية التواصل، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الاستماع من حيث كثرة الاستخدام، فطبيعة التواصل بين البشر تعتمد على ركنين، الاستماع والتحدث؛ لأن الإنسان في عملية التواصل يستمع أولًا، ثم يتحدث بعد ذلك، فهو من أكثر فنون اللغة توظيفًا لعملية الاتصال التي هي عبارة عن «إرسال منطوق، واستقبال مسموع، أو عبارة عن مضمون، وإفصاح عن مضمون»(٢٠). ويسمى في المجال التعليمي «بالتعبير الشفهي».

فالتحدث هو الوسيلة الأولى التي تُنْقَلُ من خلالها الأفكار والمعاني، وتبادل المشاعر والأحاسيس، واكتساب العلوم والمعارف، وتحقيق الحياة الاجتماعية، ولذلك يعتبر التحدث من أهم ألوان النشاط اللغوي؛ لأن الناس يتحدثون أكثر مما يكتبون، فهو بذلك يعتبر أهم مهارة في استخدام اللغة وتوظيفها؛ فالإنسان إذا أراد أن يُفصح عما في نفسه من مشاعر وأحاسيس، أو أراد أن يوصل أفكاره، أو ينقل معارفه وعلومه إلى الآخرين، فإنه يستخدم أداتين، أو وسيلتين: لسانه وقلمه، واستخدام اللسان في الغالب يسبق استخدام القلم أو مقدم عليه.

وتكمن أهمية التحدث في أنه وسيلة من وسائل بناء الثقة في النفس عن طريق المواجهة الكلامية، والارتجال في المواقف التي تتطلب ذلك. فهو يحقق الوعي الذاتي، ويشعر الإنسان بكينونته، ويؤدي به إلى الارتياح النفسي، والطمأنينة القلبية، والانفراج الداخلي، كما أنه يساعد على زيادة المخزون اللغوي، والثراء المعرفي.

ثالثا: عناصر مهارة التحدث(٢١):

١) **الصوت**: لا يمكن وجود محادثة بين شخصين إلا عن طريق الصوت، وإلا تحولت عملية الاتصال إلى إشارات وحركات للإفهام.

٢) **اللغة**: الصوت يحمل حروفا، وكلمات، وجملًا تُنْطَقُ وتُفْهَمُ، وليس مجرد أصوات لا مدلولات لها.

٣) **التفكير**: لا معنى للكلام بدون تفكير يسبقه، يكون أثناءه، وإلا كان الكلام أصواتًا لا مضمون لها ولا هدف.

٤) **الأداء**: وهو الكيفية التي يتم بها الكلام من تمثيل للمعنى، وحركات الرأس واليدين، أو (ما يعرف بحركة الجسد).

الخطوات التي تتطلبها عملية التحدث(٢٢):

الأولى: استثارة — الثانية: تفكير

الثالثة: صياغة — الرابعة: نطق

نلاحظ أن نقطة البدء في أي محادثة، هو وجود مثير، إما داخليًا أو خارجيًا، كأن يُطْرَحَ على المتحدث سؤال، ويجيب عليه، أو يشترك في حوار أو نقاش، أما المثير الداخلي كأن ينشغل المتحدث بفكرة، أو مشكلة، فيحاول التعبير عنها.

وبعد وجود الدافعية للكلام يبدأ المتحدث في التفكير؛ فيبدأ في تنظيم نفسه، وجمع أفكاره وترتيبها؛ ليكون كلامه ذا معنى ومنظمًا.

وبعدها يبدأ في صياغة وانتقاء الرموز المعبرة، والعبارات المناسبة؛ ليعبر عما يدور في عقله ونفسه، من معاني وأفكار.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الأخيرة، وهي مرحلة النطق الذي يُتِمُّ عملية الاتصال، وهي مرحلة خارجية عكس المراحل الأخرى التي تُعْتبر مراحل داخلية(٢٣).

رابعا: أنواع التحدث: يُقَسَّمُ التحدث من حيث الموضوع إلى قسمين رئيسيين:

أولا: التحدث الوظيفي (الكلام المرسل): يحدث هذا النوع من التحدث في محيط الحياة العملية للإنسان بشكل يومي، وبصورة مستمرة، ويكون الهدف منه تواصل الناس مع بعضهم بعضًا؛ لتنظيم حياتهم، وتحقيق مآربهم، وقضاء حاجاتهم، وهو ضروري لا يمكن أن يستغني عنه إنسان، ولا أن يتركه بشر، ولا يمكن أن تستقيم الحياة بدونه؛ لأنه يحقق المطالب الاجتماعية والمادية التي يسعى المجتمع لتحقيقها.

ومن أمثلة هذا النوع: المحاضرات، والندوات، والخطب، والمناظرات، والدروس العلمية المنظمة، والتعليمات الإدارية والإرشادية، والبيع والشراء، وأحاديث المسامرة، والمناقشات الاجتماعية، والحوارات الأسرية، واللقاءات التي تحدث في المناسبات، كالزواج والأعياد والحفلات الخاصة.

ثانيا: التحدث الإبداعي: يُقْصَدُ به، ويراد منه: ترجمة الأحاسيس، والمشاعر، والعواطف النفسية والوجدانية إلى رمز صوتي في قالب لفظي بصياغة مفهومة، وعبارة واضحة، ولفظ منتقى، بحيث تصل إلى الآخرين بطريقة مشوقة، وبأسلوب يُحْدِثُ تفاعلًا، ومشاركة وجدانية وعاطفية، مثل الحديث عن حب الوطن، وجمال الطبيعة، والتذوق الأدبي، كالشعر، والمقالات النثرية، والقصص الأدبية.

وهذا النوع مهم في الحياة، لأنه يحرك المشاعر، والعواطف، والأحاسيس تجاه قضايا معينة، ومواضيع موجهة، فالكلمات لها تأثير كبير، ووقع شديد على نفس الإنسان، وعقله، وقلبه، فكم من كلمات لها فعل السحر في نفوس الناس.

وحقيقة الأمر أن كلا النوعين (الوظيفي والإبداعي) لا ينفصل أحدهما عن الآخر انفصالًا تامًا، بل قد يلتقيان، فكل موقف يحدث فيه التعبير والتحدث هو موقف وظيفي وإبداعي.

وهما مُهِمَّان «لكل إنسان في المجتمع الحديث، فالأول يساعد الإنسان في تحقيق حاجاته ومطالبه المادية والاجتماعية، والثاني يمكنه من أن يُؤَثِّرَ في الحياة العامة بأفكاره وشخصيته»(٢٤).

خامسا: مقومات نجاح مهارة التحدث(٢٥):

١) **الرغبة الحقيقية والصادقة في التحدث:** من أهم مقومات نجاح مهارة التحدث أن يكون عند الإنسان رغبة حقيقة في التحدث.

٢) **الإعداد المسبق والمنظم:** تسبق مهارة التحدث خطوات مهمة، منها الإعداد الجيد، فالعرب تقول: قبل الرمي تُمّلأُ الكنائن.

٣) **الثقة في النفس:** الثقة في النفس عامل مهم في عملية التحدث، كي يستطيع المتحدث التأثير في الآخرين بحديثه، ويكسب ثقتهم، وينال رضاهم، ويلهب تفاعلهم ومشاركتهم.

٤) **المؤهلات العلمية والفكرية**: لإنجاح مهارة التحدث، لابد أن يكون المتحدث يملك المؤهلات التي تمكنه من أداء المهارة بصورة صحيحة وفاعلة في المجال الذي يمارس فيه مهارة التحدث.

٥) **السلامة الجسدية والصحة النفسية**: المتحدث الذي يعاني من ضعف في النطق، أو لَكْنَةٍ في الحديث، لا يمكنه أن يؤدي مهارة التحدث بصورة صحيحة ومفهومة، وكذلك إن كان عنده عيوب خِلْقية تُعِيْقُهُ من ممارسة مهارة التحدث.

٦) **المهارات الأساسية واللازمة**: لابد أن يتمتع المتحدث بمهارات أساسية، كاللباقة، وحسن الأداء، والاتزان، وسرعة البديهة، والحركات الجسدية المصاحبة للفظ؛ كالإشارة وغيرها.

سادسا: معوقات مهارة التحدث:

١) الخجل.

٢) الخوف من الآخرين، أو الوقوع في الخطأ.

٣) الشعور بالنقص.

٤) ضحالة الأفكار، وضعفها.

٥) نظرة المجتمع للغة العربية على أنها لغة غير مستخدمه إلا في الإطار الرسمي

سابعا: أهداف مهارة التحدث(٢٦): مهارة التحدث لها عدة أهداف:

١) نطق اللغة بشكل صحيح سواء كان صوتًا، أو كلمة، أو جملة.

٢) اكساب المتحدث القدرة على التعبير عن أفكاره، والإفصاح عن خواطره، وإظهار ما لديه من علم ومعرفة.

٣) استخدام النظام اللغوي - من تراكيب وجمل - استخدامًا صحيحًا.

٤) توظيف القواعد اللغوية (صوت، بنية الكلمة، قواعد إعرابية، دلالة) توظيفًا صحيحًا.

٥) اكتساب المتعلم ثروة لفظية، ومخزون لغوي، يؤهله لممارسة عملية التواصل، والتحدث بطلاقة.

٦) انشغال عقل المتعلم باللغة، بحيث يُصْبِحُ قادرًا على التحدث بشكل متصل ومترابط لفترة زمنية معتدلة، تحقق الفائدة من التواصل والهدف من التحدث.

ثامنا: طرق تعليم مهارة التحدث(٢٧): ذكر المختصون والباحثون مجموعة من الطرق لتعليم مهارة التحدث من أهمها، الطريقة المباشرة، والطريقة السمعية الشفهية، وطريقة الاستجابة الجسدية الكاملة.

أولا: الطريقة المباشرة: سميت هذه الطريقة بالمباشرة؛ لأن التعلم فيها يتم عن طريق الربط المباشر بين الكلمات أو العبارات والأشياء، وما يدل عليها بدون استخدام لغة أخرى من جانب المدرس، أو الطلبة. وهذه الطريقة توجد علاقة مباشرة بين الكلمة والشيء، أو العبارة والفكرة من غير حاجة إلى وجود لغة أخرى مساعدة تدخل بينهما. كما أن هذه الطريقة تهتم بالجوانب الشفهية من اللغة، فهي بذلك تسبق القراءة، وتنمي عملية النطق السليم والصحيح.

ثانيا: الطريقة السمعية الشفهية: تنظر هذه الطريقة إلى اللغة على أنها مجموعة من الأنظمة (الصوتية، والصرفية، والنحوية) تربطها علاقة تكاملية شكلية يتعارف عليها الناطقون أو المتحدثون، تسعى لتحقيق الاتصال فيما بينها، لتكون أداة أو وسيلة تفاهم بين من يستخدمها أو ينطق بها. كما أن هذه الطريقة تركز على المنطوق كمظهر أساسي من مظاهر اللغة، وأن الكتابة مظهر ثانوي يأتي بعد النطق. وتعتمد هذه الطريقة على التقليد والمحاكاة من خلال ما يعرف بـ (المثير، والاستجابة، والتعزيز).

ثالثا: طريقة الاستجابة الجسدية الكاملة: هذه الطريقة تربط النشاط البدني باللغة مباشرة؛ لأنها تعتمد على الحركة

الجسدية التي يقوم بها معلم اللغة حتى يتمكن المتعلم من فهم اللغة المتَحَدَّثِ بها، وبذلك يتم تحقيق فهم اللغة عن طريق الأصوات، والكلمات، والجمل التي يقوم المعلم بصياغتها بطريقة صحيحة، والطلاب ينظرون إليه وإلى حركة جسده المصاحبة للنطق.

تاسعا: طرق وأساليب تعليم مهارة التحدث(٢٨): هناك مجموعة من الطرق والأساليب لتعليم مهارة التحدث من أهمها ما يلي:

أولا: طريقة الأسئلة والأجوبة: طريقة السؤال والجواب من الوسائل التي تشيع في حياة الناس اليومية الرسمية وغير الرسمية، وهي من الوسائل الفعالة في التواصل البشري، لأن السؤال من الوسائل المهمة والفعالة في الحصول على المعلومة، ولا يمكن أن يكون هناك عمل ناجح لأي نشاط من أنشطة الحياة بدون سؤال يتبعه جواب. فطريقة السؤال والجواب طريقة مؤثرة وفعالة في التواصل مع الآخرين، ومن خلالها يمكن الحصول على أكبر قدر من المعلومات، فهي وسيلة مهمة لأثارة الذهن، وتنشيط العقل، وخاصة في عملية التعليم.

ثانيا: طريقة المحادثة: طريقة أو أسلوب من أساليب التدريب الشفوي المنضبط، يستخدم في تعليم اللغة، وهو أسلوب يتميز بما يشبه الحوار الذي يتم من خلاله معرفة اللغة المستخدمة، وطريقة استخدام اللغة، ومراقبة حركة الجسد، ونبرة الصوت.

ثالثا: طريقة المناقشة: هي طريقة حوارية، أو نوع من الأنشطة المنظمة التي يقوم المتحدثون فيها بنشاط التحدث من خلال مناقشة موضوع معين، أو طرح مشكلة ما؛ ليتم بعد ذلك البحث عن أجوبة أو حلول للموضوع الذي تتم مناقشته، والمشكلة التي يتم طرحها. تعتمد هذه الطريقة بشكل أساسي على معارف وخبرات المتحدث السابقة، وفي التعليم على خبرات ومعارف الطلاب السابقة.

عاشرًا: استراتيجيات تنمية مهارة التحدث:

إن تنمية مهارة التحدث عند الطالب الجامعي تحتاج إلى مجموعة من الممارسات العملية والأنشطة المساعدة، والتغذية النفسية والعقلية حتى يتمكن الطالب من كسر حالة الخوف أحيانا، والحياء أحيانا أخرى، وتعزيز الدافعية لدى الطالب حتى يتمكن من التحدث، ومن خلال التجربة العملية والخبرة الميدانية لعملية التعليم على المستوى الجامعي فإنه يمكن وضع مجموعة من المقترحات التي تساعد على تنمية مهارة التحدث عند الطالب الجامعي حتى يتم التغلب على حالة الضعف الموجودة عند الطلاب، ومعالجتها بصورة علمية صحيحة، وبشكل عملي منظم، وهي كما يلي:

١) أول ما ينبغي أن يتعلمه الطالب لتنمية مهارة التحدث لديه هو تعلم قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، لأن قراءة القرآن تزرع الثقة داخل الطالب، وتعطيه القدرة على التحدث، وتنمي عنده المهارات اللغوية (الاستماع، التحدث، والقراءة، الكتابة)، كما أن قراءة القرآن تجعل الطالب ينطق الأصوات العربية بشكل صحيح، ويستقيم لسانه على الفصحى، ويتخلص الطالب من النطق بالعامية أو اللهجة الدارجة.

٢) تنمية مهارات الطالب المعرفية المتعلقة بالتحدث، كقواعد النحو، والصرف، والبلاغة وغيرها

٣) صقل شخصية الطالب بالمهارات المطلوبة للتحدث، كمهارة التواصل، وفنون الاتصال.

٤) تدريب الطالب على التحدث بشكل تدريجي، وهذه الصورة تتم عن طريق السؤال وتكراره على الطالب حتى يعتاد على النطق.

٥) توظيف الوسائل الحديثة في تشجيع الطالب على التحدث، كتسجيله لمحادثة معينة ثم عرضها مسجلة ومن ثم يقوم بالتحدث عنها وتحليلها، ويبين مواطن الصواب والخطأ ولو بشكل مبسط.

٦) تشجيع الطلاب على فن المحاكاة وذلك عن طريق الاستماع إلى مادة مسجلة ومن ثم يقوم الطالب بمحاكاة ما ورد فيها

من كلمات فصيحة، وعبارات صحيحة، وجمل مسبوكة بلغة عالية.

٧) المناقشة والحوار مع الطالب ولها صورتان: بين المعلم والطالب، أو بين الطلاب أنفسهم، وفي كلتا الصورتين المعلم هو من يدير النقاش والحوار.

٨) استخدام طريقة المجموعة، وتتم عن طريق تقسيم الطلبة إلى مجموعات وإعطاء كل مجموعة نشاط محدد يتم تنفيذه داخل قاعة المحاضرة عن طريق الحوار الشفوي بين الطلاب.

٩) تشجيع الطلاب على قراءة النصوص الأدبية (الشعر أو النثر) قراءة صحيحة منضبطة، وأن يقوم الطلاب بتسجيل نفسه والاستماع لما قام بتسجيله ويقوم بتقييم نفسه كتغذية راجعة.

١٠) تدريب الطلاب على مهارة إلقاء الخطب من خلال دروس تدريبية داخل المحاضرة أو عن طريق الأنشطة الطلابية التي تقام داخل الجامعة.

١١) تشجيع الطلاب على المشاركة في الأنشطة والفعاليات الطلابية داخل الجامعة خاصة التي تعتمد على مهارة التحدث.

١٢) تشجيع الطلاب على الاستماع إلى بعض ما يُبث في وسائل الإعلام باللغة العربية من مادة مسموعة، كنشرات الأخبار، والبرامج الثقافية التي تعتمد على اللغة الصحيحة، والمسلسلات التاريخية التي تكون باللغة العربية، حتى يعتاد سمع الطالب على الألفاظ والعبارات الصحيحة، وتوجيههم إلى كيفية الاستفادة من هذه المادة، وفي رأيي أن ذلك يتم عن طريق الاستماع المركز، والنظر إلى طريقة الأداء أو النطق عند المتحدث، ومن ثم المحاكاة وتكرار ما تم سماعه بنفس الطريقة والأسلوب حتى يعتاد على النطق الصحيح.

١٣) تشجيع الطلاب على اختيار عددا من المفردات أو الكلمات بشكل يومي وكتابتها ومن ثم استخدامها في سياقات مختلفة وفي مواطن متعددة؛ لأن هذا سيساعد الطلاب على بناء حصيلة لغوية، ويصبح لديه ثراء لغوي، وذخيرة كبيرة من المفردات.

١٤) تكوين صداقات وعلاقات مع شخصيات يمكن التحدث معهم باللغة العربية الصحيحة وإدارة الحوار معهم باستخدام الكلمات التي حفظها الطالب أو اكتسبها من نشاطاته المختلفة.

١٥) استعمال القاموس، وهذا مما لا نراه عند الطلاب في المستوى الجامعي، لذلك ينبغي على الطالب أن يختار قاموسا عربيا يكون موردا عذبا ومفيدا في مستويات اللغة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) وهو يساعد الطالب على تطوير لغته وتنميتها بشكل كبير.

الخاتمة

وصفوة الحديث تقودنا إلى أن تحدث الطالب الجامعي بالفصحى يتطلب منا بذل جهد كبير، والسعي بالوسائل والطرق الممكنة لتنمية هذا المهارة عند الطلاب، فالهدف من وراء التحدث باللغة الفصحى هو تقديم صورة رائعة عن لغتنا وتعريفها عند أبناء اللغة الناطقين بها وغير الناطقين بها، فهي لغة القرآن الكريم، وتعلمها وضبط قواعدها يساعد على فهم كلام الله والتدبر في أحكامه ومعانيه؛ لذلك ينبغي السعي وبقوة من أجل إتقان هذه المهارة عند الطالب الجامعي وتشجيعه عليها، وبذل كل الوسائل المتاحة من أجل ذلك وخاصة في ظل الضعف الشديد الذي نراه عند طلابنا، ونشاهده منهم بصورة مستمرة، ونلمسه واقعا في التعليم الجامعي.

أهم ما توصل إليه البحث ما يلي:

١) ينبغي ربط مهارة التحدث بالقرآن الكريم؛ لأن القرآن هو السبيل الأول لإتقان هذه المهارة، فهو يعطي الثقة بالنفس، ويصنع الشخصية المتحدثة الجريئة.
٢) تأتي مهارة التحدث بعد مهارة الاستماع من حيث الأهمية، وطرائق الاستعمال للمهارات اللغوية الأربع.
٣) تمثل مهارة التحدث الجانب العملي والتطبيقي لمهارة الاستماع، فالمستمع الجيد يمكنه أن يتحدث جيدا.
٤) مهارة التحدث هي الوسيلة المهمة لصقل مواهب المتعلم بمختلف المعارف، وتنمية الملكة اللغوية لديه.
٥) عن طريق مهارة التحدث يتمكن المتعلم من التغلب على حالة الضعف التي تكون عنده.
٦) مهارة التحدث تمكن الطالب من كسر حاجز الخوف والحياء إذا استخدم هذه المهارة بصورة صحيحة وبشكل فعال.
٧) مهارة التحدث هي المهارة التي يستطيع الطالب من خلالها أن يتقن مهارة القراءة والكتابة؛ لأن التحدث يحتاج إلى إعداد وهذا الإعداد يدفع الطالب إلى القراءة، ومن ثم كتابة ما قرأه.
٨) الجامعة هي الحقل الخصب الذي عن طريقه يمكننا تنمية مهارة التحدث عند الطالب الجامعي، وذلك عن طريق نشر ثقافة التحدث عند الطالبة من خلال البرامج والأنشطة الطلابية التي تقام داخل الحرم الجامعي، وتشجيع الطلاب على ذلك وتحفيزهم عليه.
٩) تنمية مهارة التحدث تساهم في تنمية الجانب الاجتماعي في حياة الطالب، وتدفعه إلى المشاركة المجتمعية عن طريق الحوار والمناقشة.
١٠) مهارة التحدث تكسر جانب العزلة لدى الطالب، وتبعده عن الانطوائية، لأن تلك الصفات تؤثر عليه سلبا وتبعده عن اكتساب المعارف وتحصيل العلم.

المراجع

*** القرآن الكريم**

١. الأصفهاني، الحسين بن محمد، (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة.
٢. أبو مغلي، سميح، **الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية**، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)، ط٢، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن.
٣. إبراهيم، عبد العليم، **الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية**، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ط١٧، دار المعارف، القاهرة.
٤. إسماعيل، زكريا، **طرق تدريس اللغة العربية**، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
٥. ابن جني، عثمان:
سر صناعة الإعراب، (١٤٤٥هـ - ١٩٨٥م)، تحقيق: حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق.
الخصائص، ط٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٧. ابن المبارك، عبد الله، **الزهد والرقائق**، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، ط١، تحقيق: أحمد فريد، دار الفريد للنشر، دمشق.
٨. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣)، ط٣، دار صادر، بيروت.
٩. بن سيده، علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح** ، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق

النجاة، بيروت.

١١. البجة، عبد الفتاح، **أساليب تدريس اللغة العربية وآدابها**، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م)، ط٤، دار الكتاب الجامعي، العين.

١٢. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، **سنن الترمذي**، (١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابجي الحلبي، مصر.

١٣. الثعالبي، عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وسر العربية**، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤. الداية، محمد رضوان ـ جمل، محمد جهاد، **اللغة العربية ومهاراتها في المستوى الجامعي لغير المتخصصين**، (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م) دار الكتاب الجامعي

١٥. الدليمي، طه، **تدريس اللغة العربية بين الطرائق التقليدية والاستراتيجية**، (١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م)، ط١، عالم الكتب الحديث، الرياض.

١٦. الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري ، **تهذيب اللغة**، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، تحقيق: محمد عوض مرعب، اط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

١٧. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، (١٤٢٠هـ–١٩٩٩م)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت.

١٨. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر**، (١٤١٨هـ ١٩٩٨م)، ط١، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية — بيروت.

١٩. الفرماوي، حمدي علي، **نيوروسيكلوجيا معالجة اللغة واضطرابات التخاطب**، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٢٠. الفوزان، عبد الرحمن. (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م). **دروس في النظام الصوتي للُّغة العربية.**

٢١. الفوزان، عبد الرحمن، **إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها**، (١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م)، ط٢، العربية للجميع، الرياض.

٢٢. الناقة، محمود كامل، طعيمة، رشدي أحمد، **طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها**، (١٤٢٤– هـ ٢٠٠٣م)، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافة، إيسيسكو مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

٢٣. رضوان، محمد، وجهاد، محمد، **اللغة العربية ومهاراتها في المستوى الجامعي لغير المتخصصين**، (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م)، ط١، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات.

٢٤. زقوت، محمد شحادة، **المرشد في تدريس اللغة العربية**، (٢٠١٣م)، ط٣، مكتبة الطالب الجامعي، فلسطين.

٢٥. شاهين، محمد توفيق، **علم اللغة العام**، (١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م)، ط١، مكتبة وهبة للطباعة والنشر

٢٦. طعيمة، رشدي أحمد:

المهارات اللغوية مستوياتها تدريسها صعوباتها، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م)، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة.

المرجع في تعليم اللغة العربية (القسم الأول، القسم الثاني)، ط١، جامعة ام القرى، مكة المكرمة.

٢٧. طعيمة، رشدي أحمد، الناقة، محمود كامل، **تعليم العربية لغير الناطقين بها**، (١٤٠٥ هـ- ١٩٨٤م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٢٨. عبد الحميد، عبد الله عبد الحميد، **الأساليب الحديثة في تعليم اللغة العربية**، (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، ط١ الكويت.

٢٩. عبدالباري، ماهر شعبان، **مهارات التحدث العلمية**، (١٤٣٢هـ –٢٠١١م)، ط١، دار المسيرة، الأردن.

٣٠. عبدالله، علوي طاهر، **تدريس اللغة العربية وفقا لأحدث الطرائق التربوية**، (١٤٣١هـ – ٢٠١٠م) دار المسيرة، الأردن.

٣١. علي سامي الحلاق، **المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية**، ط٢(١٤٤٠هـ-.٢٠١٨م)، المؤسسة الحديثة للكتاب الحديث، لبنان.

٣٢. مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣. مصطفى، عبد الله علي، **مهارات اللغة العربية**، (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م)، دار المسيرة.

٣٤. مدكور، علي أحمد، **تدريس فنون اللغة**، (١٤١١هـ-١٩٩١م) دار الشواف، القاهرة.

٣٥. يونس، فتحي علي، **أساسيات تعليم اللغة العربية،** (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، دار الثقافة للطباعة والنشر، قطر.

الهوامش

(١) مختار الصحاح، الرازي: ٣٠٠/١.

(٢) تهذيب اللغة، الهروي: ١٥٩/٦.

(٣) أخرجه مسلم (٧٩٨).

(٤) اللغة العربية ومهاراتها في المستوى الجامعي لغير المتخصصين، محمد رضوان، ومحمد جهاد: ١٥.

(٥) المهارات اللغوية: مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، رشدي طعيمة: ٢٩.

(٦) المحكم والمحيط الأعظم ،ابن سيده،: ٦٢/٦.

(٧) الخصائص، ابن اجني: ٣٤/١.

(٨) المزهر، السيوطي: ١٢/١.

(٩) علم اللغة العام، محمد توفيق شاهين: ١٦.

(١٠) لسان العرب، ابن منظور: ١٣٣/٢، تاج العروس، الزبيدي: ٢١٠/٥، مختار الصحاح، الرازي: ٦٨/١.

(١١) نيوروسيكلوجيا معالجة اللغة واضطرابات التخاطب، حمدي الفرماوي: ٢٨.

(١٢) تدريس اللغة العربية بين الطرائق التقليدية والاستراتيجية، طه الدليمي: ١٣٢.

(١٣) مهارات التحدث العلمية، ماهر شعبان عبدالباري: ١٣.

(١٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني: ١٩١٩/١.

(١٥) أخرجه الترمذي (٢٦١٦).

(١٦) أخرجه البخاري (٦٣٧٤).

(١٧) الزهد والرقائق ابن المبارك: ١٢٥/١.

(١٨) جامع العلوم والحكم ابن رجب: ١٤٨/٢.

(١٩) فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي: ٩٠/١.

(٢٠) أساليب تدريس مهارات اللغة العربية، عبد الفتاح البجة: ٤٣.

(٢١) مهارة التحدث العملية والأداء، ماهر شعبان: ٩٤.

(٢٢) تدريس فنون اللغة، علي مدكور: ١٠٩.

(٢٣) ينظر: تدريس فنون اللغة، أحمد مدكور: ٨٩ - ٩٠.

(٢٤) تدريس فنون اللغة العربية، علي مدكور: ١٠٥.

(٢٥) ينظر: مهارات اللغة العربية، عبد الله مصطفى: ١٥٥، طرق تدريس اللغة العربية، علي مدكور: ١٥٨، أساليب تدريس اللغة العربية وآدابها، عبد الفتاح البجة: ٤٤، مهارة التحدث، ماهر عبدالباري: ١٤٧-١٥٢.

(٢٦) ينظر: فنون تدريس اللغة العربية، علي مدكور: ١١٢- ١١٥، مهارة التحدث، ماهر عبدالباري: ١٣٥-١٤٤.

(٢٧) ينظر: مهارة التحدث العملية والأداء، ماهر شعبان: ٩٤، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى (القسم الأول)، رشدي أحمد طعيمة: ٤٩٢- ٥٠٦، طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، محمود الناقة، ورشدي طعيمة: ٢٦.

(٢٨) ينظر المراجع السابقة.

أثار تعليق الأعلاميين للمباريات الرياضية على اللغة الفصحى للجمهور الرياضي

د. مناهل عبد الجبار خزعل، د. هدى صالح محمد، د. عائد صباح حسين النصيري و د. مصطفى حسن عبد الكريم،

كلية العلوم للبنات، جامعة بغداد، المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة، كلية التمريض، جامعة بغداد و كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق

الملخص

يتفق المتخصصون على أنّ هناك ثلاثة أشكال أساسية ومختلفة تقريبا للتعليق وهي: التعليق عبر التلفزيون، التعليق عبر الراديو، والتعليق الداخلي (في الملعب أو القاعة الرياضية ... وغيرها)، كما أنه من ناحية أخرى كانت هناك جهود لتعزيز اللغة الفصحى في وسائل الإعلام والبث الرياضي، فقد يشجع هذا على تطوير الموارد اللغوية وتقديم المحتوى الرياضي بشكل يعزز الثقافة اللغوية للجمهور الرياضي، والتحدي هو إيجاد التوازن بين استخدام اللغة العربية الفصحى وتلبية احتياجات الجماهير والمشجعين، تطوير برامج تعليق رياضي متنوعة وتقديم محتوى يلبي مختلف الفئات العمرية والثقافية قد يكون مفتاحًا في تعزيز اللغة الفصحى داخل المجتمع الرياضي، إذ هدف البحث إلى تقصي وجهة نظر الجماهير الرياضية عن دور الإعلام الرياضي في دعم الثروة اللغوية الفصحى للجمهور العراقي، واعتمد الباحثون المنهج الأنثروبولوجي (Anthropological Approach) في وصف وتحليل لغة الجماهير الرياضية، واعتماد التحليل النوعي للكلمات الشعبية أو التي لا تنتم إلى اللغة العربية الفصحى، تبين أختلفت التحليلات النوعية وبالنسبة للمعلقين الرياضيين فقد أصبح التقليد طاغيا على لغتهم وأسلوبهم واستخدامهم للغة الشعبية الدراجة، كما هناك بعض المعلقين الذين يحاولون التقليد اكثر مما لديهم من قدرات، هناك أيضا مشكل الشارع من خلال المواقع الالكترونية كالفيسبوك، الذي طغى يشكل مثير، حيث أصبح المعلق متخوف اثناء مهمته، لان هناك ملاحظين وليسوا متتبعين كما كان أيام زمان، وهناك من بين المعلقين الذين يمررون رسائل أثناء التعليق، لقد تم استغلال مواقع الفيس بوك في الانتقادات الفارغة، والكلام النابي، والسب، والقذف، الشتائم، والمس بالكرامات من لدن الجمهور الرياضي، إذ اصبحت أمور كثيرة لها حسابات وحساسيات مما أنعكس سلباً على على اللغة الفصحى للجمهور الرياضي، وكانت الاستخلاصات والتطبيقات بضرورة إنشاء قواميس رياضية ومصطلحات خاصة بالرياضة باللغة العربية الفصحى لتوفير موارد للمعلقين والإعلاميين لتطوير الموارد اللغوية، و تقديم دورات تدريبية للمعلقين والمحللين الرياضيين لتعزيز مهاراتهم في استخدام اللغة العربية الفصحى بطريقة مهنية وجذابة، وإطلاق حملات توعية وتثقيف للجمهور حول أهمية استخدام اللغة العربية الفصحى في الرياضة وكيف يمكن للمشجعين دعم هذه الجهود، ولابد من دعم القنوات الرياضية والمنظمات الرياضية لبرامج ومحتوى يستخدم اللغة العربية الفصحى بشكل مناسب ومشجع، وفهم احتياجات وتفضيلات الجماهير والعمل على تطوير تجارب رياضية تتلاءم مع هذه الاحتياجات بما يشمل استخدام اللغة العربية الفصحى بشكل فعّال، ومن الضروري التعاون مع الجهات الثقافية والتعليمية لتعزيز استخدام اللغة العربية الفصحى في مختلف المجالات بما في ذلك الرياضة.

الكلمات المفتاحية: تعليق الإعلاميين، الجمهور الرياضي، الاعلام الرياضي، المباريات الرياضية.

المقدمة

ان الثروة اللغوية المحدودة للمعلقين الرياضيين قد يسهم في تقليل انتشار اللغة الفصحى وتراجع استخدامها في الوسط الرياضي، مما يمكن أن يؤثر على المحتوى اللغوي المتاح للجماهير الرياضية الناطقة بالعربية، ويحتاج تعزيز العمل الإعلامي الذي تنتهجه الوسائل الإعلامية الرياضية المختلفة إلى مواصلة رفده بالدراسات الأكاديمية التي تدفع به نحو تحسين مساراته لمواكبة

التحسينات التي تطرأ في نظيراته على المستوى العالمي، مما يلقي ذلك مسؤوليته على الأكاديميين لتفعيل عمليات التقصي الموضوعي للوصول إلى جدوى النفع لهذا العمل في المجتمعات المستفيدة منه.

إذ يتفق المتخصصون على أنّ هناك ثلاثة أشكال أساسية ومختلفة تقريبا للتعليق وهي: التعليق عبر التلفزيون، التعليق عبر الراديو، والتعليق الداخلي (في الملعب أو القاعة الرياضية ... وغيرها).

كذلك يوجد التعليق الفردي والتعليق الثنائي، فالأول هو ذاك الذي تعتمده البعض من البلدان والمحطات التلفزيونية والإذاعية، حيث يتولى شخص واحد التعليق على مباريات لكرة القدم أو لأي حدث رياضي آخر، أمّا التعليق الثنائي فيكون من قبل معلقين اثنين، وذلك لقتل الملل، ومساعدة المعلق الثاني في التحضير الجيد للمعلومة، وإراحة الحبال الصوتية وإعادة التركيز، والانتباه أكثر إلى أحداث المباريات

كما أنه من ناحية أخرى كانت هناك جهود لتعزيز اللغة الفصحى في وسائل الإعلام والبث الرياضي، فقد يشجع هذا على تطوير الموارد اللغوية وتقديم المحتوى الرياضي بشكل يعزز الثقافة اللغوية.

مشكلة الدراسة

لا شك أن التعليق هو أهم ركيزة في الإعلام الرياضي، وذلك لفائدته في إيصال المعلومة السريعة، ووصف الأحداث الرياضية ببساطة ومتعة، وبصورة مفهومة وواضحة من قبل الجماهير الرياضية التي تتابع وتتفاعل من خلال جهازي التلفزيون أو الراديو.

أن مدارس التعليق المعروفة في العالم العربي تعتمد بالدرجة الأساسية على اللهجة (العامية) كالمصرية، الشامية، العراقية والخليجية والتونسية، وغالباً ما يميل المعلق إلى استخدامهة إلى المفردات العامية والمصطلحات اللغوية الغريبة تماماً عن اللغة الفصحى، ويعتمد البعض على اللغة العربية الفصحى، التي صارت تشكو من قلة المعلقين المستخدمين لها، وذلك بسبب صعوبة التركيز واستخدام المفردات السليمة، لذلك يعتمد المعلق على لهجته وأسلوبه واستخدام مفرداته الخاصة عند نقل المباراة لإظهار الجمالية والإثارة والمتعة.

التحدي هو إيجاد التوازن بين استخدام اللغة العربية الفصحى وتلبية احتياجات الجماهير والمشجعين، تطوير برامج تعليق رياضي متنوعة وتقديم محتوى يلبي مختلف الفئات العمرية والثقافية قد يكون مفتاحًا في تعزيز اللغة الفصحى داخل المجتمع الرياضي.

إن الثقافة اللغوية الفصحى لها دور مؤثر وفعال في نشر وترسيخ التحدث باللغة الفصحى بين اللاعبين والمشاهدين وتكمن مشكلة البحث من خلال ملاحظة الباحثون قلة اهتمام المعلقين الرياضيين لاسيما المشهورين منهم في مختلف البلدان العربية بأستخدام اللغة الفصحى مما شكل ضعف لدى الجمهور الرياضي في ملاحظة هذا الأمر المهم لتعزيز ثروتهم اللغوية الفصحى، ليمتد ذلك إلى التأثير في المعلومات والعادات والقيم وكل ما يبني أو يشكل الثقافات في مجتمعاتهم.

أهداف الدراسة

هدف البحث إلى تقصي وجهة نظر الجماهير الرياضية عن دور الإعلام الرياضي في دعم الثروة اللغوية الفصحى للجمهور العراقي .

ليتفرع عن الهدف الرئيس الأهداف التالية :

١) الكشف عن وجهات نظر الجماهير الرياضية لواقع اللغة الفصحى في الإعلام الرياضي.

٢) التعرف على مدى وثوق الجمهور الرياضي العراقي بالثقافة اللغوية لمعلقي وسائل الإعلام الرياضي المختلفة.
٣) معرفة مدى دعم الإعلام الرياضي لاستخدام اللغة الفصحى في أوساط الجماهير الرياضية.
٤) التعرف على نواحِ القوة والضعف لآداء الأعلام الرياضي في استخدام اللغة الفصحى مع الجمهور الرياضي.

أهمية الدراسة

أن إهداف وسائل الإعلام الرياضي وأختلافها أظهرت توجهات عديدة في إيصال الرسائل المبتغاة من الإعلام المجدي والموضوعي الذي من المفترض أن يتعامل بمهنية تحقق أكثر من غرض في عمل واحد ، مما ساعدت هذه المحددات في جعلها من المؤسسات المسؤولة عن تحسين وتهذيب ثقافة المجتمعات سيما الجماهير الرياضية المتابعة لرسائلها ، إذ تتجلى أهمية الدراسة في أنها من الدراسات التي تعنى بتشخيص ما تم الوصول إليه من بلوغ لأهداف وسائل الاعلام الرياضي ومدى تأثيرها في توعية وتثقيف المتلقين لها من الجماهير الرياضية ، لأهمية هذا التثقيف الرياضي بما ينصب في وعيهم وفهمهم لما يدور من أحداث من جهة ، وأهمية التحسينات التي تصاحب تعزيز هذهِ الثقافة الرياضية على المستوى الشخصي للأفراد من جهة أخرى ، مما تساهم لغة الارقام في هذهِ الدراسة الأكاديمية المجردة من الاحكام الشخصية للباحث في تمكين القائمين على هذا النوع من الإعلام من تأدية رسالتهم بمهنية هادفة ومنتجة لخدمة المجتمع بعد التعرف على ما وصل إليه جمهورهم الرياضي من إستفادة ، والتي من أهمها ملاحظة التحسينات التي تطرأ عليهم بأعتماد الاساليب التي تنتهج الخطوات العلمية في الوصول إلى الحقائق ، وعدم الاكتفاء بسرعة نقل الخبر أو الحصول على حقوق البث أو النشر كدليل على تقدم الاعلام الرياضي وتميزه ما لم يحقق أسمى أهداف الفكر الناضج في تحسين ثقافة الجماهير الرياضية.

أسئلة الدراسة

تنطلق هذهِ الدراسة من سؤال رئيس وهو : ما مدى إستفادة الجماهير الرياضية من فصاحة المعلقين الرياضيين في مختلف وسائل الاعلام الرياضي في دعم ثقافته اللغوية الفصحى في ضوء آراء الجماهير الرياضية العراقية ؟
١) ما درجة تقييم الجماهير الرياضية العراقية لواقع اللغة الفصحى لمعلقي الإعلام الرياضي ؟
٢) ما درجة تغطية وسائل الإعلام الرياضي لقطاعات كبيرة ومتنوعة من الجماهير الرياضية ؟
٣) ما مستوى دعم فصاحة لغة معلقي الإعلام الرياضي للثقافة اللغوية الفصحى في أوساط الجماهير الرياضية ؟
٤) هل يساعد واقع اللغة الفصحى لمعلقي الإعلام الرياضي على تغييرات إيجابية في توجهات ثقافة اللغوية الفصحى للجماهير الرياضية ؟
٥) هل يُدعم الإعلام الرياضي بدراسات علمية عن أهمية ممارسة الجماهير للرياضة ؟

مصطلحات الدراسة

١– اللغة واللغة الفصحى

تمثل اللغة والمعاني والرموز والايماءات العنصر الرئيس والمحوري في تشكيل العلاقات الانسانية، ويرتبط ذلك بالنظرية التفاعلية الرمزية والتي تفترض أن البناء الاجتماعي هو نتاج الفرد فهو الفاعل في إنتاج المجتمع (الهلالي، ٢٠٢١، ص ١٢٨)

۲- الاعلام

هو التعريف بقضايا العصر ومشاكله وكيفية معالجتها في ضوء النظريات والمبادئ التي اعتمدت لدى كل نظام او دولة. (ياسين ، ۲۰۱۱، ص ۲۱)

الاعلام الرياضي وأثاره على اللغة الفصحى

يمكن أن التعريف العام للأعلام بأنه " كل نقل للمعلومات والمعارف والثقافات الفكرية والسلوكية ، بطريقة معينة ، خلال أدوات ووسائل الاعلام والنشر ، الظاهرة والمعنوية ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية ، بقصد تأثيرها ، سواء عبر موضوعياً أو لم يعبر ، وسواء كان التعبير لعقلية الجماهير أو لغرائزها". (ياسين ،۲۰۱٥، ص ۲۱)

ويعرف الاعلام الرياضي بأنه عملية نشر الاخبار والمعلومات والحقائق الرياضية وشرح القواعد والقوانين الخاصة بالألعاب والأنشطة الرياضية للجمهور بقصد نشر الثقافة الرياضية بين افراد المجتمع وتنمية وعيه الرياضي . (خير الدين، وعطا ، ۱۹۹۸، ص ۲۲)

بينما يعرف اديب خضور بأنه "جزء من التغطية الاعلامية العامة وهي منظومة فرعية تختص بالرياضة تضم مختلف وسائل الاعلام المتخصصة في المجال الرياضي (صحف وإذاعة وتلفاز) وتضم جميع المواد الرياضية التي تنشرها الجرائد والمجلات العامة في صحافتها المتخصصة والبرامج الرياضية التي تذيعها محطات الإذاعة والتلفاز". (اديب ، ۲۰۰۰، ص۳۱)

ويرى أبراهيم أن الاعلام في المجال الرياضي يعد تلك المنظومة التي تتم بنشر الاخبار والمعلومات المعرفية المرتبطة بالمجال الرياضي وبعرض وتفسير القواعد والقوانين والمبادئ التي تنضم الرياضات والألعاب المختلفة وتحكم المنافسات الرياضية والتي تتم بتوضيح الرؤى العلمية والرياضية وذلك من خلال وسائل الاعلام والاعلام الجماهيري بغرض نشر الثقافة المرتبطة لدى المواطنين وتنمية اتجاهاتهم الإيجابية نحو ممارسة أوجه الأنشطة البدنية والحركية وتوجيههم نحو استثمار أوقات الفراغ في متابعة الاحداث الرياضية ". (إبراهيم ، ۱۹۹٥، ص ۷۹)

نستطيع أن نستلخص أن كلاً من الدعاية والإعلان والأعلام ما هي إلا أساليب تستخدمها العلاقات العامة لنشر المعلومات والحقائق للتأثير الواعي المقصود لخدمة مصالح المؤسسات والجماهير التي تتعامل معها ، ولخدمة الصالح العام ، هادفة من ذلك إعلام الجماهير وتنويرها وتعريفها بالمؤسسة وذلك لتحقيق التفاهم والمشاركة ولكسب ثقة الجماهير وتأييدها . (أبو حليمه ،۲۰۰٤ ، ص ۲۸۷-۲۸٦)

إذ تمثل اللغة أهم ركائز الاتصال والتواصل والتخاطب والتفاهم بين الأفراد والمجتمعات، إذ أكدت دراسة (جاد الله، ۲۰۰٥، ص ۸٦-۹۱) أن أثر التغيير في لغة الشباب يرجع إلى الأعلام المفتوح المتمثل في (النت- والعولمة)، مما أدى إلى استحداث عبارات وكلمات تدل على المدح والذم وذات معاني ومدلولات مختلفة بأختلاف السياق الثقافي والاجتماعي وقد تشابهت تلك العبارات والكلمات لدى الشباب بين مختلف البيئات والطبقات وانتشر فيها الغيبة والنميمة والحسد والرشوة والواسطة والتحية والجنس وعبارات الشتائم، وميل الشباب للسخرية والتهكم في مختلف المواقف، مع عدم تناسب أستخدام اللغة المبتذلة مع الطبقات الأجتماعية للشباب.

ويذكر عيسى الهادي أن للأعلام الرياضي عبر وسائل الاتصال الجماهيرية العديد من المزايا والاهمية في مجال التربية البدنية والرياضية ، أذ أنه يساهم في تحقيق الأهداف الإعلامية التالية :- (الهادي ،۲۰۱۳، ص۹)

۱- تكوين بنية معرفية لدى المتابعين لرسائله أو فقراته الاذاعية أو التلفزيونية أو القارئين لموضوعاته الصحفية ، وذلك فيما يرتبط بمفاهيم واهداف ووسائل التربية البدنية والرياضة بوجهه عام.

٢- تنمية مكونات الثقافة المرتبطة بالعديد من المفاهيم والقضايا التي يتكون عنها مدركات رياضية فيما يتعلق بالتربية البدنية والرياضة.

٣- تدعيم المبادئ والقيم التربوية وترسيخها في المواطنين منذ الصغر من خلال الاهتمام بالتنشئة الاجتماعية في المجال الرياضي ، مع التأكيد عل أن كلا من التربية البدنية والرياضية أنما ينتمي للمجال التربوي والاجتماعي الزاخر بالقيم والمبادئ.

٤-تكوين الاتجاهات الإيجابية نحو التربية البدنية والرياضية التنافسية والرياضة للجميع بغرض زيادة الطلب على المشاركة الفعالة في أوجه نشاطاتها ، وذلك من خلال توضيح أهميتها في حياة الانسان والمجتمع.

٥- مساعدة المواطنين المتابعين للبرامج والفقرات الإعلامية في وسائل الاتصال على التعرف على كل ما هو جديد أو مستحدث في مجال التربية البدنية والرياضية وذلك فيما يرتبط بالحديث عن بعض الرياضات ودورها في استثمار أوقات الفراغ أو بالحديث عن بعض الحقائق العلمية التي تربط بين التفوق الرياضي والدراسي أو بين ممارسة النشاط الحركي والصحة.

علاقة الاعلام الرياضي ببعض المجالات الأخرى : (كنعان ،٢٠١٤،ص١٤٨-١٥٣)

١- الاعلام الرياضي والعلاقات العامة.

٢- الاعلام الرياضي والاعلان.

٣- الاعلام الرياضي والدعاية.

٤- الاعلام الرياضي والاتصال.

٥- الاعلام الرياضي والتخطيط.

٦-الاعلام الرياضي والتسويق الرياضي.

٧- الاعلام الرياضي والسياسة.

٨- الاعلام الرياضي والسياحة.

منهج الدراسة

أعتمد الباحثون المنهج الأنثروبولوجي في وصف وتحليل لغة الجماهير الرياضية، والتي يقصد بها رصد وجمع الكلمات المكتوبة في وسائل الأتصال بين البشر (ماتيوز، ٢٠١٦، ص٧٢٥)، والتي تكشف عن طبيعة اللغة بوساطة إطارها الثقافي (فوزي، ٢٠٠٩، ص٩٥) لتحقيق أهداف البحث.

مجالات الدراسة:

المجال البشري: عينة من المتابعين للصفحات المباريات الرياضية للموسوم الرياضي (٢٠٢٢-٢٠٢٣).

المجال الزمني: للمدة الممتدة من تأريخ (٢٠٢٣/١٢/١٥) ولغاية (٢٠٢٤/١/٦).

الإجراءات:

من خلال اعتماد الباحثون للمنهج الأنثروبولوجي واعتماد التحليل النوعي للكلمات الشعبية أو التي لا تنتم إلى اللغة العربية الفصحى، تبين إلى الآتي:

أختلفت التحليلات النوعية وبالنسبة للمعلقين الرياضيين فقد أصبح التقليد طاغيا على لغتهم وأسلوبهم واستخدامهم للغة الشعبية الدراجة، كما هناك بعض المعلقين الذين يحاولون التقليد اكثر مما لديهم من قدرات، هناك أيضا مشكل الشارع

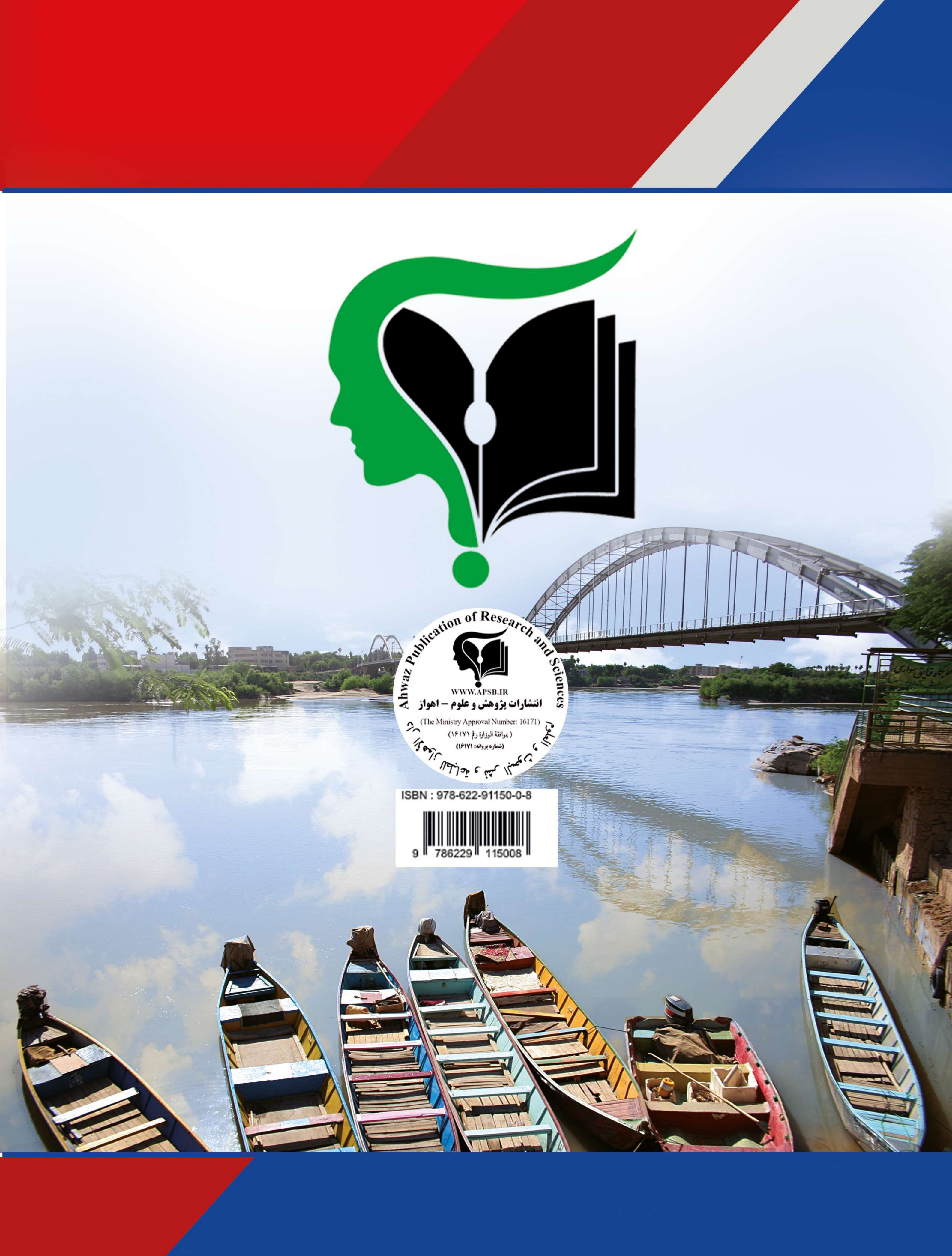
من خلال المواقع الالكترونية كالفايسبوك، الذي طغى يشكل مثير، حيث أصبح المعلق متخوف اثناء مهمته، لان هناك ملاحظين وليسوا متتبعين كما كان أيام زمان، وهناك من بين المعلقين الذين يمررون رسائل أثناء التعليق، لقد تم استغلال مواقع الفيس بوك في الانتقادات الفارغة، والكلام النابي، والسب، والقذف، الشتائم، والمس بالكرامات من لدن الجمهور الرياضي،إذ اصبحت أمور كثيرة لها حسابات وحساسيات مما أنعكس سلباً على على اللغة الفصحى للجمهور الرياضي.

الاستخلاصات والتطبيقات

١. تطوير الموارد اللغوية :إنشاء قواميس رياضية ومصطلحات خاصة بالرياضة باللغة العربية الفصحى لتوفير موارد للمعلقين والإعلاميين.
٢. التدريب والتأهيل :تقديم دورات تدريبية للمعلقين والمحللين الرياضيين لتعزيز مهاراتهم في استخدام اللغة العربية الفصحى بطريقة مهنية وجذابة.
٣. التوعية والتثقيف :إطلاق حملات توعية وتثقيف للجمهور حول أهمية استخدام اللغة العربية الفصحى في الرياضة وكيف يمكن للمشجعين دعم هذه الجهود.
٤. الدعم من الإعلام والجهات الرياضية :دعم القنوات الرياضية والمنظمات الرياضية لبرامج ومحتوى يستخدم اللغة العربية الفصحى بشكل مناسب ومشجع.
٥. الاستجابة لتغيرات السوق : فهم احتياجات وتفضيلات الجماهير والعمل على تطوير تجارب رياضية تتلاءم مع هذه الاحتياجات بما يشمل استخدام اللغة العربية الفصحى بشكل فعّال.
٦. الشراكات الثقافية :التعاون مع الجهات الثقافية والتعليمية لتعزيز استخدام اللغة العربية الفصحى في مختلف المجالات بما في ذلك الرياضة

المراجع

١. أديب ، خضور ،(١٩٩٤)، الاعلام الرياضي ، دراسة عملية للتحرير الرياضي في الصحافة والإذاعة والتلفزيون ، المكتبة الإعلامية ، دمشق .
٢. أبو حليمة ، فائق حلمي (٢٠٠٤) ، الحديث في الإدارة الرياضية ، عمان : دار وائل للنشر والتوزيع .
٣. إبراهيم امام (١٩٩٥)، الاعلام الرياضي الإذاعي والتلفزيوني ،ط٢،مصر ،دار الفكر العربي.
٤. جاد الله، منال عبد المنعم السيد، (٢٠٠٥)، ثقافة الشباب العربي،دراسة ميدانية في لغة الشباب وأغانيهم، الأسكندرية، منشأة المعارف.
٥. عويس ، خير الدين علي ، وعطا ، حسن عبد الرحيم، (١٩٩٨)، ج١،ط١، الاعلام الرياضي ،القاهرة ،مركز الكتاب للنشر .
٦. ماتيوز، بوب، روس، ليز، (٢٠١٦)، الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الإجتماعية، ترجة وتقديم محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
٧. الهادي ، عيسى (٢٠١٣) . الإعلام الرياضي والتربوي ، القاهرة ، مركزى الكتاب الحديث.
٨. الهلالي، عصام(٢٠٢١)، النظرية الأجتماعية في الرياضة وقضايا المجتمع، مركز الكتاب للنشر، القاهرة.
٩. ياسين ، فضل ياسين (٢٠١١) ، الإعلام الرياضي ، ط١ ، عمان : دار أسامة للنشر.
١٠. ياسين، فضل ياسين (٢٠١٥) ، الاعلام الرياضي ، عمان : دار أُسامة للنشر والتوزيع.
١١. كنعان ، علي عبد الفتاح (٢٠١٤) . الاعلام الرياضي ، عمان : دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع .



ISBN : 978-622-91150-0-8

9 786229 115008